(فهرست كتاب قصص الانبياء المسمى بعرائس المجالس)

صحيفه	
٢	باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في تقصيصه تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين
٣	مجلس في صفة خلق الارض
٣	الباب الاول في بدء خلق الارض وكيفيتها
٤	الباب الثاني في حدود الارض ومساقتها وأطباقها وسكانها
٥	الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض
٦	الباب الرابع في ذكر أسمائها وألقابها
٦	الباب الخامس في ذكر ما زين الله به الارض
٦	الباب السادس في عاقبتها وما لها وآخر حالها
٧	الباب السابع في وجوه الارض المذكورة في القرآن
٧	مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل بها
٧	الباب الاول في بدء خلق السموات
٨	الباب الثاني في جواهرها وأجناسها
٨	الباب الثالث في هيئتها وحدودها
٨	الباب الرابع في أسمائها وألقابها
٩	الباب الخامس في ذكر الايام التي خلق الله الاشياء فيها
٩	الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات
١١	الباب السابع في ذكر ما لها وآخر حالها
١١	مجلس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبدء أمرهما ومبادئها
١٥	مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة
١٥	الباب الاول في ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه السلام
١٦	الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته
١٧	الباب الثالث في صفة نفخ الروح
١٨	الباب الرابع في صفة خلق حواء
١٨	الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام
٢٠	(فصل وابتليت حواء الخ)

صحيفه	
٢١	الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه
٢٥	الباب السابع في ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة
٢٥	الباب الثامن في ذكر ما روي من الاخبار فيمن تراءى له ابليس الخ
٢٦	الباب التاسع في قصة قابيل وهابيل
٢٨	الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام
٢٩	باب في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام
٢٩	مجلس في ذكر النبي ادريس عليه السلام
٣٠	قصة هاروت وماروت
٣٢	مجلس في قصة نوح عليه السلام
٣٦	ذكر خصائص نوح عليه السلام
٣٦	مجلس في قصة هود عليه السلام
٤٠	مجلس في قصة صالح عليه السلام
٤٣	مجلس في قصة ابراهيم عليه السلام والنمرود
٤٣	الباب الاول في مولد ابراهيم عليه السلام
٤٥	الباب الثاني في تزويج ابراهيم عليه السلام من السرية الخ
٤٧	الباب الثالث في ذكر مولد اسمعيل واسحق عليهما السلام
٥٠	الباب الرابع في النوا على بقية قصة زنيم
٥١	الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء أمرها الى وقتنا هذا
٥٤	الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده وفي هلاك النمرود بن كنعان
٥٨	الباب السابع في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج ابراهيم وأولاده
٥٨	الباب الثامن في ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام
٥٩	الباب التاسع في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام
٦٠	مجلس في ذكر بعض اخبار اسمعيل واسحق ابني ابراهيم عليهم السلام

صحيفة	
١٤٣	باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم حين بعثهم إلى أرض كنعان مجاسيس له ولقومه
١٤٣	فصل في ذكر رجل من أخبارهم وبيع بن يوشع وأحواله
١٤٤	باب في ذكر النعمة التي أتم الله بها على بني إسرائيل في التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام
١٤٥	باب فتح أريحا ونزول بني إسرائيل الشام
١٤٥	قصة وفاة هرون عليه السلام
١٤٦	ذكر وفاة موسى عليه السلام
١٤٨	مجلس في ذكر الأنبياء والمساوئ الذين قاموا بأمور بني إسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام
١٤٨	ذكر تحبيب ترقيز عليه السلام
١٤٩	باب في قصة الياس عليه السلام
١٥٢	قصة اليسع عليه السلام
١٥٤	مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام
١٥٥	مجلس في قصة إسمويل وشمعون وهو اسمويل بالعبرانية وقصة التابوت وتسمية طالوت وجالوت وما
١٥٥	فصل في سياق آية ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل القصة
١٥٥	القول في بعث أمر إسمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم
١٥٧	ذكر قصة طالوت وجالوت وإتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به
١٥٧	قصة التابوت وصفته وابتداء أمره إلى انتهائه
١٥٩	باب في قصة شمعون حين أوحى الله إليه أن يأمر طالوت بالمسير إلى قتال جالوت من بني إسرائيل وصفتهم والابتلاء
١٦٠	باب في ذكر أمر داود عليه السلام وشبه جالوت وصفة قتله
١٦١	ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه لداود عليه السلام بعد قتل جالوت
١٦٢	مجلس في خلافة داود وما يتعلق بها
١٦٣	باب في ذكر نسبه عليه السلام
١٦٣	باب في ذكر صفته وحليته
١٦٣	باب في ذكر ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامات حين أصطفاه النبوة والملك
١٦٥	باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلي بالخطيئة وما يتصل بذلك
١٦٩	باب في ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما
١٧٠	باب في قصة أصحاب السبت
١٧١	باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث
١٧١	باب في قصة استخلاف داود ابنه سليمان على ما السلام وذكر بعض أمر الملك
١٧٢	باب في ذكر وفاة داود عليه السلام
١٧٣	مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به
١٧٣	باب في صفة سليمان عليه السلام
١٧٣	باب في ما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام من ملكه من أنواع الملك وغير ذلك
١٧٩	مجلس في القوة
١٨٠	قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر إليها الهواء
١٨٠	صفة كرسي سليمان عليه السلام
١٨١	قصة بلقيس وما جرى له معه وأمره
١٨٣	باب في قصة قباض ملكة سبأ والهدية وما يدخل به
١٨٥	قصة الهدهد الذي بعثه بلقيس
١٩٠	باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبا زوجته بإرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه
١٩٣	باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام
١٩٤	مجلس في قصة بختنصر وخبر شعياء وأرمياء ودانيال وعزير
١٩٤	قصة شعياء عليه السلام

صحيفة	
٦١	مجلس في قصة لوط عليه السلام
٦٤	مجلس في قصة يوسف بن يعقوب وابنوته عليهم السلام
٦٤	الباب الاول في ذكر نسبه عليه السلام
٦٥	الباب الثاني في صفة يوسف عليه السلام وحليته ونعته وخلقه وصفة صورته
٦٦	القول في القصة
٨٥	مجلس في قصة موسى بن منشا بن يوسف عليه السلام
٨٥	مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد
٨٨	مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس
٩١	مجلس في قصة نبي الله أيوب وبلائه عليه السلام
٩٧	مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام
٩٨	مجلس في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام
٩٩	مجلس في ذكر موسى الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام
٩٩	الباب الاول في ذكر نسب موسى عليه السلام
٩٩	الباب الثاني في ذكر مولد موسى عليه السلام
١٠٢	الباب الثالث في ذكر طفولية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام
١٠٢	الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه من مصر وورود مدين
١٠٣	الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنته اياه
١٠٤	الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدو أمرها
١٠٥	الباب السابع في صفة الذي كلم ربه الذي كانت فيها لموسى
١٠٥	الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين الخ
١٠٨	الباب التاسع في ذكر دخول موسى وهرون على فرعون
١٠٩	الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة
١١٤	الباب الحادي عشر في قصة خزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته
١١١	الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها
١١٢	الباب الثالث عشر في بناء الصرح
١١٣	الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابتلى الله بها فرعون وقومه
١١٣	باب في صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها
١١٤	فصل في بعض ما ورد من الاخبار الغريبة في الجراد
١١٦	الباب الخامس عشر في قصة اسراء موسى عليه السلام ببني اسرائيل
١١٧	فصل قالوا لما سار موسى ببني اسرائيل من مصر اطلع
١١٩	الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل لميقات ربه
١٢١	فصل في نسخة العشر كلمات التي كتب الله تعالى لموسى نبيه
١٢٣	باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل
١٢٦	باب في قصة قارون حين عصى ربه وموسى واستكبر
١٢٩	باب في قصة موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من العجائب
١٣٠	فصل في ذكر رجل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله
١٣٠	فصل في بدو أمر الخضر عليه السلام
١٣٦	باب في ذكر قصة اسماعيل فضل بني اسرائيل وقصة البقرة
١٣٨	باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك
١٣٩	باب في ذكر مسير بني اسرائيل الى الشام حتى جاوزوا البحر وصفة نقوب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك
١٤٠	فصل في فضل الشام وأهله
١٤٠	ذكر قصة بلعام بن باعوراء

كتاب قصص الانبياء المسمى بالعرائس تأليف

الامام العالم العلامة أبي اسحق أحمد بن محمد

ابن ابراهيم الثعلبي تغمده الله برحمته

وأسكنه فسيح جنته

آمين آمين

امين

6461
5/18

وقد تم استنساخه مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين للعلامة

اليافعي نفع الله تعالى به ونفعنا في الفردوس مع أهل قربه

صحيفة	
١٩٧	قصة أرميا عليه السلام
٢٠٠	قصة دانيال عليه السلام
٢٠١	خبر وفاة دانيال عليه السلام
٢٠٣	باب في ذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
٢٠٥	باب في ذكر تمام قصة عزير عليه السلام وحاله بعد ما رجع الى قومه
٢٠٥	مجلس في ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا بن يرخيا وخراب حضور
٢٠٦	مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه
٢٠٧	باب في ذكر بعض ما روى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن
٢٠٨	مجلس في قصة باوقيا
٢١٣	مجلس في قصة ذي القرنين عليه السلام
٢١٣	باب في نسبه ولقبه عليه السلام
٢١٣	باب في ذكر بدو أمره وسبب استكمال ملكه
٢١٤	باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذي القرنين بعد مقتل دارا الخ
٢١٦	باب في صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به
٢١٧	باب في دخول ذي القرنين الظلمات وعمايلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة
٢٢٠	مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام
٢٢٠	باب في ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر تحريرها
٢٢٢	باب في ذكر مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام
٢٢٢	باب في صفته وحليته عليه السلام
٢٢٣	فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده
٢٢٤	باب في مقتل يحيى عليه السلام
٢٢٥	ذكر مقتل زكريا عليه السلام

صحيفة	
٢٢٥	مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم به وما يتصل بذلك
٢٢٧	باب في ذكر ميلاده عليه السلام
٢٢٨	باب في مرجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت لحم
٢٢٩	باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر
٢٢٩	باب في صفة عيسى وحليته عليه السلام
٢٢٩	باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام في صباه
٢٣١	باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس
٢٣١	باب في قصة الحواريين عليهم السلام
٢٣٢	ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد مبعثه الى ان رفع صلوات الله عليه
٢٣٤	ذكر حديث جامع في هذا الباب
٢٣٥	نزول المائدة
٢٣٨	ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام
٢٣٨	ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليها السلام
٢٣٨	ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان
١٣٩	باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الى انطاكية
٢٤٠	قصة يونس بن متى عليه السلام
٢٤٣	باب في قصة أصحاب الكهف
٢٥٣	مجلس في ذكر برجيس عليه السلام
٢٥٨	باب في قصة شمسون النبي عليه السلام
٢٥٨	باب في قصة أصحاب الاخدود
٢٦٠	باب في قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

بعض المتأولين فى تفسيره قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ان النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقال تعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا فما نقص الله تعالى هذه القصص على نبيه وأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم أن الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحدا من الانبياء والامم فوصل قيام الليل بنهاره وصله بقيامه بقيامه لا يفتر عن عبادته به أداه الشكر حتى تورمت قدماه فقيل يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ثم افتخر عليه السلام فقال بعثت بالحنيفية السمحة (والحكمة الرابعة) أنه انما قص الله تعالى عليه القصص تأديبا وتنبيها لامته وذلك أنه ذكر الانبياء وقومهم والاعداء وعنادهم ثم ذكر فى غير موضع تحذيرهم اياهم عن صنع الاعداء وحثهم على صنع الاولياء فقال تعالى لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين وقال لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب وقال وهدى وموعظة للمتقين ونحوها من الآيات وكان الشبلى رحمه الله تعالى يقول فى هذه الآيات اشتغل العالم بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص (والحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الانبياء والاولياء الماضين اسباء لذكرهم وآثارهم ليكون المحسن منهم فى ابقائه ذكره مشتاقا الى تجمل بجزاء فى الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة الى قيام الساعة كما رغب خليل الله ابراهيم عليه السلام فى ابقاء الثناء الحسن فقال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والناس أحاديث يقال ما مات ميت والذكر يحييه وقيل ما أنفق المال والاغتباط الاموال على المصانع والحصون والقصور الا لبقاء الذكر * وأنشدنا ناصر بن محمد المروزى قال أنشدنى الوبرى

وانما الرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

(مجلس فى صفة خلق الارض)

قال الله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الآية وتظاهرت آيات كثيرة فى القرآن *(واعلم)* ان الكلام فى نعت خلق الارض على سبعة أبواب

(الباب الاول فى بدء خلق الارض وكيفيتها)

روت الرواة بألفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والارض ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم أثار الى الماء فصار دخانا وارتفع منه بخار وبخار وأزبد من خشية الله فمن ذلك اليوم يوعد الى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان أى قصد وعمد الى خلق السماء وهى بخار وخلق من ذلك الزبد الارض فأول ما ظهر من الارض على وجه الماء مكة فدحا الله الارض من تحتها فلذلك سميت أم القرى يعنى أصلها وهو قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا فشقها وصيرها سبعا وذلك قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارض السابع فوضع قدميه على ما تحتها ثم مد يديه فى المشرق والاخرى فى المغرب باسطتين قابضتين على قرار الارض السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمى الملك على ناسوته فلم تستقر قدماه فأهبط الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور والى أذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور مثل جبال الارض وهى كالحسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة تحت سرته فاغلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله الآية * روى أن لقمان لما قال له هذه الكلمة انفطرت من هيبتها مرارته ومات وكانت آخر موعظته فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم اسمه لويا وكنيته بلهوت ولقبه يهموت فوضع الصخرة على

الرحيم * واشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله خير الخلائق من انس وجان اللهم فصل وسلم على هذا النبى الكريم والرسول العظيم صلاة وسلاما دائمين متلازمين على طول الزمان * (أما بعد) * فهذه فوائد جليلة عظيمة التقطت من كتاب روض الرياحين فى حكايات الصالحين أعاد الله علينا من بركاتهم فى الدارين فى ذكرهم تنزل الرحمات * وبنشر البركات وقد أردت فيها ذكر أخبار السادات * وآداب العادات * وعادات أهل السعادات * وأبواب الزيادات * ليزول عن معانيها الهم والفكر * ويلتمس سامعها لباس تلك السير * ليصفو عيشها وينعم الابدان وظلها الاستظلال الاغصان * وهذا أوان الشروع فى ذلك ونسأل الله تعالى أن ينفعنا بما أولانا وان يجعلنا فى زمرة أهل ولايته * (فمنها ما حكى عن سيدى ذى النون المصرى رضى الله عنه) * قال ركبت البحر مرة وركب معى شاب صبيح الوجه فلما توسطنا البحر قصد صاحب المركب كبسنا فيه مالنا فتش كل من

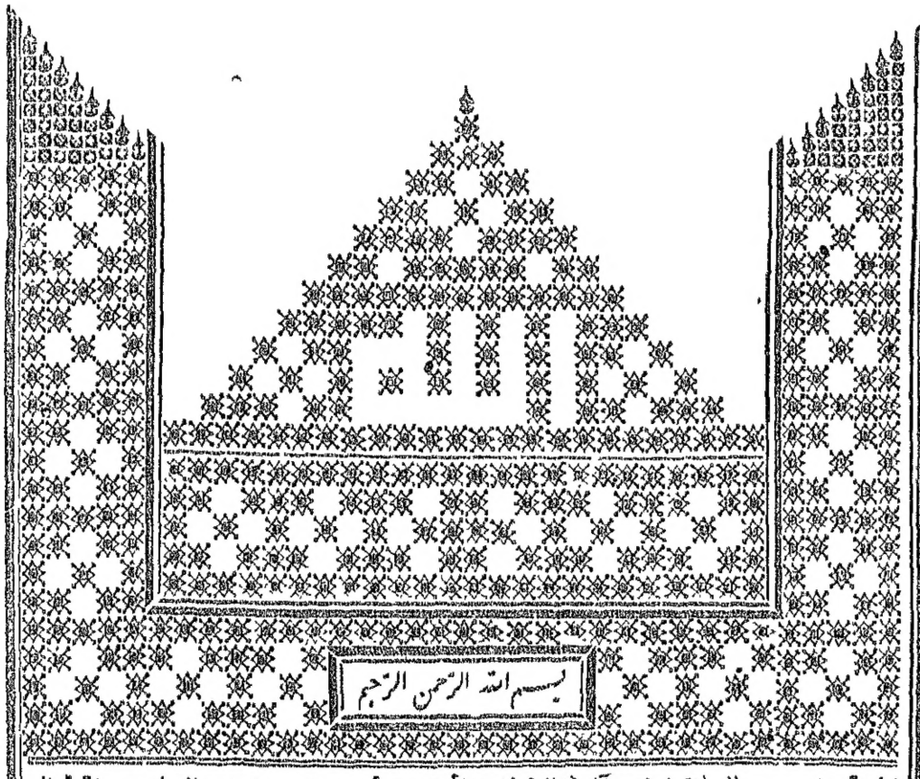

الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد وآله (قال) الاستاذ أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على قصص الانبياء المذكورة في القرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان

(باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في تقصيصه تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين)

قال الله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قالت الحكماء ان الله تعالى قص على المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبار الماضين من الانبياء والامم الخالية لخمسة أمور رأى حكم (الحكمة الاولى) منها أنه اظهار لنبوته صلى الله عليه وسلم ودلالة على رسالته وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسلم يختلف الى مؤدب ولا الى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيها الانقطاع الى عالم يأخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طلب شئ من العلوم الى أن كان من أمره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام ولقنه ذلك فأخذ يحدث الناس بأخبار من مضى من القرون وسير الانبياء الماضين والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلا موفقا صدق بما وحى الله اليه وأخباره اياه بذلك فآمن به وصدقه وكان ذلك معجزة له ودليلا على صحة نبوته ومن كان منهم عدوا معاندا حسده وجحده وأنكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قال الله تعالى تكذيبا لهم وتصديقا للنبي عليه السلام قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض (والحكمة الثانية) انه انما قص عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم أخلاق الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء والصالحين فيما أخبر الله تعالى عنهم وأثنى عليهم والتمسي أمته عن أمور وقعت أم الانبياء بخلافها عليها واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فعلم الله له بذلك معالي الاخلاق فلما امتثل أمر الله تعالى واستعمل أدب الانبياء أثنى الله عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن (والحكمة الثالثة) أنه انما قص عليه القصص تثبيتا له واعلاما بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم وذلك أنه لما نظر الى أخبار الامم قبله علم أنه عوفي هو وأمته من كثير مما امتحن الله به الانبياء والاولياء وخفف عنهم في الشرائع ورفع عنهم الاثقال والاغلال التي كانت على الامم الماضية كما قال

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد) لله العظيم المنان *الرحيم الرحمن *الذي خلق الانسان *وزينه بنطق اللسان *وفضل من شاء من عباده *وهداه الى طريق الايمان *وشرف هذه الامة بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن *وجعل منهم الاولياء والأصفياء والشهداء والصالحين أهل العرفان *وأولى الفضل والايمان شرح لهم صدورهم وغفر لهم ذنوبهم وهداهم الى صراط مستقيم صراط الله العزيز المنان *أنعم عليهم بانعامه وجاد عليهم باكرامه وسقاهم من كؤس محبته فانتشت من شراب قربه القلوب والابدان ووعدهم بالنظر الى وجهه الكريم فتوجهم بتاج الوقار وألبسهم من حلل رضائه ألوان *فسبحان من فضله عميم وجوده عظيم ولطفه قديم وهو الباقي وكل من عليها فان (أحمده) على طول الازمان *وأتوب اليه وأستغفره استغفارا يوجب الغفران *وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له

العظيم وهي التي قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة * أخبرنا أبو بكر بن عبدوس بن المزني قال أخبرنا أبو
عبد الله محمد بن يونس المقرى قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا أحمد بن الليث قال حدثنا أبو حفص عمر بن
حفص القشيري قال حدثنا علي بن الحسين قال سمعت منصور بن عمار يقول بينما أنا أردت الحج اندفعت الى
الكوفة ليلا وكانت ليلة مدلهمة فانفردت من أصحابي ثم دنوت الى رفاق باب دار فسمعت بكاء رجل وهو يقول في
بكائه الهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ولكني عصيتك اذ عصيتك بجهلي وخطيئتي اذ خطيئتك
لشقوتي فالآن من عذابك من ينقذني وبحبل من اتصل اذا انقطع حبلك عني واذ نبذتني فبأي شيء أعتصم فقال منصور
فأبكاني والله فوضعت في على شق الباب وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم بسم الله
الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية قال فسمعت عند ذلك
اضطرابا شديدا ثم خر الصوت فوضعت عيني على الباب لأعرف الموضع فلما أصبحت غدوت اليه فاذا أنا كفان
أصلحت وعمود تحت الدار باكية وتخرج باكية فقلت لها ما هذا ميت فما هذا الميت فقالت البث عني يا عبد الله
لا تعد على أحزاني فقلت اني أريد هذا الوجه الكريم لعلك تستودعيني دعوة فاني منصور بن عمار واعنا
أهل العراق فالت يا منصور هذا ولدي قلت فما كانت صفته قالت كان من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكتسب ما يكتسب فجعل اثلاثا ثلثا للمساكين وثلثا يطرح عليه وكان يصوم النهار ويقوم الليل حتى اذا
كان آخر ليلة أخذ في بكائه وتضرعه فرب رجل في هذه الليلة وتلا آية من كتاب الله تعالى فلم يزل حبيبي يضارب
حتى أصبح وقد فارق الدنيا رحمه الله تعالى * وقال منصور بن عمار دخلت يوما خربة فوجدت شابا يصلي صلاة
الخائفين فقلت انفسي ان لهذا الفتى لشأنا عظيما لعله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فلما سلم
سلمت عليه فرد علي فقلت له ألم تعلم أن في جهنم واديا يسمى لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى
فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال لي زدني فقلت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس
والحجارة الآية فخر ميتا فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوبا بالقلم القدرة لله في عبيده احتجب عن جنة
عالية قطوفها دانية فلما كانت الليلة الثانية نمت فرأيته في المنام جالسا على سرير وعلى رأسه تاج فقلت له ما فعل
الله بك فقال أتاني ثواب أهل بدر زادني فقلت له لم قال لانهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بسيف الملك
الجبار * والارض الخامسة فيها عقارب أهل النار كأمثال البغال لها أذناب كأمثال الرماح لكل ذنب منها ثمانية
وستون مقارا في كل مقار ثمانية وستون قرقا من السم كل قرق منها ثمانية وستون قلة من سم لو وضعت قلة
من ذلك السم في وسط الارض لمات جميع أهل الدنيا من نتنه وفسده كل شيء وقع عليه سيالات أهل النار
كأمثال الاودية لكل حية منها ثمانية عشر ألف ناب كل ناب منها كالنخلة العالية في أصل كل ناب ثمانية عشر
ألف قلة من السم لو أمر الله حية منها أن تضرب بنابها أعظم جبل في الارض لهدته حتى يعود رميما
وأنهم الثاني الكافر قسمة تقطع مفاصله * والارض السادسة فيها دار من أهل النار وأعمالهم وأدواتهم الخبيثة
واسمها سجين قال الله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين * والارض السابعة جعلها الله مسكنا لابليس وجنوده
وفيها عشه في أحد جانبيه سموم وفي الآخر زمهرير وقد اختفى فيه جنوده من المردة عتاة الجن ومن أحب الله
وجنوده فاعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة لبني آدم * وروى سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد الله قال
الجنة اليوم في السماء السابعة فاذا كان غدا جعلها الله حيث يشاء وأما بعد قعر الارض فكان فيما بلغنا في حديث قارون حين خسف الله به الارض وبداره
وبأمواله ففي الخبر انه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يبلغ قعرها الى يوم القيامة وقال النبي عليه الصلاة والسلام
بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم
القيامة

* (الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض) *

قال الله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الآية قال أبو اسحق قال شبل بيدي أبو بكر
محمد بن أحمد القطان قال شبل بيدي أحمد بن الحسين بن شاذان قال شبل بيدي ابراهيم بن يحيى قال شبل بيدي

ظهره وسائر جسده فقال قال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة وتحت الدنيا وما عليها
حرفان من كتاب الله تعالى قال لها البيار كوني فكانت فذلك قوله عز وجل انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له
كن فيكون ولذلك قال بعض حكماء الشعراء

لا تخضعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه * فان رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

(وقال) كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له أتدري ما على
ظهرك يا لوتيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها لو فضتها القيتهم عن ظهرك أجمع لسكان ذلك أو ريح
لك قال فهم لوتيا أن يفعل ذلك فبعث الله تعالى اليه دابة فدخلت في منخره فوصلت الى دماغه فصيح الحوت الى الله
تعالى منها فاذن الله تعالى لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه ليفتار اليها وتنظر اليها ان هم بشيء
من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذي أقسم الله تعالى به فقال ن والقلم وما يسطرون ثم قالوا ان الارض
كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فأرساها الله تعالى بالجبال وذلك قوله تعالى والجبال أرساها
وقوله تعالى والجبال أوتادا وقوله تعالى وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم يعني لئلا تتحرك بكم * قال علي بن
أبي طالب رضي الله تعالى عنه أول ما خلق الله الارض نجمت وقالت يا رب تجعل على بني آدم يعملون على الخطايا
ويلقون على الخبائث فاضطربت فارساها الله تعالى بالجبال فقرها وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة
خضراء خضرة السماء منه يقال له جبل قاف فاما طبقها كلها وهو الذي أقسم الله به فقال ق والقرآن المجيد وقال
وهب ان ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا فقال له من أنت قال أنا قاف قال فاخبرني ما هذه
الجبال التي حولك قال هي عروقي فاذا أراد الله أن يزلزل أرضا أمرني فحركت عرقا من عروقي فتزلزل الارض
المتصلة به فقال يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله تعالى فقال ان شأن ربنا العظيم تقصر عنه الصفات وتنقضي
دونه الاوهام قال فاخبرني بادنى ما وصفت منها قال ان ورائي أرضا المسيرة خمسمائة عام من جبال الثلج بعضها
بعضا ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها ولا ذلك الثلج والبرد لاحترقت الدنيا من حر جهنم قال زدني فقال ان
جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله تعالى ترعد فرائصه فيخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهم صفوف
بين يدي الله تعالى منكسو رؤسهم لا يؤذن لهم في الكلام الى يوم القيامة فاذا أذن الله تعالى لهم في الكلام
قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا
يعني لا اله الا الله * وروى يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك
رضي الله عنه قال لما خلق الله تعالى الارض جعلت تميد فخلق الجبال وألقاها عليها فاستقامت فعجبت الملائكة
من شدة الجبال فقالت يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يا رب هل من خلقك شيء
أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يا رب هل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء فقالت يا رب هل من خلقك
شيء أشد من الماء قال نعم الريح فقالت يا رب هل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم الانسان يتصدق بيمينه فيخفيها
عن شماله

(الباب الثاني في حدود الارض ومسافتها وأطباقها وسكانها)

(روى) عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بين كل أرض الى التي تليها مسيرة خمسمائة
عام وهي سبعة أطباق الارض الاولى هذه فيها سكانها والارض الثانية مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة
كما قال تعالى وتصريف الرياح وفي الارض الثالثة خلق وجوههم مثل وجوه بني آدم وأفواههم مثل أفواه
الكلاب وأيديهم كايدي الانس وأرجلهم كارجل البقر وآذانهم كآذان المعز وأشعارهم كأصواف الضأن
لا يعصون الله طرفة عين ليس لهم أثواب لبنانهارهم ونهارهم ليلنا والارض الرابعة فيها حجارة الكبريت التي
أعدها الله لاهل النار تسجر بها جهنم قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فيها لاودية من كبريت
لو أرسلت فيها الجبال الرواسي لانماعت قال وهب بن منبه هي مثل الكبريت الاحمر الصخرة منها مثل الجبل

كان في المركب فلما
وصل الى الشاب ليفتشه
وثب من المركب حتى
جلس في الجص وقام له
الموج على مثال السرير
ونحن ننظر اليه من
المركب ثم قال يا مولاي
ان هؤلاء اتهموني وانى
أقسم عليك يا حبيب
قلبي ان تأمر كل دابة
من هذا البحر ان تخرج
رأسها وفي فم كل واحدة
منهن جوهرة قال
ذو النون فما أتم الشاب
كلامه حتى رأينا دواب
البحر قد أخرجت رؤسها
وفي فم كل واحدة منهن
جوهرة ثلاثا وتلمع
كالبرق ثم وثب الشاب
ثانيا من البحر في الموج
وصار يمشي ولم تبتل
قدماه وهو يقول ايالك
نعبد وايالك نستعين حتى
غاب عن بصري قال
ذو النون فعملني ذلك
على السياحة وتذكرت
قول النبي صلى الله عليه
وسلم لا تزال في أمتي
ثلاثون رجلا قلوبهم
على قلب ابراهيم خليل
الرحمن كلما مات واحد
أبدل الله مكانه واحدا
*(وحكى عن سيدي
ابراهيم الخواص
رضي الله تعالى عنه)
أنه قال طالبني نفسي
في وقت من الاوقات
بالخروج الى بلاد
الروم فسوفت نفسي

وفى الظهر بقى بارض بيضاء من فضة كالمرآة النقى المستوى لم يعص عليها طرفه عين ولا وسم فيها ولا أعلم مستوية كالصلب المهند * والثانى الزلزلة قال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج يا رسول الله قال القتل فاذا أكلت أمتى الربا كانت الزلزلة واذا جار ولاة أمرهم اجتمعت أعليهم العدو واذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت واذا منعوا الزكاة قحطوا ولولا البهائم لم يطروا وفى الحديث ان الارض تزلزلت على عهد عمر رضى الله عنه فانذر بعضادتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل المدينة انكم ربما تم وان الرجف من كثرة الزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وانكم أحدثتم أشياء حتى أحدثتم أفعلتم فهل أنتم منتهون أو يفرغ من بين أظهركم * والثالث البرق قال الله تعالى ويرى الارض بارزة يعنى لفصل القضاء * والرابع الريح قال الله تعالى اذا رجت الارض رجا قال المفسرون كما يرجح الصبى فى المهد حتى ينكسر كل شئ عليها فرقا من ربها * والخامس الرجف قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال * والسادس المدحى تخلى وتلقى ما فى بطنها قال تعالى واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت * والسابع الدك قال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا وقال تعالى فدكتا دكة واحدة ويحكى ان الربيع بن خيثم كان اذا قرأ هذه الآية أخذ بعلد ذراعيه ويقول يا لها من يا داهاه أين أنتما يومئذ *(الباب السابع فى وجوه الارض المذكورة فى القرآن)*

وهى سبعة أولها مكة لما روى عن على رضى الله عنه قال قال الله تعالى فى الرعد والانبياء أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يعنى أرض مكة والوجه الثانى أرض المدينة قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها يعنى أرض المدينة وقال تعالى ان أرضى واسعة وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها والثالث أرض الشام وذلك قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة الآية يعنى بلاد الشام وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين والوجه الرابع أرض مصر قال تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض أى أرض مصر وقوله تعالى اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وقوله فان أربح الارض أى أرض مصر وقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض وقال ويستخلفكم فى الارض أى أرض مصر والخامس أرض المشرق فذلك قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض والسادس الارضون كلها وذلك قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقوله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يعنى بالامم فى التصاوير أمثالكم فى التسخير وقال تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام وقال تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسابع أرض الجنة فذلك قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون وقوله تعالى وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين

(فصل فى ذكر خلق السموات وما يتصل به)

وترتيب الكلام فى هذا الفصل أيضا على سبعة أبواب لقول وهب بن منبه كانت الانبياء أن تكون سبعا فالسموات سبع والارضون سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف والايام سبعة والكواكب سبعة وهى السيارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعى بين الصفا والمروة سبعة ورمى الجمار سبعة وأبواب جهنم سبعة ودركاتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قال تعالى فلبثه فى السجن بضع سنين وابتلاؤه ملك مصر سبع سنين وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان وكرامة الله المصطفى صلى الله عليه وسلم سبع قال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين ورزق الانسان وغذاؤه من سبعة أشياء قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله متاعا لكم ولانعامكم وأمر بالسجود على سبعة أعضاء

(الباب الاول فى بدء خلق السموات)

(يروى) فى الاخبار المشهورة المأثورة ان الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة

قال ابراهيم فبينا أنا أكلمها اذا الشيخ الموكل بها قد دخل على ولا قال لها ما فعل طبيبك هذا قالت تعرف الصلاة وأصاب الدواء وظهر على يديه الصديد وقاربنى بالبرود قال ابراهيم فسار الشيخ للملك وأخبره بقولها فصرت أتردد عليها مدة سبعة أيام فقالت يا أبا اسحق أريد الهجرة معك الى بلاد الاسلام فقلت وكيف يكون ذلك ومن يقدر على الخروج من ثلاث العساكر والجنود فقالت يا ابراهيم لا تتعب ان الذى أدخلنى على وعاقبنى الى هو الذى يخرجنى معك ولم يشعر بنا أحد فقلت نعم ان الله على كل شئ قدير فلما كان الغد خرجنا من باب من الابواب فجعلت تقول العيون بارادتى ولا يقول للشئ كن فيكون فهو الذى وفقها وهداها بما رأيته أصبحنا على السلام والقيام وصلت على نبينا الذى أنام وبارت بيت الله الحرام وقد بعثت أصواما ثم قضت نحبها وانتقلت بروحها وصارت بباب العلى نفسها وراحة الله تعالى علينا ونفعنا بها فى الدنيا والآخرة آمين *(وعلى عنه أيضا رضى الله تعالى عنه)* أنه قال خرجت من بلدى

صفوان بن سليم قال شبك بيدى أيوب بن خالد الانصارى قال شبك بيدى عبد الله بن أبى رافع قال شبك بيدى أبو هريرة قال شبك بيدى أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله الارض يوم السبت والجبال يوم الاحد والاشجار يوم الاثنين والظلمات يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة

(الباب الرابع فى ذكر أسمائها وألقابها)

*قال وهب بن منبه الاولى من الارض تسمى أدماو الثانية بسيطا والثالثة نقيلا والرابعة بطاحا والخامسة متشاقلة والسادسة ماسكة والسابعة نرى *(وأما أسماؤها المذكورة فى القرآن)* فهى سبعة أيضا سماها الله فراشا فقال الذى جعل لكم الارض فراشا وسماها قرارا فقال أم من جعل الارض قرارا وسماها رتقا فقال أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا وسماها بساطا فقال والله جعل لكم الارض بساطا وسماها مهادا فقال ألم نجعل الارض مهادا وسماها ذات الصدع فقال والارض ذات الصدع يعنى بالنبات وسماها كفاتا فقال ألم نجعل الارض كفاتا *قال خالد بن سعيد كنت أمشى مع الشعبى بظهر الكوفة فنظر الى بيوت الكوفة فقال هذه كفات الاحياء ثم نظر الى المقبرة فقال هذه كفات الاموات *ويحكى أن عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور عجبه من أولاد المجوس شاب متطبب يدعى تحقيق الكلام وأظهر مسئلة تحريق الانفس بالنار وكان يزعم ان الجسد كثيف مبتن فى حال الحياة فاذا مات فلا حكمة فى دفنه والتسبب الى زيادة تتنه وان الواجب احراقه واذواء رماده فقيل لبعض الفقهاء ان الناس قد افتتنوا بمقالة هذا المجوسى فكتب الفقيه الى عبد الله بن طاهر ان اجمع بيننا وبين هذا المجوسى لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله فلما تكلم المجوسى بمقالته تلك قال له الفقيه أخبرنا عن صبى تدعيه أمه وخالته أيهما أولى به فقال له الام فقال ان هذه الارض هى الام منها خلق الخلق فهى أولى بأولادها أن يردوا اليها فأفحم المجوسى وأنشد فى معناه لامية بن أبى الصلت

والارض معقلنا وكانت أمنا * فيها مقابرنا وفيها المولد

*وسئل يحيى بن معاذ الرازى ان آدم يدرى أن الدنيا ليست بدار قرار فلم يطمئن اليها قال لانه منها خلق فهى أمه وفيها نشأ فهى عشه ومنها رزق فهى عيشه واليها يعود فهى كفاته وهى ممر الصالحين الى الجنة

(الباب الخامس فى ذكر ما زين الله به الارض)

وهى سبعة أشياء الازمنة وزين الازمنة بار بعة أشهر قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فالاربعة الاشهر الحرم منها ثلاثة سرد واحد فرد فالثلاثة السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والامكنة وزينها بار بعة أشياء مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد العشار وزينها أيضا بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزين الانبياء بار بعة ابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الروح ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين وهم أهل الكتب وأصحاب الشرائع وأولو العزم وزينها أيضا بآل محمد صلى الله عليه وسلم وزينهم أيضا بار بعة على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم *(وروى)* يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر فلما انفتل من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال معاشر المسلمين من افتقد الشمس فليستمسك بالقمر ومن افتقد القمر فليستمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين فقيل يا رسول الله ما الشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقدان فقال أنا الشمس وعلى القمر وفاطمة الزهرة والحسن والحسين الفرقدان فى كتاب الله تعالى لا يفترقان حتى يردا على الحوض وزينها أيضا بالصحابة وزينهم أيضا بار بعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وهم الخلفاء الراشدون والائمة المرضيون رضى الله عنهم أجمعين *(وروى)* عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا فى قلب مؤمن قال أنس قد اجتمع حبهم فى قلبى والحمد لله وزينها أيضا بالمؤمنين وزينهم بار بعة العلماء والقراء والغزاة والعباد وزينها أيضا بانواع الحيوانات والنباتات والجمادات *(الباب السادس فى عاقبتها وما آل أمرها)*

(اعلم) ان الله تعالى وعدها بسبعة أشياء * أحدها التبديل وهو قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض

فسدت فاذا بيت
مبسوط مفروش
بأنواع الفرش وبستر
موضوع ومن خلفه أنين
ضعيف يخرج من
جسد نحيف قال ابراهيم
فقمت من داخل
الباب متفكرا وأردت
أن أسلم فتذكرت قول
النبى صلى الله عليه وسلم
لا تبدؤا اليهود والنصارى
بالسلام فامسكت عن
السلام فنادت من
داخل الستر أين سلام
التوحيد والاخلاص
يا أبا اسحق يا خواص
قال فتعجبت من اجابتها
بمخبآت الضمائر ثم
قالت يا ابراهيم سألت
رب العزة البارحة أن
يرسل الى وليا من
أوليائه يكون على يديه
اخلاص فنوديت
سيحضر عندك ابراهيم
الخواص قال ابراهيم
فقلت لها منى خطر
على هذا الامر فقالت
منذ أربع سنين وقد
لاح لى الحق المبين فهو
المحدث والانيس والمقرب
والجليس فلما رأوا
تعالى رقوني بالعيون
ورمونى بالجنون فما
دخل على طيب الا
أوحشنى ولا زائر الا
أدهشنى قال ابراهيم
فقلت لها وما الذى
أوصلك اليه قالت براهينه
الواضحة وآياته اللائحة
فاذا وضح لك السبيل

وخلق الله السماء الرابعة بينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها خمسمائة عام ولونها كاون النضة البيضاء واسمها قيلون وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة السماء الثالثة وكذلك أهل كل سماء أكثر عددا من السماء التي تليها إلى الضعف وفي السماء الرابعة ملائكة لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وهم كل يوم في زيادة وذلك قوله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو فالبعض منهم قيام وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملائكة منهم في أمر من أموره فيخلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي إلى جانبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذي لا إله إلا هو قال وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب واسمها الأحقوق ومنها إلى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة الأرض سبحوا وهم ركوع وسجود لم يرفعوا أبصارهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة قالوا ما عبدناك حق عبادتك وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها إلى السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام وفيها بيت الله الأعظم الأكبر الكبير ويدعى لا يحصى عددهم إلا الله تعالى وعليهم ملك جنده سبعون ألف ملك وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يعمرون الله في أموره إلى أهل الدنيا رافعون أصواتهم بالتهليل والتسبيح واسمها عاروس وهي من ياقوتة حمراء ثم خلق الله السماء السابعة وغلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة وعليهم ملك وهو على سبعمائة ألف ملك كل ملك منهم له من الجنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والسهل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق في سبع سموات وسبع أرضين ويخلق الله سبحانه وتعالى في كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهي من درة بيضاء ومن السماء السابعة إلى مكان يقال له مرهونا مسيرة خمسمائة عام وعليه ملائكة من الملائكة وهم رؤساء الملائكة وهم أعظمهم سوى الروح وحملة العرش الملائمة لهم وجوههم شتى وأجنحة شتى وأنواع شتى في جسده لا يشبه بعضهم بعضا وأعمالهم أعمالهم بالنهار لا يفترون ولا إلى العرش لا يطرفون لو أن الملائكة منهم نثر بعضهم لطبق الدنيا بإذن الله من بعضا ما علم عددهم إلا الله تعالى ومن فوق ذلك سبعمائة غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ومن السماء السابعة إلى الكرسي سبع سموات وسبع أرضين والعرش فوق ذلك لا يعلم منتهاه إلا الله تعالى

(الباب الخامس في ذكر الأيام التي خلق الله الأشياء فيها)

روت الرواة أن الله تعالى ابتدأ خلق الأشياء يوم الأحد إلى يوم الجمعة وخلق في يوم الجمعة ثلاثة أشياء السموات والملائكة وإبليس في ثلاث ساعات بقين من يوم الجمعة خلق في الساعة الأولى الأودية والآكام وفي الثانية الأرزاق وفي الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عز وجل فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها الآية

(الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات)

وهي عشرة أشياء النجوم قال الله تعالى وجعل الشمس سراجا وقال تعالى سراجا وقمرا منيرا والقمر قال الله تعالى وجعل القمر فيهن نورا والكواكب قال الله تعالى إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وهي على صورتين منها معلق كتعليق القناديل في المساجد ومنها ما هو كأكثر كتعليق القمر في الظلام وهي بحر كثير من اختلاف الصور ما خلق الله تعالى منها كوكبا على مثال كوكب آخر وهي في بعض الاعتبار ما تكون من حيوان في الأرض ولا دابة تدب دون العرش الا وفي خلق الكواكب مثلها * والعرش قال الله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش * وروى جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده أنه قال في العرش مثال جميع ما خلق الله تعالى في البر والبحر قال هذا تأويل قوله تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم والقائمة الثانية خلقان الطير السمع ثمانية آلاف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور ولا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله تعالى والأشياء كلها في العرش خلقت مخلوقة في ملكوان الله ملكا يسمى حزقيائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمسمائة عام فطرله فاطر هل يقدر أن ينظر إلى العرش فزاده الله تعالى في الأجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى إليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة فلم يبلغ قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له في الأجنحة القوة

في اتباع الغلام الذي [illegible]
الى الله واعتمدت عليه
بكرامته له أن
لا يفتنني منك فكان
ما رأيت وقد أقول كما
تقول أشهد أن لا إله
إلا الله وأشهد أن سيدنا
محمدا رسول الله قال
ابراهيم فعرجت بذلك
فرحا شديدا وسررت به
فخاطبني ملك شرفوا الله
تعالى فلما فضينا ما كان
علمنا من فرائض الحج
أقمنا بها أياما قلائل
فلما كان بعض الايام
فقدته فذهبت الى الحرم
فوجدته قائما يصلي
فلما أحس بي أسرع
في صلاته فلما سلم من
الصلاة التفت الي وقال
يا ابراهيم قد آن اقلاعك
تعالى فاحفظنا بحفظ
مرافقتي للروحيين
دهرا ثم شوقني شوقا
فالتزمته عانقا له قال
ابراهيم فتأسفت على
أن فارقته ثم جعلت أزوره
وأفقده فلما كان اليوم
رأيته في المنام وهو في
أحسن صورة وعلى
ثياب من السندس
والاستبرق فقلت له
ألست صاحبي بالامس
قال نعم تفرست بذلك
فرحا شديدا ثم قلت له
ما فعل الله بك قال
يا ابراهيم أتيته بذنوب
كثيرة فمحاها عني بحسن
ظني به وجعلني كما حسبته
في الدنيا عاملك في الآخرة

مثل السموات السبع والارضين السبع ثم نظر اليها نظرا رهيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فعلى وارتفع وعلاه زبد ودخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء وذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان أي فصدع فتقها بعد ان كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما *(الباب الثاني في جواهرها وأجناسها)*

(قال) الربيع بن أنس سماء الدنيا موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء

(الباب الثالث في هيئتها وحدودها)

قال الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رضي الله عنهما تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة وكذلك الى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها وعمادها من فوقها (وعن أبي هريرة) رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون فقال فيم أنتم تتفكرون قالوا نتفكر في الخلق فقال لهم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة تفكروا في أن الله خلق السموات سبعا والارضين سبعا وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماءين خمسمائة عام وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه

(الباب الرابع في أسمائها وألقابها)

(قال) وهب بن منبه أولها سماء الدنيا يناح والثانية ديقا والثالثة رقيع والرابعة فيلون والخامسة طفطاف والسادسة شمساق والسابعة سحاقيل وأما أسماؤها المذكورة في القرآن فسبعة أولها البنا قال الله تعالى والسماء بناء والسقف قال الله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا والطرائق قال الله تعالى وجعلنا فوقكم سبع طرائق والطباق قال الله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا والشداد قال الله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا والرتق والفتق قال الله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما والدخان قال الله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان * وروي ان الملائكة قالت يا رب لو أن السماء والارض حين أمرتهما عصيا ما كنت صانعا بهما قال كنت آمر دابة من دوابي فتبتلعهما قالت يا رب فأين تلك الدابة قال في مربج من مروجي قالت يا رب فأين ذلك المربج قال في علم من علومي قالت الملائكة سبحان ذي البسط القوي * وقد ورد من الخصائص بن مزاحم الهلالي حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب في صفة السموات وحدودها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها وأسمائها وألقابها وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن علوية قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك ومقاتل قالا خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينتها وهي ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد المجلى واسمها رقيعا وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذي الملك والملكوت وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لو قيست شعرة بين مناكبهم لما انقاست رافعون أصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واسمها قيدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصفه من نار ونصفه من ثلج وبينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يقول يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون السماء الثالثة كلون الشبة وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون وفيها ملائكة ذو رأ جنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة وله ستة أجنحة ووجوه شتى رافعون أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحي الذي لا يموت أبدا صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص لو قيست شعرة بين مناكبهم ما انقاست لا يعرف أحد منهم لون صاحبه من خشية الله تعالى

على عادتي الى سياحتي
فلما بلغت الى مكة من غير ركب
ولا قافلة فتحت عن
الطريق فبينما أنا مغتبر
اذ أتاني راهب نصراني قد
أقبل علي واعترضني في
الطريق ثم قال لي يا راهب
المسلمين هل لي من راحلة
سبيل فقلت له لا أمنعك
عن مرادك فشبنا ثلاثة
أيام لم نستطعم فيها طعاما
فقال الراهب لابراهيم
يا راهب المسلمين ما تحتاج
في أمرنا نخبر أو فدعنا
الجوع فهات ما عندك
قال ابراهيم فتوجهت
الى الله عز وجل وقلت
الهي وسيدي ومولاي
لا تفضحني بين يدي
عدوي وعدوك قال فما
أتممت دعائي حتى نزلت
لنا مائدة عليها خبز ولحم
وتمر وماء فأكلنا وشربنا
ومضينا ثلاثة أيام أخرى
ما كل فيها شيأ فلما أصبحنا
ابتدرت الراهب وقلت
له يا راهب النصارى
هات ما عندك قال فتوجه
الراهب الى الله عز وجل
واذا بمائدتين عليهما
كما كان على الاولى من
الخبز واللحم والتمر والماء
قال ابراهيم فلما رأيت ذلك
قلت للراهب وعزته
وجلاله لا آكل من ذلك
ما لم تخبرني فقال الراهب
يا ابراهيم لما حبستك
في أول نظرة على نعرفت
الذي على نفسي

الخلائق كل وقفة مقدار أمة من الامم يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم والجنة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هي قال من يدخل الجنة حي لا يموت ومنعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يا رسول الله كيف بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة ملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران (وروى) مجاهد عن مسروق عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السماء أطت وحق لها أن تئط ليس منها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم أو قاعد يذكر الله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وخرجتم الى الصعرات تجأرون الى الله تعالى

(الباب السابع في ذكر ما لها وأوصافها)

اعلم ان الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء أحدها النور قال الله تعالى يوم تور السماء مورا يعني تدور كدوران الرحا من هول يوم القيامة والثاني أخبر أنها تصير كالمهل فقال تعالى يوم تكون السماء كالمهل يعني دردي الزيت والثالث أخبر أنها تصير وردة كالدهان قال الله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان والرابع الانشقاق قال الله تعالى اذا السماء انشقت والخامس الانفطار قال الله تعالى اذا السماء انفطرت والسماء منفطر به والانفطار أكثر من الانشقاق والسادس الانشراج قال الله تعالى واذا السماء فرجت والسابع الكشط قال الله تعالى واذا السماء كشطت أي نزعت من مكانها ولويت طيا قال الله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب الآية وأحسن الشاعر حيث قال

اذا قيل من رب هذي السما * فليس سواه مجاب
ولو قيل رب سوى ربنا * لقال العباد جميعا كذب

(فصل في ذكر خلق الشمس والقمر وصفتهما وما بدأ منهما وعددهما)

وهو ما أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون الثقة الامين بقراءتي عليه في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة قال أخبرني أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي الحافظ قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي مريم الخراساني قال أنبأنا سفيان قال أنبأنا سفيان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما هو جالس ذات يوم من الايام اذ أتاه رجل فقال يا ابن عباس اني سمعت الجهيمة كعب الاحبار يذكر في الشمس والقمر وكان ابن عباس متكئا فاستوى جالسا ثم قال وماذا قال زعم كعب الاحبار انه ينادي بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في النار قال عكرمة فما رؤي ابن عباس مستلقيا ورفعه أشد غضبا ثم قال كذب كعب الاحبار قالها ثلاثا بل هما مخلوقان يسبحان الله تعالى أفترى أن الله تعالى يعذب عبدين أثنى عليهما اخرجا ذلك في ما عنه قال الله هذا الحبر وقريحته أجرأ على الله وأعلم فرد تعلى هذين العبدين المطيعين لله تعالى ثم استرجع مرارا ثم أخذ عودا من الارض فجعل ينكت به في الارض ويقول كذلك ما شاء الله ثم انه رفع رأسه ورمى بالعود وقال ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الشمس والقمر وبمخلوقهما وصغير أمرهما قلنا بلى يرحمك الله تعالى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما أتقن خلقه احكاما ولم يبق الا آدم خلق شمسين من نور عرشه فأما ما كان من سابق علم الله تعالى أن يصيبهما مسافانه خلقهما مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها وأما ما كان من سابق علم الله أن يطمسهما ويحولهما قمرا فانه خلقهما دون الشمس في العظم ولكن انما يرى صغرهما من شدة ارتفاع السماء وبعدها عن الارض فلو ترك الله تعالى الشمس كما كان في بدء الامر لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا يدري الاجير متى يعمل ولا متى يأخذ أجرته ولا يدري الصائم الى متى يصوم والى متى يفطر ولا تدري المرأة كيف تعتد ولا يدري المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم ولا يدري المديون متى يحل دينهم ولا يدري الناس متى يزرعون ومتى يسكنون راحة لابدانهم وكان الله أنظر لعباده وأرحم بهم فأرسل جبريل عليه السلام

ألقيته في قعر مسلم لتنظر
الله لي بذلك وأدخلني
الجنة فانظر الى كرم الله
تعالى وحسن لطفه
بعباده * (وذكر عن
بعض الصالحين رضي
الله تعالى عنه) * ان
ملكا بنى دارا وأحسن
بناءها وزينها وجمع
فيها طعاما ودعا الناس
اليها وأجلس على بابها
العبيد والغلمان يسألون
كل من خرج ويقولون
على رأيتم عيبا فيقولون
لا وهم لا يمنعون أحدا
من الدخول حتى جاء
أناس في آخر الناس
عليهم مرتعات فلما
دخلوا وأكلوا من تلك
الوليمة تلقتهم العبيد
والغلمان ثم سألوهم هل
رأيتم عيبا فقالوا نعم
رأينا عيبين اثنين قال
فبسوهم وربطوا
الحبال فأخبروه بحال
هؤلاء فقال ما أردت
أن يعذب بعيب واحد
كيف أعذب بعيبين ثم قال
انطلقوا بهم فاحضروهم
بين يدي فلما أتوه بهم
الذين دخلوا فقالوا
نشهد بالنار وبحدوثه
صاحبها فقال الملك هل
تعرفون دارا لا تخرب
ولا تموت ساكنها قالوا
نعم فقال الملك فاني هي
فذكروا له الجنة ونعيمها
وشوقوه اليها وذكروا
له النار وخشونه فعمل

وأسره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف سنة فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فأوحى الله تعالى اليه أيها الملك لو طرت الى أن ينقطع في الصور مع أجنحتك وقوتك ما تبلغ ساق عرشي فقال الملك سبحان ربي الاعلى فأنزل الله سبحانه وتعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم * وقال كعب الاحبار لما خلق الله تعالى العرش قال لم يخلق الله تعالى شيأ أعظم مني فاهتز فطوقه الله بحية لها سبعون ألف جناح في كل جناح سبعون ألف ريشة في كل ريشة سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف فم في كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد أيام الدنيا والملائكة أجمع فالتفت الحية بالعرش فالعرش الى نصف الحية وهي ملتوية به * والكرسي قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض * وروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الكرسي لؤلؤة طولها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسي أمانا لاهل الايمان من شر الشيطان * وروى اسمعيل بن مسلم عن أبي المتوكل الباجي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فاذا التمر قد أخذ منه ملء الكف ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك أبو هريرة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك أن تأخذه قال نعم قال اذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك لمحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فاذا هو قائم بين يديه فقال له ياعدو الله أنت صاحب الفعل قال نعم ثم قال لا أعود ما كنت أخذت منه الا لاهل بيت فقراء من الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أيسرك أن تأخذه قال نعم قال فاذا فتحت الباب فقل مثل ذلك أيضا ففتح الباب وقال سبحان من سخرك لمحمد فاذا هو قائم بين يديه فقال له ياعدو الله أليس قد عاهدتني أن لا تعود فقال دعني هذه المرة فاني لا أعود فتركه ثم عاد فأخذه الثالثة فقال أليس قد عاهدتني أن لا تعود لا أدعك اليوم حتى أذهب بك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فانك ان تدعني علمتك كلمات اذا قلتهن لم يقربك أحد من الجن لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى قال له لتفعلن ان تركتك قال نعم قال فاني قال الله لا اله الا هو الحي القيوم حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له أما علمت يا أبا هريرة هذه انه كذلك الصدوق الخبيث * واللوح والقلم قال الله تعالى وكل شيء أحصيناه في امام مبين وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون (وقال) ابن عباس ان مما خلق الله تعالى لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء كتابته نور وقلمه نور عرضه كما بين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شأن (ويروى) ان أول ما خلق الله القلم فنظر اليه نظرة هيبة وكان طوله كما بين السماء والارض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يارب وما أكتب قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة (ويحكى) ان ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مستعجما فقال له روح عني يا ابن الزيات فأنشأ يقول

الهم فضل والقضا غالب * وكاتب ماخط في اللوح
فالنفس الروح وأسبابه * أيأس ما كنت من الروح

والبيت المعمور (وروى) الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في سماء الدنيا بيتا يقال له البيت المعمور حيال الكعبة وان في السماء السابعة بحرا من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج منه سبعون ألف قطرة من نور فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه الى يوم القيامة * وسدرة المنتهى قال الله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى (قال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هي شجرة في السماء السابعة عن يمين الجنة أصلها ثابت في الجنة وعروقها تحت الكرسي وأغصانها تحت العرش الى منتهى علم

ونفعنا به * وروى أن غلاما كان لجعفر الصادق رضي الله عنه صب الماء على يدي سيده يوما من الايام فسقط الاناء من يده في الطست فطار الماء على ثوبه فنظر اليه نظرة منكرة فقال الغلام يا مولاي والكاظمين الغيظ قال جعفر كظمت غيظي فقال الغلام والعافين عن الناس قال جعفر عفوت عنك فقال الغلام والله يحب المحسنين قال جعفر اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ولك ألف دينار من مالي وهذا من بعض كراماتهم وحسن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم *

* وحكي عن بعضهم رضي الله عنه ونفعنا به قال رأيت بعض المذنبين في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال وزنت حسناتي وسيآتي فرجحت سيآتي على حسناتي فصرت متحيرا فبينما أنا كذلك اذ وقعت صرة من السماء فسقطت في كفة الميزان فرجحت الميزان ثم سمعت قائلا يقول وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين قال ثم سلمت الصرة فاذا فيها

خروجهما من ذلك الماء فاذا أتوا وجوهها كلها اجتمعت الملائكة كلها فاحتملوها حتى يضعوها على الجبل وذلك حين تنبلج للعالم حتى يحمدوا الله تعالى على ما قواهم لذلك ويتعلقون بعرى الجبل حتى يعبروها باذن الله تعالى في تلك البحر حتى اذا بلغوا جانب المغرب أدخلوها من بعض ثلاث العيون فتسبقها من أفق السماء في العين ثم قال صلى الله عليه وسلم عجبت من خلق الله وما بين من القدرة ثم لم يخلق أعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة أعجبين من أمر الله وذلك ان الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب على كل مدينة منها عشرة آلاف باب ما بين كل باب الى الآخر مسيرة فرسخ فاهل المدينة التي بالمشرق من بقايا عاد من نسل ومن نسلهم الذين كانوا آمنوا مع هود عليه السلام واسمها بالسريانية برقيشا وبالعبرانية بابلق واسم المدينة التي بالمغرب بالسريانية برجيساو بالعبرانية جابرساو وتحت كل باب من هاتين المدينتين كل يوم عشرة آلاف رجل فاذا حراستهم السلاح ومعهم التكبير لا تتوجههم تلك الحراسة بعد ذلك اليوم الى يوم ينفخ في الصور والذي نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع أهل الدنيا وقع هذه الشمس حين تطلع وحين تغرب ومن وراء هم ثلاث أمم لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم منسك وتاويل ومن وراءهم يأجوج ومأجوج وان جبريل عليه السلام انطلق بي اليهم ليلة أسري بي الى السماء فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله تعالى والى دينه وعبادته فابوا ان يجيبوني فهم في النار مع من عصى الله من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق بي الى هاتين المدينتين فدعوتهم الى الله تعالى والى دينه وعبادته فاجابوا وآمنوا فهم اخوان الدين من أحسن منهم فهو مع المحسنين ومن أساء فهو من المشركين ثم انطلق بي الى الامم الثلاث فدعوتهم الى دين الله وعبادته فابوا على وكفروا بالله وكذبوا برسله فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله تعالى في النار فاذا غابت الشمس رفع بها الى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتسأذن من أين تؤمر بالطلوع من مغربها أمن مطلعها وتكسى ضوأ وان كان الشهر فنور واحد على قدر ساعات الليل والنهار ثم ينطلق بها الى ما بين السماء السابعة وما بين أسفل من جبال الجنان في سرعة طيران الملائكة فتصعد جبال المشرق من سماء الى سماء فاذا وصلت الى سماء ذلك الثلث ينظر الغرب عن الصبح فاذا انحدرت من بعض تلك العيون ذلك الحين يضيء الصبح فاذا وصلت الى هذا الوجه من السماء فذلك الحين يضيء النهار فتلك مطالعها ومغاربها ما بين أولها عينا الى آخرها عينا في الطلوع والغروب فذلك تمام سنة أشهر ثم اذا رجعت كذلك من بين الجنان في الطلوع والغروب الى آخرها عينا فذلك تمام السنة فمدة أيامها لياليها ثلثمائة وستون ليلة وخلق الله تعالى عند المشرق جبلا من الظلمة فوضعه على البحر السابع مقدار عدة الليالي في السنة خلقها الله تعالى الى يوم تنشق فاذا كان عند غروب الشمس أقبل ملك من الملائكة الذين فوكلوا بالليل فيقبض بقبضة من ظلمة ذلك الجبل ثم يستقبل المغرب فلا يزال ذلك الظلام يخرج من خلال أصابعه طبقا بعد طبق هو سواد الشفق فاذا غاب الشفق أرسل الظلمة جميعا ثم ينشر جناحيه فيملأ ان أفق الارض وكنفي السماء ويعمان زاد ما شاء الله تعالى وهو في الهواء فيسود ما بين الليل بعضه ببعض بالتسبيح والتقديس حتى يبلغ المغرب على قدر ساعات الليل فاذا غاب المغرب أمر الصبح من المشرق فضرب بناصيته ثم ضم الظلمة كلها بعضها الى بعض فيقبضها بكفيه ثم ينبض عليها بكفه واحدة وقبضته التي تناولها من الجانب المشرق ثم يضعها عند المغرب على البحر السابع فمن هناك ظلمة الليل فاذا انا تناول ذلك الجانب الى المشرق والى المغرب فاذا انفخ في الصور وانقضت أيام الدنيا فتور النهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الجبل فلا تزال الشمس والقمر كذلك ثمن مطلعهما الى مغربهما الا ارتفاعهما الى السماء السابعة الى محبسهما تحت العرش حتى يأتي الوقت الذي وقته الله تعالى لتوبة العباد وتكثر المعاصي في الارض وينهى المعروف ولا يأمر به أحد ويفشو المنكر فلا ينهى عنه أحد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش وكلما حبست واستأذنت ربها من أين تطلع فلا يؤذن لها ولا يرد لها جواب حتى يراهم القمر فيجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يؤذن لها ولا يرد له جواب حتى يحبسا مقدار ثلاث ليال ثم يأمر الشمس وليلتين للقمر فلا يعرف طول تلك الليلة الا المتهجدون في الارض وهم يوشك عامة قليلة في الارض في كل بلد من بلاد

وزوجتموها الشمس بالباب
فقالت لها قسلان أخو
زوجك يريد السؤال
عنك هل هو غائب أم
شاهد فقالت يا سيدي
ان مقامه الا تشغل
بذكر ربه عز وجل
فقلت لها في أحسن
أن أراه فانطلقت
اليه فجئت وعدت الى
وقالت ادخل فدخلت
اليه فرأيته في بيت صبي
له العبادة وعليه أنوار
السعادة فلما رآني قام
الي واعتنقني وسلم علي
سلام المحبين فجلسنا
وتحدثنا ساعة فبينما
نحن في الحديث اذا
بمائدة قد وضعت بين
أيدينا فيها من جميع
الالوان فأكلنا من تلك
المائدة فلما رفعت اذا
بتفيحون ماء عذب وضع
بين أيدينا فشربنا منه
فما رأيت أحسن من
ذلك الطعام ولا أحسن
من ذلك الماء فعرفت
أن ذلك الطعام والماء
من الجنة ثم ألتفت بعد
ذلك فلم أره فبقيت
متحيرا فرجعت الى نفسي
فتبسم وقال يا أخي وضع
لي هكذا عظيم فقلت
وما هي فقال تخرج
يوما فيبيع الخراج على
ما قدر فضيعة الى أسوافه
يوما واحدا فلم يتحرك لي شيء
ولم يكن عندنا شيء من
القوت فقمت وخرجت

فامسحناه على وجه القمر وهو يومئذ مثل الشمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور وذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذي في جوف القمر مثل الخطوط فيه انما هو أثر المحو ثم خلق الله تعالى الشمس من ضوء نوره ثم خلق الله تعالى للشمس عجلة فيها ثلثمائة وستون عروة ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين ملكا من الملائكة من أهل سماء الدنيا قد تعلق كل منهم بعروة من تلك العرا وخلق الله تعالى مشارق ومغارب في أقطار الارض وكنفي السماء ثمانين ومائة عين في المشرق من طينة سوداء وثمانين ومائة عين في المغرب مثل ذلك من طينة سوداء يرغلیانها كغلي القدر اذا ما اشتد غليانها وذلك قوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة ومعنى حمئة سوداء من طين فكل يوم وليلة لها مطلع جديد ومغرب جديد فيما بين أولها مطلعا وأولها مغربا أطول ما يكون النهار في الصيف وآخرها مطلعا مغربا أقصر ما يكون النهار في الشتاء فذلك قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين يعني آخرها ههنا وأولها ههنا وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ثم جمعها بعد ذلك فقال رب المشارق والمغارب فذلك عدة ثلاث مائة وستون عينا ثم خلق الله تعالى بحرا دون سماء الدنيا بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مكفوف قائم في الهواء باذن الله تعالى لا يقطر منه قطرة والنجوم كلها ساكنة في ذلك البحر وهو جار في سرعة السهم وانطلاقه فهو في الهواء مستو كأنه جبل ممدود ما بين المشرق والمغرب وتجري الشمس والقمر والخمس في سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة وزلازلها في ذلك البحر فذلك قوله تعالى وكل في فلك يسبحون والفلك في دوران العجلة في لجة غمرتها ذلك البحر والذي نفس محمد بيده لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لاحرقت كل شيء على وجه الارض حتى الصخور والحجارة ولو بدا القمر من دون ذلك البحر لافتتن به أهل الارض حتى يعبدونه من دون الله تعالى الا ما شاء الله أن يعصمهم من أوليائه وأهل طاعته

(قال) ابن عباس رضي الله عنه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأبي أنت وأمي يا رسول الله ذكرت تجري الخمس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى بالخمس في القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم فالخمس فقال عليه السلام يا علي هن الكواكب الخمسة البرجيس وهو المشتري وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر في الفلك وأما سائر الكواكب فكلها معلقات في السماء كتعليق القناديل في المساجد وهي تدور مع السماء دورانا بالتسبيح والتقديس والصلاة لله تعالى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم وان أحببتم أن تستبينوا ذلك فانظروا دوران الفلك مرة من ههنا ومرة من ههنا وان لم تستبينوا الفلك فالمجرة وبياضها مرة من ههنا ومرة من ههنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كلها سوى هذه الخمسة ودوانم اليوم كما ترون فذلك صلاتها ودورانها يوم القيامة في سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى يوم تمور السماء مورا يعني تدور دورانا وتسير الجبال سيرا فاذا طلعت الشمس فانها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكا كأني أرى أجنحتهم يسيرون بها في الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات النهار والقمر كذلك على قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر في الشتاء كان ذلك أو في الصيف أو ما بينهما من الخريف والربيع فاذا أحب الله أن يبتلي القمر والشمس ويري العباد آية من الآيات يستحثهم رجوعا عن معاصيه واقبالا على طاعته تحركت الشمس من العجلة وقال مرة فخرت الشمس عن العجلة فتقع في غمر ماء ذلك البحر وهو الفلك فاذا أراد الله تعالى أن يعظم تلك الآية ليستدخوف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى على العجلة شيء منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهى من كسوفها فاذا أراد الله أن يجعل آية دون آية وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان في الماء ويبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف في ابتلاء الشمس والقمر وذلك تخويف للعباد واستعتاب من الله تعالى فاي ذلك كان صارت الملائكة الموكلة بعجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على الشمس فيسيرونهم نحو العجلة والفرقة الاخرى تقبل على العجلة فتجرها الى الشمس وهم في ذلك يقودونها في الفلك على مقادير ساعات النهار أو ساعات الليل ليلا كان أو نهارا لا يزيد في طولها شيء وقد ألهمهم الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة فالذي ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك السواد الذي يعلوه فهو من غمر ماء ذلك البحر وهو

قعالى فاجابهم الى ذلك
وخرج من ملكه هاربا
تائبا الى الله تعالى نسأله
تعالى التوبة والمغفرة

*(وحكي عن بعضهم
رضي الله تعالى عنه)*
ونفعنا به قال كان لي
أخ في الله تعالى وكان
من الاولياء وكان رجلا
جميلا حسن الخلق
طيب المحيا وكان له
زوجة من أهل الخير
والصلاح وكانت على
قدمه فكانا يشتغلان
في صنعة المراوح
والاطباق فكنت أوده
وأزوره والشمس منه
الدعاء فكنت كلما
دخلت بيته وجدت عنده
ريشا من ريش الطيور
العاتية مثل العنقاء
والنسر والعقاب
والطاوس على سائر
الجنوس العجيبة يشتغل
بذلك الريش صنعة
المراوح فكنت أتعجب
من ذلك فقلت له يا أخي
من يأتيك بهذا الريش
مع قلة تعرجك للجبال
والاودية فقال يا أخي
ان الله سبحانه وتعالى
سخر لي ملكا من
الملائكة يأتيني بذلك
في كل جمعة لاجل المعونة
على القوت فلما كان
في بعض الايام فقدته
فمضيت اليه في بعض
الاسواق التي كان
يبيع فيها المراوح فلم
أجده فمضيت الى داره

الساعة وقد أخذ الرجل لقمته من فمها فلا يشربه ولتقومن الساعة والثوب بين الرجلين فلا ينشرانه ولا يطويانه ولا يبيعانه ولتقومن الساعة والرجل قد رفع لقمته الى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية وأنبأتهم بغتة وهم لا يشعرون فاذا قامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين الفريقين أهل الجنة والنار وقبل أن يتحاوزهما يبعث الله تعالى بالشمس والقمر فيجاءيء ما أسودين لا نور لهما كما كدرين قد وقعا في الزلازل والبلايا وفزاعهما تزعد من هول يوم القيامة وهول ذلك اليوم ومن مخافة الرحمن تعالى فاذا كانا عند العرش خرا ساجدين لله تعالى ويقولان يا إلهنا قد علمت طاعتنا لك وما بنا في طاعتك وسرعتنا الى مرضاتك في أسرع أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين ايانا فقد علمت انا لن ندعوهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الله تعالى صدقتما الى قد قضيت على نفسي أن أبدئ وأعيد الى معيدكما الى ما بدأتكما منه فارجعا الى ما خلقتكما منه فيقولان ربنا ما خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشي فارجعا اليه فيتلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخلب الابصار نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدئ ويعيد قال عكرمة فقمت مع النفر الذين حدثوا عن كعب ما حدثوا به من أمر الشمس والقمر حتى أتيناه فأخبرناه بغضب ابن عباس وما وجد من حديثه وما حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما مما بين مبدئهما الى معادهما فقال كعب الاحبار انى حدثت عن كتاب دارس منسوخ قد تداولته الايدي وابن عباس حدث عن كتاب حديث العهد بالرحمن جل جلاله ناسخ للكتب وعن سيد الانبياء والمرسلين مخبر البشر ثم قام فمشى الى ابن عباس فقال بلغني ما كان من وجدك من حديثي وما حدثت به من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وانى أستغفر الله من ذلك مع أني لم أتقوله من تلقاء نفسي ولكن حدثت عن كتاب دارس فلا أدري ما كان فيه من تبديل الكفار والمردة وأنت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث العهد بالرحمن ناسخ للكتب وعن سيد المرسلين وأنا أشهد أنك قد نبئت بما حدثت به أصحابك من حديث الشمس والقمر فأعفنا عن الحديث فاذا حدثتنا بشيء من أمر الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كان هذا الحديث الذي تحدثنا به مكان حديثي الاول قال عكرمة فوالله لقد أعاد عليه ابن عباس الحديث وانى لاستقر به في قلبي بابا بابا فما زاد شيأ ولا نقص شيأ ولا قدم ولا أخر فما زال ذلك في ابن عباس رغبة وللحديث حفظا والله أعلم

(مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة)

(الباب الاول في ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام) قال العلماء خلق الله تعالى الخلق ليظهر وجوده ولم يخلق لما علم أنه موجود لنفسه كمال علمه وقدرته بنفسه ورأى أن الحكمة لا تتم الا بأن يخلق من يعلم أنه حكيم وأنه يعبد فانه يحب عبادة العابدين ويثيبهم عليها على قدر فضله لا على قدر أعمالهم وان كان غنيا عن عبادة خلقه لا يزيد في ملكه طاعة المطيعين ولا ينقص من ملكه معصية العاصين فالله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وليظهر احسانه لا لانه محتاج الى وجودهم ليوم الدين وليتفضل عليهم فيجعل بعضا بالعدل وبعضا بالفضل وخلق المؤمنين خاصة للرحمة كما قال عز وجل وكان بالمؤمنين رحيما وقال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال جعفر بن محمد الصادق والضحاك بن مزاحم أي للرحمة خلقهم وليحمدوه لانه يحب الحمد (ويروى) ان آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والاسود والابيض فقال يا رب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى اني أحب أن أشكر (قال) أبو الحسن الفقال خلق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الاشياء للعبرة وخلق الجنة للجنة قال الله تعالى الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم (قال العلماء) خلقكم لاظهار القدرة ثم رزقكم لاظهار الكرم ثم يميتكم لاظهار القهر والجبروت ثم يحييكم لاظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال خلق الخلق جميعهم لاجل محمد صلى الله عليه وسلم (عن) قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وقبل خلقهم لامر عظيم غيبه

أن أنوء الى الى أعلى
ذلك القصر ثم غلبت
عليها بالحيلة فقامت
وأرث حتى انتهى الى باب
مغلق يتوصل منه الى
أعلاه ثم اجتهدت فقالت
امض ولا تتعب نفسي
فصعدت مسرعا الى
أعلاه ونظرت الى
الارض فرأيتها بعيدة
فرفعت بصري الى السماء
وقلت سيدي لا يخفى
عليك أمري الموت ولا
معصيتك ثم هان علي
الوقوع من أعلى ذلك
القصر فالقيت نفسي
الى الارض فارسل الله
تعالى اليه ملكا من
الملائكة فاستقبلني على
جناحه فلم أشعر بنفسي
الا وأنا على باب داري
فحمدت الله تعالى على
ذلك فبينما أنا كذلك
فجاءني ذكر الله
تعالى ثم عاهدت الله أن
لا أخرج من بيتي حتى
أموت فهاتفني هاتف
يا أحمد قال أبو محمد
عبد الله وجدت هذا
هذه الآية ومن يتق
الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا
يحتسب فدار على ذلك
الحال حتى مات رحمه
الله تعالى ونفعنا به

(ومن كلام الامام أبي
القاسم الجنيد رضي
الله عنه أنه قال) حجت
ستة من السنين الى
بيت الله الحرام وزرت
النبي عليه السلام

المسلمين فى هوان بين الناس وذلة فى أنفسهم فينام أحدهم ثلث الليلة مقدار ما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلى ورده ولا يصبح نحو ما كان يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت فى السماء وصارت فى أماكنها من أول الليل فينكر ذلك ويظن فيها الظنون ويقول أخففت قراءتى أم قصرت صلاتى أم قمت قبل حينى قال ثم يقوم فيعود الى مصلاه فيصلى نحو صلاته ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضا فاذا هو بالليل مكانه فيزيده ذلك انكارا ويعلم انه لخوف وظن فى ذلك الظنون من السوء ثم يقول لعلى قصرت صلاتى أو خففت قراءتى أوقمت فى أول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلى أيضا مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فينظر الى السماء فاذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت فى أماكنها أول الليل فيشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة ثم ينادى بعضهم بعضا وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون فيجتمع المتهجدون من أهل كل بلدة فى تلك الليلة فى مسجد من مساجدهم يجأرون الى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فاذا تم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام اليهما فيقول لهما ان الرب تعالى يأمركما أن ترجعا الى مغربكما فعلما منه انه لا خوف لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وجلا من الله تعالى وخوفا يوم القيامة بكاء يسمعه أهل السبع سموات ومن دونها وأهل سرادقات العرش ومن فوقها فيكون جميعا البكاؤهما لما علما من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما قال فبينما المتهجدون يبكون ويتضرعون الى الله تعالى والغافلون فى غفلتهم اذ نادى منادى الآن الشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس فاذا هم بهما اسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما فى كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر وقوله تعالى اذا الشمس كورت فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرينين ينازع كل واحد منهما صاحبه استباقا ويتمارخ أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها والاحبة عن مسرات فؤادها فتشغل كل نفس بما كسبت فاما الصالحون والابرار فانه ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم ويكتب عليهم حسرة فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهى منتصفها جاءهما جبريل عليه السلام فيأخذ بقرونهما ويردهما الى المغرب فلا يغربهما من مغاربهما من تلك العيون ولكن يعربهما من باب التوبة فقال عمر بأبى أنت وأمى يا رسول الله وما باب التوبة فقال يا عمر خلق الله تعالى بابا بالتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والجوهر ما بين المصراع الى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى (٢) الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الدنيا الى ذلك اليوم الا وجبت تلك التوبة فى ذلك الباب ثم ترفع الى الله تعالى فقال معاذ بن جبل بأبى أنت وأمى يا رسول الله وما التوبة النصوح قال أن يندم العبد على الذنب الذى أصاب فيعتذر الى الله تعالى ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع قال فيغربهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد المصراعين ثم يلتئم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن فيما بينهما صدع قط واذا أغلق باب التوبة لم يقبل للعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها فى الاسلام الا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجرى عليه ما كان يجرى عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا فقال أبى بن كعب بأبى أنت وأمى يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا فقال يا أبى ان الشمس والقمر يكسيان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعان ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس فانهم مع ما رأوا من فظاعة تلك الآية وعظمتها يلهون على الدنيا ويجرون فيها الانهار ويغرسون فيها الاشجار ويبنون فيها البنيان وأما الدنيا فلا ينتج للرجل منهم فيها مهر لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها الى أن ينفخ فى الصور فقال حذيفة جعلنى الله فداءك يا رسول الله فكيف بهم عند النفخ فى الصور فقال يا حذيفة والذى نفسى بيده لينخفض فى الصور ولترفعن الساعة والرجل قد لاط حوضه فلا يشرع فيه الماء ولترفعن

(٢) قوله منذ خلق الله تعالى الخ هكذا بالاصل ولعله الدنيا فليحرر اه مصححه

صدره وظهره من بيت المقدس ونفيه من أرض اليمن وساميه من أرض مصر وقدميه من أرض الجزيرة
اليمنى من أرض المشرق ويده اليسرى من أرض المغرب ثم ألقاه على باب الجنة فكان ساجدا عليه ملائكة
السموات حسن صورته وطول قامته ولم يكن قبل رأى شيئا يشبهه من الصور فمر به ابليس فرآه فقال لامر
ما خلقت ثم ضربه بيده فاذا هو أجوف فدخل في فمه وخرج من دبره وقال لاصحابه الذين معه من الملائكة هذا
خلق أجوف لا يتماسك ثم قال لهم أرأيتم ان فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا نطيع ربنا فقال
ابليس في نفسه والله لئن فضل هذا علي لأعصينه ولئن فضلت عليه لأهلكنه فذلك قوله تعالى وأعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون يعني ما أظهرت الملائكة من الطاعة وأسر ابليس من المعصية وقوله تعالى الا ابليس أبى
واستكبر وكان من الكافرين * (وفي) * الخبر أن جسد آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة بطريق
مكة مطر الحزن ثم أمطر عليه السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم في أولاده وتصير عاقبتها الى الفرح
والراحة * وأنشدنا في هذا المعنى أبو عوانة المهرجاني

يقولون ان الدهر يومان كله * فيوم حبات ويوم مكاره
وما صدقوا فالدهر يوم محبة * وأيام مكروه كثير البدائه

أنشدني ابن الاعرابي فقال

من الزمان كثيرة لا تقضى * ومرورها يأتي بالفلتات

أنشدني أبو بكر الصولي لابن المعتز

أي شئ يكون أعجب من ذا * لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور تتوزنها * والبلايا تكال بالقفزان

* (الباب الثالث في صفة نفخ الروح) *

قال العلماء فلما أراد الله أن ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل فيه فقالت الروح أدخل
فيه مع ظلم المدخل فقال للروح ثانية فعلت مثل ذلك وكذلك ثالثة الى أن قال في الرابعة ادخلي كرها أو طوعا
فلما سمعت أمر الله تعالى بالدخول فيه قالت يا رب أدخل فيما أنت فيه ماشاء الله أربعمائة سنة أو مائتي
سنة ثم تزال في عينيه * واعلم في ذلك أن الله تعالى أراد أن يري آدم بعض خلقه وأراد أن يعلمه
ويعلم ذريته أن كل شئ مكروه في أوله فلا ينبغي لأحد أن يتكل على شئ من أمور الدنيا لأن أكثر
أمورها لا يخلو من الهم والغم ولا العجب بنفسه ثم نزلت في شأنه آيات من القرآن فمن ذلك نزول الروح الى
جوفه واستوى الكلام فهو أول عضو دخل في جوف آدم عليه السلام * (وفي) * بعض الاخبار أن
آدم عليه السلام لما قال له ربه جل ثناؤه يا آدم مد يديك ووضعها على أم رأسه وقال أوه فعطس الله عليه آدم فقال
الحمد لله فقال له ربه أذنب ذنبا فقال من أين علمت ذلك فقال لان الرحمة للمذنبين فصارت تلك سنة في أولاده اذا أصاب أحدهم
عطسة أو سنة وضع يده على رأسه وتأوه ثم انتشر الروح في جسده كله فصار لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا ثم
سماه الله تعالى اباسا من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسنا فلما وقف الذنب قال يا رب هذا الجلد وقعت منه بقية
أنا مله ليتذكر به أول حاله (قال عبد الله بن الحرث) كانت الدواب تتكلم قبل خلق الله تعالى آدم عليه
السلام وكان النسر يأتي الحوت في البحر فيخبره بما في البر وغيره الطوب بما في البحر فلما خلق الله تعالى آدم
عليه السلام جاء النسر الى الحوت فقال لقد خلق الله اليوم خلقا ورأيت اليوم شيأ ليتزاني من وكري
بحر بجنك من البحر فلما أتم الله خلق آدم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه الروح قرطه وشقه وصوره ونحته
فطقه والبسه من لباس الجنة وزينه بانواع الزينة يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس ونور نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم في جبينه كالقمر ليلة البدر ثم رفعه على سرير ومحله على أكتاف الملائكة وقال لهم طوفوا به في سموات

عميق كأنهم سرم البدو
فصاحنا عليه وفقناه
وانصرفت متحسرا عليه
فلما فاتني عجبي بعض
البغداد ثم سألت عن
ذلك العرب فأرشدت
اليه فلما دخلت الدرب
نظرت فاذا بصبيان
يلعبون في الزقاق فنهض
من بينهم غلام صغير
السن حسن الوجه
فصيح اللسان فقال يا أبا
القاسم لعلك جئت
تعزني بموت والدي قال
الجنيد فتعجبت من
كلام الغلام على صغر
سنه وحكاية ثم سلم
علي وأخذ بيدي وأتى
الى باب الدار وطرق
الباب فخرج اليه عجوز
عليها سمة الخير
والصلاح فسلمت عليها
وهي باكية العين حزينة
القلب ثم قالت يا بني
أمن ماء ولا يعود
ولده مات بعد ما
لها لا فقال لعل
فقلت لها لا فقالت لعل
ما بالباب فقلت لها
لا فقالت لعل ما بالباب
بيت شعر قلت لا فقالت
لها نعم قال فصاحت
عظيمة وقالت واولداه
لا الى بينه أوصله ولا
معاشرته ثم شهقت
شهقة فارقت روحها
الدنيا رحمة الله عليها قال
الجنيد فنظر الغلام الى
السماء وقال الهي وسيدي
ومولاي لامر ألم أختبر

منهم لا يجليه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون (وقال) علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يا أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو (وقال) الاوزاعي بلغني ان في السماء ملكا ينادي كل يوم ألا ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا عرفوا لما خلقوا له وقال بعضهم اذا ماتوا ثم خلقوا علموا ماذا خلقوا له وجلسوا فتذاكروا ماذا عملوا وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاته الهي غيبت عني أجلي وأحصيت علي عملي ولا أدري الى اي الدارين منقلبي لقد أوهنتني وقمة المحزونين أبدا ما أبقيتني (وقال) أبو القاسم الحكيم ان الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوى والبلى فما دام الروح في جسده فهو في البلوى فاذا فارق الروح الجسد فهو في البلى فأنى له السرور وهو بين البلوى والبلى (وقال) بعض الحكماء يا ابن آدم انظر الى خطر مقامك في الدنيا ان ربك حلف فقال لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وان ابليس حلف فقال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وأشياء سكين بين الله تعالى وبين ابليس مطروحة سامحه الله أعلم

(الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته)

قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الارض اني خالق منك خلقا منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار ثم بعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها فلما أتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الارض اني أعوذ بعزة الله الذي أرسلك ان تأخذ مني شيأ يكون فيه غدا النار فصب فرجع جبريل عليه السلام الى ربه ولم يأخذ منها شيأ وقال يا رب استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها فأمر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الارض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيأ فرجع الى ربه ولم يأخذ منها شيأ فبعثه الله تعالى ملك الموت فأتى الارض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيأ فقال ملك الموت واني أعوذ بالله أن أعصي له أمرا فقبض قبضة من زواياها الاربع من أديمها الاعلى ومن سهلها وحزنها فكذلك كان في ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقبيح ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم قال الله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ثم عرج بها ملك الموت الى الله تعالى فأمره أن يجعلها طينا ثم يخمرها فجعلها بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طينا وخمرها فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم أمر جبريل عليه السلام ان يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي طيب الارض وبهارها ونورها فخلق منها محمدا صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة المقربين الكروبيين وملائكة الصفح الاعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي بيضاء نقية فعجنت بماء التسنيم وعركت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم مرت في أنهار الجنة كلها فلما خرجت من الانهار نظر اليها سبحانه وتعالى الى تلك الدرة الطاهرة فانتفضت من خشية الله تعالى فقطر منها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا صلى الله عليه وسلم ثم طيف بها في السموات والارض فعرفت الملائكة حينئذ محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان تعرف آدم ثم جعلها بطينة آدم عليه الصلاة والسلام ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا لينا ثم تركها أربعين عاما حتى صارت صلصالا كالفخار وهو الطين اليابس الذي اذا ضربته صلصل أي صوت ليعلم أن أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة فان الطين اليابس لا ينقاد ولا يتأتى تصويره ثم جعله جسدا وألقاه على طريق الملائكة التي تهبط الى السماء وتصعد منه أربعين سنة فذلك قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الآية قال ابن عباس الانسان آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسدا ملقى على باب الجنة وفي صحيح الترمذي بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير أول البقرة ان الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الارض من السهل والجبل والاسود والابيض والاحمر فجاءت الاولاد على ألوان الارض وسأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله آدم عليه السلام فقال خلق رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة

منه فاتاه من قبل الخلد وقيل ان ابليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا ألف سنة ولم يدخلني الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الآن فادخله الجنة فاحتال في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وتعبد ثلثمائة سنة هنالك حتى اشتهر بالعبادة وعرفوه بها وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به الى آدم فمكث على باب الجنة ثلثمائة سنة لا يأذن الله تعالى في خروج خلق منها فبينما هو كذلك اذ خرج اليه الطاوس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس قال له أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك فما رأيت من خلق الله أحسن منك قال أنا طاوس من طيور الجنة اسمي طاوس فقال له ابليس فقال له الطاوس من أنت وهم يكلؤك فقال له ابليس أنا من الملائكة الكروبيين وانما بكيت تاسفا على ما يفوتني من حسنك وكمال خلقتك فقال له الطاوس أيفوتني ما أنا فيه قال بلى وانك تفنى وتبيد وكل الخلائق يبيدون الا من تناول من شجرة الخلد فانهم الخالدون من تلك الخلائق فقال الطاوس وأين تلك الشجرة قال ابليس هي في الجنة قال الطاوس ومن يدلنا بمكانها كما قال ابليس أنا أدلك عليها ان أدخلتني الجنة قال الطاوس كيف لي بادخالك الجنة ولا سبيل الى ذلك لان رضوان فانه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها أحد الا باذنه ولكن سادلك على خلق من خلق الله تعالى يدخلكها فانه ان قدر على ذلك أحد فهو وهو دون غيره فانه خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال له ابليس فبادر الها فان لنا فيه سعادة الابد ولها فيه شقاوة قدر على ذلك فجاء الطاوس الى الحية وأخبرها بمكان ابليس وما سمع منه وقال انى رأيت بباب الجنة بمكان من الكروبيين من صفته كيت وكيت فهل لك أن تدخليه الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فاسرعت اليه وأجابته فلما جاءته قال لها ابليس نحوا من مقالته للطاوس فقالت كيف لي بادخالك الجنة ورضوان اذا رآك لم يمكنك من دخولها فقال لها أتحتال ريحا فجعليني بين أنيابك قالت نعم فتحول ابليس لعنه الله بحا ودخل في فم الحية فادخلته الجنة فلما دخل ابليس الجنة أراها الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وحواء وقف بين يدي آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يعلمان أنه ابليس فناح عليهما مناحة أسرتهما فبكيا وكان أول من ناح فقال لهما ما يبكيك فقال أبكي عليكما ثبوتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما وانعما لذلك وتبتل ابليس وصلى ثم ان ابليس أتاهما بعد ذلك وقد أثر قوله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فقال نعم قال كل من هذه الشجرة شجرة الحنطة فقال نهاني ربي عنها فقال ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فابى أن يقبل منه فاقسم لهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغتر بالله وما كانا يظنان أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت سوءاتهما الى أكل الشجرة ثم زينة لآدم حتى أكلها * (روى) * أحمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال سمعت الحسن بن محمد بن الحنفية يقول سمعت أبي يقول سمعت سعيدا يقول سمعت سعيد بن المسيب يحلف بالله ولا يستثني ان آدم ما أكل من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فاكل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر جماع الاثام وأم الذنوب وما نال ما قال الله تعالى لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالا نعم لا نقربها ولا نأكل منها ولم يسمّ لهما شيئا فتواهما بشيء الله تعالى فوكلهما الله تعالى الى أنفسهما حتى أكلا المنهي عنها * وقال سمعت الحسن بن محمد بن الحنفية يقول سمعت ابراهيم بن الاشعث يقول سمعت ابراهيم بن أدهم يقول لقد أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا * (وقال) * الشبلي أول الدين ردي هذا أبونا آدم باع ربه بكف من حنطة فلما أكل من الشجرة النهي عنها البلاه الله بعشرة أشياء (الاولى) معاتبته اياهما على ذلك بقوله ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين (والثانية) الفضيحة فانه لما أصابا الذنب بدت لهما سوآتهما وتهافت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فصار آدم وحواء هاربا في الجنة فتعلقت شجرة العناب فاخذت بناصيته وناداه ربه أفرارا مني يا آدم قال بلى يا رب ولكن حياء منك ولذلك قيل كفى بالمصر حياء يوم القيامة (ويروى) ان آدم لما بدت سوأته وظهرت عورته طاف بأشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطي بها عورته فرجرته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فاعطته ورقة فغطى بها يعني آدم وحواء فخسف عليهما من ورق الجنة فكافأ الله التين بان سوى ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة

النعيمي تشرفهم من
وجوههم والنور يلمع
من جباههم يقدمهم
شاب عليه هيبة وجلالة
وهم يمشون خلفه
وعليهم لباس الشعر وفي
أرجلهم نعال الخوص
فدنوا من الصخرة ودعوا
الله عز وجل فامتلأ
المسجد من أنوارهم نورا
قال السري فقمت اليهم
وقلت لهم هؤلاء يكونون
هم الذين دعي ربهم
ورزقني صحبتهم قال
السري فدخلوا القبة
والشاب قائم يناجي ربه
ثم صلى كل منهم ركعتين
قال فدنوت من الشاب
لاسمع كلامه وما بان
فبكى وكبر وصلى صلاة
سلبت فؤادي فلما
فرغ من صلاته جلس
وجلست الثلاثة بين يديه
قال السري فدنوت منهم
وسلمت عليهم فسأل
الشاب عن حال السلام
يا سري يا سبب الهاتف
الذي هتف بك السر
وبشرك أن لا تموت
الجوع في هذه السنة قال
السري فكدت أن
أصعق وامتلأ قلبي فرحا
وسرورا ثم قلت نعم
يا سيدي هتف بي
الهاتف قبل ورودكم
بساعة فقال الشاب
يا سري كنا قبل أن يهتف
بك الهاتف في بلاد
خراسان قاصدين بغداد
فقضينا سوائحنا وعزمنا

ليرى عجائبها وما فيها فيزداد يقينا فقالت الملائكة لبيك ربنا سمعنا وأطعنا فملئه الملائكة على أعناقها وطافت به السموات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شئ من آياتها وعجائبها ثم خلق الله فرشا من المسك الاذفر يقال له الميمون له جناحان من الدر والجواهر ركبه آدم عليه الصلاة والسلام وجبريل آخذ بلجامه وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن شماله فطافوا به السموات كلها وهو يقول السلام عليكم يا ملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى يا آدم هذه تحيتنا وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامة ثم علمه الله تعالى الاسماء كلها (واختلف) العلماء في هذه الاسماء فقال الربيع بن أنس أسماء الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أسماء ذريته وقال ابن عباس وأكثر الناس علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة ثم أمر الله الملائكة بالسجود له كما قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وأكثر العلماء على ان الامر بالسجود لآدم انما توجه على الملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة فلما أمرهم بالسجود سجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين *(الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام)*

قال المفسرون لما أسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشي فيها وحشيا لم يكن له من يجالسه ويؤانسه فألقى الله تعالى عليه النوم فنام فاخذ الله ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر يقال له القصيري فخلق منه حواء من غير ان أحس آدم بذلك ولا وجد له ألما ولو أحس آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بانواع الزينة وأجلسها عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم بم تعنون عليه ما هذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لانها خلقت من شئ حي قالوا وما ذا خلقها الله تعالى قال لتسكن الي وأسكن اليها وذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قال النبي صلى الله عليه وسلم خلقت المرأة من ضلع أعوج فان تقيمها تكسرها وان تتركها تستمتع بها على عوجها (وقيل) الحكمة في أن الرجال يزيدون على مرور الايام والاعوام حسنا وجمالا لانهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم حسنا وجمالا والنساء يزددن على مرور الايام قبحا لانهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على مرور الايام فسادا *(وفي) بعض الاخبار ان آدم عليه السلام لما رأى حواء مد يده اليها فقالت الملائكة مه يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله تعالى لي فقالت الملائكة حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا ان تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت *(وروى) سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يخلق جارية بعث اليها ملكين أصفرين مكلمين بالدر والياقوت فيضع أحدهما يده على رأسها ويضع الآخر يده على رجلها ويقولان بسم ربنا وربك الله ضعيفة خلقت من ضعيفة المنفق عليها مان الى يوم القيامة

(الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وما كان منه في ذلك)

قال أهل التاريخ لما أسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام الجنة أباح لهما نعيم الجنة كلها الا شجرة واحدة وذلك قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة الى قوله فتكونا من الظالمين (واختلفوا) في هذه الشجرة التي هي شجرة المعنة ما هي فقال علي رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة العلم وفيها من كل شئ علامة وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقيل هي الحنطة وقيل هي الكرمة فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما الشجرة فاكلا منها ظنا بهما ان أكلهما من ثمرة تلك الشجرة وحسن لهما معصية الله تعالى في ذلك حتى أكلا منها وكان وصول عدو الله ابليس اليهما وتزيينه ذلك لهما على ما ذكره أصحاب الاخبار أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة من ذلك فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها أربعة قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لابليس صديقة فسألها أن تدخله الجنة في فمها فادخلته في فمها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة قال لئن طبت لو كان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان

ولامع بسنة طلقتين
اللهم بهما الحقني ثم شوق
شهقة فمات رحمة الله
تعالى عليهم أجمعين
قال الجنيد فاخذت في
غسلهما وتجهيزهما
ودفنهما رحمة الله عليهما
والمسلمين
*(وحكى عن السري
السقطي رحمه الله ونفعنا
به)* قال كنت جالسا
ببيت المقدس سنة من
السنين عند الصخرة
وكان ذلك في أيام العشر
وأنا مغموم محزون على
التخلف عن الحج في تلك
السنة وقلت في نفسي
ان الناس قد توجهوا
الى مكة ولم يبق الا أيام
قلائل وانا ههنا مقيم
قال السري فبكيت على
فواتي وتخلفي عن الحج
في تلك السنة فسمعت
هاتفا يقول يا سري لا تبك
فان الله سبحانه وتعالى
يبعث لك من يوصلك
الى الحج في هذه الساعة
قال السري فقلت كيف
يكون ذلك وقد بقي أيام
قلائل وأنا مقيم ببيت
المقدس بعيد عن مكة
فقال الهاتف نائيا لا تخف
فان المالك القدير يسهل
عليك العسير قال السري
فسجدت شكرا لله
عز وجل ثم جلست
أترقب صدق الهاتف
فبينما أنا كذلك اذا نا
بأربعة شبان قد دخلوا
من باب المسجد كأن

ن ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين (السابعة) تحضرهن بالعدة
الثامنة) جعلهن تحت أيدي الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام استوصوا
لنساء خيرا فانهن عوار عندكم (التاسعة) ليس لهن من الطلاق شئ ولا ما كن ذلك وانما هو للرجال
العاشرة) حرمن الجهاد (الحادية عشرة) ليس منهن نبي (الثانية عشرة) ليس منهن سلطان ولا حاكم (الثالثة
شرة) لا تسمى واحدة منهن الاسم ذي رحم محرم (الرابعة عشرة) لا تتقدم بهن اربعة (الخامسة عشرة) لا يسلم
ليهن وعاقب ابليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء (أولها) عزله عن الولاية وكان له ملك الارض وملك سماء
لدنيا وكان خازن الجنة (الثانية) أخرجه من جواره وأهبطه الى الارض (الثالثة) مسخ الله صورته فصيره
سيطانا بعدما كان ملكا (الرابعة) غير اسمه وكان اسمه عزازيل فسماه ابليس لانه أبلس من رحمة الله تعالى
الخامسة) جعله امام الاشقياء (السادسة) لعنه الله (السابعة) نزع عنه المعرفة (الثامنة) أغلق عنه باب
توبة (التاسعة) جعله مريدا أي نماما من الخير والرحمة (العاشرة) جعل خطيب أهل النار وعاقبه الخلية
خمسة أشياء قطع إحداها وأشاها على بطنها ومسخ صورهن ابعدان كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها
اقراب وجعلها تموت كل سنة بالشتاء وجعلها عدو بني آدم وهم أعداؤها حيث يرونها يقتلونها وأما رسول
له صلى الله عليه وسلم قتلها في الصلاة وفي حال الاحرام *عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسالماهن منذ حار بناهن من ترك شيأ منهن خيفة منه فليس مني بعض الحيات أخبرنا ابن (١) قال حدثنا عبد
لله بن يونس قال أخبرنا داود عن حميد عن أبي الاحوص الجشمي قال بينما ابن مسعود
خطب ذات يوم فاذا هو بحية تمشي على الجدار فقطع خطبته ثم شرجها بثوبه حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من قتل سبتة فكأنما قتل رجلا مشركا قد حل دمه

(الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه)

ال ابن عباس رضي الله عنهما لما أهبط آدم الى الارض على جبل سرنديب وقد كر أن ذروته أقرب من ذرا
جبال الارض الى السماء وكان طول آدم على الجبل رأسه في السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم وكان
دم يأنس بذلك فبعثها الملائكة واستكثرت البر بها فلما قامته الى ستين ذراعا وكان جبل ذلك الوقت عشر
أسه لسحاب فصاح وأخذ أولاده الصلع فلما انقص من قامته ذلك قال الرب تبارك وتعالى ليس لك يا رب ولا
جيبه دونك آكل فيها ارعد وأبرق السحاب فأهبطني الى هذا الجبل وكنت أسمع أصوات الملائكة وأراهم
كيف يعبدون بعرشك وأبعد ما بيني وبينك فأهبطني الى الارض وسط بين ذرا فقطع عني
لصوت والنور وذهبت عني رائحة الجنة فأجابه الله تعالى يا آدم فقال لبيك يا رب وسعديك
نبيلا أهبطا الله آدم من الجنة واستقر بالسا على الارض عطش فسأل أنفه ماذا أرى يلان الدم
ن أنفه ولم يكن رأى قبل ذلك دما فلما رأى ولم يشرب الارض الدم فاسود على وجهها فلم تخرج آدم من
لك فزعا شديدا فذكر الجنة وما كان من الراحة فرفع يديه فبكى على أربعين عاما فبعث الله اليه اكاما حسن
لهيئة وبلغه وجعل يديه على فؤاده فذهب عنه الحزن والغشي فاستراحا ما كان بين الهند من الثمر وثلاثة أشهر من
وشب باغسني ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه الى السماء من
لله تعالى * وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة
لم يأكلا ولم يشربا أربعين سنة ولم يقرب آدم حواء مائة سنة فلما أراد الله تعالى أن يجمعهما بعد مائة كلمات
كانت سببا لقبول توبته كما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الآية * واختلفوا في تلك الكلمات
اهي فقال ابن عباس هي أن آدم عليه السلام قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال ألم تنفخ في من روحك
ال بلى قال ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال فلم أخرجتني منها قال لشؤم
معصيتك قال أي رب أرأيت ان أنا تبت وأصلحت ترجعني الى الجنة فهي الكلمات * وقال عبد الله بن عمران آدم
قال يا رب أرأيت ما أتيته شيأ ابتدعته من تلقاء نفسي أو شيأ قدرته علي قبل أن تخلقني بيدك قال لا بل شيأ قدرته

العوائد ان يحسبوا بقتلي
ثم قال يا سيدي علمني
بعز الدنيا والآخرة قال له
أن تسأل الله ذل الدنيا
والآخرة فقلت له
يا سيدي أرشدني الى عز
الدنيا والآخرة يرحمك
الله تعالى فقال لي من
أراد غني بلا مال وعلما
بلا تعلم وعزا بلا عشيرة
فليخرج حب الدنيا
من قلبه ولا يرضى اليها
ولا يطمئن قلبه اليها قال
السري فقلت له يا سيدي
بالذي خصك بأنواره
وأطلعك على أسراره
أن تقصد الينا لنجيء اليك
بيت الله الحرام وزيارة
قبر النبي صلى الله عليه
أفضل الصلاة والسلام
فقال له والله لا أفارقكم
فان مفارقتكم علي أشد
من فراق الروح للجسد
فقال بسم الله وخرج
فرجعنا معهم من بيت
المقدس ولم تزل تنظر
سني فقال يا سري هذا
وقت الظهر فانتصب لي
فقلت له بلى وهو على
الشاطئ بالقرب منا
فقال ان معي ماء
وضوء فهل بقربنا من
الطريق فاذا بعين ماء
أحلى من الشهد فتوضأت
وشربت ثم قلت له والله
يا سيدي لقد سلكت
هذه الطريق مرارا
عديدة ولم يكن هنا ماء
فتبسم وقال الحمد لله
على لطفه بعباده قال

وأعطاها الله عمرتين فى كل عام (والثالثة) أوهن جلده وصيره مظلما بعدان كان جلده كله كالظفر وأبقى عليه من ذلك قدر ابسير اعلى أنامله ليتذكر بذلك أول حاله (والرابعة) أخرجه من جواره ونودى انه لا ينبغى أن يجاورنى من عصانى فذلك قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر الآية يعنى آدم وحوّاء وابليس والحية والطاوس فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود وقيل واسم وحوّاء بجدة بالجزء من أرض الحجاز وابليس بالدبلة من أرض العراق وهى بالبصرة وقيل مشان والحية باصبهان والطاوس بارض بابل * ويقال ان الحكمة فى اخراج آدم من الجنة انه كان فى صلبه من لا يستحق الولاية ولا يصلح لخطيرة القدس فاذا أخرجهم من صلبه أعاده الله اليها مثالها فيها * ويقال ان الله تعالى أخرج آدم من الجنة قبل ان يدخله فيها وذلك قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة ولم يقل فى الجنة * أخبرنى نافل بن آذفر بن أحمد باسناده عن عثمان بن علية قال سمعت الوضين بن عطاء يذكر ان آدم قال كنا نسلا من نسل الجنة فسبانا ابليس بالخطيئة الى الارض فلا ينبغى لنا الفرح فى الدنيا ولكن الحزن والبكاء مادمنا فى دار السباء حتى نرد الى الدار التى سبينا منها وقال الشاعر

يا ناظرا يرنو بعينى راقد * ومشاهد الايام غير مشاهد
منك نفسك وصلة فأبعتها * سبل الرجاء وهن غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى * درج الجنان بها فوز العابد
ونسيت ان الله أخرج آدما * منها الى الدنيا بذنب واحد

(والخامسة) الفرقة فرق بينه وبين حوّاء مائة سنة هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كل واحد منهما يطلب صاحبه حتى قرب أحدهما من صاحبه فأزدلفا فسميت المزدلفة واجتمعا بجمع فسمى جمعا وتعارفا بعرفة فى يوم عرفة فسمى الموضع عرفات واليوم عرفة (السادسة) العداوة ألقى بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى بعضكم لبعض عدو فالانسان عدو الحية يشدخ رأسها حيث يراها والطاوس عدو والحية عدوته تلدغه اذا أمكنها وابليس عدوهم جميعا وفيه اشارة الى أن الاحباب اذا اجتمعوا وتعاونوا على معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (والسابعة) النداء عليهم باسم العصيان فقال تعالى وعصى آدم ربه فغوى (وروى) ان ابراهيم عليه السلام تفكر ذات ليلة من الليالى فى أمر آدم فقال يا رب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك وأسكنته جنتك بلا عمل ثم زلة واحدة نديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة فأوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد (والثامنة) تسليط العدو على أولاده وهو قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم الآية (والتاسعة) جعل الدنيا مجنانه ولاولاده وابتلاءهم بها الدنيا مقاساة البرد والحر فيها ولم يكن له بهم عهد لتعوّدهم هواء الجنة وهو كما قال الله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة سجسج لا حر فيها ولا قر (العاشرة) التعب والشقاء وذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فهو أول خلق عرق جبينه من التعب والنصب

* (فصل) * وابتليت حوّاء وبناتها بهذه الخصال وبخمس عشرة خصلة سواها من (الاولى) الحيض يروى أنها لما تناولت الشجرة دميت الشجرة قال الله تعالى ان الله على أن أدميك أنت وبناتك فى كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحيض ان هذا شئ كتبه الله تعالى على بنات آدم (الثانية) ثقل الحمل (الثالثة) الطلق وألم الوضع قال الله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وفى الخبر لولا الزلة التى أصابت حوّاء كانت النساء لم يحضن ولكن طعامات وكن يحملن سرا ويضعن سرا (الرابعة) نقصان دينها (الخامسة) نقصان عقلها عن أبى سعيد فى حديث ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكن فقلن له وما نقصان عقلنا ودينا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلها أوليس اذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان دينها (السادسة)

على التوجه الى بيت الله الحرام فاحببنا زيارة قبور الانبياء بالشام ثم بعد ذلك نقصد مكة شرفها الله تعالى وعظمها وقد قضينا حقوقهم وزيارتهم وأتينا الى هنا نزور بيت المقدس قال السرى فقلت له يا سيدى وما كنت تصنع بخراسان قال لاجل الاجتماع بابراهيم بن أدهم وبمعروف الكرخى اخواننا نفر جناجيعا نقصد مكة فجئت الى بيت المقدس وذهبا هما من طريق البادية الى مكة قال السرى فقلت يرحمك الله ان من خراسان الى بيت المقدس مسيرة سنة فقال يا سرى لو كانت الطريق ألف سنة العبد عبيده والارض أرضه والزيارة لبيته والقصد اليه والبلاغ عليه والقوة والقدرة له أما ترى الشمس كيف تسير من المشرق الى المغرب فى يوم واحد فهى تسير بقوة الله أم بقوة القادر وارادته فاذا كانت الشمس وهى جماد لا حساب عليها ولا عقاب تقطع من المشرق الى المغرب فى يوم واحد فليس ببعيد ان يبلغ عبد من عبيده من خراسان الى بيت المقدس فى ساعة واحدة فان الله تعالى له القدرة وفوق

دم أول من نسج ولبس الصوف (عن) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه
لم فقال يا رسول الله ما تقول في حرفتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حرفتك فقال أنا رجل ساباط قال
فتك حرفة أبينا آدم عليه السلام وكان أول من نسج آدم وكان جبريل يعلم آدم تاينه ثلاثة أيام وان الله
وجل يحب سرفتك فانها حرفة تحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال منكم التبيع فأبونا آدم خصمه ومن أنف
كم فقد أنف من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم ومن آذاكم فقد آذى آدم وهو خصمهم يوم القيامة فلا تخافوا
شمر وافان حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائدكم الى الجنة (وعن) أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله
ى الله عليه وسلم عليكم بلباس الصوف تجدون قلة الاكل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وان
فكر في الصوف ليورث القلب التفكر والتفكر يورث الحكمة والحكمة تجري في الجوف مجرى الدم فان
ر تفكره قل طعمه وكل من قل تفكره كثر طعمه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسي بعيد من الله بعيد من
نة قريب من النار قالوا ثم ان آدم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتهى فقال لجبريل ما الذي أصابك
ل أجد في نفسي قلقا واضطرابا لا أجد الى العبادة منه سبيلا واني أجد بين لحمي وجلدي دبيبا كدبيب النمل
له جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك قال سوف أهديك الى ذلك فغاب عنه ثم جاءه
رين أحمرين والعلاة يعني السندان والمطرقة والمنقطة والكلبتين ثم جاءه بشعر من جهنم فوقع في يد آدم
منه شرارة فوقعت في البحر فدخل جبريل البها وأتى بها فدفعها الى آدم فطارت منه أيضا حتى فعل ذلك بسبع
ت فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم بعد ان غسلت بالماء
ع مرات فلما جاء بها الى الثامنة نطقت النار فقالت يا آدم اني لا أطيق لك واني منتقمة من عصاة أولادك يوم
امة فقال جبريل يا آدم انها ان تطيعك ولكني أمنعها لك ولاولادك ليكون لك ولاولادك فيها المنافع
نها في الخير والحديد فذلك قوله تعالى أفرأيتم النار التي تورون أأنتم الآية ويروى ان آدم لما أخذ النار
شرقت يده فلي عنها فقال جبريل مالها تحرق يدك ولا تحرقيدك قال لانك سميت الله والذي لم أسمه ثم أمره
يل باتخاذ آلة الحرث فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بصرة من حنطة فيها ثلاث سنبلات من الجنة فقال يا آدم
حبتان وكلوا معه بقية ذلك صار للذكر مثل حظ الانثيين وكان وزن الحبة مائة ألف درهم وزن ألف درهم
ى آدم ما أصنع بهذا كله فقال يا آدم نحن هانها فانهم اليك سيسوقونها أشد سوقا من الجنة توبيخا
دنيا وهم ثلاثة الفتنة أنت وأولادك الى أن تقوم الساعة ثم أمره أن يدق الثوم ويكبس من العشب
معه ما فعمل ذلك وجعل يحرث الارض عليه ما فهو أول من حرث الارض وبذر الثوم ان على ما فاتهم ما
ات الجنة فقطرت دموعها على الارض فنبت منها البلوط وسمي بالاقنبت منه الحمض وراثا فنبت منه
دس ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كثرها ثم بذرها فنبتت من ساعته فقال آدم عليه السلام والسلام
ه فقال لا اصبر حتى يدرك فلما سنبل وأفرك قال آكله قال لا ارعاك الحصاد فلما حصد قال آكله قال لا رحاك
س فلما داس قال آكله قال لا رحاك التنقية فلما نقاه قال آكله قال لا رباك بحجر بين رحاك الطحن فلما طحنه
آكله قال لا رحاك العجن ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما نخل دقيقه أمره جبريل أن يبسط الخاتق
ض المستحصدة فنبت فيها الشعير فلما جن قال آكله قال لا أمره أن يعفر بعفير ويضع الحطب فيها ويوقد
نارا ففعل ذلك ثم وضع عجينه عليه فخبزه حتى جعله خبزة فهو أول من خبز فلما أخرجه قال آكله قال لا
برد فلما برد أكله فلما أكله دمعت عينا آدم عليه السلام وقال ما هذا التعب والنصب قال له هذا وعد الله
وعدك فذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى أما أن لك أن تأكل من
ينك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام شكا من بطنه ولم يدر ما هو فشكا ذلك الى
يل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فيم أسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه ومعه الهول وقال له احفر الارض فما
ير حتى بلغ الى ركبتيه فنبع الماء من تحت رجليه ماء زلالا أبرد من الثلج وأحلى من العسل وقال يا آدم
منه شربة فشرب منها فاطمأن ثم انه بعد ذلك وجد تشكيا أشد من الاول والثاني فقال لجبريل ما هذا الذي

وتقول العين ما أبعد الطريق على من لم تكن له دليلا وما أوحش الطريق على من لم تكن له أنيسا قال عثمان فدنوت منها وسلمت عليها فردت علي السلام وقالت من أنت يرحمك الله فقلت لها عثمان الجرجاني فقالت حياك الله يا عثمان أين تريد فقلت أريد البصرة لحاجة فقالت يا عثمان هذا أعلمت صاحب الحاجة توجه بها الليل ولا يتعسبك فقلت ليس بيني وبينه تلك المعرفة فقالت وما الذي فعلت من معروفه فقلت كثرة الذنوب فقالت والله يا عثمان ما والله لو وصل محبة الله الى قلبك منها قوى يقين وقضى عواتبك من غير تعب فقال عثمان فلما سمعت كلامها لم أكن أعلم ما أريد من الدعاء فقلت أعاذك الله مما تخافه على ما تحبه ويسهل عليك ما تعانيه فقال فلما عزمت على الانصراف أخرجت من خرجي دراهم كانت معي فقسمتها بيني وبينها وقلت خذي هذه النفقة استعيني بها على حالك فقالت يا عثمان من أين لك هذه الدراهم فقلت لها اني رجل أصيد الى الجبل واحتطب منه حطبا واحمله على رأسي وأبيعه

عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفر لى * وقال محمد بن كعب القرظى هى قول لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفر لى انك أنت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسى فارحمنى انك أنت أرحم الراحمين * وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة هى قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية ثم أنزل الله تعالى ياقوت من يواقيت الجنة ووضعها موضع البيت على قدر الكعبة لها بابان باب شرقى وباب غربى وفيها قنديل من نور ثم أوحى الله تعالى الى آدم ان لى حرما بحيال عرشى فابنه فطف به كما تطاف حول عرشى وصل عنده كما يصلى عند عرشى فهنالك أستجيب دعاءك فانطلق آدم من أرض الهند الى أرض مكة تلزيارة البيت وقيض الله له ملكا يرشده فكان كل موضع يضع عليه قدمه عمرانا وما بعد اعمفاوز وقفارا فلما وقف بعرفات وكانت حواء طالبته وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمى ذلك الموضع عرفات فلما انصرفا الى منى قيل لآدم تمن فسأل أثنى المغفرة والرحمة فسمى ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما وقبل توبتهما ثم انصرفا الى أرض الهند قال مجاهد حدثنى ابن عباس أن آدم حج من أرض الهند أربعين حجة على رجليه فقيل لمجاهد يا أبا الحجاج الا كان يركب قال وأى شئ كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها تلقته الملائكة يهنؤنه بالحج وقبول التوبة فقالوا برحج ياآدم فد اخلك من ذلك شئ فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم انا قد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام فتقاصرت الى آدم نفسه (وقال) أبو العالية خرج آدم من الجنة ومعه عصا من شجر الجنة وعلى رأسه تاج من شجر الجنة فلما صار الى الارض يبس ذلك الاكليل وتحات الورق فنبت منه أنواع الطيب فلذلك كان أصل كل طيب بالهند (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما نزل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند فى أودية الهند وكان أصله من الجنة فاستلأ ماهنالك طيبا فمن ثم يؤتى بالطيب من الهند وأصله من ريح آدم عليه السلام وريحه من ريح الجنة وأنزل الله معه الحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى وقيل كانت من البان (وروى) سفيان عن منصور بن معمر عن ربعى بن خراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما أهبط آدم من الجنة الى أرض الهند وعليه ذلك الورق الذى كان لباسه من الجنة فيبس وتطاير بأرض الهند فنبت شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يارسول الله المسك هو من الدواب أم من الشجر قال أجل انما هى دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر فصيره الله المسك فى سرتها فاذا رعت الربيع جعله الله مسكا وتساقط فينتضربه الآدميون قالوا يارسول الله فان يقع قال قال لى جبريل فى ثلاث كور لا يكون فى شئ من الارض الا فيها أرض الهند وأرض السعدى وأرض الثبت قالوا يارسول الله العنبر انما هى دابة فى البحر قال أجل كانت هذه الدابة بأرض الهند ترعى فى البر فبعث الله اليها جبريل عليه السلام فساقها وما معها حتى فذفها فى البحر وهى أعظم ما تكون من الدواب غانها ألف ذراع وانما ترمى به كما ترمى البقر أحشاءها فما يخرج من جوفها العنبرة وزنها ألف رطل وخمسمائة رطل ونحو ذلك ثم ان آدم وجد ضربانا فى رأسه وجسده فشكا ذلك الى الله تعالى فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويصره فقال ان فى هذه الشجرة شفاء من كل داء الا السام وداله جبريل عليه السلام على شجرة الاهليلج الابيض والاسود والاصفر فقال له ان ربك يقرئك السلام ويقول لك كل من هذه فانك لن تتداوى أنت وذريتك بدواء أفضل منها فيها شفاء من كل داء ان بقى فى جوفك لم تخف منه وان خرج أخرج الداء كله وأبرأه فأكله آدم فبرئ (قال) أهل الاخبار ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض وأصاب جسده أذى الهواء وأحس به اشتكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك الى جبريل فقال انك تشكو العرى فانزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة فى سورة الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم أمره أن يذبح كبشا منها فذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فجعل منه جبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فلبساه وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فهو أول من غزلت

السرى فصلينا صلاة
الظهر وسرنا الى قريب
العصر فبانت لنا اعلام
الحجاز ولاحت لنا جبال
مكة فقلت هذه أرض
الحجاز فقال وصلت الى
مكة فانخ فى البكاء ثم قال
يا سرى تدخل معنا فقلت
نعم فدخلنا من باب الندوة
فما رأيت رجلين أحدهما
أكمل والآخر شاب فلما
نظراه تبسما وقاما فاعتنقاه
وقالا الحمد لله على
السلامة فقلت له يا سيدى
من هؤلاء فقال اما الاكمل
فابراهيم من أدهم وأما
الشاب فمعروف الكرخى
قال السرى فسلمت
عليهما ثم جلسنا الى ان
صلينا صلاة العصر والمغرب
والعشاء بالحرم فقام كل
منهم الى صلاته وقت
معهم بحسب طاقتى
فغلبنى النوم فى المسجد
فنمت فلما انتبهت لم أجد
منهم أحدا فصرت
كالمجنون الهائم وطفت
عليهم فى المسجد الحرام
وفى مكة وفى منى فلم أجد
منهم أحدا فرجعت باكيا
حزينا على التفاتى عنهم
رضى الله عنهم أجمعين
* (وحكى عن عثمان
الجرجانى رضى الله عنه)
انه خرج حاجا من الكوفة
أريد البصرة فرأيت فى
طريقى امرأة تجر رجلا على
وجهه من شعر وهى تنشى

ب شغلت بطلب المعيشة والرزق عن التسبيح والعبادة ولست أعرف ساعات التسبيح في أيام الدنيا فاهبط الله
لى اليه ديكا فاسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذه آدم من الخلق فكان الديك اذا سمع
سبيح في السماء سبح في الارض فيسبح آدم بتسبيحه (وروى) أن الله تعالى أوحى الى آدم لما أراد أن يهبطه
الارض يا آدم اني منزل أنت وذريتك دارا مبنية على أربع قواعد أما الاولى فاني اقطع ما تصلون وأما
انية فاني أفرق ما تجمعون وأما الثالثة فاني أخرب ما تبنون والرابعة أميت ما تلدون وذلك قيل

لدوا للموت وابنوا للخراب * وكلكم يصير الى ذهاب

(الباب السابع في ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وعماله فيها بعد اللعنة)

الله تعالى قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو الآية (قال الشعبي) أنزل ابليس من السماء على سرعة ليس
ت فقنة منها شئ أعور في احدى رجليه نعل (وروى) ابن المبارك عن خالد بن حميد بن هلال انما كره أن
صر في الصلاة لان ابليس هبط مختصرا (وروى) حماد عن ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير أن
يس قال يارب أخرجتني من الجنة من أجل آدم واني لا أستطيعه الا بسلطانك قال فانت مسلط عليه قال يارب
ني قال لا ولد له ولد الا ولد له مثلاه قال يارب زدني قال صدورهم مساكن للشر وتجري منهم مجرى الدم قال يارب
ني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا قال
يارب قد سلطتني على واني لا أمتنع منه الا بك قال لا ولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يارب
ني قال الحسنة بعشرة أمثالها وأزيدها والسيئة بمثلها واحدة وأمحوها قال يارب زدني قال قل يا عبادي الذين
رفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال يارب زدني قال التوبة لا أنزعها من ولدك ما كانت الروح
م قال يارب زدني قال أغفر ولا أبالي قال حسبي (وروى) ان ابليس قال يارب لعنتني وأخرجتني من الجنة
علتني شيطانا رجيما مذموما مدحورا وبعثت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلي قال الكهنة
فما كتبي قال الوشم قال فما حديثي قال حديث الكذب قال فما قراءتي قال مزامير الشعر قال فما موذني قال
ذنك المزمار قال فما مسجدك قال مسجدك السوق قال فما بيتي قال بيت الحمام قال فما طعامي قال طعامك مالم
كر اسم الله عليه قال فما شرابي قال كل مسكر قال فما مصايدي قال مصايدك النساء (وروى) مقاتل
جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان ابليس لما خرج من الجنة ألقى الله على الحرة والغلمة فتكح نفسه فباض
بيض فخاض فيها ذريته (وروى) اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق قال لما خرج ان ابليس تزوج حية فدخل
ل في فيها حين كلم آدم عليه السلام بعد ما أخرج من الجنة فنهاذريته

(الباب الثامن في ذكر ما روى من الاخبار فيمن تراءى له ابليس فرآه عيانا وكلمه شفاها)

وى ان آدم النقي بابليس في أرض فلاة فلامه على صنيعه وقال له يا ملعون أي شئ هذا الذي أصابني غرقتني
حرجتني من الجنة وفعلت بي ما فعلت قال فبكى ابليس وقال يا آدم اني فعلت بك ما تقول وأنزلتك هذه المنزلة فمن
بي ما أتاني فيه وأصلني هذه المنزلة (ويروى) ان ابليس تصور لفرعون في صورة الانس يصرفي الحمام فانكره
ون فقال له ابليس ويحك أما تعرفني فقال لا قال فكيف وأنت خلقتني ألست القائل أنا ربكم الاعلى وروى
سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ابليس فقال أي الاعمال أحب البك وأبغض الى الله تعالى فقال لولا منزلتك
الله تعالى ما أخبرتك اني لست أعلم شيأ أحب الى وأبغض الى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة
رأة (ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من آدمي الا وقد عمل خطيئة أو هم بها الا يحيى بن زكريا
ما عمل خطيئة ولا هم بها ولقد قال رب أرني ابليس كما هو واعزم عليه ان لا يكتمني شيأ سألته عنه فاوحى الله تعالى
ابليس ان ائت عبدي يحيى بن زكريا كما هبطت الى الارض ولا تكتمه شيأ يسألك عنه فاتاه وقال يا يحيى انا ابليس
ني ربي ان آتيك كما هبطت الى الارض فنظر اليه يحيى فاذا على رأسه خطاطيف تطير وحقه واه محفوفتان
نوار كور وههنا وكور وههنا وفي رجليه خلاخيل فقال ما هذه الخطاطيف التي تطير على رأسك قال بها أخطف
ول بني آدم قال فما هذه الخلاخيل التي في رجليك قال أحركها بني آدم حتى يغني أو يغني له قال فاي ساعة أنت

فلما نزل قال أريد أن
أسألك أمانة قلت وما هي
فقال اذا كان في شهر
عند الظهر تعدني ميتا
تحت تلك الشجرة
فغسلني وكفني في الكفن
الذي تجده تحت رأسي
وصل علي وادفني تحت
تلك الشجرة فان قبري
بها فاذا فرغت من أمري
خذ هذه المرجعة والركوة
والعصا فاذا باعلى من
يطالبهم فادفعهم اليه
قال فتعجبت منه ثم
تركني ومضى فبت تلك
الليلة متفكرا فلما
أصبحت انتبهت الوقت
الذي قال عليه الشيخ
فلما بلغت وقت الظهر
نسيت فاذا الهيئة الا
قريب العصر فصرت
اليه مسرعا فوجدته
تحت الشجرة ميتا
ووجدت كفنا تحت
رأسه نفوح منه رائحة
المسك قال يعلى فغسلته
وكفنته فيه وصليت عليه
وحفرت تحت الشجرة
فوجدت قبرا مهيأ ملحدا
فدفنته فيه ثم عدت الى
موضعي ليلا والمرقعة
والركوة والعصا معي
فلما طلع الفجر وبان
الجو اذا أنا بشاب قد
أقبل فمددت النظر
اليه فعرفته وكان من
بعض صبيان الملاهي
يرقص ويغني وعليه
ثياب رقاق وهو مخضوب

أجده قال لا أدري فبعث الله اليه ملكا فنقق قبله ودبره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخرج فلما خرج منه ما آذاه ووجد ريحه بكى على ذلك سبعين سنة (قالوا) لما أنزل الله الى آدم الحديد نظر الى قضيب من حديد نابت على الجبل فقال هذا من هذا فجعل يكسر أشجارا قد عتقت ويبست فأوقد على ذلك الحديد حتى ذاب وكان أول شئ صرب منه مدية فكان يعمل بها ثم ضرب التنور الذي ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذي فار بالعذاب بالهند (قالوا) لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرج معه من الجنة قطعة من ذهب فذلك يبقى الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه الارض ولا تأكله النار لانه من الجنة حل (وقيل) ان الله تعالى زود آدم حين أهبطه الى الارض من الثمار ثلاثين نوعا عشرة منها في القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى فاما التي هي في القشور فالجوز واللوز والفستق والبندق والخشخاش والباوط والشاه بلوط والنارنج والرمان والموز وأما التي لها نوى فالخوخ والمشمش والاجاص والعناب والفرسك والرطب والغبيراء والنبق والزعرور والمقل وأما التي لا قشر لها ولا نوى فالتفاح والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والتين والاترج والخربوز والخيار والبطيخ (وقال) ابن جريج أهبط الله تعالى آدم عليه السلام ومعه آنية فيها بزر عر يشة من عنب وريحانة فغرس آدم العريش فلما طلعت جاء ابليس فسرق غرسها فقال له آدم ويلك أخرجتني من الجنة ولا تريد أن تجعل لي رزقا فقال له ان لي فيها حقا قال وما حقك قال نشوها ولكم ساترها (وقال) ابن عباس هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآس وهي سيدة رياحين الدنيا والسنبلة وهي سيدة طعام أهل الدنيا والحبوة وهي سيدة ثمار الدنيا (وروى) ابن عباس وعائشة وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الحبوة من غراس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر البرني فكلوه فانه يسبح في شجره ويستغفر لآكله (وقال) ابن عباس لما أهبط آدم الى الارض كان أول شئ أكله من الثمار التين وقال كعب أول من ضرب الدينار والدرهم آدم وقال لا تصلح المعيشة الا بهما وقال وهب بن منبه ان آدم لما أهبط الى الارض ورأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره فقال يا رب أما الارض هذه من عامر يسبحك ويحمدك ويقدسك غيري قال الله تعالى سأجعل فيها من ولدك من يسبحني ويحمدني ويقدسني وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكري ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدني حق عبادتي وسأجعل من ذلك البيوت بيتا أخصه بكرامتي وأوثره باسمي فاسمه بيتي وأنطقه بعظمتي وعليه وضعت جلالي وأجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمتي ما حوله وما فوقه وما تحته ففي حرمه بحرمتي استوجب ذلك كرامتي ومن أخاف أهله فيه فقد تخفر ذمتي وأباح حرمتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي وسأجعل هذا البيت أول بيت وضع للناس يعظم مكة مباركا يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا ويضجون بالبكاء ضجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد الي وزارني واستضافني فحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وان يسعف كلا بحاجته يا آدم تعمره ما دمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن ثم ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده وأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة كالذر بنعمان من عرفة قريبا من مكة ثم أخذ عليهم الميثاق وكلمهم وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ومسح ظهره فاستخرج منه ذرية وقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية وقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على ذلك فهو من أهل النار (وقال) وهب بن منبه رحمه الله أوحى الله الى آدم بعد ما تاب عليه يا آدم اني أجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس فاما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيأ وأما التي لك فاجزيك بعملك أحوج ما تكون اليه وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء ومني الاجابة وأما التي بينك وبين الناس فان ترضى لهم ما ترضى لنفسك فقال آدم

في أعناق المسلمين
وأنفق ثمنه فقال نعم
الكسب الحلال احل
ما أكل المرء من كسب
يمينه ولكن يا عثمان لو
سمعت معاملتي ذي
الجلال واتكلت عليه
حق الاتكال لكفاك
حمل الاحطاب من رؤس
الجبال ثم قال يا عثمان
أريدان أريك كيف
سمعت معاملتي مع
سيدي وصدق التوكل
عليه فقلت بلى فبسطت
يديها وهممت بشتمهما
فاذا بدراهما مملوأة
دنانير فقالت خذ هذه
أنت يا عثمان فوالله
ما طبع عليها اسم ملك
ولا سلطان واعلم انك
لو أحببت مولاك لاغناك
عن الخلق وكفاك ثم
غابت عني فلم أرها فنعما
الله تعالى بها آمين
*(وحكى عن بعض
الصالحين رضي الله
تعالى عنه انه قال)*
كنت ملاحا بنيل مصر
اعدي من الجانب الشرقي
الى الجانب الغربي
فبينما أنا يوما من الايام
جالس في الزورق اذا أتاني
بشيخ ذي وجه مشرق
قد أقبل علي وسلم علي
وقال تحملني لله قلت
نعم ثم قال ثانيا وتطعمني
لله قلت نعم فطلع الزورق
فعدت به الى الجانب
الغربي فكان عليه
مرقعة سندس وعمامة دكة

وأوحى الله الى آدم أن زوجها من قابيل فزوجها منه فلما أدرك هابيل أهبط الله الى آدم حورا في صورة أنسية وخلق الله لها ريحا وكان اسمها تركة فلما نظر اليها هابيل ورمقها أوحى الله الى آدم أن زوجها من هابيل ففعل فقال قابيل يا أبت ألست أكبر من أخي وأحق بما فعلت به منه فقال يا بني ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فقال لا ولكنك آثرته علي بها والله فقال له ان كنت تريد أن تعلم ذلك فقربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه قالوا وكانت القرابين حينئذ اذا قبلت نزلت نار من السماء فاكلتها واذا لم تقبل لم تنزل نار لا كلها وتاكلها السباع فخرجا يقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أردأ زرعه وأضمر في نفسه ما أبالي أيتقبل مني أم لا لا يتزوج أختي أبدا وكان هابيل راعيا فاصاب شاة سمينة فقرب كبشا سمينا من خيار ما شيته ولبنا وزبدا وأضمر في نفسه الرضا بالله والتسليم لامره وقال اسمعيل بن رافع ان هابيل نتج له كبش في غنمه فلم يكبر ولم يكن له مال أحب اليه منه وكان يحمله على ظهره فلما أمر بالقربان قربه قال فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السماء فاكلت الكبش والزبد واللبن ولم تاكل من قربان قابيل حبة لانه لم يكن زاكي القلب وقبل قربان هابيل لانه كان زاكي القلب فازال الكبش يرتع في الجنة حتى فدي به ابن ابراهيم فذلك قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الى قوله من المتقين فنزلوا عن الجبل ونظروا وقد غضب قابيل لما رد الله قربانه وظهر فيه الحسد والبغي وكان يضمرهما قبل ذلك في نفسه الى ان أتى آدم مكة ليزور البيت فلما أراد أن يأتي مكة قال للسماء احفظني ولدي بالامانة فابت فقال ذلك للارض والجبال فابينا فقال ذلك لقابيل فقال نعم ترجع وتراه كما يسر له فرجع آدم وقد قتل قابيل هابيل فذلك قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا يعني قابيل حين حمل أمانة أبيه ثم خانه قالوا فلما غاب آدم أتى قابيل الى هابيل وهو في غنمه فقال لاقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني وتنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة فيتحدث الناس انك خير مني وأفضل ويفتخر ولدك على ولدي فقال له هابيل وماذنبي انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا باسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين (قال) عبد الله بن عمر ان المقتول كان أشد ولكنه منعه التحرج أن يبسط الى أخيه يده قال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله الآية أي طاوعته وساعدته فقتله قال السدي لما قصد قابيل قتل هابيل راغ هابيل في رؤس الجبال ثم أتاه يوما من الايام وهو نائم فرضخ صخرة فشدخ بها رأسه فمات وقال ابن جريج لم يدر قابيل كيف يقتل أخاه فتمثل له ابليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في مصرعه وموضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقال بعضهم على عقبة حراء وحكى محمد بن جرير الطبري قال جعفر الصادق بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فلما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لانه كان أول ميت على وجه الارض من بني آدم فقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره مسافة حتى نتن وعكفت عليه الطير والسباع ينظرون أين يرمي به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له في الارض ثم ألقاه في الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه فلما رأى ذلك قال يا ويلتى أعجزت أن اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة أخي فاصبح من النادمين يعني على حمله لا على قتله وروى عن الاوزاعي قال حدثني المطلب بن عبد الله المخزومي لما قتل ابن آدم أخاه جفت الارض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه الله أين أخوك هابيل قال ما أدري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم أخيك يناديني من الارض فلم قتلت أخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا (وعن) الضحاك عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وصار الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشأ يقول وهو أول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح

بالحمر حيث ألى موقفه
البنائين لانظر وجهها
لبناها الحائط فنظرت الى
شاب نحيف ذي وجه
نظيف فجئت اليه ووقفت
بين يديه ثم قلت له سيدي
أتريد الخدمة فقال نعم
فقلت سر على بركة الله
تعالى فقال بشرط أشترطه
عليك فقلت وما هو قال
الاجرة درهم ودانق فقلت
نعم قال واذا أذن المؤذن
تدعني أصلي مع الجماعة
فقلت نعم فسار معي الى
منزلي فخدم خدمة لم أر
مثلها ولا أحسن منها
فذكرت له الغداء فقال
لا تعرفت انه صائم فلما
جاء وقت صلاة الظهر
وسمع الاذان قال الشرط
يا سيدي فقلت نعم فقال
سواء وضوأ وتوضأ
ما رأيت أحسن منه ثم
خرج الى الصلاة مع
الجماعة في المسجد ثم عاد
الى خدمته الى أن سمع
أذان العصر فقال
الشرط يا سيدي فقلت
له نعم فرح وصلى العصر
مع الجماعة وعاد الى
خدمته فاتيت اليه
وقلت له حبيبي ان خدمة
البنائين الى العصر فما
تستريح فقال سبحان
الله انما كانت خدمتي
الى الليل قال فلما جاء
الليل أخرجت له درهمين
فلما رآهما قال ما هذا قلت
والله يا سيدي هما من
بعض أجرتك لاجتهادك

على ابن آدم أقدر قال حين يعلق شبعا ورياقال فهل وجدت فى نفسى شيأ قال لا قال ولا على حال قال نعم قدم البك طعامك ذات ليلة وكنت قد صمت فشهيته البك حتى أكلت أكثر من عادتك فتثاقلت عن وردك وعادتك فقال يحيى لاجرم لا أشبع أبدا فقال ابليس لاجرم لا أنصح آدميا أبدا *وقيل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا فى جهازه وخرج الناس وخلا الموضع قال ابن عباس قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لما وضعته صلى الله عليه وسلم على المغتسل اذا بهاتف يهتف من زاوية البيت يا على لا تغسلوا محمدا فانه طاهر مطهر قال فوقع فى قلبى من ذلك شئ وقلت ويلك من أنت فان النبى صلى الله عليه وسلم أمرنا بهذا وهذه سنته واذا بهاتف آخر يهتف يا على صونه غسله يا على فان الهاتف الاول كان الشيطان حسد محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدخل قبره مغسلا قال على جزاك الله خيرا قد أخبرتنى أن ذلك ابليس فمن أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم (ويحكى) ان قوما من بنى اسرائيل تراءى لهم ابليس فقالوا له قف معنا فكنت تقف بين يدى الله تعالى حسبما كنت تقف قبل أن عصيت ربك فقال انكم لا تطيقون رؤيتى ذلك فاطلعوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا اليه والى خشوعه وخضوعه ماتوا عن آخرهم (ويروى) ان رجلا كان يلعن ابليس كل يوم ألف مرة فبينما هو ذات يوم نائم اذ أتاه شخص فايقظه وقال قم فان الجدار هاهو يسقط فقال له من أنت الذى أشفقت على هذه الشفقة فقال له أنا ابليس فقال كيف هذا وأنا ألعنك كل يوم ألف مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهداء عند الله تعالى فخشيت أن تكون منهم فتنال معهم ما ينالون

(الباب التاسع فى قصة قابيل وهابيل)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذقربا قربانا الى آخر القصة قال أهل العلم بقصص النبيين وأخبار الماضين ان حواء كانت تلد لآدم توأمين فى كل بطن غلاما وجارية الا شيثا فانه ولد له منفردا وكان جميع من ولد له حواء أربعين من ذكر وأنثى فى عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم كثر الله فى نسل آدم كما قال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الآية (قال ابن عباس) لم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفا ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد واختلاف العلماء فى وقت مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما فى بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا فى بطن واحد (وقال) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء فى الجنة قبل أن تهبط الى الارض فحملت له بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وجعا ولا نصبا ولا طلقا حين ولدتهما ولم ترمهما دما ولا طهارة لبنه فلما هبطا الى الارض واطعما ابتها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبودا فوجدت فيهما الوحم والنصب والعلق والدم حتى اذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم يتزوج أى اخواته شاء الا توأمته التى ولدت معه فانهم لا تحل له وذلك انه لم يكن نساء يومئذ الا أخواتهم وأمهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته اقليما فى بطن واحد وهابيل وتوأمته لبودا فى بطن واحد وكان بينهما سنتان فى قول الكلبى وأدركوا أمر الله تعالى آدم أن ينكح لبودا أخت هابيل قابيل وينكح هابيل اقليما أخت قابيل وكانت أخت قابيل من أجل النساء وأحسنهن خلقا فذكر آدم ذلك لولده هابيل فرضى وسخط قابيل وقال هى أختى ولدته معى فى بطن وهى أحسن من أخت هابيل فانا أحق بها وبنحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فانا أحق بالحتى فقال له أبوه انها لا تحل لك فابى أن يقبل ذلك منه وقال ان الله تعالى لم يأمرنا بذلك وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو أحق بها (وقال معاوية بن عمار) سألت جعفرا الصادق أكان آدم زوج ابنته من ابنه فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان دين آدم الا دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أهبط آدم وحواء الى الارض وجمع بينهما وولد له بنت فسماها عناق فبغت وهى أول من بغى فى الارض فسلط الله عليها من قتلها فولد لآدم على أثرها قابيل ثم ولد له هابيل فلما أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنية من الجن يقال لها عمالة فى صورة انسية وخلق لها زوجا

ابله فدنا منى وسلم على وقال لى أنت فلان بن فلان قلت نعم فقال هات الامانة التى عندك وديعة لى فقلت وماهى فقال رقعة وعصا وركوة فقلت ومن أين لك هذا فقال لا أدرى الا أنى كنت فى عرس فلان بالامس وأنا أرقص وأغنى الى أن أذن المؤذن فمت لاستريح فبينما أنا نائم اذا رجل قد أيقظنى وقال لى قم ان الله سبحانه وتعالى قد قبض روح فلان الولى وجعلك مكانه فسر الى فلان بن فلان فان الشيخ أودع لك عنده ودبعة وهى رقعة وعصا وركوة قال فاخرجتهم اليه فخلع ثيابه واغتسل فى البحر وتوضأ ولبسها وأعطانى أثوابه وقال تصدق بهذه الثياب ثم سار وتركنى فلم أدر أين ذهب فاقمت بومين أبكى الى الليل فلما نمت رأيت رب العزة فى المنام وهو يقول يا فلان أتقبل على ان مننت على عبد من عبادى كان عاصيا وقبلته انفاذا لذلك فضلى أو تب من شئت ورحمتى وسعت كل شئ *(ويحكى من بعضهم رضى الله تعالى عنه)* أنه قال كنت ساكنا ببغداد وكانت لى دويرة بجراب فاحتجت ببناء بعائط بسقطت منها

كتب وصيته ودفعها الى شيث وأمره أن يخفي ذلك من ولد قابيل لان قابيل كان قد قتل هابيل حسدا منه له بن خصه آدم بتزويج أخته فلما خاف عليه أيضا أن يقتله حين خصه آدم بالعلم فاخفى شيث وولده ماهم بن الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به (وروى) أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما أخرج الله ذرية آدم من ظهره فجعل يعرضهم على آدم فاذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم نور قال هؤلاء الانبياء والرسل واذا فيهم رجل يزهر وهو أضوءهم نورا فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال رب كم عمره قال ستون سنة قال يارب زده في عمره قال لا الا أن تزيده أنت من عمرك فقدر الله القلم باعمار بني آدم كان عمر آدم ألف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعمائة وستون سنة جاءه اليه ملك الموت ليقبضه فقال آدم عجلت علي يا ملك الموت قال ما فعلت بل أنت بتوفيت أجلك قال آدم فبقي من عمري أربعون سنة قال انك قد وهبتها لابنك داود قال ما فعلت ولا وهبت له شيأ فانزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهودا ثم ان الله تعالى أكمل لآدم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فامر الله بالكتاب والشهود من يومئذ (قال) ابن اسحق وغيره ثم ان آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لانه صفي الرحمن فدفنته الملائكة وشيث واخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي أول قرية كانت في الارض وكسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهن فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله اليه حنوط وكفن من الجنة وولت الملائكة غسله ودفنه فغسلته بالسدر والماء وترا وكفنوه في ثلاثة ثياب ثم حملوه ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل تقدم أنت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهي الصلاة وأما خمس وعشرون فهي تفضيل لآدم * وقد اختلف في موضع قبره فقال ابن اسحق في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار أبي قبيس وهو غار يقال له الغار الكبير * وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال مات آدم على جبل بود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم في السفينة فلما خرج من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكان وفاة آدم يوم الجمعة وعاش حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله أعلم

(باب في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام)

قال الاستاذ خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه في أحسن صورة وأقسم عليه فقال عز من قائل والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ولقد أهبط حين عطس ثم قال له يرحمك بلى فسبقت له رحمته غضبه وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا كد وأباح له بها كل ثمرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود له وأمرهم بالتلقين وجعله أبا البشر وجعل خليفته في الارض وعرف الملائكة نسله عليهم ولعن ابليس من أجله مع كثرة عبادته وعاتب الملائكة بسببه وهو أول حامد وأول تائب وأول مجتبى وأول مصطفى وأول خليفة لله في الارض وهو المميز للارواح قبل تميزه من الطينة وهو الباعث يوم القيامة بعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائص صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله أعلم

(مجلس في ذكر النبي ادريس عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا * قال أهل العلم بأنساب الماضين وقصص النبيين هو ادريس بن برد وقيل يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم واسمه أخنوخ وسمي ادريس لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث وأمه شوث وكان ادريس أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من نظر في علم النجوم والحساب بعثه الله الى ولد قابيل ثم رفعه الى السماء وكان سبب رفعه الى السماء على ما قال ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس فقال يارب اني مشيت في الشمس يوما فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خففت عني حر الشمس فما حال الذي قضيت عليه فقال

وافقني بهذا الجبة
وأخرج ما فيها وأمسكه
عندك فاذا فتشني
وفرغت من أمري
فصل الرشيد
وأدفع له ما تجده في
الجيب وأقرئه مني
السلام قال فلما كان
الغد وصل الى تلك
الخيمة فوجد فيها
ما ذكر رحمة الله تعالى عليه
قال فتأسفت عليه أسفا
شديدا ثم اغتسلت في
غسله وتجهيزه وكفنته
وصليت عليه في الخيمة
وحفرت قبره بها كما قاله
ثم فتشت جيبه فرأيته
فيه يا فوتة تساوي ألف
دينار قال فتعجبت من
ذلك وقلت والله لقد
زهد في الدنيا كل الزهد
قال فلما فرغت من أمره
وانصرفت من عنده
انتظرته فرجع من زيارة
الرشيد فلما خرج في
موكبه تعرضت له في
بعض الطريق ودفعت
اليه الياقوتة فلما رآها
خر مغشيا عليه فاحتوشني
الخدم وداروا بي فلما
أفاق قال لي ما حملك
أيها الشيخ على ما فعلت
أخذ بيدي وسحبني الى
مجلسه وقال يا أخي
ما فعل الله بصاحب هذه
الياقوتة فقلت له مات
الى رحمة الله تعالى ثم
وصفت له كل ما كان منه
قال فعل الرشيد يبكي
ويقول انقطع الولد
وغاب الوالد ثم نادى
يا خلانة فجاءت امرأة

(وروى) عن ابن عباس أنه قال من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالمأثم وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم فى النهى عن الشعر سواء قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سريانى وانما يقول الشعر من تكلم بالعربية فلما قال آدم مرثيته فى ابنه هابيل وهو أول شهيد على وجه الارض قال آدم لشيث يا بنى انك وصيى فاحفظ هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية وقال الشعر فنظر فى المرثية فاذا هو بسجع فقال ان هذا لقوم شعرا فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا فزاد فيه ولا نقص حرفا من ذلك فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح
وقابيل أذاق الموت هابيـ * ـل واجزيا لقد فقد المليح
ومالى لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
وجاءت شعلة ولها رنين * لها بلها وقابلها يصيح
لقتل ابن النبى بغير جرم * فقلبى عند قتلته جريح
وجاورنا العين ليس يفنى * عدو لا يموت فنستريح

(وقالت حواء)

دع الشكوى فقد هلكا جميعا * بموت ليس بالثمن الربيح
وما يغنى البكاء من البواكى * اذا ما المرء غيب فى الضريح
فآبك النفس وانزل عن هواها * فلست مخلدا بعد الذبيح

فاجابها ابليس لعنه الله شامتا بهما

تخير عن البلاد وما كنتما * ففى الجنات ضاق بك الفسيح
وكنتما بها وزوجك فى رضاه * وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدتى ومكرى * الى أن قاتل الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحى * يكفلك من جنان الخلد ريح

(وقال) سالم بن أبى الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ثم أتى فقيل له حيالك الله وأضحكك ولا أبكاك قال والماضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمس سنين ولد له شيث وتفسيره هبة لله يعنى أنه خلف الله من هابيل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق فى كل ساعة منها وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصى آدم وولى عهده وأما قابيل فقيل له اذهب فذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يأمن من رآه فاخذ بيد أخته اقليما وذهب بها الى عدن من أرض اليمن فاتى اليها ابليس وقال له انما كانت النار قربان أخيك لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أيضا أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها قال وكان لا يعبر بواحد من ولده الا رماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن له فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبو لك قابيل فرمى الاعمى أباه قابيل فقتله قال فقال ابن الاعمى انه أبو لك فرفع يده فلطمه فمات فقال الاعمى ويل لى قتلت أبى برميتى وقتلت ابنى بلطمتى قال مجاهد فعلقت احدى يدى قابيل الى نخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيامة ووجهت الى الشمس حيثما دارت وعليه فى الصيف حظيرة نار وفى الشتاء حظيرة ثلج قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع الطبول والمزامير والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والاوثان والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان فى زمن نوح عليه السلام وبقى نسل شيث عليه السلام والله أعلم

(الباب العاشر فى ذكر وفاة آدم عليه السلام)

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الاخبار ان آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث

فاخذ الدرهم والدانق وتوجه فلما كان العد أتيت الى الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى انه لم يات هنا الامن السبت الى السبت فلما جاء السبت جئت اليه فوجدته فلما رانى تبسم فقلت له باسم الله على الشرط الذى تعلمه فقال نعم وسار معى نقدم يومه كما تقدم وزاد على ذلك فدفعت اليه الاجرة فاخذها وسار فلما كان السبت الثالث أتيت الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى انه ضعيف فى خيمة فلانة وكانت امرأة عجوزا لها خيمة فى الجبانة وكانت مشهورة بالصلاح والعبادة قال فصرت اليها فوجدت الشاب بها وهو مضطجع على الارض وليس تحته شئ وتحت رأسه لبنة ووجهه يتهلل نورا فقلت فسلمت عليه فرد على السلام فقعدت عند رأسه أبكى على صغر سنه وغربته ثم قلت له حبيبى ألك من حاجة فقال نعم اذا كان فى غد تأتى ههنا عند الضحى تجدنى ميتا فغسلنى وكفنى فى هذه الخيمة واحفر قبرى بها ولا تعلم بذلك أحدا

سار وت وعزر يائيل واغا غيرا اسمهما لما اقترفا الذنب كما غير الله اسم ابليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم وأهبطهم الى الارض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فاما عزر يائيل فانه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه الى السماء فاقاله ورفعه وسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطاطا رأسه حياء من الله تعالى وأما الآخران فانهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله تعالى الاعظم وصعدا الى السماء قال قتادة فحدثني علي بهما شهرا حتى افتتنا وذلك انهما اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء قال علي رضي الله عنه كانت من أهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رأياها أعجبت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فابت الا ان يصنما صنمها فعلا ثم انصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فقالت لا والله لا أفعل حتى تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي نفسها من الميل اليهما ما فيها فراوداها عن نفسها فابت وعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله أمر عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بها فرأته وزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا قال علي رضي الله عنه والسدي الكلبي انها قالت لا تدركاني حتى تعلماني الذي تصعدان به الى السماء فقالا اصعدي باسم الله الاعظم فقالت فما تمام دركي حتى تعلمانيه قال أحدهما لصاحبه علمها فقال اني أخاف الله فقال الآخر فاين رحمة الله تعالى فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا *قال الاستاذ فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها قال آخرون هي هذا الكوكب الاحمر واسمها بالفارسية ناهيد وبالقبطية باذخت يدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به يحيى بن اسمعيل باسناده عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى سهيلا قال اللهم ان الله سهيلا انه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فانها فتنت ملكين هاروت وماروت *وقال مجاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي اروق الكوكب يعني الزهرة فاذا طلعت فايقظني فلما طلعت أيقظته فلما نظر اليها سبها وشتمها فقلت يرحمك الله تسب نجما مسلما فقال انه كانت بغيا فلق الملكان منها ما لقيا وكذلك قال ابن عباس وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله تعالى قواما للعباد وأقسم بهن فقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وانما كانت التي فتنت هاروت وماروت امرأة تسمى زهرة لجمالها فلما زنت مسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر تلك المرأة لموافقة اسمها لهذا الاسم فلعنها وكذلك سهيل العشار كان رجلا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النجم الموافق اسمه لاسم هذا الرجل لعنه يدل على ما روى قيس بن عباد عن ابن عباس في هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء بالحسن والجمال كفضل هذه الزهرة على سائر الكواكب فلما وقعا فيما وقعا وعلما السحر وصارا بعد ما كانا ملكين بشرين عصوا الله تعالى فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما علما من ذلك فصعدا الى ادريس عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله تعالى وقالا له انا رأيناك تصعد لنا من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاشفع لنا الى الله تعالى قال فجعل ادريس ذلك تخييرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع فهما يعذبان *واختلف العلماء في كيفية عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال مقاتل كبلا من أقدامهما الى أصول أفخاذهما وقال مجاهد لي جب نارا فجعلا فيه وقال عمرو بن سعيد هما معلقان منكسان في السلاسل يضربان بمقاط أحديد *وروي ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما من رقة أعينهما مسودة وجوههما ليس بين أسنتهم وبين الماء الا أربعة أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من أنت قال رجل من الناس قالا له ومن أي أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أو بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فحمد الله تعالى وأظهر الاستبشار فقال جبريل وهم استبشار كما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا *وروى هشام عن عائشة أنها قالت قدمت

سألني الصبية فقلت
له يا أمير المؤمنين ان لي
في والدك عظة وعبرة ثم
مضيت من عنده حزينا
على ذلك الشاب رحمه
الله تعالى ورضي عنه
*(وحكى عن الاصمعي
رضي الله تعالى عنه انه
قال) *بينما أنا في سنة من
السنين الى بيت الله
الحرام وزيارة النبي عليه
أفضل الصلاة والسلام
فبينما أنا في الطريق
اذا برجل اعرابي بيده
سيف عريض ورمح طويل
كان يقطع بهما الطريق
لانخذ أسباب المسلمين
وأموالهم فلما دنا مني
أراد أن يأخذ أسبابي
فاسرعت نحوه وسلمت
عليه فرد علي السلام ثم
قال من أين الرجل فقلت
له فقير وعابر سبيل فقال
ما صناعتك فقلت اقرأ
القرآن وأعلم الصبيان
المسلمين فقال ربما يكون
القرآن فقلت كلام الله
عز وجل فقال أوتيته
كلام فقلت له نعم فقال
الاعرابي فانشدني من
كلامه شيئا قال الاصمعي
فقرأت بسم الله الرحمن
الرحيم وفي السماء رزقكم
وما توعدون فسري
الاعرابي عني وقبله ورجعه
وقال يا قاطع طريق
وخائن سبيل رزقه في
السماء وتطلبه في الارض
ثم تاب الى الله تعالى
وعاهده أن لا يعود الى

تعالى ان عبدى ادريس سألنى أن أخفف عنك ثقلها وحرها فأجبته الى ذلك فقال يارب اجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلة فاذن الله له فكان ادريس يسأله وكان مما سأله أن قال أخبرت انك أكرم الملائكة على ملك الموت وأمكنهم عندك فاشفع لى اليه ليؤخر أجلى فأزداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسى فقال أنا مكلمه لك وما كان يستطيع أن يفعل لاحد من بنى آدم فهو فاعله لك ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم انه أتى الى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة فقال له أفعل لك كل شئ أستطيعه فقال لى صديق من بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك الى ولكن ان أحببت أعلمته أجله ومتى يموت فيتقدم فى نفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فأخبره باسمه وقال انك كلمتنى فى انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال انى لاجده يموت عند مطلع الشمس قال فانى أتيتك وتركته هنالك فقال له فانطلق فلا أراك تجده الا وقد مات والله ما بقى من أجل ادريس شئ فرجع الملك فوجده ميتا *وقال وهب كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض جميعهم فى زمانه فعجبت منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن الله فى زيارته فأذن له فأتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكره وقال له فى الليلة الثالثة انى أريد أن أعلم من أنت قال انا ملك الموت استأذنت ربى أن أزورك وأصاحبك فأذن لى فى ذلك فقال له ادريس ليس لى اليك حاجة قال وما هى قال اقبض روحى فأوحى الله تعالى اليه أن اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فاكون له أشد استعدادا ثم قال له لى اليك حاجة أخرى قال وما هى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة فأذن له فى ذلك فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا يفتح لى أبواب النار حتى أردها ففعل ذلك ثم قال فكما أريتنى النار فأرنى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا كحكايتهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فانه باذنى دخل الجنة وبامرى لا يخرج فهو حى هنالك فتارة يعبد الله فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة والله أعلم

(قصة هاروت وماروت)

قال الله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الآية قال أهل التفسير ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف فى مدة ملك سليمان هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس ما ملككم سليمان الا بهذه قال السدى وذلك ان شيطانا تمثل على صورة انسان فاتى نفرا من بنى اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا ينفد أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت كرسى سليمان وذهب معهم فاراهم المكان وقام ناحية فقالوا له أدن فقال لا ولكنى ههنا فان لم تجدوه فاقتلونى وذلك انه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسى الا احترق ففعلوا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب فاما علماء بنى اسرائيل وسلطانهم فقالوا معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان فان كان هذا علمه فقد هلك سليمان وأما الجهال والسفلة فاقبلوا على تعلمه وروفعوا كتب أنبيائهم فانزل الله هذه الآية اظهار العذر سليمان وبيانا لبراءته فهذه قصة الآية *وأما قصة هاروت وماروت فقال المفسرون ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بنى آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك فى زمن ادريس النبى عليه السلام عيروهم بذلك وأنكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء فى الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغى لنا أن نعصيك قال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم قال الكلبى قال الله تعالى اختاروا ثلاثة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت وعزابيا وهو

بعثت المائة الى نساء المسلمين صباح الوجوه من بني قابيل فاستبشر النساء الرجال ثم كثروا ما شاء الله
قال مائة أخرى لو نظرنا ما فعل اخوتنا فهبطوا من الجبل اليهم فاستبشرتهم النساء ثم هبطوا بنو شيث كلهم
ظهرت المعصية وتناكحوا واختلطوا وكثر بنو قابيل حتى ملؤا الارض وأكثروا الفساد فبعث الله اليهم
يهم نوحا وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويخوفهم بأسه
يحذرهم مضارته كما أخبر الله تعالى بقوله فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا وقال
الى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين
(روى) الضحاك عن ابن عباس انه قال ان نوحا كان يضرب ثم يلقى في البيت ثم يلقى في بيته فيرون انه قد
ت ثم يخرج فيدعوهم حتى ابن من ايمان قومه فبعد ذلك جاء جبريل ومعه ابليس وكأعلى عصا فقال
يس انظر الى هذا الشيخ اياك أن يغرك فقال يا أبت مكني من العصا فاعطاه العصا فقال ضعني في الارض فوضعه
شيء اليسير فضربه بالعصا فقال نوح رب قد ترى ما يصنع بي عبادك فان يكن لك في عبادك حاجة فاهدهم
ان يكن غير ذلك فصبرني الى أن تحكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين فأوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك
لا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فآيسه من ايمان قومه وأخبره انه لم يبق في أصلاب الرجال ولا أرحام
نساءهم من فعند ذلك دعا عليهم وقال رب انهم عصوني الآية الى قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق
نسرا وقد أضلوا كثيرا وهي أسماء أصنامهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله تعالى رب لا تذر على الارض
ن الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا ضلالا
ى هلاكا ودمارا فأجابه الله دعاءه وأمره أن يصنع الفلك كما قال تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا الآية قال
ح يا رب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء حتى أعرف أهل المعصية وأرجم أرضي منهم قال
ح يا رب أين الماء قال يا نوح اني على ما أشاء قدير قال نوح يا رب وأين الخشب قال انطر الى الشجر فغرس الساج
أنى على ذلك أربعون سنة وكف في تلك المدة من الدعاء فلم يدعهم فاعقم الله تعالى أرحام نسائهم فلم يولد لهم ولد
لما أدرك الشجر أمره ربه أن يقطع الشجر فقطعوه سنة ثم قال يا رب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله أزور
لى ثلاث صدور ورأسه كرأس الايل وعينه كعين الطير وذنبه كذنب الديك ثلاثا وارسمها هاهنا وابعثها
بوابا في جنبها واجعلها ثلاث طبقات واجعل طولها ثلاثين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء
لاثين ذراعا والذراع الى المنكب هذا قول أهل الكتاب ثم بعث الله جبريل يعلم نوحا صنعة الفلك وكان نوح يقطع
لشجر ويضرب الحديد وهي عدة الفلك من القار والخشب يعمرون عليه وهو في علم نبي من ذلك
يقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة ثم يقولون الا ترون الى هذا المجنون يبني في البر على الماء
يضحكون منه وذلك قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال نوح ان تسخروا
نا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم وأوحى الله الى
ح ان عجل صنعة الفلك فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما فرغ نوح من اجرائه ما وصفه الله وأمره ان
حتوي معه السفينة فعمل السفينة فطولها ستمائة ذراع وستون ذراعا وعرضها ثلثمائة وثلاثون ذراعا وطولها في
لسماء ثلاثمائة وثلاثون ذراعا هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك وطلاؤها القار داخلها وخارجها وهي
لدسر وهي مسامير الحديد ودلك قوله تعالى وحملناه على ذات ألواح ودسر وفجر الله له عين القار تحت السفينة
على غليانا حتى طلاها فلما فرغ من صنع السفينة أوحى الله اليه أن احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع
طير والأنعام كلها حتى لا ينقطع نسلها وحشرها الله اليهم من البر والبحر والسهل والجبل وقد حمل الله ذرة ان
لتمر وآية بينه وبين نوح وعهد الله اليه فقال اذا رأيت التنور وقد فار فاركب أنت ومن معك على الفلك واحمل
فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور أي عذابنا وهو الطوفان قلنا احمل
فيها من كل زوجين اثنين الآية (واختلف) العلماء في قوله تعالى وفار التنور قال علي بن أبي طالب رضي الله
نه يعني طلع الفجر ونور الصبح وقال ابن عباس انجبس الماء من وجه الارض والعرب تسمي وجه الارض

وقال يا نبي الله
يا رسول الله أخبرني أبي
لكوني اعرابيا والله لولا
ما يحضونهم ويرشانه
قسرا لشكرتك الى
نبيي محمد صلى الله عليه
وسلم قال فتبسم النبي
صلى الله عليه وسلم وقال
أما تعرف نبيك يا أعرابي
العرب فقال الاعرابي
لا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم فما علامة نبيه
فقال آمنت بنبوته ولم
أره ولم وقت برسالته ولم
ألقه فقال النبي صلى
الله عليه وسلم يا أعرابي
اعلم أني نبيك في الدنيا
وشفيعك في الآخرة
قال فاقبل الاعرابي
يقبل قدمي النبي صلى
الله عليه وسلم فقال
صلى الله عليه وسلم مه
يا أخا العرب لا تفعل بي
كما تفعل الاعاجم بملوكها
فان الله سبحانه وتعالى
بعثني لا متكبرا ولا
جبارا بل بعثني بالحق
بشيرا ونذيرا قال فهبط
جبريل على النبي صلى
الله عليه وسلم وقاله
يا محمد السلام يقرئك
السلام ويخصك
بالتحية والاكرام
ويقول للاعرابي
لا يفوتك كرمنا ولا جلنا
فقد احتسبه على
القليل والكثير والفتيل
والقطمير فقال الاعرابي
أو يعاسبني ربي
يا رسول الله قال نعم

امرأة من دومة الجندل جاءت بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر وما تعمل به فقالت عائشة انصرفي يا ابنة أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكي حتى رحمتها ثم قالت اني لأخاف أن أكون قد هلكت ثم قالت كان لي زوج غاب عني فدخلت على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت ان فعلت ما آمرك به جعلته يأتيك فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين فركبت أحدهما وركبت هي الآخر فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل واذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا ما جاء بك فقلت أتعلم السحر فقالا انما نحن فتنة فلا تكفري فأبيت فقلت لا قالا فاذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت لأبول ففزعت فلم أفعل فرجعت فقالا فعلت قلت نعم فقالا هل رأيت شيأ فقلت لم أر شيأ فقالا لم تفعلي شيأ فارجعي الى بلادك ولا تكفري فأبيت فقالا اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجعت اليهما فقلت قد فعلت فقالا ما رأيت قلت لم أر شيأ قالا كذبت لم تفعلي فارجعي الى بلادك ولا تكفري فانك على رأس أمرك فقالا لي اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت اليه فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب حتى ما أراه فجئتهما فقلت قد فعلت قالا فما رأيت قلت رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني وذهب في السماء فلم أره قالا صدقت ذلك اعمالك خرج منك فاذهبي فقلت للمرأة والله ما أعلم شيأ ولا قالا لي شيأ فقالت لا تريدين شيأ الا كان تحذي هذا القمح فابذريه فبذرته ثم قلت له اطلع فطلع فقلت له احصد فحصد فقلت انفرك فقرك ثم قلت انطحن فطحن ثم قلت اخبز فخبز فلما رأيت اني لا أريد شيأ الا كان سقط في يدي فرجعت وندمت والله يا أمير المؤمنين ما فعلت شيأ قط ولا أفعله أبدا * قال الاوزاعي بلغني أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهبها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لأهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابهم صب في ماء الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان حلقة من السلسلة التي ذكرها الله وضعت على جبال أهل الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا دخل النار وخرج لمات أهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل لبكائه وقال أتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وبكى جبريل فقال يا جبريل أتبكي وأنت الروح الامين أمين الله على وحيه قال أخاف ان أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهذا الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نودي من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد أمنكما من غضبه فلا يعذبكما وان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة

(مجلس في قصة نوح عليه السلام)

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه الآية وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن برد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام وأمه قينوش بنت راكيل وقيل بنت كابيل ابن تحوئيل بن أخنوخ أرسله الله تعالى الى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث * قال ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان في رجال الجبل صباحة وفي نسائهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فآجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيأ مثل الذي يزمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم مستمعين اليه واتخذوه عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال والرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فجاء الى أصحابه فأخبرهم بذلك فقوموا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهم وهو قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى * قال ابن عباس كان آدم أوصى أن لا يناكح بنو شيث بني قابيل فجعل بنو شيث آدم في مغارة وجعلوا عليه حفاظا لئلا يقربه أحد من أولاد قابيل وكان الذي يأتيه ويستغفر لهم بنو شيث فقال مائة من بني شيث صباح لو نظرنا ما فعل بنو عنا بعنوت بني قابيل

كنعان الجبال انهم اقتصص من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا (وروت) عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يرحم الله أحدا من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبي وذلك انها لما شعرت علمت ان الماء كان شيء عجيبا شديدا فرجعت به الى الجبل حتى بلغت قلته فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ ربوتها رفعته بيديها حتى ذهب بهما الماء فلو رحم الله أحدا منهم لرحم هذه قالوا ثم طافت السفينة باهلها الارض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعا وقد رفع الله البيت الذي كان بجبهة آدم مسامتا له من العرش وهو البيت المعمور وخبأ جبريل الحجر الاسود في جبل أبي قبيس فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت في الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودي وهو جبل بجزيرة الموصل فاستقرت عليه قال مجاهد تشامخت الجبال وتطاولت لئلا ينالها الماء فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لامر ربه الجودي فلم يغرق فأرست السفينة عليه فذلك قوله تعالى واستوت على الجودي (وقال) ابن عباس استوت السفينة على الجودي وقد بادما على وجه الارض من الكفار ومن كل شيء فيه الروح والاشجار فلم يبق شيء من الحيوانات الا نوح ومن معه في الفلك والاعوج بن عنق فذلك قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين أي هلاكا (قال) ابن عباس كان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب منه من طوله ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله فقال لنوح احملني معك فقال اخرج باعدو الله فاني لم أومر بحملك وطبق الله الماء على وجه الارض والجبال وما بلغ ركبتي نوح بن عنق فلما استوت السفينة على الجودي قيل يا أرض ابلعي ماءك أي انشفي وناسماء أقلعي أي امسكي ماءك وغيض الماء أي ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذا الجور التي في الارض لانها أنجرت بقي في الارض من ماء الطوفان وبقي في الارض أربعين سنة ثم ذهب (وروى) عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا من يخبرنا بالسفينة بعثها فانطلق بهم حتى انتهى بهم الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب سام ابن نوح قال ثم ضرب الكثيب بعصاه وقال له قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهكذا هلكت قال لا بل متنا وانا شباب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكان ثلاث طبقات طبقة منها للدواب والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير فلما كثرت أوراث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث فاكلاه فلما كثر الفأر في السفينة وجعل يعرض حبالها وذلك أنه تولد في السفينة أوحى الله تعالى الى نوح أن اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخريه سنور وسنورة فاقبلا على الفأر فاكلاه فقال له عيسى كيف علم نوح ان البلاد قد يبست قال بعث الغراب فوجد جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فلذلك لا يألف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم أن البلاد قد جفت قال فطوقها بالخضرة التي في عنقها وبدعائها أن تكون في أنس وأمان قال ثم تألف البيوت فقالوا يا رسول الله ألا ننطلق به الى أهلنا فنؤنسهم به قال كيف يتبعكم من لا رزق له ثم قال له عد باذن الله تعالى فعاد ترابا * قال أهل التاريخ أرسل الله الطوفان لثلاث عشرة ليلة خلت من آب ومضى ستمائة سنة من عمر نوح ولتمة ألفي سنة وستمائة وستين سنة من لدن أهبط آدم الى الارض وركب نوح ومن معه في السفينة لعشر خلون من رجب وخرجوا منها في العاشر من المحرم فذلك سمي يوم عاشوراء وأقاموا في الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سلمين صام نوح وأمر جميع من معه من الانس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكرا لله تعالى ويقال ان نوحا وقومه كانت قد أطالت عليهم أحيانهم في السفينة من دوام القتار الى الماء فامروا بالاكتحال يوم عاشوراء الذي خرجوا فيه من السفينة (عن) ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبدا فلما خرج نوح

الغلام كيف بك يا ليث هذا الصريع في كل سنة أم في كل شهر أم في كل يوم فقال يا مولاي اذا استولى داء المحبة على القلب سرى في الاعضاء واذا استولى على الجوارح نشر جناح المحبة على سائر الجسد فيعيش العقل بذكر الحبيب فحسبت على القلب استعرافا وعلى البدن سكونا فيصيبه الجاهل بجنونا قال عبد الرحمن فعلمت ان الغلام من أولياء الله تعالى فقلت له السلام كم تمن هذا الغلام فقال مائتا درهم فقلت وثلاثة عشرون فوزنت له الثمن وأخذت الغلام وأتيت به الى الدار ثم أمرته بالنحول فابى وقال يا سيدي أنا لك أهل فقلت نعم فقال ومن يستطيع النظر الى غير مولاه فقلت له قد أبحت لك ذلك فقال معاذ الله ولكن مهما كان لك من اثاث وأثاث فضعيها وأنا دون الباب قال عبد الرحمن فتركته ثم خرجت له الغد فوجدته قائما فلما كان الليل أخرجت له العشاء فقال اني صائم فاقام عندي في دهليز الدار فخرجت اليه نصف الليل فوجدته قائما يصلي ولم يشعر بي فلما فرغ من صلاته

تنورا وقال قتادة التنور أشرف موضع في الأرض وأعلى مكان فيها وقال الحسن أراد بالتنور الذي يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لآدم ثم انتقل الى نوح فقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته واختلفوا في موضعه فقال مجاهد كان ذلك في ناحية الكوفة (وروى) السدي عن الشعبي أنه كان يحلف بالله ما فار التنور الا في ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور عن يمين الداخل من باب كندة وكان فوران الماء عليا لنوح ودليلا على هلاك قومه وقال مقاتل ذلك تنور آدم وانما كان بالشام في موضع يقال له عين وردة وقال ابن عباس كان التنور بالهند والفوران هو الغليان فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمره الله تعالى (قال) ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوما وليلة فأقبلت الوحوش والطير والدواب الى نوح حين أصابها المطر وسخرت له فحمل منها من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الاوزة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ادخل فيدخل فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان معك فدخل وان كان الشيطان معك كما تنزل بها لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك قال اخرج يا عدو الله قال ما أخرج وما كان بدلك أن تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك (قال) مالك بن سليمان الهروي ان الحية والعقرب أتيا نوحا فقالا احملنا فقال انكما سبب الضر والبلايا فلا أحملكما فالا احملنا ونحن نضمن لك أن لا تضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم يضراه (عن) وهب بن منبه قال لما أمر الله تعالى نوحا أن يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف أصنع بالاسد والبقر وكيف أصنع بالعناق والذئب وكيف أصنع بالحمام والهر قال الله تعالى له من ألقى بينهم العداوة قال أنت يا رب قال فأنا أؤلف بينهم حتى لا يتضار وا فحمل نوح السباع والدواب في الطبقة الاولى فألقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل

وما الكلب خصوصا وان طال عمره * لعمرك ما الحموم دوما سوى الاسد

وجعل الوحوش في الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم في الطبقة العليا وجعل الدرة معه في الطبقة العليا شفقة عليها لئلا يقتلها شئ *واختلفوا في أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى وأهلك الا من سبق عليه القول منهم قال الضحاك كان نوح اذا أراد أن يرسو السفينة قال بسم الله فرست واذا أراد ان تجري قال بسم الله فجرت على الماء فذلك قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها الآية * ومن آمن وما آمن معه الا قليل من هم وكم هم قال قتادة لم يكن في السفينة الا نوح وامرأته وثلاثة من بنيه سام وحام ويافث ونساؤهم فجميعهم ثمانية فأصاب حام امرأته في السفينة فدعا نوح ربه قال فتغيرت نطفته ففاء بالسودان (قال الكلبي) أمر نوح أن لا يقرب ذكر أنثى ما دام في السفينة فوثب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم اجعله عبرة وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كنائن له وقال ابن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن كانوا آمنوا معه وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا سبعين ونوح وامرأته وبنوه الثلاثة ونساؤهم فكان الجميع ثمانية وسبعين نفسا نصفهم نساء ونصفهم رجال وقال ابن عباس كانوا ثمانين انسانا وحمل نوح جسد آدم معه وجعله محورشا حاجزا بين الرجال والنساء * قالوا فلما ركب نوح في الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك في شهر آب بالرومية فلما دخلوها وحمل معهم من حمل تحركت ينابيع الارض والغوط الاكبر وأمطرت السماء كأفواه القرب كما قال تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعني التقى ماء السماء وماء الارض فجعل الماء ينزل من السماء وينبع من الارض حتى كثروا شتد وكان بين ارسال الماء وبين احتمال الماء الفلك أربعين يوما وليلة ثم احتمل الماء الفلك وكان كنعان بن نوح تخلف عن أبيه قال قتادة لم يركب في السفينة فناداه نوح وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وكان عهد

حاسبك ان شاء تعالى
الاعرابي وعزته وجلاله
ان حاسبني لاحاسبنه
فقال صلى الله عليه وسلم
وعلى ماذا تحاسب ربك
يا أيها العرب فقال
الاعرابي ان حاسبني
ربي على ذنبي حاسبته
على مغفرته وان حاسبني
على معصيتي حاسبته على
عفوه وان حاسبني على
بخلي حاسبته على كرمه
قال فبكى النبي صلى الله
عليه وسلم حتى ابتلت
لحيته فهبط جبريل
عليه السلام على النبي
صلى الله عليه وسلم وقال
يا محمد السلام يقرئك
السلام ويقول لك
يا محمد اقلل من بكائك
فقد أدهشت حملة العرش
عن تسبيحهم قل لا خليك
الاعرابي لا يحاسبنا ولا
نحاسبه فانه رفيقك في
الجنة * (وحكي عن عبد
الرحمن بن المهذب رضي
الله عنه انه قال) * مررت
يوما بسوق الرقيق
فوجدت دلالا ينادي
على عبد ويقول أبيعه
على عيبه فقلت للدلال
ما العيب الذي في هذا
العبد فقال يا سولاي
سله فدنوت من الغلام
وقلت ما العيب الذي
فيك فقال يا سيدي
عيوبي كثيرة ولا أدري
بأيها شهرة في فقلت
للدلال أخبرني ما العيب
الذي في هذا الغلام

يتزلون اليمن وكانت مساكنهم بها الشجر والاحقاف كما قال الله تعالى واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر الآية وهو رمال يقال لها ورل عالج وهو ما بين عمان الى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض وكثروا وقهروا أهل الفضل قومهم التي آتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة مالم يعط غيرهم كما قال تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة أي عظما وطولا وقوة وشدة (قال) أبو حمزة الثمالي كان طول كل رجل منهم ستين ذراعا وقال ابن عباس ثمانين ذراعا وقال الكلبي كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا (وقال) وهب كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تطرح فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى أنها صنم يقال له صدى وصنم يقال له هرد وصنم يقال له هبا فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح * وقال محمد بن اسحق بن يسار وهود ابن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وولد شالخ عابر بعد ان مضى من عمره ثلاثون سنة فلما هم عود أن يعبدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما بذكر بغير ذلك فأبوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنوا المصانع وبطشوا فيها بطش الجبارين كما قال تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما عتوا على ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى أضر بهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير من مختلفة أديانهم وكانهم معظم لمكة عارف بحرمتها وكان بمكة يومئذ العمالق وهم ولد العملاق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العمالق اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية واسمها ناهدة بنت الحبيري رجل من عاد فلما فقدوا المطر عن عاد جهدوا وقالوا لهم وافدكم وفدا الى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا وفدهم قيل بن عنز وقيم بن هزال بن سعيد بن هزيل وعميل بن حدين بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان سيدا كتم اسلامه وجلهمة بن الحبيري فنزل معاوية بن بكر ثم بعثوا أيضا لقمان بن عاد بن حدين بن عاد الاكبر فأقاموا كل رجل من هؤلاء القوم ومعهم ثلاثة من قومه حتى بلغ عددهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة ثنان بالحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخوال هود أمه فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمور وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر وكان سيدهم شهرا بمنظرهم شهرا فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يستغيثون من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال يا للشوال وأصهاري هؤلاء معضمون عندي وهم في والله ما أدري كيف أصنع بهم فاستحيين ان أمرهم بالظعن وهي الى ما بعثوا اليه ينظرون أنه ضيق علي بمقامهم عندي وقد هلك من رأهم من قومهم جهدا وعطشا فشكا ذلك الى أصهاره الى ينتيها الجرادتان فقالتا له قل شعرا نغنيهم به ولا يرون من قاله الا ذلك يعنونكم فقال معاوية بن بكر

الا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يغيثنا غماما
فتسقي أرض عاد ان عادا * قد المسوا الايشبون الكلاما
من العطش الشديد فليس نحيا * به الشيخ الكبير ولا الفلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم ايامى
وان الوحش يأتيهم جهارا * ولا يخشى لعادي سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم تماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم يستغيثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود وعليه السلام سرا انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وأنبتم الى ربكم سقيتم فأظهر اسلامه عند ذلك فقال

ثم بكى بكاء طويلا فقالت له أتبكي لعل الله أن يسمع جسمك فيرحمك فبكى وقال يا سيدتي حدثتك نفسي ان الجوان أخو العبودية وأن الندامة وقد ذهب بصري أفعدهما أعتقك الله من جوان بعضهم قال عبد الرحمن فدفعت اليه نفقة أبي فجواها وقال ان المكفل بالارزاق حي لا يموت ثم نسج هاشما على وجهه لا أدري أين ذهب رضي الله تعالى عنه * واشوقاه الى أرباب القلوب * واحسرتاه على فوات المطلوب * يا حبيبي ان الغفلة لو أشرفت على وادي البين لرأيت خيام القوم مضروبة على شاطئ بحر وكانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون أما ليلهم فهم على أقدامهم أما نهارهم فتزهم بالذنوب والآثام هم يستغفرون لذنوبهم السهر وطارقهم من الكرى ببابه بالحبور وظفر البطالة بالثبور نعم هذا ليس بمسجد الحبوبة قد سمعوا وسامع الكلام غير مصغ وقد أدار على العشاق خمرة صرفا يكاد بها يغرق البحرا يا سعد كرر لنا ذكر

ومن معه من السفينة اتخذ في ناحية من أرض الجزيرة موضعا وابتنى هناك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها ان آمن معه وهم ثمانون فهي اليوم تسمى سوق ثمانين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا يعود الطوفان الى الارض أبدا وعاش نوح بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة فكان جميع عمره ألف سنة الا خمسين عاما ثم قبضه الله تعالى اليه هذا هو أكثر أقاويل العلماء وكذلك هو في التوراة وقال عون بن أبي شداد عاش نوح بعد الطوفان ألف سنة الا خمسين عاما وقبله ثلثمائة وخمسين سنة وعلى هذا القول يكون مبلغ عمر نوح ألفا وثلثمائة سنة

(ويروى) انه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ولما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما وجعله ولي عهده وكان ولده سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما وهو بكره فقال يا بني أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين فأما اللذان أنهاك عنهما فالاشراك بالله والكبر فانه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر وأما اللذان أوصيك بهما فاني رأيتهما يكثران الولوج الى الله تعالى قول لا اله الا الله وسبحان الله فان قول لا اله الا الله لو جعلت السموات السبع والارضون السبع في كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع والارضين السبع وما فيهما وأوصيك بسبحان الله فانها صلاة الخلق وبها يرزقون

(ذكر خصائص نوح عليه السلام)

وهي خمس عشرة خصلة لم يسم أحد من الانبياء باسمه وسمي بذلك لكثرة نوحه على نفسه وكان أول نبي من أنبياء الشريعة وأول داع الى الله تعالى وأول نذير عن الشرك وأول من عذبته أمته لرد دعوته وأهلك أهل الارض كلهم بدعائه ويقال ان الله تعالى أوحى اليه بعد الطوفان اني خلقت خلقي وأمرتهم بطاعتي فانتهكوا معصيتي فاشتد ذلك غضبي فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصني وعذبت بذنوب بني آدم جميع خلقي في حلفت اني لا أعذب مثل هذا العذاب أحدا من خلقي بعدها ولكن اجعل الدنيا دولا بين عبادي ثم أجزيهم بأعمالهم اذا اجتمعوا عندي وكان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وقيل له أكبر الانبياء وشيخ المرسلين وجعل معجزته في نفسه لانه عمر ألف سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبالغ أحد من الرسل في الدعوة مثل ما بالغ وكان يدعو قومه ليلا ونهارا واعلانا واسرارا ولم يلق نبي من أمته من الضرب والشتم وأنواع الاذى والبلغاء ما لقي ولذلك قال الله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وجعل ثاني المصطفى صلى الله عليه وسلم في الميثاق والوحي قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وفي البعث هو أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأعطاه الله وعلمه صنعته وحفظه بما فيه وأجراه فوق الماء وسماه شكورا فقال تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وأكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى يا نوح اهبط بسلام منا وبركات علينا وعلى أمم ممن معك الآية (قال) محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وجعل ذريتهم الباقين فهو أول البشر وأصل النسل (ويروى) عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لنوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (قال) عطاء ود عا نوح على حام أن لا يعدو شعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيد ولد سام ويافث فلما هبط نوح وذريته من الفلك قسم الارض بين ولده أثلاثا فجعل لسام وسط الارض فيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون وذلك ما بين قيسون الى شرقي النيل وما بين مجرى الجنوب الى مجرى الشمال وجعل لحام قسم غربي النيل وما بين مجرى ريح الجنوب وما وراءها الى سيحون الى مجرى ريح الدبور وجعل قسم يافث من قيسون فما وراءها الى مجرى الصبا فذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وترك عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

(مجلس في قصة هود عليه السلام)

قال الله تعالى والى عاد أخاهم هودا الى تثقون وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانوا

قال له هود ويحك يا شجاب أسلم تسلم فقال له مالي عندك بذلك إذا أسلمت قال الجنة قال فما هؤلاء الذين أراهم في
سحاب كأنهم الجنت قال هود ذلك الملائكة قال ان أسلمت أيقنت ذلك فهم اقرب ما يكون منك هل رأيت
احدا يقيد من جنوده فقال لو نعلم ما مر بت بفاءت الريح فأهلكته بأصحابه وأهلكته وأفنى الله عادا سوى من بقي
من قومهم بمكة ونواحيها (أخبرنا) الحسين بن محمد الدينوري أخبرنا أحمد بن محمد بن اسحق السني أخبرنا
ويعلى الوصلي أخبرنا اسحق بن أبي اسرائيل وعبيد الله بن عمر القواريري أخبرنا جعفر بن سليمان الضبعي
عبرنا فرقد السنجي عن عاصم عن عمرو البجلي عن أبي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يمر بهم
يم من هذه الامة على طعام وشراب ولهو فيمسون قردة وخنازير ويصبحون خسف وقذف فيقولون لقد
سف الليلة بني فلان وليرسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عادا بشربهم الخمر وأكلهم الربا واتخاذهم
قينات ولبسهم الحرير وقطعهم الارحام قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه
فأتاهم عنده اذا قبل ويجل على ناقة له في ليلة مقمرة فمن أصحاب عاد فأخبرهم بهلاك عاد فقالوا له أين فارقت هودا
صاحبه قال فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة
نور بن يعفر ابن أخي معاوية بن بكر معهم قالوا وقد قيل لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا
نقد أعطيتم مناكم فاختاروا والا نسكم فقال مرثد اللهم أعطني برا وصدقا فاعطي ذلك وقال قيل أختار أن
يبقى ما أصاب قومي فقيل له هلا لك فقال لا أبالي لا حاجة لي في البقاء بعد قومي فاعطاه الذي أصاب عادا من
عذاب فهلك وقال لقمان يارب أعطني عمرا فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع بعرات سمر من أغلب عفر لا يمسها
قطر أو عمر سبعة أنسر اذا مضى نسر حولت الى نسر آخر فاستقر بقاء الابعار واختار عمر النسور فعمر عمر
سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها فيربيه حتى اذا مات أخذ غيره
يزل يفعل مثل ذلك حتى أتى الى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلما لم يق غير السابع قال ابن أخ
لقمان ياعم لم يبق من عمرك الا هذا النسر فقال لقمان يا بن أخي هذا البد ولبد بلساتهم الدهر فلما انقضى عمر لبد
وت النسور غدا لقمان على رأس الجبل ولم ينهض لبد فيها وكانت نسور لقمان لا تغيب عنه طال فلما رأى لبد الم ينهض
النسور وقام الى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان في نفسه وهنا ولم يكن يجده قبل ذلك فلما انتهى الى الجبل
ى نسره لبدا واقفا بين النسور فناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فمات لقمان من وقته وفيه يقول
ل أتى أبد على لبد وقال النابغة الذبياني

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذي أخنى على لبد

ل محمد بن اسحق قال مرثد بن سعد بن سعير مع قول الراكب الذي أخبر بهلاك عاد شعرا

عصت عاد رسولهم فأمسوا * عطاشا ما تبلهم السماء
وبيد وفدهم شهر اليقوا * فأوردهم مع العطش العفاء
بكفرهم بربهم جهارا * على آثارهم عاد العفاء
ألا تزع الاله محلوم عاد * فان قالوهم فمسروهواء
من الرب المهين اذ عصوه * وما تغني النصيحة والشقاء
فنفسي وابتغائي وأم ولدي * لنفس نبينا هود فداء
أتانا والقلوب معلقات * على ظلم ومذهبه الشقاء
لنا سنم يقال له صمود * يقابله سعد ي والهباء
فما بصروه الذين له أثابوا * وأدرك من يكذبه الشقاء
واني سوف ألحق آل هود * واخوته اذا جن المساء

ملحق بهود ومن آمن معه وبني هود ما شاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة
ت علي رضي الله عنه يقول لرجل من أهل حضرموت هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء وأراك وسدر

بعد ... ولا ... تقول ... يبقى
بعرة ... بيسة الجنون
قال فتقربت اليه فاذا
هو شاب ... فيه ... ابن
وعليه جبتان ... وفيه
باليه وهو يقول ... بالمن
ذا في سلاوة ... بته كيف
يقطع عن خبره ... تم ام
بزل يردد القول حتى
غشي عليه فقلت لصاحبي
والله ما هو بمجنون وانما
المجنون الذي لا يصل الى
هذا الطعام ولا أتاه
من تعرفه فقال يا با الحكم
تتطرون الى فتى العلل
هواه يشفيه من الداء الذي
به فقال الذي أبلى
بالداء عنده الدواء ولكن
الذي يبتلي ... اه ... يعتبي
فلنا عاذا يعتبني قال بذنوب
الحرام ويجتنب الآثام
ومراقبة الملك العلام
والتهجد بالليل والناس
نيام ثم يبكي طويلا
ويكثر ... من ... الله غفر
أنبأنا ... قاد ... الناقد ...
لس ... من نزل ... هذا
البلد ... ان ... سنا ...
فقال ... لله ... م
المغفرة ... ثوا ... بنا
وجعل يذكر ... اوت ... ي
وتبكي ... ل ... قال
فانصرفنا ... صوفد ... جينا
من استوعبا ... طوعاشه
هل ... بنا بكلامه ووعظه
باهذا هذه ... حالك الحاجبين
من حب ... ما يليه فكيف
بك أيها العاقل اللبيب
يقول ... مولاك فلا تحجب
ويستقصر ... في معصيته

جهلمة بن الابيرى خال معاوية حين سمع قوله وعرف انه قد تبع دين هود عليه السلام

أباسعد فانك من قبيل * ذوى كرم وأملك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين رفد * ورمل وآل ضد والعبود
ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى ونتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر وكان شيخا كبيرا احبسا عنا مرثد بن سعد حتى لا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا الى مكة يستسقون لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم أعطى سؤلى وسؤل وحدى ولا تعطنى فى شئ مما يدعو به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد فدأسهم أن يؤمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم أعط قيلا ما سألك واجعل سؤال الناس سؤاله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان ابن عاد ولم يدخل فى دعوتهم فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فاعطنى سؤلى وقال قيل بن عنز حين دعا واستسقى اللهم لم أجئ لمريض فادا وبه ولا لأسير فافاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فاما وقد هلكنا فانك أنت سحابتك ثلاثة واحدة بيضاء واحدة حمراء واحدة سوداء ثم نادا منادمن السحاب ألا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحب الثلاث فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فنادا ه المنادى يقول اخترت يا قيل رمادا رمددا لم تبق من آل عاد أحدا لا والدا ترك ولا ولدا الا جعلتهم رميما هم عاد الا بنو اللوية المهداو بنوا للويدترهط من هزال بن هزيل بن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة فساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من وادلهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا قال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها أى كل شئ مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها (أخبرنا) الحسن بن محمد بن الحسين أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا الحسن بن عرفة أنبأنا اسمعيل بن عيسى أنبأنا اسحق بن بشر أخبرنى المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أوحى الله تعالى الى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم فخرجت بقدر كيل ولا وزن على قدر مخرج نوح حتى رجعت الارض مما يلى المشرق والمغرب قال فقال الخزان يا رب ان بطيقوها ولو خرجت على حالها لاهلكت ما بين مشارق الارض ومغاربها فاوحى الله اليها ان اخرجى فاخرجى على قدر خرمة الخاتم وهى الحلقة قال فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أى دائمة متتابعة فلم تدع أحدا من عاد الا أهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين جلودهم وتلذه الانفس وانها من عاد لتطن فتحملهم ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا (قال) محمد بن اسحق والسدى بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطيرهم الريح بين السماء والارض فتبادروا البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فاخرجتهم منها فهلكوا فلما أهلكهم الله تعالى أرسل عليهم طيورا سودا فالقتهم فى البحر فالقتهم فيه (قال) ابن بشار لما خرجت الريح على عاد من الوادى قال قيل رهط منهم أحدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم فى ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادى فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمى به فيدق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتدمغهم كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية حتى لم يبق منهم الا الخلجان فمال الى الجبل فأخذ بجانب منه فهزه فاهتز فى يده ثم أنشأ يقول

لم يبق الا الخلجان نفسه * يا لك من يوم دهانى أمسه
ثبات الوطء شديدا بطشه * لم يبق منى جثته وجسته

فقال

لقد بلغت أسماعنا
يا طرب الفقرا
ومالركب الحى مالت
معاطفه
لاشك ان حبيب القوم
قد حضرا
وعند ذا تنثار الاعلام
قد رفعت
يؤمهم علم الوصل قد
نشرا
فمجلس الانس للمحبوب
جمعهم
والكاس قد دار فيما
بينهم سحرا
ومن سقاهم تجلى
لا شبيه له
ما شاء يشبهه شمس ولا
قمرا
فمن أتاه فقير الامر دله
سواه يكتبه من جملة
الفقرا
هذا السماع الذى
تشفى الصدور به
هذا الحبيب الذى قد
سر الفكرا
صوفية عند ما ضاقت
صدورهم
أزال عنهم جميع الشك
والكدرا

(وحكى عن محمد بن الفضل رضى الله تعالى عنه أنه قال)

رأيت شابا راقدا على الارض وقد افترش التراب تحته وهو يئن أنينا شديدا فقلت لصاحبى اعدل بنا اليه فلعله عليل فقال ما هذا عليل هذا من المبين وفى الظاهر أنه من الهائمين فقلت يا

لها بئر الناقة فيرتفع الماء اليها فما ترتفع رأسها الا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتطبخ ثم ترتوي عليهم فيحلبون من لبنها ما شاؤا فيشربون ويدخرون ويعلفون أنعامهم لكن تصدر من غير الفج الذي وردت منه لانها لا تقدر أن تصدر من حيث وردت لانه ضيق عليها قال أبو موسى الاشعري أتيت أرض ثمود فنزعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا فاذا كان الغد من يومهم شربوا من الماء وقد أنبع الله تعالى لهم من البئر وادخروا ما شاؤا قدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا من ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة في الصيف اذا كان الحر تطلع ظهر الوادي فتهرب منها أغنامهم وبقرهم وابلهم وتهبط الى بطن الوادي في حره وجدته فكانت المواشي تنفر منها اذا رأتها واذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادي في البرد والجدة فامتعض ذلك مواشيهم للبلاء والاشتهار فكان مراتعها الجبال فكبر ذلك عليهم حتى عملوا على عقر الناقة فاجتمعوا الى عقرها وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى أم غنم وهي من بني عبيد بن المهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من الابل والبقر والغنم واسم أة أخرى يقال لها صدوق بنت المحيا بن مهر وكانت غنية جميلة ذات مواش كثيرة وكانتا بها تان المرأتان من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا تحتالان في عقر الناقة من كفرهما بصالح بما أضمرت بواشيهما وكانت صدوق عند ابن خال لها يقال له صنيم بن هراوة بن سعد بن الغطريف بن هلال فاسلم وحسن اسلامه وكانت صدوق قد فوضت اليه مالها فانفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح عليه السلام وحثه على ذلك فاطاعت صدوق على اسلامه فعاتبته على ذلك فاظهر لها دينه ودعاها الى الله تعالى فاثبت عليه وأسلمت أولادها فغيبتهم في بني عمها الذين هي منهم فقال لها زوجها ردي علي أولادي فانا أعلم عليها قالت حتى أحالك الى بني عمي وذلك ان بني عم زوجها كانوا مسلمين فابت أن تعاشره بهم فقال لها بنو عمها والله لتعلمينه ولده طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته أولاده ثم ان صدوق وعنيزة احتالتا في عقر الناقة للشقاء الذي كتب عليهما فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال له الحباب فاصرته بعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل ذلك فابى عليها ثم انها دعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها ان هو عقر الناقة وكانت من أوفر الناس جمالا وأكثرهم مالا وأحسنهم كمالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة قدار بن سالف من أهل قدمي واسم أمه قديرة وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا ويزعمون انه كان لزنية رجل يقال له صفوان ولم يكن لسالف ولكنه قد ولد على فراشه فقالت له باقدار أطلبك من بناتي أعاشك على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزا في قومه وذا رهط ومنعة كعزة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نبعث أشقاها رجل عزيز في قومه مثل أبي زمعة فاطاقها قدار ومصدع فاستعانوا بثلاثين امرأة من ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة رهط كما قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون فلهم هديات ابن مبلع خال قدار وكان عزيزا من أهل الحجر ودعبر بن غنم بن دابرة أخي مصدع ونحسلم تذكر أسماؤهم فاجتمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره أوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاكم على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد لا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا أولادهم وولد للعاشر ابن قالوا أن يذبح ابنه وكان بكرا لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة ورأوه ندموا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا فغضبت التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أولادهم فتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله قالوا نخرج فنرى الناس أنا قد خرجنا لسفر فنأتي الغار فنكمن فيه حتى اذا كان الليل ونخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكمن فيه ثم نتصرف بعد ذلك الى رحالنا فنقول ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقوننا ويظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام الليل معهم في القرية وكان يأوي الى مسجد يقال له مسجد صالح يبيت فيه في الليل فاذا أصبح أتاهم وعظهم وذكرهم فاذا أمسى خرج الى المسجد فبات فيه فلما دخلوا الغار وأضمروا انهم يخرجون اليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم صخرة من الغار فقتلتهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على ذلك الى الغار فاذا هم رضخ فرجعوا يصيحون

أو يدعو بالطعام فقالت يا سيدي أي طعام تعني طعام الاجساد أم طعام القلوب فقالت لها مصفهما لي فقالت اما طعام الاجساد فهو القوت المعتاد وأما طعام القلوب فترك الذنوب واصلاح العيوب والتشمر بمشاهدة المحبوب والرضا بالمعلوم والمطلوب وهو اتباعه الخشوع والتقوى وترك الكبر والدعوى والرجوع الى المولى والتوكل عليه في النفس والنجوى ثم انها قامت تصلي فقرأت في الركعة الاولى سورة البقرة الى آخرها ثم شرعت في آل عمران الى آخرها فلم تزل تختم سورة بعد سورة حتى وصلت الى سورة ابراهيم الى قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال فلم تزل تكرر هذه الآية وتبكي الى أن أغمي عليها وسقطت الى الارض فحركتها فاذا هي ميتة رحمة الله تعالى عليها (وحكي عن الاصمعي رضي الله تعالى عنه انه قال) خرجت حاجا الى بيت الله الحرام من طريق الشام فبينما نحن سائرون اذ خرج علينا الف

كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا أمير المؤمنين انك لتنعت لى نعت رجل قد رآه قال لا ولكنى قد حدثت عنه فقال الحضرمى وما شأنه يا أمير المؤمنين فقال فيه قبر النبى هود عليه السلام أنبأنا أبو عمر وأحمد بن أبى العرابى أنبأنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة فى المسجد الحرام بين الركن والمقام أنبأنا الفضل بن يحيى الجندى أنبأنا يونس بن محمد أنبأنا يزيد بن أبى حكيم عن سفيان الثورى عن علقمة عن السائب عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام فى ثلاث البقعة (وفى رواية أخرى) كان النبى من الانبياء اذا هلك قومه ونجا هو والصالحون معه يأتى مكة هو ومن معه يعبدون الله تعالى حتى يموتوا والله أعلم

(مجلس فى قصة صالح عليه السلام)

قال الله تعالى والى ثمود أخاهم صالحا وهو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس وأوديهما الغبيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة ماءها وثمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ما ذكر محمد بن اسحق بن يسار والسدى والكلبى ووهب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخل كلام بعضهم فى بعض أن عادا الاولى لما أهلكهم الله تعالى وانقضى أمرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا فى الارض فملوا فيها وكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم يبنى المسكن من الحجر والمدر فينهدم وهو حى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوا منها وبنوها وجوفوها وكانوا فى سعة من معايشهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين فقالوا أمر الله وعبدوا غيره وأفسدوا فى الارض فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فبعثه الله تعالى اليهم رسولا فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فلم يتبعه الا قليل مستضعفون فلما أبلغ عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فقال اللهم أرهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم أى آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم فى يوم معلوم من السنة فتدعو الهتنا وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح فى شئ مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن جواس وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة يعنى الصخرة المنفردة من الجبل فى ناحية الحجر يتألها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل فان فعلت ذلك صدقناك وآمنا بك فأخذ عليهم صالح الميثاق أنه ان فعل ذلك صدقوه وآمنوا به ثم ان صالحا عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا بصالح ويتابعوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد وكان الحباب صاحبا أوثانهم ورباب بن صمعر وكانوا من أشراف ثمود وكان جندع بن عمرو ابن عم رباب فقال له شهاب ابن خليفة فاراد أن يسلم فنهاه أولئك الرهط فاطاعهم فقال رجل من ثمود

وكانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبى دعوا شهابا
عسوا بثمود كلهم بجمعا * فهبت أن يشيبوا أو يشابا
لاصبح صالح فينا عزيزا * وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل عمرو * تولوا بعده وشدهم ذبابا

فلما خرجت الناقة قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكانت الناقة ومعها سقبها فى أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء يوما ولهم يوم فاذا كان يومها وضعت رأسها فى بئر بأرض الحجر يقال

قربه وأنت فى الغيب الى متى أنت تضيع عمرك ومالك منه نصيب اللهم تب علينا ووفقنا لطاعتك يا حبيب

(وحكى عن محمد بن أبى الفرج رضى الله تعالى عنه أنه قال) احتجت فى شهر رمضان الى جارية تصنع الطعام فرأيت فى السوق جارية ينادى عليها بثمن يسير وهى مصفرة اللون نحيلة الجسم يابسة الجلد فاشتريتها وحملتها وأتيت بها الى المنزل فقلت لها خذى أوعية وامضى معى الى السوق لنشترى حوائج رمضان فقالت ياسيدى أنا كنت عند قوم كل زمانهم رمضان فعلمت انهم من الصالحات فكانت تقوم الليل كله فى شهر رمضان فلما كانت ليلة العيد قلت لها امضى بنا الى السوق لنشترى حوائج العيد فقالت يامولاى أى حوائج العيد تريد حوائج العوام أو حوائج الخواص فقلت لها صفى لى حوائج العوام وحوائج الخواص فقالت ياسيدى حوائج العوام الطعام المعهود فى العيد وحوائج الخواص الاعتزال عن الخلق والتفريد والتغريس للمسجد والتحريد والتقريب بالطاعة للملك المجيد والالتزام ذل العبودية فقلت لها انما

كرهم وأنثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام هاربا
هم حتى لحق الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل ويكنى أبا هدب وهو
شرك فغيبه عنهم فلم يقدروا عليه فقدروا على أصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح
ال له مبدع بن هرم يا نبي الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك أفندلهم قال نعم فدلهم عليه مبدع فأتوا أبا هدب
كاموه في ذلك فقال نعم هو عدي وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله تعالى بهم
ن عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما أصبحوا اصفرت وجوههم الا قدر مضى يوم من الاجل
ا أصبحوا اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أن العذاب واقع
م فلما أمسوا اصفحوا بأجمعهم الا قدر مضى يومان من الاجل ومحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث اذا
جوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح
يه السلام من بين أظهرهم وخرج معه من آمن حتى جاؤا الشام فنزلوا رملة فلسطين فلما أصبح القوم تكفنوا
حنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم بالارض فجعلوا يقلبون أبصارهم
السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد أتتهم صيحة من
سماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق فيهم صغير
كبير الا هلك كما قال عز وجل فاصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولم
ع منهم الا بضاربة متعددة يقال لها ذر بعة بنت شافي وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله لها رجلها
دما عاينت العذاب أجمع نفرت كأسرع شئ يكون حتى أتت قرارها وهو وادي القرى حدما بين الحجاز
لشام فأخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت
(وروى) * أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه
يدخلن أحد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدعوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن
يبكم مثل الذي أصابهم ثم قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية
عث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم رسول
ه صلى الله عليه وسلم عرقى الفصيل حين ارتقى في الغار فمتوا عن آخرهم وعقروها فأهلك الله تعالى من تحت
يم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله
الى فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب وأراهم
سول الله صلى الله عليه وسلم قبر أبي رغال فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم وبحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن
ن الذهب ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه وأسرع السير حتى جاوز الوادي وقال أهل العلم توفي صالح
يه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك انه انتقل من الشام الى مكة بعد ما أهلك الله تعالى قومه وكان
بد الله تعالى هناك حتى مات وكان قد أقام في قومه عشرين سنة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون قال
برنا عبد الله بن محمد بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قتيبة أبو عثمان
ن أبيه عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من أشقى الاولين قال قلت
سوله أعلم قال عاقر الناقة قال يا علي أتدري من أشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله أعلم قال
لله والله أعلم

* (مجلس في قصة ابراهيم عليه السلام والنمروذ) *

و ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن فينان بن أرفخشذ بن سام بن
ح وكان اسم أبي ابراهيم الذي سماه به أبوه تارح فلما صار مع النمروذ قيما على خزائن آلهته سماه آزر وقال
اهد ان آزر ليس اسم أبيه وانما هو اسم صنم وقال ابن اسحق ليس هو اسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى
وج وقيل هو بالغبطية الشيخ الهرم وولد لناحور تارخ بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وهذا
لس يشتمل على أبواب والله أعلم

* (الباب الاول في مولد ابراهيم عليه السلام) *

وما يخرج منهما وما
ينزل من السماء وما
يعرج فيها وهو معكم
أينما كنتم والله بما
تعملون بصير ثم
قالت يا بطال من استأنس
بالله استوحش مما
سواه ومن طلب رضاه
صبر على قضاه ثم غاب
عني فلم أر هارضي الله
تعالى عنها * (وحكى عن
السري السقطي رضي
الله تعالى عنه انه قال) *
أرقت ليلة من الليالي
فلم أستطع الغمض
فقلت في نفسي أخرج
الى المقابر لعلي أعتبر
برؤية القبور والتفكر
في البعث والنشور
فيزول همي وغمي
فخرجت اليها فما وجدت
قلبي متأثرا حالها فقلت
أدخل الاسواق لعلي
بامتلاط الناس نزول
عني الباس ففعلت ذلك
فما انشرح قلبي هنالك
فقلت أفضل الماريستان
وأنظر الى المرضى
والمجانين والى أفعالهم
لعلي أعتبر بأحوالهم
فدخلت اليه فوجدت
قلبي مقبلا عليه فقلت
الهي وسيدي الى ههنا
سعيتني ولاجله من
منازلي أيقظتني فنوديت
في سري ما أتيتنا بك الى
هذا المكان الا لنافيه
نبأ وشان قال السري
فتقدمت الى مكان
المجانين فرأيت فيه
طريقة مسقفة الى

في القرية يا عباد الله ما منع صالح أن أمرهم بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة (وقال) ابن اسحق انما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح عليه السلام بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك ان التسعة الذين عقروا الناقة قالوا لهلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا كنا عجلنا قتله وان كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في أهله فرمتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتى أصحابهم منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته دونه وأخذوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا فقد وعدكم بان العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك (قال) السدي وغيره فلما ولد ابن العاشر يعني قدار وكان ينشب في كل يوم شباب غيره في الجمعة وينشب في الجمعة شباب غيره في الشهر وينشب في الشهر شباب غيره في السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب فاراد وا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد عليهم ذلك وقالوا ما نصنع باللبن لو كانا نأخذ الماء الذي تشرب به هذه الناقة فنسقيها نعاما ونحرثنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر هل لكم أن أعقرها قالوا نعم (وقال) كعب كان سبب عقرهم الناقة امرأة يقال لها ما كانت قد ملكت ثمود فلما أقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة أخرى يقال لها قبال وكانت معشوقة مصدع بن مهرج وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة يشربون الخمر فقالت لهما ما لكما ان أنا كما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة لاجل صالح ونافته فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فان عقرتماها أطعنا كما فلما أتياهما قالتا لهما هذه المقالة فقالا نحن نعقرها (قال) ابن اسحق وغيره فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل شجرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل شجرة أخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقيها وخرجت أم غنم وعنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فراءت لقدار وأسفرت له عن وجهها وحرضته على عقر الناقة فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فاراداها وطعن في لبتها فنحرها وخرج أهل البلدة واقتسموها وأكلوا لحمها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلا منيعا يقال له ضوه وقيل اسمه فارة وروى ذلك مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة فاتى صالح عليه السلام فقيل له أدرك ناقتك فقد عقرت فاقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله الى الجبل فتطاول في السماء حتى ما تناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل أمة أجل فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب قال محمد بن اسحق بن يسار اتبع الفصيل أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع وأشوه ذؤاب ولد مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فانزله وألحقوا الجمع لحم أمه فقال لهم صالح عليه السلام انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيوم الاحد الاول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شيار وفيه يقول الشاعر

أؤمل ان أعيش وان يومي * بأول أو بأهون أو جبار
أو المردي دبار فان أفته * فمؤنس أو عروبة أو شيار

قالوا وكان عقر الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوه عن وقت العذاب وآيته انكم تصبحون غدة مؤنس وجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم

المغار فقطع عن الركب
الطريق فقال رجل
بجانبي امافي هذا
الركب رجل يأخذ
سيفا يردعنا هذا الاسد
فقال امارجل قلا
أعرف ولكني أعرف
امرأة تردمن غير سيف
فقلت وأين هي فقام
وقمت معه الى هودج
قريب منا فنادى يا بنية
انزلي وردي عنا هذا
الاسد فقالت يا أبت
أبطيب قلبك أن ينظر
الى الاسد وهو ذكر
وأنا أنثى ولكن قل له
ابتي فاطمة تقرئك
السلام وتقسم عليك
بالذي لا تأخذه سنة
ولا نوم الا ما عدلت عن
طريق القوم قال الاصمعي
فوالله ما استتممت
كلامها حتى رأيت
الاسد ذاهبا امامنا
* هذا والله دلائل
الصالحين وأمارة
العارفين نفعنا الله تعالى
بهم آمين * (وروي عن
بعض الصالحين رضي
الله تعالى عنه) * انه رأى
بيداء في البادية وهي
تمشي وتفرح وليس
معها أحد فقال من أين
أقبلت فقالت له من عند
الحبيب قال والى أين
تريدين قالت الى الحبيب
قال فما استوحشت
وجعلت في هذه البرية
فرفعت صوتها ونادت

(الباب الثالث في خروج ابراهيم عليه السلام من الشرب ورجوعه الى قومه ومحاجته اياهم في الدين والقائهم اياه في النار وما يتعلق بذلك)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما شب ابراهيم عليه السلام وهو في الشرب قال لامه من ربي قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبي قالت له نمروذ قال فمن رب نمروذ فقالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذي يحدث أنه يغير دين أهل الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال لها فاتاه أبوه آزر فقال له ابراهيم عليه السلام يا أبتاه من ربي قال أمك قال فمن رب أبي قال أنا قال فمن رب نمروذ قال نمروذ فلطمه لطمة وقال اسكت وذلك قوله عز وجل ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ثم قال لابويه أخرجا فاخرجاه من الشرب فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر ابراهيم عليه السلام الى الابل والبقر والغنم والخيل تراح بها فسأل أباه ما هذه فقال ابل وخيل وبقر وغنم فقال ما لها هذه بد من ان يكون لها رب خالق ثم نظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني ربي ما لي اله غيره ثم نظر فاذا المشتري قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر شهر فرأى الكوكب قبل القمر فقال هذا ربي فذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر لانه رأى ضوأها أعظم فلما أفلت قال يا قوم اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين قالوا وكان أبوه يصنع الاصنام فلما صنم ابراهيم الى نفسه جعل يصنع الاصنام ويبسطها ابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم عليه السلام فينادي من يشتري ما يضر ولا ينفع فلا يشتري أحد منه فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضربها برأسها وقال لها اشربي كسدت استهزاء بقومه وبما هم عليه من الضلالة وليلقمها الحجة فشاع بين الناس ما صنع ابراهيم في قومه وأهل قريته فاجتمع قومه في دينه فقال لهم أتحاجوني في الله وقد هدان الآيات الى قوله عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم حتى خصمهم وغلبهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليه السلام دعا أباه آزر الى دينه فقال يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ الى آخر القصة فابى أبوه الاجابة الى ما دعاه اليه ثم ان ابراهيم عليه السلام جاء هو وقومه البراءة مما كانوا يعبدون وأظهر دينه فقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين فالوا ان تعبد أنت قال رب العالمين قالوا تعني نمروذ فقال لا الذي خلقني فهو يهدين الى آخر القصة فشاع ذلك في الناس حتى بلغ نمروذ الجبار فدعاه فقال له يا ابراهيم أرأيت الهك الذي بسببه تدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التي تعلمهم بها على غيره ما هو قال ابراهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويميت قال نمروذ وأنا أحيي وأميت قال ابراهيم كيف تحيي وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فاقتل أحدهما فاكون قد أحييته ثم أعفو عن الآخر فاتركه فأكون قد أمتيته فقال له ابراهيم عند ذلك ان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيأ ولم تقم له حجة فذلك قوله عز وجل فبهت الذي كفر الآية ثم ان ابراهيم عليه السلام أراد ان يري قومه ضعف الاوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله ويجزها الزاما للحجة عليهم بفعل ينتزل ذلك فرصة ويحتال فيه الى ان مضرهم عيد لهم (قال السدي) كان لهم في كل سنة عيد يخرجون اليه ويجتمعون فيه فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم أشتكي رجلي فتولوا عنه وهو مريع فلما مضوا نادى في آخرهم وقد ضعفاء الناس وتالله لاكيدن أصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فسمعوها منه (وقال مجاهد) وقتادة انما قال ابراهيم عليه السلام هذا في سر من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد منهم وهو الذي أفشاه عليه فالوا ثم رجع ابراهيم عليه السلام من الطريق الى بيت الآلهة فاذا في البيت نهر مستقبل باب النهر صنم عظيم يليه أصغر منه الى باب النهر واذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدي الآلهة وقالوا اذا كان حين رجوعنا فرجعنا وقد بارك

بحصولي على مناه فهو
قريب الى القلوب
مفرج الكرب بابتسام
على من عاد يجيب من
دعاه قال السري فقلت
من سألك في هذا
المكان فقالت حاسدون
مبغضون تعاونوا على
وروموني بالجنون وهم
أحق بهذا الاسم مني
وأنشدت تقول
يا من رأى وحشتي
فآنسني
بالقرب من وصله
فآنعشني
يا ساكني لا خلوت من
سكني
دهري وبالمستحيل علي
الزمن
أوحشني ما فقدت منه
فقد
عاد باحسانه يقربني
وجاد أيضا على منعطفا
كذاك قد كنت معتني
عرفني
حسبي من الكون ذي
شغفت به
أصبح صوتا وأصبحت
وكنت في غفلة فنبهني
وكنت فقرا فقد غنيتني
قال السري فقلت لها
ما الاسم فقالت ادع الاسم
يكفيك فاسمعت ينشئ
فبينما هي من كذلك اذ
أقبل سيدها فقال
للموكل عليها أين بدعة
فقال قد دخل عليها
الشيخ السري فكلمها
بكلام أصغت اليه
فدخل عليها فرأى

اختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من أرض الاهواز وقال بعضهم كان
مولده ببابل من أرض السواد بناحية يقال لها كوثا وقال بعضهم كان مولده بالوركاء ناحية في سدود كسكر ثم
نقله أبوه الى الموضع الذي كان به نمروذ من ناحية كوثا وقال بعضهم كان مولده بحران ولكن أبوه نقله الى أرض
بابل وقال عامة السلف من أهل العلم ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمروذ بن كنعان وكان بين الطوفان و بين
مولد ابراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف
وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة ونمروذ الذي ولد في ملكه ابراهيم هو نمروذ بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن
حام بن نوح *(وفي الحديث) ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين
عليهما السلام وأما الكافران فنمروذ و بختنصر وكان نمروذ أول من وضع على رأسه التاج وتجبر في الارض ودعا
الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض
ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه و يقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء *(وقال السدي) *رأى
نمروذ في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا
السحرة والكهنة والقافة وهم الذين يخطون في الارض وسألهم عن ذلك فقالوا له مولود يولد في ناحيتك هذه
السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه قال فامر نمروذ بذبح كل غلام يولد في تلك الناحية تلك السنة
وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا رقيبا أمينا فاذا حاضت المرأة خلى بينه و بينها اذا أمن
المواقعة فاذا طهرت عزل الرجل عنها فرجع آزر وأبو ابراهيم فوجدا مرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها
في طهرها فحملت بابراهيم عليه السلام *(وقال) *محمد بن اسحق بعث نمروذ الى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها
عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها وذلك انها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحبل ولم يبن
في بطنها *(وقال السدي) *خرج نمروذ بالرجال الى العسكر وحبسهم عن النساء فخوفوا من ذلك المولود أن يكون
فمكث كذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأتمن عليها أحدا من قومه الا آزر فدعاه وقال له ان لي الملك
حاجة أحب اني أوصيك بها ولم أبعث الا الثقتي بك فاقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك ولا تواقعها فقال آزر أنا
أشح على ديني من ذلك فاوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت الى أهلي فنظرت اليهم
فلما نظر الى أم ابراهيم لم يتمالك حتى وقع عليها فحملت بابراهيم عليه السلام (قال ابن عباس) لما حملت أم ابراهيم
قال الكهان للنمروذ ان الغلام الذي أخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فامر نمروذ بذبح الغلمان فلما دنت
ولادة أم ابراهيم وأشفقها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في مغارة بليس ثم
لفته في خرقة ووضعته في حلفاء وربطت فاه ثديها بالتها وأنها قد ولدت وأن الولد في موضع كذا فانطلق
أبوه فاخذ من ذلك المكان وحفر له سردابا فادخله فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه
تختلف اليه فترضعه *(وقال السدي) لما عظم بطن أم ابراهيم خشي آزر ان يذبح فانطلق بها الى أرض بين الكوفة
والبصرة يقال لها بورکاء فانزلها في سرب من الارض وجعل عندها ما يصلحها وجعل يتعهدها ويكتم ذلك من
أصحابه فولدت ابراهيم عليه السلام في ذلك السرب فشب فكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وصار من الشباب
بحالة أسقطت عنه طمع الذباحين ثم ذكر آزر لاصحابه أن له ابنا كبيرا فانطلق به اليهم *(قال ابن اسحق) لما
وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلة الى مغارة وكانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام وأصلحت من
شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فتجده حيا يمص ابهامه قال
أبو زريق كانت أم ابراهيم كلما دخلت على ابراهيم عليه السلام وجدته يمص ابهامه فقالت ذات يوم لا تقارن
الى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع سمنا *(قال ابن اسحق)
وكان آزر سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على ابراهيم
عليه الصلاة والسلام في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم عليه السلام في المغارة الا خمسة عشر
يوما حتى جاء الى أبيه آزر فاخبره انه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت في شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا

الى عنقها وهي مشغولة
بذكر الله تعالى قال السري
فقلت للقيم على الجماعين
ما شأن هذه الجارية
فقال جارية اختل عقلها
فحبسناها مولاها فلما
سمعت الجارية كلامه
تنهدت وأنشدت تقول
هذه الابيات شعرا
معشر الناس ما جننت
ولكن
أنا سكرانة وقلبي صاحي
قد غللتم يدي ولم آت ذنبا
غير هتكي في حبه
وافتضاحي
أنا مفتونة بحب حبيب
لست أبغي عن بابه من
براح
فصلاحي الذي رأيتم
فسادي
وفسادي الذي رأيتم
صلاحي
قال السري فلما سمعت
كلامها أقلقني وأبكاني
وهيج لوعتي وأشجاني
فلما رأت دمعي يتحدر
على وجهي قالت
ياسري ما جهلت منذ
عرفت ولا افترت منذ
خدمت ولا قطعت منذ
وصلت ولا عجبت منذ
وقفت وأهل الدرجات
يعرف بعضهم بعضا قال
السري فقلت لها يا جارية
أراك للمعبة تذكرين
وللتوحيد تظهرين فلمن
تحبين فقالت لمن تعرف
علينا باكرامه وتحبب
الينا باتمامه وجاد علينا

الاطفئت ظننت انهم سانغني قال كعب الاحبار وروى قتادة والزهري ما انتفع أحد من الارض يومئذ بنار ولا أحرقت النار يومئذ شيأ الا وثاق ابراهيم عليه السلام ولم يبق يومئذ دابة الا أطفأت عنه النار الا الوزغ فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا قال السدي فأخذت الملائكة يطبخي ابراهيم فاقعدته على الارض فاذا عين ماء عذب ورد أحمر ونرجس قالوا فاقام ابراهيم في النار سبعة أيام قال المنهال بن عمر وقال ابراهيم خليل الله ما كنت أياما قط أنعم مني عيشا في الايام التي كنت فيها في النار (قال) ابن اسحق وغيره وبعث الله ملك الظل في صورة ابراهيم عليه السلام فقعد فيها الى جنب ابراهيم وهو يؤنسه فاتاه جبريل عليه السلام قميص من حرير وقال له يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت ان النار لا تضر أحبابي وألبسه القميص ثم أشرف غرذ من صرح له عال ونظر الى ابراهيم عليه السلام وما شملت انه قد هلك فرآه سالما في روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه وحوله نار تحرق ما جمعوا من الحطب فناداه غرذ يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار حتى لم تضرك يا ابراهيم فهل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فهل تخشى ان أقمت فيها ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم عليه السلام يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رأيت معك في مثل صورتك قاعدا الى جنبك قال ملك الظل أرسله الي ربي ليؤنسني فيها فقال غرذ يا ابراهيم اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته وتوحيده انى ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال له ابراهيم لا يقبل الله منك شيأ ما كنت على دينك هذا حتى تفارقه الى ديني فقال يا ابراهيم لا أستطيع تركك ملتي ولكن سوف أذبحها له فذبحها وقربها ومنع العذاب عن ابراهيم ثم انه قال لابراهيم نعم الرب ربك يا ابراهيم (قال الشعبي) ألقي ابراهيم عليه السلام في النار وهو ابن ست عشرة سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة رضي الله عنها وهي ابنة تسعين سنة وكان مذبحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد بابنها بقيت يومين وماتت في اليوم الثالث (قال ابن اسحق) استجاب لابراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من غرذ وملئهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاوان بن تارخ وهاران هو أخو ابراهيم عليه السلام وكان لهما أخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ فهاران أبو لوط وناحور أبو تنويل وتنويل أبو لابان ورقايا بنت تنويل امرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب وليا وابنا زوجتا يعقوب عليه السلام وهما بنتا لابان وآمنت أيضا به سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم عليه السلام وقال السدي كانت سارة بنت ملك حران وذلك ان ابراهيم ولوطا عليهما السلام انطلقا قبل الشام فلقي ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وكانت قد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها ابراهيم عليه السلام على أن لا يضرها (قال ابن اسحق) فخرج ابراهيم عليه السلام من كوثا من أرض العراق مهاجرا الى ربه عز وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي فخرج حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله تعالى أن يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من فلسطين وهي بريه الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة فبعث الله تعالى نبيا فذلك قوله عز وجل وتجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يعني الشام فبرّكتها أن بعث منها أكثر الانبياء وهي الارض المقدسة وأرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها مهلك الله تعالى المسيح الدجال بباب لد وهي أرض خصبة كثيرة الاشجار والانهار والثمار يطيب فيها العيش للغني والفقير (قال أبي بن كعب) ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض والله أعلم

(الباب الثالث في ذكر مولد اسمعيل واسحق عليهما السلام ونزول اسمعيل وأمها هاجر الحرم وقصة بئر زمزم)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما نجى الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام آمن به من آمن وتابعوه على فراق قومهم واظهار البراءة منهم فقالوا انا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أيها المعبود دون من دون الله

أجبت الدمع طوعا
ملبيا الذي دعاني
وخفت الجفت فيه
ما يوقع الحب فالاماني
قال السري فقلت لسعده
أطلقها وعلى دفع ثمنها
فضاع سعدها وافتقراه
من اين لك ثمن هذه
الجارية قال السري
فقلت لا تحمل وامكث
في هذا المكان حتى
آتيك بثمنها قال السري
فمضيت الى منزلي
وعيناي تذرفان بالدموع
وقلبي بسبب حبها
موجوع وصرت أتضرع
الى الله تعالى وأتوجه
اليه وأتوكل في قضاء
حاجتي عليه فبينما
أنا كذلك اذ قرع قارع
الباب فقلت من بالباب
فقال شيخ من الاخيار
فنظرت فاذا هو شاب
من أحسن الناس
وجها ومعه خادم على
رأسه خمس بدر فقلت
من أنت يرحمك الله
فقال أحمد بن المثنى قد
أعطاني الجبار جل
جلاله وما يتسهل على
بعطائه ورزقه من
الاموال ما يعجز عن
حمله الرجال فبينما أنا نائم
اذ هتف بي هاتف من
قبل الله عز وجل فقال
يا أحمد هل لك في معاملتنا
فقلت وقد زال النوم
عني ومن أولى بذلك
مني فناداني أن اسعل الى
الشيخ السري خمس بدر

الآلهة فى طعامنا أكلنا فلما نظر ابراهيم عليه السلام الى الاصنام والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم تجبه قال مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس فى يده حتى لم يبق الا الصنم الاكبر فعلق الفأس فى عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فلما جاء القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم هو الذى نعلمه صنع هذا فبلغ ذلك نمروذ الجبار واشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عليه أنه هو الذى فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة قاله قتادة والسدى وقال الضحاك لعلهم يشهدون بما نصنع به ونعاقبه فلما أحضروه قالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من أن تعبدوا معه هذه الاصنام الصغار وهو أكبر منها فكسرهن فاسألوهم ان كانوا ينطقون قال النبى صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات كلها فى الله تعالى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذى عرض لسارة هى أختى فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون هذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه آلهتكم التى فعل بها ما فعل حاضرة فاسألوها وذلك قول ابراهيم عليه السلام فاسألوهم ان كانوا ينطقون فقال قومه ما نراه الا كما قال (وقيل) انكم أنتم الظالمون بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكسوا على رؤسهم متحيرين فى أمره وعلموا أنهم لا تنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلما انجهت الحجة عليهم لابراهيم عليه السلام قال لهم أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال عبد الله بن عمران الذى أشار عليهم بتحريق ابراهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد قال شعيب الجبائى اسمه هينون فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قال فلما أجمع نمروذ وقومه على احراق ابراهيم عليه السلام حبسوه فى بيت وبنوا له بنيانا كالخابية فذلك قوله عز وجل قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم ثم جمعوا له من أصناف الحطب وأصناف الخشب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافانى الله تعالى لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تطلب مما تحب أن تدرك لئن أصابته لتحتطبن حطبا وتجعله فى النار التى يحرق بها ابراهيم احتسابا فى دينها (قال ابن اسحق) كانوا يجمعون الحطب شهرا حتى اذا كثر الحطب وجمعوا منه ما أرادوا أشعلوا النار فى كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا باشارة ابليس لعنه الله تعالى حتى لم يتمكنوا من القائه فى النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيدا مغلولا صلوات الله عليه فضجت السموات والارض والجبال ومن فيهن من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين ضجة واحدة وقالوا أى ربنا ابراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره يحرق فى النار فأذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى لهم ان استعان بشئ منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت لكم فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى وبينه فلما أرادوا القاءه فى النار أتاه ملك المياه فقال ان أردت أخمدت النار فان خزائن المياه والامطار بيدى وأتاه خازن الريح فقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم عليه السلام لا حاجة لى اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم أنت الواحد فى السماء وفى الارض ليس فى الارض أحد يعبدك غيرى وروى المعتمر عن أبى بن كعب عن أرقم ان ابراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به بالمنجنيق الى النار فى موضع شاسع فاستقبله جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل فسل ربك فقال ابراهيم عليه السلام حسبى من سؤالى علمه بحالى حسبى الله ونعم الوكيل وفى الخبر أن ابراهيم عليه السلام انما تجابه قوله حسبى الله ونعم الوكيل قال الله عز وجل يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم (قال السدى) كان جبريل عليه السلام هو الذى ناداها بأمر الله تعالى قال على بن أبى طالب رضى الله عنه وابن عباس لولم يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها ولم يبق حينئذ نار فى الارض

على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما السلام وقال يحق لهذا أن يتخذ ربه خليلا ثم قالوا له لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة تخدمهم وابراهيم قاعد معهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشروه باسحق ويعقوب ضحكت سارة واختلف العلماء في العلة الجالبة لضحكها ما هي فقال السدي انما ضحكت سارة حيث رياكلوا من طعامهم وقالت باعجبا الاضياف هؤلاء ناتخدمهم بانفسنا تكرمتهم وهم لا ياكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهم فيما بين خدمه وحشمه وقال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وكانت هي بنت تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة قال السدي قالت سارة لجبريل عليه السلام اتبشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فاخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقال ابراهيم هو لله اذا ذبح وقال مجاهد وعكرمة فضحكت أي حاضت في الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت وقال السدي وابن بشار وغيرهما من أهل الاخبار فحملت سارة باسحق وقد كانت حملت هاجر باسمعيل فوضعتا معا وشب الغلامان فبينما هما يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق اسمعيل فاخذه وأجلسه في حجره وأجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فاجلسته في حجرك وعمدت الى ابني فاجلسته الى جنبك وقد جعلت أن لا تضربني ولا تسوءني وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فلفت لتقطعن بضعة منها وتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فبقيت متحيرة في ذلك فقال لها ابراهيم عليه السلام اخفضيها واتقي أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء ثم ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكنني في بلد واحد وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يعزلها عنها فاوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام أن يأتي بهاجر وابنها مكة فذهب بهم حتى قدم مكة وهي اذ ذاك عضاه وسلم وسمر وبعوا لها نطرح مكة نامي يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ ربوة حمراء فقال ابراهيم عليه السلام لجبريل عليه السلام ههنا أمرت أن أضعهما قال نعم فعندها قال رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ثم انصرف فانبعته هاجر وقالت الى من تكلنا فجعل لا يرد عليها شيأ فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انصرف راجعا الى الشام وكانوا مروا بنبعة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وعطش الصبي فنظرت أي الجبال أدنى من الارض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى انسانا فلم تسمع شيأ ولم تر أحدا ثم انها سمعت أصوات سباع الوادي نحو اسمعيل فاقبلت اليه بسرعة لتؤنسه ثم سمعت صوتا نحو المروة ففعلت وما تريد السعي كالانسان المجهود فهي أول من سعى بين الصفا والمروة ثم عدت الى المروة سمعت صوتا كالانسان الذي يكذب سمعه حتى استيقنت وجعلت تدعو سمع ايل تعني بالله قد أسمعني صوتك فاغثني فقد هلكت وهلك من معي فاذا هي بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت سر به ابراهيم عليه السلام تركني وابني ههنا قال الى من وكلكما قالت وكلنا الى الله تعالى قال لقد وكلكما الى كريم كاف ثم جاءهم ما وقد نفد طعامهما وشرابهم ما حتى انتهى بها الى موضع زمزم فضرب بقدمه فنارت عين فاذا لك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت هاجر تفرغه لها وجعلت تسقي فيما تأخره فقال لها جبريل عليه السلام انها روي يسعت أم اسمعيل تعبسها حبسا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انها عجلت لكانت زمزم عينا معينا وقال لها جبريل لا تخافي الضيعة فان هاهنا على أهل هذه البلدة فانها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها أما ان أباها الغلام سيجيء فيبنيان لله تعالى بيتا هذا موضعه قالوا ومرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا الطير لحائم على ماء فاشرفوا فاذا هم بالماء فقالوا لها حران شئت كلمعك فآنسناك والماء ماؤك فاذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة فلذلك كانت العرب تقول في تلبيتها

لاهم ان جرهما عبادك * الناس طارف وهم تلادك * وهم قديما عمروا بلادك

الله تعالى قال السري فقلت له أخبرني ما الخبر فقال يا أستاذي أتاني البارحة ستات في الثوم فوبخني في المنام وأغلظ علي في الكلام وقال تهين ولية لنا يا عدو الله فانتبهت مرعوبا وقد هانت علي الدنيا وخرجت من جميع ما أملكه لله تعالى وأتاهارب اليه معي أن يقبلني ثم بكى وخرج على وجهه هائما قال السري فالتفت الي أحمد بن المثنى فرآه يبكي وينتحب ودموعه تجري على خده وقد ظهرت آثار القبول عليه فقلت ما يبكيك يا أحمد فقال ما رضي مولاي الى ما نبزني اليه ولا وجدت لما لي قبولا بين يديه أشهدك اني قد خرجت عنه وهو صدقة لوجه الله تعالى قال السري فعلمت ما كان أعظم بركات ما فعل الجميع ثم قلت بعد ساعة وتركت جميع ما كان لها ولبست بجبة من صوف وخرجت من شعب وخرجت هائما على وجهي انفرد بحالها معها وهي تنشد وتقول شعرا

هربت منه اليه
بكيت منه عليه
وحقه وهو ولي
لا زلت بين يديه
حتى أنال وأحظى
ما قد رجوت اليه

(قال الراوي) فاذا نا

وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا العابدون حتى تؤمنوا بالله وحده ثم خرج ابراهيم عليه السلام مهاجرا الى ربه وخرج معلوط عليه السلام وتزوج ابراهيم عليه السلام بابنة عمه سارة فخرج بها يأتمس الفرار بدينه والامان على عبادته لربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من أحسن النساء وأجملهن وكانت لا تعصى ابراهيم عليه السلام في شئ وبذلك اكرمها الله تعالى قال فاتى الجبار رجل وقال له ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء ووصف له حسنها وجمالها فارسل الجبار الى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال له ما هذه المرأة منك فقال هي أختي وتخوف ان قال هي امرأتي أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الي حتى أنظر اليها فرجع ابراهيم الى سارة عليها السلام وقال لها ان هذا الجبار قد سألني عنك فاخبرته انك أختي فلا تكذبيني عنده فانك أختي في كتاب الله عز وجل وانه ليس في هذه الارض مسلم غيري وغيرك ثم أقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم عليه السلام يصلي فلما دخلت عليه ورآها أهوى اليها بيناوالها بيده فيبست يده الى صدره فلما رأى الجبار ذلك أعظم أمرها وقال لها سلي ربك أن يطلق يدي فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فاطلق له يده فاطلق الله تعالى يده *(وفي بعض الاخبار المسندة) انه فعل ذلك ثلاث مرات يقصد أن يتناولها فتيبس له يده فلما رأى ذلك ردها الى ابراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فاقبلت الى ابراهيم فلما أحس بها ابراهيم انفتل من صلاته قال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر وأخدمني هاجر قال محمد بن سيرين كان أبو هريرة اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلك أمكم يا بني ماء السماء *وفي بعض الاخبار ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وسارة حتى كان ينظر اليها من وقت خروجها من عنده الى وقت انصرافها اليه كرامة لها وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جارية ذات هيبة فوهبتها سارة لابراهيم فقالت اني أراها امرأة وضيئة نفذها لعل الله تعالى أن يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أيست فوقع ابراهيم على هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام *روى محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما قال ابن اسحق فسألت الزهري ما الرحم الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت هاجر أم اسمعيل منهم قالوا ثم خرج ابراهيم من مصر الى الشام وهاب ذلك الملك الذي كان بها وأشفق من شره فنزل السبع من أرض فلسطين واستقر بها بئرا واتخذ بها مسجدا وكان ماء تلك البئر معينا ظاهرا وكانت غنمه ترده فاقام ابراهيم عليه السلام بالسبع مدة ثم ان أهلها آذوه فيها ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وايليا يقال لها قطة فلما خرج من بين أظهرهم نضب ماء تلك العين وذهب فندم أهل السبع جميعا على ما صنعوا وقالوا أخرجنا من بين أظهرنا رجلا صالحا فاتبعوا أثره حتى أدركوه وسألوه أن يرجع فقال ما أنا براجع الى بلد أخرجت منه قالوا ان الماء الذي كنت تشرب ونشرب معك منه قد نضب وذهب فاعطاهم سبعة أعنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فانكم اذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معينا ظاهرا كما كان فاشربوا منها ولا تقربنها امرأة حائض ففرحوا بالاعنز قال فلما وقفت على البئر ظهر الماء فكانوا يشربون منها وهي على تلك الحال حتى أتتها امرأة طامث فاغترفت منها فركد ماؤها الذي هو عليه اليوم وأقام ابراهيم عليه السلام ببلده وكان يضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال وانعم فلما أراد الله تعالى هلاك قوم لوط عليه السلام بعث اليه رسله يأمرونه بانظر وج من بين أظهرهم وأمرهم أن يبدؤا بابراهيم عليه السلام ويبشروه وسارة باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل الا مع ضيف ما أمكنه فلما رآهم على صورة الرجال سر بهم ورأى ضيوفا لم يضيف مثلهم مستأنسا جمالا فقال لا يخرج لهؤلاء القوم الا أنا فخرج لهم بعجل سمين حنيذ وهو المشوي بالحجارة فقربه اليهم فامسكوا أيديهم عنه فقال لهم ألا تأكلون فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان لهذا ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى

أمرها من الرفد يعطى
منها بالعتق فلنا بها عناية
ولطف ورعاية فعملت
ليك هذا المال وأطلعتك
على الحال قال السري
فسجدت شكرا لله تعالى
وأخذت بيده أحمد
ومضينا الى المارستان
واذا بالموكل عليها يلتفت
عينا وشمالا فلما رآني
قال مرحبا ادخل عليها
فانها لهفانة ولها عند الله
حرمة ومكانة قال فدخلنا
عليها فسمعناها تقول
شعرا
قد تصبرت الى ان
عيل في حبلك صبري
وكتمت الوجد حتى
ليس يخفى فيك أمري
ان تكن مني راض
لا أبالي طول دهري
أنت لي خير أنيس
يا منى سؤلي وذخري
من يرد يعشق ومن
ويفك اليوم أسري
غيرك اللهم ربي
أنت لي كاشف ضري
قال فبينما هي تنشد اذ
أقبل مولاها وهو يبكي
وينتحب قال السري
فقلت له لا بأس عليك
قد أتيتك بالذي ورثته
في الجارية بربح خمسة
آلاف درهم فقال لا والله
فقلت بربح عشرة آلاف
درهم فقال لا والله فقلت
بربح المثل فقال لا والله
ولو أعطيتني الدنيا بما
فيها لما قبلت منها شيأ

ثم قال عبد المطلب والله لا نضرب في الارض فعسى الله تعالى أن يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون اليهم ماهم فاعلون وتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما ان انبعثت به انفجرت من تحت حوافر دابة عبد المطلب عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب هو نفسه وشرب أصحابه حتى رووا وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله تعالى وايا كم فشربوا وسقوا ثم قالوا قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ان الذي سقاك هذا الماء في هذه الفلاة فهو وساقك زمزم فارجع فرجع ورجعوا معه حتى وافوا مكة فخلوا بينه وبين زمزم ولما بين الليل رأى عبد المطلب في منامه كأن قائلا يقول له يا أيها المدلج احفر زمزم * انك ان حفرتها لم تندم
وهي تراث من أبيك الاقدم * تسقى الحجيج عافلا لم ينعم

فلما بعث عبد المطلب قالوا وأين موضع زمزم قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم قال فغدا عبد المطلب وسما بنا الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تعبدهما وتنحر عندهما فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر اليه فقامت قريش وقالوا والله لا نتركك أن تحفرها وونثنا ومنحر نا عندها وكانت قريش حسدوه على ذلك لانهم أخبروا ان جرهما لما سكنت مكة أودعت في زمزم أموالا وأسلحة للمصطفى صلى الله عليه وسلم لما أخبرت أن الله تعالى باعث في هذه القرية نبيا من صفته وماله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر بذلك عبد المطلب نازعوه في ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطئ الموضع فلم نر بعيد فظهرت له العلامات فكبر فعرفوا انه لم يخطئ فتمادى حتى بلغ الى عثمانين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم ورسيفا هما سيوفا ودروعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شركة قال لا ولكن نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف نصنع قال اجعلوا للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوا القداح التي تضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو فخرج السهمان الاصفران على الغزالين للكعبة وخرج الاسودان على الاسياف والادرع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش قال فعلق عبد المطلب الاسياف والادرع بباب الكعبة وضرب في الباب الغزالين الذهب فكان أول ذهب حليت به الكعبة وكانت الرماة التي تقدمة لعبد المطلب بئر زمزم فلما حفرها وأخرج منها ما أخرج ازداد بذلك في قريش عظما وجاها ومنزلة وعادت الحجيج المياه التي كانت بمكة وقراحها وأقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة مائها لكونها من آبار اسمعيل عليه السلام وافتخر بذلك بنو عبد مناف على قريش وعلى سائر العرب والله أعلم

﴿الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبانيها وأسمائها والمتناهدا﴾

(أخبرنا) أبو عمرو أحمد بن أبي أحمد الفراتي أخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن الوليد المعدل بمكة حدثنا أبو سعيد الفضل بن محمد بن ابراهيم بن الفضل حدثنا عبد الله بن أبي غسان العيشي حدثنا أبو هشام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من ياقوت الجنة والبيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة فبناء الكعبة بناء آدم وان الله تعالى أهبط آدم عليه السلام الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من تحت عرشه وأنزل عليها الحجر الاسود وهو يتلألأ كأنه اؤلؤة بيضاء فأخذه آدم فضمه اليه استئناسا به ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثاقهم فجعله في الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم العصا ثم قال يا آدم تخط فتخطى فاذا هو بارض الهند فمكث هناك ما شاء الله أن يمكث ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فاقبل يتخطى فصار موضع كل قدم قرية ومابين ذلك مطاوز حتى قدم مكة فلقيته الملائكة فقال له برحجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام ثم قال فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فكان آدم اذا طاف بالبيت قال هذه الكلمات وكان آدم يطوف بالبيت سبعة أسابيع

التنا كر بعد المعرفة
أنت الى الآن محجوب
وقلبك مسلوب ثم قالت
أنا بنت سرة قال السري
فقلت لها ما الذي أفادك
الحق بعد انفرادك عن
الناس فقالت شعرا
أفادني كل الذي
ونغص قلبي بالغنى
وقد أزال سيدي
عن باطني ثقل العنا
ان لم يداركني بما
أرجو والا من أنا
قال فلما فرغت من
كلامها بكيت وانتحبت
وهمهمت واضطربت
ثم رفعت رأسها وقالت
يا سيدي ومولاي
فأزاهل التقي ونجا من اتقى
وخاب من هذه البلوى
والشقا فاسألك يا سيدي
الا ما قربت الوصل
والتلاقي فلما هبت عليك
فدني البلاء الا جد
لي في البقاء ثم رفعت
روحها الى الاوج
فركتها فاذا هي ميتة
رحمة الله عليها قال السري
الهما أحد بن المثنى فطار
وقلبه وهو لا يعلم
انتبه واهتز واضطرب
وأصعد الزفرات وأظهر
الحسرات ثم صرخ وسقط
على الارض فحركته فاذا
هو قد مات قال السري
فتعجبت من حالهما وقربه
آجالهما وأخذت في
غسلهما وتجهيزهما
ودفنهما رحمة الله تعالى
عليهما ونفعنا بهما

فكانوا هناك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم وأخذ لسانهم فتعرب بهم فهم أولاده العرب المتعربة * ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة ان يزورها بنها فاذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم عليه السلام مكة وقد ماتت هاجر ويقال انه قدمها راكبا البراق فلما قدمها ذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان مولعا بالصيد نحيف البدن والفرس يتبع والرمح والصراع فقال لها ابراهيم عليه السلام هل عندك ضيافة هل عندك طعام أو شراب قالت ليس عندي شيء وما عندي أحد فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب ابراهيم عليه السلام ودخل اسمعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد فقالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال اقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم عليه السلام ما شاء الله ثم استأذن سارة أن يزور اسمعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهم بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت مكة أكثر أرض الله برا وشعيرا وتمرا ثم قالت له انزل حتى أغسل رأسك وشقك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الايمن ثم جعلت المقام الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاء أحد قالت نعم جاءني شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قال) أنس بن مالك رأيت في المقام أثر أصابع ابراهيم عليه السلام وعقبيه وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بايديهم (وأخبرنا) محمد بن أحمد بن عبدون قال أخبرنا محمد بن حدون بن خالد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا هدبة ابن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسيح الحرشي قال سمعت مسافر بن شيبة يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول أشهد ثلاث مرات اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لا أن طمس الله نورهما لاضاءا ما بين المشرق والمغرب

(الباب الرابع في القول على بقية قصة زمزم)

(روت الرواة) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينا أنا نائم في الحجر اذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثانية جاءني فقال احفر دودة قلت وما دودة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فقال احفر المضنونة قلت وما المضنونة فذهب عني فلما كان من الغد رجعت الى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر زمزم قلت وما زمزم وكانت قد درست وغارماؤها فلما مضت أيام اسمعيل عليه السلام قال بئر يستقي الحجيج منه عند مخر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدل على موضعها وعرف انه قد صدق فغدا بمعوله ومعه الحرث بن عبد المطلب وليس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قريش قاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها من آثار أبينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا فيها فقال ما أنا بفاعل ان هذا شيء خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى تخاصمنا قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاصمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيل قال نعم وكانت من أطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف فركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض اذ ذاك مفاوز نفر بها حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفد ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا انا بمفازة وانا نخشى على أنفسنا أن نصيبنا مثل ما أصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم قال لاصحابه ماذا ترون قالوا ان رأينا تبع لرأيك فامر نا بما شئت قال فاني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة مما يجده من القوة فكل من مات دون صاحبه دفنه في حفرته قال ففعلوا وجلسوا ينتظرون الموت

تنبهها حتى خرجت الى
ظاهر المدينة وهي تنشد
وتقول هذه الابيات شعرا
ياطبيب القلوب أنت
طبيبي
ياسرور السرور أنت
سروري
ياحياة النفوس أنت
حياتي
وأنيسي وأنت نور ونوري
قال السري ثم مضت
حتى غابت عن أعيننا
ثم أتى مولاها وصحبني
وكذلك أحمد بن
المثنى برهة من الزمان
الى أن توفي سيدها
وبقيت انا وأحمد بن
المثنى فعزمنا على الحج
الى بيت الله الحرام
فبينما نحن نطوف
بالكعبة اذا بصوت
مقروح يخرج من كبد
مجروح وهو ينشد
ويقول هذه الابيات
قد نهكت بحبك
كيف لي منك بقرب
فترفق بفؤاد
يشتكي شدة بعدك
تعيث يانفس اذا لا
يضر بك ذنبك
فاسألي العفو جهارا
والرضا من عند ربك
قال السري فاتبعت
الصوت فاذا بامرأة
كالهلال ذاهلة العقل
والبال فلما رأتني قالت
السلام عليك سري
فقلت وعليك السلام
من أنت يرحمك الله
فقالت لا اله الا الله وقع

ولهارأسان فاتبع احدهما صاحبه حتى انتهيا الى مكة فتطوقت على موضع البيت كتطوق الحفة وأمر ابراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فبنى بيتا وقال آخرون أرسل الله تعالى اليه سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير معه الى أن قدم مكة فوقفت في موضع البيت ونودي يا ابراهيم ان على ظلها لا تزد ولا تنقص وقال بعضهم ان الذي خرج مع ابراهيم عليه السلام من الشام لدلالته على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية قالوا فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة وكان ابراهيم عبرانيا واسمعيل عربيا فالهم الله تعالى احدهما لسان صاحبه فكان ابراهيم عليه السلام يقول هلمي لي كيتا يعني هات لي حجرا فيقول له اسمعيل هاك ثفنة فبنيا الكعبة من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي وبنيت قواعدها من حراء فبقي يجر فذهب اسمعيل يبتغيه ثم رجع فوجده قد ركب الحجر في مكانه فقال يا أبت من أتاك بهذا الحجر فقال له أتاني به من لم يكلني اليك ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتني بحجر حسن أضعه على الركن ليكون علما للناس فأداه أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فهاك فأخذها فخرج ابراهيم عليه السلام الحجر الاسود من جبل أبي قبيس وركبه في موضعه فلما فرغ ابراهيم واسمعيل من بناء البيت وأتماه دعوا بهما فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم الى قوله وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم فاجاب الله تعالى دعاءهما وأرسل جبريل عليه السلام اليهما ليعلمهما مناسك الحج فخرج بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم بات بهما حتى أصبح فصلى بهما الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما الى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموضع الذي يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما الى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة فوقف بهما على قزح حتى اذا أسفر الصبح أفاض بهما الى منى فاراهما كيف يرميان الجمار ثم أمرهما النحر وأراهما المنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما الى البيت فاوحى الله تعالى الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس بالحج فقال يا رب وما يبلغ صوتي فقال عليك الاذان وعلي البلاغ فعلا ثبيرا وناداهم بامر الله ان ربكم قد بنى بيتا فحجوه وأجيبوا داعي الله فسمعه ما بين السماء والارض وما بين الاخرمين في أصلاب الرجال وارحام النساء فاجابه كل من آمن بالله من سبق في علم الله تعالى أن يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك (وقال) عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمير ما استقبل ابراهيم عليه السلام اليمن والمشرق والمغرب والشام قط الا الى الحج فاجب لبيك اللهم لبيك وذلك قوله عز وجل وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق الآية فلم يزل البيت على بنائه ابراهيم عليه السلام الى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قبل بعثه بخمس سنين فهدمت قريش الكعبة ثم بنتها وكان السبب في ذلك على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره من اهل الاخبار ان الكعبة كانت رضمة فوق القامة فاراد وا رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه لتسقيفها وكان بمكة رجل مطلبي نجار فهالهم في أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة كانوا يهابونها وذلك أنه كان لا يدنو منها احد الا كشرت وفحصت فاهاها فكانوا يهابونها فبينما هي ذات يوم على جدار الكعبة كما كانت تصنع فبعث الله طائرا فاختطفها فذهب بها وقالت قريش انا نرجو ان الله تعالى قد رضي الأردنا من عمارة بيته وان عندنا علما لا نفيقا ونحسبها وقد كفانا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمس عشرة سنة فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عبد بن عامر بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم طيبا ولا تدخلوا فيها من مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدأ لكم في هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين

هذا الجالس نديم هل الى
في هذا الغرام غريم هل
الشفي هذا الربع أنيس
هل الى في هذه الروضة
جليس فاذا أردت أيها
العبد رضا الرب الغايب
فتقرب اليه قلب منكسر
وجسم نحيف (قيل)
انه لما نزل البلاء على
أيوب عليه السلام أتاه
طاوس السماء جبريل
عليه السلام بامر الله عز
وجل فقال له يا أيوب
سينزل بك مولاك من
البلا والاهوال ما يعجز
عن حمله الجبال فقال
أيوب ان تدم صلتي مواصلة
الحبيب لحبيبه بحبيبه فنودي
يا أيوب استقبل البلاء
واصبر على نزول حكمي
وقضائي وكان السبب في
ابتلائه ان ابليس اللعين
حسد ليوحيل ما له
بانواع الحيل والمكر فلم
يقدر عليه فقال الهي
انك حبيب شكر أيوب
الاه وطاعته اياك سعيه
له في الاموال والاولاد
والارزاق والعافية فاو
سلطتني عليه وسلبته
في ذلك أملاك طرفة
عين فقال الله جل جلاله
اذهب فقد سلطتك عليه
وانه لن يغيره ذلك قال
فاقبل يوم ابتلاه باخذ
الاولاد فزاد اخلاصه
واجتهد فابه الاجتهاد
وفي اليوم الثاني أخذ
الاموال فقام في قوله

خمسة أسابيع بالليل وبالنهار أسبوعا فقال آدم يارب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتي فأوحى الله تعالى اليه اني معمره بنبي من ذريتك اسمه ابراهيم أتخذه خليلا أقضي على يديه عمارته وأنيط له سقايته أوريه حله وحرمه ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه فلما فرغ من بنائه نادى يا أيها الناس ان الله تعالى بنى بيتا فحجوه فاسمع ما بين الخافقين فاقبل من يسمع هذا البيت من الناس يقولون لبيك لبيك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال يارب أسألك لمن مات من ذريتي لا يشرك بك شيأ ان تلحقه بي في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيأ بعثته آمنا يوم القيامة (وروت الرواة) بأسانيد مختلفة ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض كان رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم ويأنس اليهم فهابته الملائكة واشتكت ذلك الى الله عز وجل فنقصه الله تعالى الى ستين ذراعا بذراع آدم فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك الى الله عز وجل فانزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن ثم قال يا آدم اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما كنت تصلي عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام الى مكة ورأى البيت فطاف به (وروى) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام ان لي حرما تحيال عرشي فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم صف به كما رأيت الملائكة يحفون بعرشي فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي قال آدم رب كيف لي بذلك ولا أقوى عليه ولا أهتدي اليه فقيض الله له ملكا فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام اذا مر بروضة وبمكان يعجبه قال للملك انزل بي ههنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمرانا وكل مكان تعداه مفاوز وقفارا ثم بنى البيت فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فأراه المناسك كلها التي يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعا ثم رجع الى أرض الهند فمات على نور * قال أبو يحيى بائع القت قال لي مجاهد لقد حدثني عبد الله بن عباس ان آدم نزل حين نزل بالهند ولقد جع منها أربعين جمعة على رجليه فقلت له يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله والله ان خطوته مسيرة ثلاثة أيام * وقال وهب بن منبه ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض فرأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره قال يارب أما لهذه الارض عامر يسبح بحمدك ويقدس لك غيري قال الله تعالى اني سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدسني وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكري ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتي وأوثره باسمي وأسميه بيتي أطلقه بعظمتي وعلاء وضعت جلالي ثم أجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمتي من حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمتي استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فقد ضيع ديني وخفر ذمتي وأباح حرمتي أجعله أول بيت وضع للناس يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يعجون بالتلبية ضجيجا ويعجون بالبكاء أجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن آثره لا يريد غيره فقد وفد الي وزارني وضافني وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن ينعم ويتفضل ويسعف كلا بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن فهكذا كان بدء أمر الكعبة حرسها الله تعالى ثم كانت على ذلك الى أيام الطوفان فلما كان أيام الطوفان رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة وبعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر الاسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمان ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق عليهما السلام ببناء بيت له يعبد فيه ويذكر اسمه فلم يدر ابراهيم في أي موضع يبنيه فسأل الله عز وجل أن يبين له ذلك (واختلف) العلماء في كيفية بيان ذلك فقال قوم بعث الله تعالى اليه السكينة لتدله على موضع البيت كما حدث سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة ان رجلا قام الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع للناس فقال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ووضع فيه مقام ابراهيم عليه السلام ومن دخله كان آمنا وان شئت أنبأتك كيف بنى ان الله عز وجل أوحى الى ابراهيم عليه السلام أن ابن لي بيتا في الارض فضاق بذلك ابراهيم ذرعا فارسل الله عز وجل السكينة وهي ريح خجوج

(وحكى عن السري
رضي الله تعالى عنه
أنه قال) * حججت سنة
من السنين الى بيت الله
الحرام وزيارة النبي
عليه أفضل الصلاة
والسلام فبينما أنا في
الطريق اذا أنا بامرأة
حسناء ذات جمال بديع
فقلت لها يا جارية أين
تريدين فقالت الى بيت
الحبيب فقلت لها ان
الطريق بعيدة فقالت
بعيدة على كسلان أو ذي
ملالة وأما على العشاق
فهي قريبة ثم قالت
انهم يرونه بعيدا ونراه
قريبا قال فلما وصلت الى
بيت الله الحرام رأيتها
تطوف بالبيت فقالت
يا سري أنا ثالث الخادمة
لولاي حشته بضعفي
فملني بقوته هذه صفات
قوم فارقوا ديار اللهو
ونخلعوا ثياب الزهو آثروا
المحبوب بالنفوس
والاعمار ووقفوا بين
يديه في حال الانكسار
هجروا الراحة في الاوطان
والاوطار فلله درهم
خلعوا ثياب الاصطبار
ومزقوا ستر الاستتار
وافشوا وجدهم مع
كتمان الاسرار ناداهم
بالعناية في الاصلاب
والارحام حرام عليكم ان
تنظروا الى غيري حرام
وجميع لهم مجلس مناجاته
وسقاهم كأس شراب

عتمد فى ان شاء الله من الصابرين * واختلف السلف من علماء المسلمين فى الذى أمر ابراهيم عليه السلام بذبحه
من ابنيه بعد اجماع أهل الكتاب على انه كان اسحق عليه السلام فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر
بن الخطاب رضى الله عنه وعلى بن أبى طالب ومن التابعين وأتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير والقاسم بن
أبى برة ومسروق بن الاجدع وعبد الرحمن بن أبى سابط وأبو الهذيل والزهرى والسدى (روى) شعبة عن أبى
اسحق عن ابن الاحوص قال افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود قال أنا فلان بن فلان ابن الاشياخ الكرام
فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله (وروى) سفيان عن يزيد بن أسلم
عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يارب يقولون يا اله ابراهيم واسحق
ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال ان ابراهيم لم يعدل بى شيأ قط الا اختارنى عليه وان اسحق بادلى بالذبح فهو بغير ذلك
جود وان يعقوب كاظمنى له بالاعزاد فى حسن ظن (وروى) حمزة بن الزيات عن أبى اسحق عن أبى ميسرة قال قال
يوسف عليه السلام الا صبرا أترغب ان تأكل معى وأنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله ابن اسحق ذبيح الله بن
ابراهيم خليل الله * وقال الآخرون هو اسمعيل والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وأبو الطفيل عامر بن
واثلة وسعيد بن المسيب والشعبى ويوسف بن مهران ومجاهد وكان الشعبى يقول رأيت قرنى الكبش معلقين فى
الكعبة (وروى) عمر بن عبيد عن الحسن البصرى انه كان لا يشك فى أن الذى أمر بذبحه من ابنى ابراهيم
عليه السلام هو اسمعيل وهى رواية عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عباس قال المفدى اسمعيل وزعمت اليهود
انه اسحق وكذبت اليهود (وروى) محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظى انه كان يقول ان الذى أمر الله
تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا نجد ذلك فى كتاب الله تعالى فى قصة اسحق وعن ابراهيم عليه السلام وما أمر
به من ذبح ابنه انه اسمعيل وذلك ان الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابنى ابراهيم وبشرناه باسحق
نبيا من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح
اسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ما وعده والذى أمر بذبحه الاسمعيل قال محمد بن كعب القرظى فذكرت
ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت معه بالشأم فقال لى عمر ان هذا الشئ ما كنت أنظر فيه وانى لارا
الشئ ثم أرسل الىّ بعد ليال كان عنده بالشأم وكان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علماء اليهود
فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال له أى ابنى ابراهيم الذى كان أمر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال
والله يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذى كان أمر الله
بذبحه لما فيه من الفضل الذى ذكر انه كان منه بصبره على ما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان
اسحق أبوهم وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما قول صحيح بالاجماع لم يعزه
محمد الله الى غيره * فاما الرواة التى روت عنه ان الذبيح اسحق فاخبرنى أبو عبد الله بن الحسين بن محمد بن العباس
ابن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أراد ابراهيم أن يذبحه اسحق وعن محمد صلى الله عليه وسلم
انه قال الذى فداه الله بذبح عظيم اسحق وأخبرنا أبو عبد الله أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا أبو بكر بن
عبد الله بن ماهان أخبرنا موسى بن اسمعيل أنبأنا المبارك عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد
المطلب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وشفع اسحق بعدى فيقول يارب صدقت نبيك
جدت بنفسى للذبح فلا تدخل النار من لا يشرك بك شيأ قال فيقول الله وعزتى لا أدخل النار من لا يشرك بى شيأ
وأخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحق المزنى قراءة عليه سنة ثلاثة وثمانين وثلثمائة أنبأنا يحيى أبو
زكريا بن محمد بن اسحق بن خزيمة امام الائمة أنبأنا على بن حجر أنبأنا عمر بن حفص عن أبان عن أبى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيرنى بين أن يغفر لنصف أمتى وبين أن أشفع فاخترت شفاعتى
فجوت أن يكون ذلك أعم لامتى ولولا الذى سبقنى اليه العبد الصالح لتجلت منها دعوتى وذلك ان الله تعالى
لما فرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعط فقال اما والذى نفسى بيده لا تجعلنها قبل تربة الشيطان
ممن مات لا يشرك بك شيأ فاغفر له وأدخله الجنة * وأما الرواة التى روت عنه صلى الله عليه وسلم ان الذبيح

وأما البيت الذى فهاجرت أكون
عاصيا لربى وربها
* (وحكى عن الامام
محمد بن ادريس
الشافعى رضى الله تعالى
عنه انه قال) * رأيت
بمكة نصرانيا يدعى
بالاسقف وهو يطوف
بالكعبة فقلت له ما الذى
زهدك عن دين آبائك
فقال بداءة خير امنه
فقلت كيف كان ذلك
فقال وقع لى سحابة
عظيمة ونكتة غريبة
وذلك انى ركبت البحر
فى مركب فلما توسطنا
البحر انكسرت بنا المركب
فخرجت على لوح منها فما
زالت الامواج تدافعنى
حتى رمتنى فى جزيرة من
جزائر البحر فرأيت فيها
أشجارا كثيرة ولها ثمار
أحلى من الشهد وألين
من الزبد ورأيت فيها
نهرا عذبا فقلت الحمد
لله على ذلك فهأنا آكل
من تلك الثمار وأشرب
من ذلك الماء حتى يأتى
الله بالفرج فما هو
النهار وجاء الليل غلبت
على نفسى من الوحدة
والهوام فعلوت شجرة
وجلست على غصن من
أغصانها فنمت على
ذلك الغصن فلما كان
وسط الليل اذا داية على
وجه الماء تسبح الله
تعالى بلسان فصيح
وتقول لا اله الا الله
العزيز الغفار محمد

فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا انتظروه فان أصيب لم تهدموها شيأ وردوناها كما كانت وان لم يصبه شئ فقد رضي الله تعالى بما فعلنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم الى الاساس فافضوا الى حجارة خضر كأنها أسنمة الابل آخذ بعضها ببعض فادخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع أحدهما فلما تحرك الحجر تحركت مكة بأسرها فعلموا أنهم قد انتهوا الى الاساس وقالوا ان القبائل قد اجتمعت لبنائها فجعلت كل قبيلة تجمع على حدتها ثم بنوا فلما بلغوا في البنيان الى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة أرادت أن تضعه في صفة دون الاخرى حتى تحالفوا وتعاقدوا وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوأة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا أربع ليال أو خمس ليال على ذلك ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة أن أبا أمية بن المغيرة كان حينئذ اسن قريش كلها فقال لهم يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه فرضوا بذلك وتواقفوا عليه فكان أول من دخل عليهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين قد رضينا به فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال هلموا الي ثوبا فاتوا به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ذلك حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه قالوا فكانت الكعبة كذلك على مابنته قريش الى سنة أربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحصين بن نمير السكوني عبد الله بن الزبير فقذفوا البيت بالمنجنيق وأخذوا يرتجزون ويقولون

نظارة مثل الفنيق المزبد * ترمي بها عبدان هذا المسجد

ويقال آخرهم

كيف ترى صنيع أم فروة * تأخذهم من الصفا والمروة

أم فروة اسم منجنيق فمالت حيطان الكعبة فمر بيت به من حجارة المنجنيق وانهدم فاحترقت وكان السبب فيه انهم كانوا يوقدون حولها فاقبلت شرارة هبت بها الريح فاحرقت باب الكعبة واحترق خشب البيت (وقال الواقدي) حدثني عبد الله بن زيد قال حدثني عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أبي يوم احترقت الكعبة وقد خلصت اليها النار ورأيت الركن قد اسود وانصدعت منه ثلاثة أمكنة فقلت ما أصاب الكعبة فاشاروا الى رجل من أصحاب ابن الزبير قالوا احترقت بسبب هذا أخذ قبسا في رأس رمح له فطارت الريح به فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والحجر الاسود (وقال) بعضهم كان السبب في ذلك ان امرأة كانت تبخر البيت فطارت شرارة من النار فاحترق البيت وكان أول ما تكلم الناس في القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله وقال قوم ليس من قدرة الله قالوا فهدم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سواها بالارض وكان الناس يناولون بعضهم من وراء الاساس ويصلون الى موضعها وجعل الحجر الاسود عنده في تابوت في خرقة من حرير وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه من ثياب وطيب عند الحجبة في خزانة البيت ثم أعاد بناءه وقال ان أمي اسماء بنت أبي بكر حدثتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ولاحداثة عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم فازيد في الكعبة الحجر وان قريشا أعوزتهم النفقة فاخرجوا الحجر من البيت وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فامر به ابن الزبير فحفر فوجدوا قلالا على أمثال الابل فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال اقروها على أساسها فبناها ابن الزبير وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر فكانت الكعبة على ما بناها ابن الزبير الى سنة أربع وسبعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفي عبد الله بن الزبير وولي الحجاز من قبل عبد الملك ابن مروان فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان بناه ابن الزبير بامر عبد الملك وأعادها الى بنائها الاول بشهادة مشايخ من قريش فهي اليوم على ما بناها الحجاج الا ما كان من قلع القرمطي صاحب البحرين لعنه الله الحجر الاسود عام أوقع بالحجيج بمكة فذهب به معه من أسر من الحجاج الى البحرين ثم أخذ منه ورد الى موضعه وذلك على يد شيخنا أبي اسحق ابراهيم بن محمد بن يحيى البرمكي النيسابوري رحمة الله عليه

(الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده)

قال الله تعالى فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر

الحسن عن أبيه أنه كان يقول ما فدى اسمعيل الا بكبش من الارى أهبط عليه بثبير وهى رواية أبى صالح عن
ابن عباس قال كان وعلا * وروى أبو هريرة عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجال قالوا لما رأى ابراهيم فى
المنام أن يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم والام أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل له
الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها أتدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب
فقال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به منى وأشد حبا له من ذلك فقال لها انه يزعم ان الله أمره
بذلك فقالت له ان كان أمره بذلك فقد أحسن فى امتثال طاعة ربه وفى استسلامه لامر الله تعالى فخرج
الشيطان من عندها راجا حتى أدرك الابن وهو يمشى على أثر أبيه فقال له يا غلام هل تدرى أين يذهب بك أبوك
قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا ذبحك قال ولم قال يزعم ان الله أمره بذلك قال له فليفعل
ما أمره الله به فسمعا وطاعة لامر الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ
قال أريد هذا الشعب لحاجة لى فقال والله انى لارى الشيطان قد جاءك فى منامك يأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه
ابراهيم فقال له البك عنى يا ملعون فوالله لامضين لامر ربى ورجع ابليس اخنأ الله بغيظه لم يصب من ابراهيم
ولا أهله شيأ مما أراد وقد امتنعوا منه بعون الله وتأييده * وروى أبو الطفيل عن ابن عباس رضى الله عنهما ان
ابراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب
الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع
حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم عليه السلام
لامر الله تعالى فهذه قصة الذبح وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى فى ذلك شعرا

ولابراهيم المسوفى بنذره * احتسابا وحامد الاجزال
بكره لم يكن ليصبر عنه * لو رآه فى معشر اقتال
* أبنى انى نذرتك لله شحيطا فاصبر فذلك حالى
واشدد العضد عند جبذى السكين جبذ الاسير للاغلال
وله مسدية تخايل فى اللحم غلاما جينه كالهلال
بينما يخلع السرابيل عنه * فكه ربه بكبش حلال
فدى ذا فدا لابنك انى * للذى قد فعلته لصبور قالى
ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

(الباب السادس فى هلاك النمروذ بن كنعان وما أهل الله تعالى به من نقمته وقصة الصرح)

قال الله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون * روت الرواة بأسانيد مختلفة ان أول جبار كان فى الارض النمروذ بن كنعان وكان
الناس يخرجون اليه ويمتارون من عنده الطعام فخرج اليه ابراهيم يمتار مع من يمتار وكان النمروذ اذا مر به
الناس قال لهم من ربكم قالوا أنت حتى مر به ابراهيم قال له من ربك قال ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى
وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ورد ابراهيم بغير طعام
فرجع ابراهيم الى أهله فر بكثيب أعفر فقال لا تحدثن من هذا أتى به أهلى فتطيب به قلوبهم حتى أن أدخل
عليهم فأخذ ابراهيم منه فأتى به أهله فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هو بأجود دقيق
رأته فأخذته وصنعت منه طعاما فلما أفاق قدمته اليه وكان عهد أهله ان ليس معهم شئ ولا عندهم طعام فقال
لهم من أين هذا قالت من الطعام الذى جئت به فعلم ابراهيم ان الله رزقه فحمد الله وشكره ثم ان النمروذ الجبار
احتاج ابراهيم عليه السلام فى ربه فكان ما يقول ابراهيم حقا فلا أنتهى حتى أعلم من فى السماء فبنى
صرحا عظيما عاليا ببابل ورام منه الصعود الى السماء لينظر الى اله ابراهيم فيما يزعم * قال ابن عباس ووهب
كان طول الصرح من السماء خمسة آلاف ذراع وقال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد الى أربعة

الله قال دقلها فقال تعالى
اسلامك بالترضى عن
أبى بكر وعمر وعثمان
وعلى فقلت ذلك ثم قلت
لها من أخبركم بذلك
فقالت قوم حضروا عند
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسمعوه يقول اذا
كان يوم القيامة تأتى
الجنة فتنادى بلسان
طلق اللهم انك قد
وعدتنى أن تشيد أركانى
فيقول لها الجليل جل
جلاله قد شيدت أركانك
بأبى بكر وعمر وعثمان
وعلى رضى الله تعالى
عنهم أجمعين ثم قالت لى
الدابة تريد أن تكون
عندنا أو الرجوع الى
أهلك فاخترت الرجوع
الى أهلى فقالت امكث
مكانك حتى تأتيك
مركبة فلبثت مكانى
ونزلت الدابة الى البحر
فغابت عن عينى غير
ساعة واحدة حتى مرت
على مركب عليها نوفيا
وركب فاشرب البهم
فحاولونى معهم فطردت
فاذا فى المركب اثنا عشر
رجلا كلهم نصارى
فاخبرتهم بخبرى وقصتى
عليهم قصتى فاسلموا
كلهم فعلمت أن هؤلاء
الاقوام سراعظيما اذ
ببركتهم حصل لنا
الاسلام ونلنا أعلى مقام
ولله الحمد على التوفيق
و بلوغ المرام وأنشدت

اسمعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابي باسناده عن الصباحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا أن الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال علي الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله أعد علي ما أهداه الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحين فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لربه ان سهل الله عليه أمرها ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الابل ففداه بمائتين من الابل والثاني اسمعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفي القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على انه اسحق فهو ان الله تعالى أخبر عن ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشأم مع سارة ولوط وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين انه دعا فقال رب هب لي من الصالحين يعني ولدا صالحا من الصالحين وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له أم اسمعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابة دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم وعن رؤيا ابراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذي بشر به حين بلغ معه السعي وليس في القرآن أنه بشر بولد ذكر الا باسحق وأما الدليل على أنه اسمعيل فساذكره من حديث القرنين وقد صح الخبران قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة الى أن احترق البيت فاحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج وهذا أدل دليل على أن الذبيح اسمعيل * (وأما قصة الذبح وصفته وفعل ابراهيم بابنه عليهما السلام) * قال السدي باسناده لما فارق ابراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجرا الى الشام هاجر بابن ابنه كما قال تعالى وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين دعا الله أن يهب له ابنا صالحا من سارة فقال رب هب لي من الصالحين فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة بشروه بغلام حليم فقال ابراهيم لما بشر به هو اذا لله ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك الذي نذرت قربانا الى الله تعالى وكان هذا هو السبب في أمر الله خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لاسحق انطلق نقرب قربانا الى الله تعالى وأخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا بني اني أرى في المنام أني اذبحك أي رأيت لفظه مستقبلا ومعناه الماضي فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين قال ابن اسحق كان ابراهيم اذا زارها جر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشأم فيقيل بمكة ويروح من مكة فبيت عند أهله بالشأم حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاءه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرمانه رأى في المنام أن يذبحه فلما أمر بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق به الى هذا الشعب ليحتطب فلما نحسلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أمر به وقال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك الآية فقال له ابنه الذي أرادان يذبحه يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن وأشحذ شفرتك وأسرع بمر السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي فان الموت شديد فاذا أتيت أمي فاقرئها مني السلام فان رأيت أن ترد قميصي اليها فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عني فقال له ابراهيم نعم العون يا بني أنت على ما أمرت به ففعل ابراهيم ما أمره ابنه ثم انه أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكي والابن يبكي حتى استتبع الدموع تحت خده ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يجز ولم يعمل السكين شيأ قال السدي وضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا أبت كبني على وجهي فانك ان نظرت الى وجهي رحمتني وأدركتك علي رقة فتحول بيننا وبين أمر الله ففعل ابراهيم ذلك فذلك قوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين ثم انه وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الآية هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر ابراهيم عليه السلام فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقرن فكبر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة قد رعى فيها أربعين خريفا وروي عنه أيضا ان الكبش الذي فدي به هو ابن ابراهيم عليهما السلام هو الكبش الذي قربه هابيل بن آدم فتقبل منه فأرسل ابراهيم ابنه وأخذ الكبش وأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد وحش يعني يبس وروى عمرو بن عبيد عن

الحسن

رسول الله النبي المختار
أبو بكر صاحبه في الغار
عمر مفتاح الامصار
عثمان القتيل في الدار
علي سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم
لعنة الملك الجبار وماواه
جهنم وبئس القرار
فما زالت تقول هذه
الكلمات الى أن طلع
الفجر فلما همت
بالانصراف قالت لا اله
الا الله الملك الحق محمد
رسول الله الهادي
الرشيد أبو بكر الصديق
الصادق الشديد عمر بن
الخطاب سور من حديد
عثمان بن عفان القتيل
الشهيد علي بن أبي
طالب ذو البأس الشديد
فعلى مبغضهم لعنة
الرب المجيد قال فلما
وصلت تلك الدابة الى
البراذا رأسها رأس
نعامة ووجهها وجه انسان
وقوائمها قوائم بعير وذنبها
ذنب سمكة فخفت على
نفسي منها فالتفتت الي
وقالت قف فوقفت لها
فقالت لي ما دينك فقلت
لها دين النصرانية
فقالت بئس الدين
ويحك يا خاسر ارجع الى
دين الحنيفية فانك قد
حللت بفناء قوم من
مؤمني الجن ولا يجوز
منهم الاكل مسلم قال فقلت
لها وكيف الاسلام
فقالت تشهد أن لا اله
الا الله وأن محمدا رسول

فاه فيدخلها في عينه مرة وفي أذنه مرة ثم اذا أدخلها في فيه وعصات في جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم قد سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت فقال للشيخ حين رأى حاله ما بالك يا شيخ تصنع هكذا فقال يا ابراهيم من الكبر قال ابن كم أنت قال كيت وكيت فحسب ابراهيم فوجد عمره يزيد على عمر ابراهيم بسنتين فقال له ابراهيم اما بيني و بينك سنتان فاذا بلغت عمرك صرت مثلك قال نعم فقال ابراهيم اللهم اقبضني قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر ابراهيم مائتي سنة وقيل مائة وخمس وسبعون سنة ودفن عند قبر سارة في مزرعة حبرون

(الباب التاسع في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام)

هو ابراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهو سيد الفتيان (روى) في الحديث انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم يا سيد البشر قال ذاك ابراهيم وهو أبو الضيفان وكان لا يتغدى ولا يتعشى الا مع ضيف وربما مشى ميلين أو أكثر حتى يجد ضيفا وضافته فاطمة الى يوم القيامة وهي الشجرة المباركة التي قال الله تعالى توقد من شجرة مباركة الآية وصح انه دعا الله تعالى أن يجعل النبوة في نسله فاستجاب له وجعل النبوة في شعبي اسمعيل واسحق عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وهو المجعول له لسان الصدق في الآخرين فليس من نبي تجري ألسنة الخلق كلهم بتصديقه وتفضيله ونجعله كل أمة غير نبيه وذلك بدعائه عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الآخرين وهو المبتلى بانواع البلاء والمشهود له بالوفاء قال الله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن وقال وابراهيم الذي وفى أي بما أمر به وهو الامة القانت قال الله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى آخر الآية ومعنى الامة انه كان معلما للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وأنواع الفضل ما يجتمع في أمة كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وهو الذي أوتي رشده من قبل بلوغه وهو امام الموحدين وجعل له لسان الحق في التوحيد قد عا الخلق الى الحق بلسان الحق من صغره الى كبره قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الآية وأول من سماه الله حنيفا مسلما قال تعالى وما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية وهو أول من اختتن (قال) أبو منصور الخشاري حدثنا أبو عباس المعقلي أخبرنا عبد الحكيم أخبرنا ابن وهب أخبرنا يحيى بن نصر قال قرئ على ابن وهب أخبرنا ابن سمعان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال اختتن ابراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة (وأخبرنا) الحسين بن محمد بن طويه أخبرنا أحمد بن خالد بن جعفر أخبرنا الحسن بن عاصية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان ابراهيم أول من أضاف الضيف وأول من ثرد الثريد وأول من لبس النعلين وأول من قسم الفيء وأول من قاتل بالسيف وأول من اختتن واختتن على رأس مائة وعشرين سنة من بلاده ختن نفسه في موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو الفأس وذلك أنه كان وقع بينه وبين العمالقة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق عظيم فلم يعرف ابراهيم أصحابه ليدفنهم فجعل الختان علامة لاهل الاسلام فاختتن يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ السراويل (أخبرنا) الحسن الدينوري أخبرنا أحمد بن شداد بن عمر بن أحمد القطان أخبرنا محمد بن اسمعيل بن حسان أخبرنا وكيع أخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى ابن عيينة قال أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انك أكرم أهل الارض علي فاذا سجدت فلا ترى الارض عورتك فاتخذ السراويل وهو أول من شاب فلما رآه هاله ذلك فقال يا رب ما هذا فقال الوقار فقال يا رب زدني وقارا وهو أول من أقام المناسك بذلك بدعوته حيث قال وأرنا مناسكنا فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو الذي بوأ الله مكان البيت وأراده لذلك مدر وسمي بناه قال الله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية وهو أول من ألقي في النار في الله فجعلت النار عليه بردا وسلاما وهو أول نبي أحيا الله له الموتى بسؤاله حيث قال رب أرني كيف تحيي الموتى الآية وهو

والقمر ولم يسمع الا الانس ما بين السماء والارض فسكت فقلت لمن أنت فقالت لابي بكر الصديق رضي الله عنه فقلت لها امضي الى قصر بعلك فمضت وقلت للثانية لمن أنت فقالت لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقلت لها امضي الى قصر بعلك فمضت ثم قلت للثالثة لمن أنت فقالت للمغتصب بدمه المقتول ظلما وعدوانا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقلت لها امضي الى قصر بعلك فمضت وقلت للرابعة لمن أنت فسكتت ثم قالت يا رسول الله ان الله سبحانه وتعالى خلقني على حسن فاطمة وقد سماني باسمها وزوجني لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه قبل أن يتزوج بفاطمة الزهراء بألف عام * فهم خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وأنصاره وأتباعهم وهم سائرون به يوم القيامة الى دار الكرامة رضي الله تعالى عنهم ورضي الله عنا بهم آمين

(وحكى عن رافع بن عبد الله رضي الله عنه انه قال) قال لي هاشم بن يحيى الكناني ألا أحدثك بحديث يشار أيته بعيني

افراخ من النسور فعلقها باللحم واطيز ورباها حتى شبت واستقلت ثم قعد فى تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه ونشابه وجعل لذلك التابوت بابا من أعلاه وبابا من أسفله ثم ربط التابوت بارجل النسور وعلق اللحم على عصا فوق التابوت ثم خلى عن النسور فطارت وصعدت طمعا فى اللحم حتى أبعدت فى الهواء فقال النمروذ لغلامه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح الباب الاعلى ونظر فاذا السماء على هيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففتح فقال أرى الارض مثل اللجة البيضاء والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لغلامه افتح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودى أيها الطاغى الباغى أين تريد قال عكرمة فامر عند ذلك غلامه فرمى بسهم فعاد اليه السهم متلطخا بالدم فقال كفيت شغل السماء واختلفوا فى ذلك السهم من أى شئ تلطخ فقال عكرمة من سمكة فى بحر معلق فى الهواء بين السماء والارض قربت نفسها الله تعالى وقال بعضهم أصاب السهم طائرا من الطير فتلطخ من دمه ثم أمر النمروذ غلامه أن يصوب العصا وينكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه أمر حدث فى السماء وان الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم أى جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقرأ على وعمر وابن مسعود وان كان مكرهم لتذل منه الجبال بالذال ثم ان الله تعالى أرسل ريحا على صرح النمروذ فألقت رأسه فى البحر فغرق جميعهم الباقى وانقلبت بيوتهم وأخذت النمروذ رعدة وتبلبلت ألسن الناس حين سقط صرح النمروذ من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل الالسنة فيها فذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك ان الله تعالى بعث الى النمروذ ملكا أن آمن حتى أترك لك ملكك قال فهل رب غيرى فجاءه الثانية والثالثة فأبى عليه فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع النمروذ جموعه وجنوده فامر الله تعالى الملك أن يفتح عليه بابا من البعوض ففعل فطلعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمروذ وقومه فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم الا العظام والنمروذ كما هو لم يصبه شئ من ذلك فبعث الله اليه بعوضة فدخلت فى منخره حتى وصلت الى دماغه فمكث أربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كذا قاله كعب ثم ان البعوضة أكلت دماغه وأهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله

(الباب السابع فى ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج ابراهيم وولده)

قال الله تعالى أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد الآية قال أهل العلم بأخبار الماضين ماتت سارة وهى ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبابرة من أرض كنعان فى حبرون فى مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمكة فدفنت فى الحجر فلما ماتت سارة تزوج ابراهيم بامرأة من بعد هاجر من الكنعانيين يقال لها قطورا البنة يقطان فولدت له ستة نفر يقشان وزمران ومدان ومدا وأشبق بن وشوخ وتزوج أيضا بامرأة أخرى من العرب اسمها حجون بنت أهيب فولدت له خمسة بنين كيسان وفروح وأهيم ولوطان ونافس فكان جميع بنى ابراهيم مع اسحق واسمعيل ثلاثة عشر وكان اسمعيل بكره وأكبر أولاده فانزل اسمعيل بارض الحجاز واسحق بارض الشام وفرق سائر ولده فى البلاد فقالوا لابراهيم يا أبانا أنزلت اسحق معك واسمعيل بقربك وأمرتنا أن ننزل بارض الغربة والوحشة قال بذلك أمرت ثم علمهم اسما من أسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون

(الباب الثامن فى ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام)

قال أهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام أرسل اليه ملك الموت فى صورة شيخ هرم فاقبل السدى باسناده وكان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس اذ هو بشيخ كبير يمشى فى الجادة فبعث اليه بحمار فركبه فلما أتاه قدم اليه الطعام فجعل الشيخ يأخذ اللقمة ويريد أن يدخلها

به أبي وكان عيص رجلا أشعر ويعقوب رجلا أجرد فخرج عيص يطلب الصيد فسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب يابني اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة واشوها والبس جلدها ثم قدمها الى أبيك وقل له أنا ابنك عيص ففعل ذلك وأتى الى أبيه وقال يا أبتاه كل فقال من أنت قال أنا عيص فمسه وقال انما مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فأكل منه ثم قال له أدن مني فدنا منه فدعا له أن يجعل في ذريته لانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيص بعده فقال يا أبت قد جئتك بالصيد الذي أردته فقال يابني قد سبقك أخوك يعقوب فغضب عيص وقال والله لاقتلنه فقال يابني قد بقيت لك دعوة فهلم أدع لك بها فتقدم اليه فدعا له بقال ان تكون ذريتك عدد التراب ولا يملكهم أحد غيرهم ثم ان أم يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فكن عنده خشية عليه أن يقتله عيص فانطلق يعقوب الى خاله وكان يسير في الليل ويكمن في النهار فلذلك سماه الله اسرائيل وهو أول من سرى بالليل فاتى يعقوب الى خاله وكان احق أمره أن لا ينكح امرأة من الكنعانيين وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله ليان بن ناهور وأن يعقوب لما مكث عند خاله خطب ابنته راحيل وكان له ابنتان ليا وهي الكبرى وراحيل وهي الصغرى فقال له هل لك من مال فأزوجك عليه فقال لا لكن أخدمك أجيرا حتى تستوفي صداق ابنتك فقال له ان صداقها أن تخدمني سبع حجج فقال يعقوب تزوجني راحيل لانها أصغر ولا جلها أخدمك فقال له خالله ذلك بيني وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفى له شرطه دفع له ابنته الكبرى ليا وأدخلها عليه ليلا فلما أصبح وجد غير ما شرط بداهه يعقوب وهو في نادمن قومه فقال له غررتني وخدعتني واستحللت عملي سبع سنين ودلست علي غير امرأتي فقال له خاله يا ابن أختي أردت أن لا يدخل على في ذلك العار وألبسه وأنا خالك ووالدك متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى وهلم فاخدمني سبع سنين أخرى حتى أزوجك الاخرى وكان الناس يومئذ يجمعون بين الاختين الى أن بعث موسى وأنزلت التوراة فرعى له يعقوب سبع سنين أخرى فدفع اليه راحيل فولدت له ليا أربعة أسباط روبيل وكان اكبرهم ويهوذا وشمعون ولاوي وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وانما سمي بنيامين لان أمه راحيل ماتت في نفاسها به وبنيامين بالعربية الشكل وكان ليان دفع الى ابنتيه حين جهزهما الى يعقوب أمتين يقال لاحداهما زلفة وللاخرى بلهة فوطئ الامتين يعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاثة أسباط فولدت زلفة ليعقوب دان ونفتالي وورو بالون وولدت له بلهة جاد وبشجر وآشر فكان بنو يعقوب اثني عشر وجلا اثنان من راحيل وأربعة من ليا وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلهة وهم الذين سماهم الله تعالى الاسباط وسموا بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة والسبط في كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان الاسباط من بني اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق خاله ليان وانصرف بولده وامرأتيه وجاريتيه المذكورات الى منزل أبيه من فلسطين على تخوف شديد من أخيه عيص لم يرمنه الا خيرا منازل أخاه وتألفه وتلطفه حتى نزل له البلاد وتنقل في الشام وصار الى السواحل ثم عبر الى الروم فاستوطنها صار ذلك له ولولده من بعده * وقال ابن اسحق تزوج عيص بن اسحق بنت عمه نسيمة بنت اسمعيل بن ابراهيم ولدت له الروم بن عيص فمن بني الاصطر من ولده وكان عيص فيما يذكر يسمى آدم لادمته وولد له سمي بني الاصطر قالوا وعاش اسحق بعد ما ولد له عيص ويعقوب مائة سنة وتوفي وله مائة وسبعون سنة ودفنه أبناؤه عند أبيه ابراهيم عليهما السلام في مزرعة حبرون والله أعلم

(مجلس في قصة لوط عليه الصلاة والسلام)

هو لوط بن هاران بن تارح بن أخي ابراهيم عليه السلام وانما سمي لوطا لان سمي لوطا بقلب ابراهيم عليه السلام ي تعلق به ولصق ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه حين ذكر عمر اللهم غفرا لوذا لذا: ألوط أي ألصق بالقلب كان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان من أمر لوط فيما ذكر أهل العلم بأخبار الانبياء وذكر وهب في المبتدا له أنه خرج من أرض بابل مع عم ابراهيم مؤمنا به متبعا له على دينه فهاجر معه الى الشام ومعهما سارة بنت ناحور فخرج معه تارح أبو ابراهيم مخالفا لابراهيم في دينه ومقيما على كفره الى أن وصلوا الى حران ومكثوا بها أيام

فذبحه ثم شواه وجاء به الى أبيه فقال له كل من صيدي حتى
وهو يلتفت عن يمينه وشماله لا
حتى سكن وعاد اليه
فهمه فعل ثم مال ويكبر
فقلت ما الخبر حدثني
فقال نعم فقلت سمعتك
يا أخي تقول لا أحب أن
أرجع ورأيتك مددت
يدك ثم رددتها برفق
فقال لا أخبرك فاقسمت
عليه فقال وتكتم ذلك
فقلت نعم يا سيدي فقال
رأيت القيامة قد قامت
وخرج الناس من
قبورهم شاخصين
منتظرين أمر ربهم
فبينما أنا كذلك اذ
أتاني رجلان لم أر
أحسن منهما فسلما
علي فرددت عليهما
السلام فقالا لي يا محمد
أبشر فقد غفر ذنبك
وشكر سعيك وقبل
عملك واستجيب دعاؤك
وعجلت الى البشرى
فانطلق معنا حتى نريك
ما أعد الله لك من النعيم
فانطلقت معهم حتى
أخرجاني من الموقف
واذا أنا بخيل لا أطيقها
خيل كأنها البرق
الخاطف أو هبوب
الريح العاصف فركبنا
وسرنا حتى انتهينا الى
قصر شاهق لا يبلغ
الطرف منتهاه كأنه منسج
من فضة ولبنة من ذهب
فلما وصلنا الى بابه انفتح
بابه من قبل أن نستفتح
فدخلنا فرأينا شيئا

الذى كان اذا سافر وثنى سارة واشتد النهار رفع الله له الحجاب بينه وبينها حتى يراها حيث كان وهو الذى يكسى حلة بيضاء يوم القيامة وتوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال النبى عليه السلام تحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما وأول من يكسى ابراهيم خليل الرحمن وهو الكفيل لاطفال المسلمين والقائد لاهل الجنة وهو أول من قص شاربه وأول من قلم أظفاره وأول من استحد وأول من نتف الابط وأول من استاك وأول من فرق شعره وأول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجى بالماء وأول من هاجر فيه قال الله تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى وجعل مقامه قبلة للناس قال الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وجعله اماما للناس قال الله تعالى انى جاعلك للناس اماما وقال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم وأمر محمد خير الانبياء وأمته خير الامم باتباع ملته قال تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال قل بل ملة ابراهيم حنيفا وسماه حليما منيبا أواها قال تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب الحليم السيد الذى يملك نفسه عند الغضب والاواه الذى يكثر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه الى ربه فهذه ست وأربعون خصلة من خصاله التى أكرمه الله بها (وروى) ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم يا ابراهيم انك لما سلمت مالك الى الضيفان وابنك الى القربان ونفسك الى النيران وقلبك الى الرحمن اتخذ ذلك خليلا (وروى) ابو ادريس الخولانى عن أبى ذر الغفارى قال قلت يا رسول الله كم كتابا أنزله الله تعالى قال مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال فقلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المبتلى المسلط المغرور انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يتفكر فيها فى صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم وأخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام فى المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاده ومؤنة لمعاشه ولذة فى غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه والله عن كل محذور ينهيه

(مجلس فى ذكر بعض أخبار اسمعيل واسحق ابنى ابراهيم عليهم السلام)

وقد ذكرنا سير ابراهيم الخليل بابنه اسمعيل وهاجر الى مكة واسكانه اياهما بها ولما كبر اسمعيل وبلغ النكاح تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ما قدمناه ذكره ثم طلقها بأمر أبيه ثم تزوج امرأة أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى وهى التى قال لها ابراهيم حين قدم مكة اذا جاء زوجك فاقرئيه منى السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لاسمعيل اثنى عشر رجلا نابتا وقيذار وادبيل وبسام ومسمع وذوما ومساوحراه وفيما وبطور ونافس وقيدما ومن نابت وقيذار ابنى اسمعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى اسمعيل فبعثه الى العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت اسمعيل الوفاة أوصى الى أخيه اسحق أن يزوج ابنة ممن عيص بن اسحق وعاش اسمعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر (وروى) عمر بن عبد العزيز أنه قال شكا اسمعيل الى ربه تعالى حر مكة فاوحى الله تعالى اليه أنى فاتح لك بابا من الجنة يجرى عليك روحها الى يوم القيامة وفى ذلك المكان دفن *وأما حديث اسحق عليه السلام فانه نكح رفقا بنت بتويل فولدت له عيصا ويعقوب بعد ما مضى من عمره ستون سنة ولهما قصة عجيبة على ما ذكره السدى قال حملت رفقا فى بطن واحد بغلامين فلما أرادت ان تضع اقتتل الغلامان فى بطنها فاراد يعقوب أن يخرج قبل عيص فقال عيص والله ان خرجت قبلى لاعترضن فى بطن أمى فاقتلها فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله فسمى عيصا لانه عصى فخرج قبل يعقوب وسمى الآخر يعقوب لانه خرج آخرا بعقب عيص وكان يعقوب أكبرهما فى البطن ولكن عيصا خرج قبله فلما كبر الغلامان كان عيص أحبهما الى أبيه ويعقوب أحبهما الى أمه وكان عيص صاحب صيد فلما كبر اسحق وعمى قال لعيص يا بنى أطعمنى لحم صيد واقترب منى ادع لك بدعاء عالى

بالنفس ونفسى النفس به
فعسى أن يفعلن فقلت
حدثنى يا أبا الوليد فقال
غزونا أرض الروم فى
سنة ثمان وثمانين وكان
معنا رجل يقال له سعيد
ابن الحرث وكان ذا حفظ
من العبادة يصوم النهار
ويقوم الليل فان سرنا دوس
القرآن وان أقنا ذكر
الله تعالى فجاءت ليلة
حفظنا فيها فغربت أنا
واياه نحرس القوم وكنا
محاصرين العدو عند
حصن من الحصون صعب
علينا أمره فرأيت من
سعيد من العبادة فى تلك
الليلة وصبره على التعب
ما تعجبت منه فلما طلع
الفجر قلت له يرحمك الله
ان لنفسك عليك حقا
ولو رحمتها كان خيرا
لك فبكى وقال يا أخى انما
هى أنفاس تعد وعمر
يفنى وأيام تنقضى وأنا
رجل أرتقب الموت فقال
فابكانى ذلك فقلت له
أقسمت عليك بالله ما دخلت
الخيام واسترحت فتدخل
وتنام قليلا وأنا أجالس
ظاهر الخيمة فسمعت
كلاما فى الخيمة ولم يكن فى
الخيمة سواه فتقدمت اليه
فاذا هو يفصل فى نومه
ويتكلم بكلام فحفظت
من كلامه ان قال لا أحب
ان أرجع ثم مد يده
اليمنى كأنه يلتمس شيأ
ثم ردها رد ارفيقا وهو
يضحك ثم قال والليلة ثم

سولها هيؤا الناس لحاجتهم وهم بذلك الى الفاحشة بأضيافه لوط فبلغنا أن الله تعالى مسخهم لما قالوا فلما أخبرت
ر أة لوط قومها بأضيافه زوجها جاءه قومه يهرعون اليه أي يسرعون وهم يهرولون فلما أتوه قال لهم لوط يا قوم
قوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد وقال لهم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم قالوا أولم ننهك عن
عالمين أن تضيف الرجال قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلما لم يقبلوا منه ما عرض عليهم
ال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد قالوا يا بعث الله نبيا بعثه الا في شرف من قومه ومنعة من عشيرته وقال
لى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية رحم الله أخي لوط لقد كان يأوي الى ركن شديد قال ابن عباس وغيره وغلق
ط بابه والملائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الدار فلما رأت
لائكة ما لقي لوط من الكرب والنصب والتعب بسببهم قالوا له يا لوط ان ركنك لشديد وانهم آتيهم عذاب غير
ردوا نارسل ربك ان يصاولوا اليك فاسر بأهلك بقطع من الليل الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا وإياهم
تح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فانتشر
ناحيه وله جناحان وعليه وشاح من درمنظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين وارأسه مجبل مثل المرجان كأنه
لج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى ولقد راودوه
ن ضيفه فطمسنا أعينهم الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم ثم انهم انصرفوا وهم يقولون
جاء النجاء ان في بيت لوط أسحر قوم في الارض وقالوا للوط جئتنا بقوم سحرة سحرونا كن كما كنت حتى نصبح
يعدونه فلما علم لوط أن أضيافه رسل ربه وأنهم أرسلوا بهلاك قومه قال لهم اهلاكهم الساعة فقال له
بريل ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ثم أمره أن يسري بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد الا
أنه فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ومعهما مر أته فذلك قوله تعالى الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من
دنا كذلك نجزي من شكر فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت أرضهم فاقتلع قريات قوم لوط الاربع
ن في كل قرية مائة ألف فرفعهم على جناحه بين السماء والارض حتى سمع أهل سماء الدنيا صياح ديوكهم
اح كلابهم ثم كفأها وقلبها بفعل عاليها سافلها كما قال الله تعالى فجعلنا عاليها سافلها ثم أتبع شارديهم
سافرهم بالحجارة فذلك قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين
بعد أي من يفعل كفعلهم أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا خلد بن جعفر الباقري أخبرنا الحسين بن
رية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر أخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن
ر بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا سمع العواصف والقواصف سمي الرعد
شيء أنها الحجارة التي أعدت لقوم لوط أو من يفعل بفعلهم وأخبرنا أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عقيل القطان
برنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور أخبرنا أبو حاتم الرازي أخبرنا أبو اليمان الحكم بن نافع البهمي
صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان الى أن أتى شعيب قاضي حمص وكان رجلا عالما فسأله كم
ية اللوطي قال ان رموه بالحجارة كان رجم قوم لوط فان الله تعالى قال وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين
ل تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه قالوا وكان الرسل منهم يتحدث في
يته التي يكون فيها فأتيها الخبر فيقتله قال وسمعت امرأة لوط الهدة فالتفتت وقالت واقوماه فأدركها الحجر
لها فذلك قوله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين أي الباقين في العذاب وقال تعالى انه مصيبها ما أصابهم
ية * أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن علي أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل
عيسى قال أخبرنا المسيب قال سمعت أبا روق يقول الا امرأته كانت من الغابرين أي خلفت فصخت حجرا
نث تسمى هلسفع وقال غيره اسمها واعلة قالوا وكانت قرى قوم لوط خمسا سدوم وعامورا ودومة وساعورا
سدوم فهي القرية العظمى وكان في هذه القرية أربعة آلاف فاحتملها جبريل على جناحه فقلبها فذلك
ت المؤتفكات أي المنقلبات وأما القرية الخامسة فانها تسمى صعرة ونجت من العذاب لان أهلها آمنوا
ط * وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ان الله تعالى سماك باسماء فخبرها الى قال

اليوم عندك وأتحول
في غد الى الاخرى ثم
مددت يدي اليها فردتها
ردا رفيقا ثم قالت أما
اليوم فلا فانك راجع
الى الدنيا وستقيم ثلاثا
فقلت لا أحب أن
أرجع فقالت لابد من
ذلك وستفطر عندنا
بعد الثلاثة أيام ان شاء
الله تعالى ثم نهضت من
مجلسها فنهضت أودعها
فاستيقظت يا أخي ولا
صبر لي عنها قال هشام
فبلغني البكاء وقلت
هنيئا لك يا سعيد جدد
لله شكرا فقد كشف
الله لك عن ثواب عملك
فقال هل رأى أحد
غيري ما رأيت فقلت
لا فقال بالله عليك
يا أخي اكتم ما سمعت
مني ما دمت في الدنيا ثم
قام فتطهر وتطيب
وأخذ سلاحه وتوجه الى
موضع القتال وهو صائم
فقاتل الى الليل ثم
انصرف فتحدث الناس
بقتاله وقالوا ما رأينا
مثل ما فعل سعيد اليوم
حتى انه كان يطرح
نفسه تحت سهام العدو
وحجارتهم فكلهم يشهدون
عليه قال فقلت في نفسي
لو يعلمون شأنه لتنافسوا
في مثل عمله ثم مكث
قائما يصلي الى آخر الليل
ثم أصبح صائما يقاتل
أبلغ مما فعل بالامس
قال أبو الوليد فانطلقت

تارح وهو آزر أبو ابراهيم بحران على كفره وشخص ابراهيم ولوط وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها فرعونا من فراعنتها يقال له سنان بن عاران بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام فرجعوا عودا الى أرض الشام فنزل ابراهيم فلسطين وأنزل لوطا الاردن فبعثه الله تعالى الى أرض سدوم ومايليها وكانوا أهل كفر بالله وركوب فواحش كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون قال عمرو بن دينار ما كان بري ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل فيما ذكر أهل التأويل أن اتيانهم الفاحشة مع من ورد بلادهم واتيانهم المنكر فى ناديهم قال المفسرون هو أنهم كانوا يجلسون فى مجالسهم على الطريق فيحذفون من مر بهم ويتضارطون فى مجالسهم ويتكح بعضهم بعضا فى الطريق وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال فى مجالسهم على الطريق وروى أبو صالح عن أم هانئ قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال كانوا يجلسون على الطريق فيحذفون من مر بهم ويسخرون به وهو المنكر الذى كانوا يأتونه وكان لوط ينهاهم عن ذلك ويدعوهم الى عبادة الله تعالى ويتوعدهم على اصرارهم على ما هم عليه ويأمرهم بالتوبة منه ويخوفهم من العذاب الاليم فلا يزجرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه الا عنادا وعتوا واستعجالا لعذاب الله تعالى وانكارا وتكذيبا ويقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرنى على القوم المفسدين فأجاب الله دعاءه وبعث جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام لاهلاكهم وبشارة ابراهيم عليه السلام بالولد فاقبلوا مشاة فى صورة رجال ردحسان حتى نزلوا على ابراهيم عليه السلام فتضيفوه وبشروه بإسحق وقد مضت القصة فلما فرغوا من ذلك وأخبروا ابراهيم أن الله تعالى بعثهم لاهلاك قوم لوط ناظرهم ابراهيم وحاجهم فى ذلك كما قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط وكان جداله اياهم على ما ذكر ابن عباس وغيره أنهم لما قالوا له انا مهلكو أهل هذه القرية قال لهم أتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان ابراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه وروى سعيد عن ابن عباس قال قال الملك لابراهيم ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف ابراهيم حال قوم لوط قال للرسل ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم من فيها لننجينه وأهله الا امرأته (قال) قتادة فى هذه الآية لا نرى المؤمن الا يحوط المؤمن ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما انتهوا اليها القوا لوطا فى أرض له يعمل فيها قال قتادة وراى عن حذيفة ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فقالوا انا مهلكوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت لهم وقال أوما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله انها لشر قرية فى الارض وما أعلم على وجه الارض أنانا أخبث منهم قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط أنه سيحتاج الى المدافعة عن أضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب أى شديد (قال السدى) باسناده لما خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فاتوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا بنت لوط تستسقى الماء لاهلها وكان له ابنتان اسم الكبرى ريثا والاخرى غيثا فقالوا لها يا جارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ففزعت عليهم من قومها ثم أتت أباها فقالت يا أبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط أحسن منهم لئلا يأخذهم قومك فيفضحوك وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالا وقالوا له نحل عنا فلنضيف الرجال فذلك قوله تعالى أولم ينهك عن العالمين فجاءهم لوط الى منزله ما يعلم بهم أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها بذلك وقالت ان فى بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم حسنا قط (قال أبو حمزة الثمالى) بلغنا أن العلم الذى كان بين امرأة لوط وقومها اذا أتتهم الضيفان يقول

لا يباشره الواصفون ولا
يحضر على قلب بشر وفيه
من الحور والولدان
والولدان بعدد النجوم
فلما رأونا أخذوا فى
حسن أنغام من القول
الحسن مختلف الالحان
وهم يقولون هذا ولى
الله قد جاء فرحبا به
وسهلا فسرنا حتى
انتهينا الى مجلس ذات
أسرة من ذهب وهاج
مكللة بالجواهر محفوفة
بكراسى من اليواقيت
وعلى كل سرير جارية
أحسن من الشمس
والقمر لا يستطيع
أحد من الخلق أن
يصفها وفى وسطهن
واحدة عالية عليهن فى
طولها وكمالها وجمالها
فقال الرجلان هذا
منزلك وهؤلاء أهلك
وهنا مقيلك ثم انصرفا
عنى فوثبت الجوارى
بالترحيب والاستبشار
كما يكون من أهل
الغائب عند قدومه
عليهن ثم جلسن حتى
أجلسونى على السرير
الاوسط الى جانب الجارية
ثم قلن هذه زوجتك
ولك أخرى مثلها وقد
طال انتظارهن اليك
فكلمتهن كلاما حتى
لها وأين أنا فقالت فى
جنة المأوى فقلت من
أنت فقالت أنا زوجتك
الخالدة فقلت وأين
الاخرى فقالت فى قصرك
الاخر فقلت لها أنيم

كريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم
اختلفوا في معنى اسم يوسف فقال أكثر الفقهاء هو اسم عبري فلذلك لا يجري وقال بعضهم هو اسم عربي سمعت
الاستاذ أبا القاسم الحبيبي يقول سمعت أبا الحسن الاقطع وكان حكيما سئل عن يوسف فقال
الاسف في اللغة الحزن والاسيف العبد واجتماعهما فيه فلذلك سمي يوسف

(الباب الثاني في صفة يوسف عليه الصلاة والسلام وجملته ونعت خلقه وصفة صورته)

ل الله تعالى فلما رأينه أكبرنه الآية * أخبرنا أبو عبد الله الثقفي أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان أخبرنا محمد
ن محمد بن سليمان أخبرنا محمد بن حميد الرازي أخبرنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم
د ثني عمارة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي الى السماء
أيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا قال هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يا رسول الله قال كالقمر ليلة البدر
أخبرني الحسن بن محمد أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا حامد بن سعدان أخبرنا أبي أخبرنا يعقوب
خبرنا الوليد بن مسلم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطي وأمه شطر الحسن وعن
ب اسحق بن عبد الله بن أبي فروة قال كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما
ي نور الشمس والقمر على الجدران * قال كعب الاحبار ان الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فأراه
انبياءهم السلام نبيا نبيا وأراه في الطبقة السادسة يوسف مصورا بتاج الوقار متزرا بحلة الشرف مرتديا
داء الكرامة متقمصا بقميص البهاء وفي يده قضيب الملك وعن يمينه سبعون ألف ملك ويساره سبعون
ف ملك ومن خلفه أمم الانبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس وبين يديه شجرة السعادة تزول معه حيثما زال
تحول معه حيثما حال فلما رآه آدم قال الهي من هذا الكريم الذي أبنت له بحبوحة الكرامة وزففته الدرجة
عالية قال يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيته قال آدم أفضله قال آدم قد أفضلته ثلثي حسن ذريتي ثم ان آدم
م يوسف الى صدره وقبل بين عينيه وقال يا بني لا تأسف فأنت يوسف فأول من سماه يوسف آدم فقسم الله تعالى
وسف من الجمال الثلثين وقسم بين العباد الثلث وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى بيده وصوره
نفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية وقد كان الله أعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم خلقه فلما عصى
ع ذلك منه وأعطاه يوسف عليه السلام ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجمال الذي كان انتزعه منه وذلك ان الله تعالى
حب أن يرى العباد أنه قادر على ما يشاء فأعطى يوسف من الحسن والجمال مالم يعطه أحدا من الناس ثم أعطاه
علم تأويل الرؤيا وكان يخبر بالامر الذي يرى في المنام انه سيكون كذا وكذا من قبل أن يكون ذلك الامر عليه
تعذلك كله علم الاسماء كلها لآدم فكان حسن يوسف كضوء النهار وكان يوسف أبيض اللون بجمل الوجه جعد
شعر ضخم العينين مستوي الخلقة غليظ الساقين والعضدين والساعدين خميص البطن أفنى الانف صغير السرة
كان يخدمه الايمن خال اسود وكان ذلك الخال بزين وجهه وكان بين عينيه شامة بيضاء كأنها القمر ليلة البدر
كانت أهداب عينيه تشبه قوادم النسور وكان اذا تبسم رؤي النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع
نور يشرق من بين ثنايا لا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه الصلاة والسلام ويقال انه ورث الحسن
ن جده اسحق بن ابراهيم وكان أحسن الناس واسحق هو الضاحك بالعبرانية وهو ورث الحسن من أمه سارة
ن الله تعالى صورها على صورة الحور العين ولكن لم يعطها ما هن وأعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء
لون وبقاء البشرة مالم يعطه أحدا من العالمين وانه كان ليأكل الجمل والفواكه فترى حسن يزدردها في حلقه
لى صدره حتى تصل الى بطنه وورث سارة الحسن من جدتهما حواء (وقال وهب) الحسن عشرة أجزاء ليوسف
سعة وواحد بين سائر الناس (وعن) عبد الله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال هبط جبريل عليه السلام
ال يا محمد ان الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف من نور الكرسي وكسوت وجهك من نور عرشي وقيل
عض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد فقال كان يوسف من أحسن الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس
دل عليه حديث جابر بن عبد الله قال نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة حراء ونظرت الى القمر

وصابح المسلمون ضجة
واحدة وحملوا على
المشركين وفتح الله تعالى
ذلك الحصن في ذلك
اليوم ببركته ورحمته
تعالى عليه ونفعنا به
في الدارين آمين
*(وحكي عن أبي يعقوب
البصري رضي الله تعالى
عنه انه قال) *خرجت
في سفر أريد الشام
فوقعت في التيه أياما
حتى أشرفت على
الهلاك فبينما أنا
كذلك اذ رأيت راهبين
سائرين كأنهما قد
خرجا من مكان واحد
يريدان ديرا لهما
بالقرب فملت اليهما
وقلت لهما أين تريدان
فقالا لا ندري فقلت لهما
من أين أقبلتما فقالا
لا ندري الا أننا في ملكه
وبين يديه قال فتعجبت
من ذلك وقلت في نفسي
ان هذين الراهبين
متحققان التوكل دوني
فقلت لهما أنا أذنا لي في
الصحبة معكما فقالا ذلك
البلد فسرنا حتى أسسينا
قاما الى صلاتهما وقمت
الى صلاة المغرب فصليت
وصلت فلما نظرت الى
تيهي وصليت تعجبا من
ذلك فلما فرغا من صلاتهما
بعث أحدهما في الارض
فانفجرت عين ماء والى
جانبه طعام موضوع
فزدت تعجبا من ذلك فقالا
لي أدن وكل واشرب قال
فاكلنا وشربنا وقلنا

وصفك في قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فأخبرني عن قوتك قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الارض على جناحي في الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا اصواتهم واصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن قال فاخبرني عن قوله تعالى مطاع قال ان رضوان خازن الجنان ومالكا خازن النيران مشى قلت لهما أو كلفتم مافتح أبواب الجنان أو النيران فتحاها قال فاخبرني عن قوله تعالى أمين قال ان الله أنزل من السماء مائة وأربعة كتب على أنبيائه لم يأتمن عليها غيري * أخبرنا عبد الله بن الحسين بن محمد الثقفي أخبرنا أبو عثمان بن أحمد بن سمعان البزار أخبرنا عبد الله بن قحطبة أخبرنا ياسر بن ثوبة أخبرنا محمد بن رامو ز أخبرنا أبو بكر بن عياش قال سألت أبا جعفر أعذب الله النساء من قوم لوط بعمل رجالهم فقال الله تعالى أعدل من ذلك بل استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعا * أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر حدثني مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا أبا الحجاج هل بقي من قوم لوط أحد قال لا الا رجل بقي أربعين يوما وكان بمكة فجاءه حجر ليصيبه في الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا له حجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله فوقف الحجر خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته فلما خرج أصابه الحجر خارج الحرم فقتله * عن مقاتل عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال ما عمل ذلك قوم لوط الا كانوا ثلاثين رجلا ونيفا لا يبلغون الاربعين فأهلكهم الله جميعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لتعمنكم العقوبة جميعا

* (مجلس في قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم السلام وهو السلام) *

قال الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص الآية قال سعد بن أبي وقاص قالت الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا قال فانزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن الآية فدلهم الله تعالى في هذه الآية على أحسن القصص واختلف العلماء في سبب تسمية الله تعالى قصة يوسف عليه السلام من بين الاقاصيص أحسن القصص فقال بعض أهل المعاني معنى الآية قصة حسنة لفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى وهو أهون عليه قال الشاعر

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

أراد عزيزة طويلة واجراه الباقون على الظاهر فقالوا هي أحسن القصص ثم اختلفوا في وجهها فروى مقاتل عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سلمان الفارسي فقالوا يا سلمان حدثنا عن التوراة بأحسن ما فيها فانزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص يعني أن قصص القرآن أحسن مما في التوراة وقيل سمى الله هذه القصة أحسن القصص لانها ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ما تضمنت هذه القصة ولذلك قال الله تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وقال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وقيل سماها أحسن القصص لحسن مجازاة يوسف اخوته وصبره على أذاهم واغضائه عند الالتقاء بهم عن ذكر ما تعاطوه معه وكرمه في العفو عنهم حيث قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والانس والانعام والطير وسير الملوك والممالك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها أيضا ذكر العفة والتوحيد وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش فصارت أحسن القصص لما فيها من المعاني الجليلة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا وتجمع خيري الدنيا والعقبى قال أهل الاشارة سماها الله أحسن القصص لما فيها من ذكر المحب والمحبوب

* (الباب الاول في ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام) *

هو يوسف الصديق بن يعقوب الصفي بن اسحق الذبيح بن ابراهيم الخليل عليهم السلام بذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كريما وآباءه كرماء * عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

ل أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفي ضلال مبين أي شيطانين في ايثاره يوسف وأحاصلينا اقتلوا يوسف أو اطرحوه
رضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين أي تائبين فاستعدوا للتوبة قبل وقوع الذنب قال
ائل منهم وهو يهوذا وكان أفضلهم وأعقلهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب وهو
بئر غير المطوية يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قيل للحسن أتحسد المؤمن فقال للسائل ما أنسك يا بني
عقوب ولهذا قيل الاب جلاب والابن سلاب وعند ذلك أجمعوا رأيهم أن يحتالوا على يعقوب ويكلموه في ارسال
يوسف معهم الى البرية فقال لهم روبيل وهو أكبر ولد يعقوب ان أباكم لا يأمنكم على يوسف ولا يحزن
طالقوا بنا الى يوسف حتى نلعب بين يديه فاذا نظر الينا كيف نمرح ونلعب اشتاق الى ذلك فأقبلوا على يوسف
هو قاعد يسبح فجعلوا يتلاعبون ويتضاحكون بين يديه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق الى اللعب معهم فأقبل
ليهم وقال يا اخوتاه أهكذا تلعبون في مراعيكم فقالوا نعم يا يوسف أنك لو رأيتنا ونحن نلعب في مراعينا لتمنيت
ن تكون معنا فشوقوه الى ذلك حتى كان هو الطالب اليهم فقال لهم يا اخوتاه انطلقوا الى أبي واسألوه أن
يسلني معكم فأقبلوا الى يعقوب ووقفوا بين يديه صفا وكانوا يفعلون هكذا اذا أرادوا أن يسألوه حاجة فلما رآهم
ن يديه وقوفا صفوفا قال لهم ما حاجتكم قالوا يا أبانا مالك لا تأمننا على يوسف وانا له لناصحون نحوطه ونحفظه
تى نرده اليك أرسله معنا غدا نرتع ونلعب في الصحراء وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب اني ليحزنني أن تذهبوا
وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لا تشعرون بذلك قال ابن عباس وغيره انما قال ذلك يعقوب لانه
ى في منامه كأن يوسف على رأس جبل وكأن عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليأكلوه واذا ذئب منهم يحميه
نه وكأن الارض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام فلما رأى يعقوب هذه الرؤيا
اف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم وأخاف أن يأكله الذئب * أخبرنا الحسين بن محمد بن حبش قنطويه أخبرنا
بد الله بن شبة أخبرنا أبو نعيم بن عبد الرحمن بن قريش أخبرنا محمد بن عمرو بن الحكم الهروي أخبرنا مالك بن
ليمان القرشي أخبرنا عبيد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلقوا الناس الكذب فيكذبوا فان بني يعقوب لم يعلموا ان الذئب يأكل الانسان حتى لقنهم أبوهم فلما قدموا
قال اني أخاف أن يأكله الذئب قالوا أكله الذئب فقال نحوه لئن أكله الذئب ونحن عصبة أي عشرة رجال انا اذا
خاسرون عجزة مغلوبون ثم قالوا يا نبي الله كنت يأكله الذئب وفينا شجعون اذا غضب لا يكن غضب حتى يصيح
ذا صاح لا تسمع حامل الا وضعت ما في بطنها وذا ذا غضب يشق السبع نصفين فلما سمع يعقوب منهم
لك اطمأن اليهم وأقبل يوسف حتى وقف بين يدي أبيه ثم قال له يا أبت أرسلني معهم قال أو تحب ذلك يا بني قال
م قال اذا كان غدا أذنت لك في ذلك فلما أصبح يوسف لبس ثيابه وشد على منطقته وأخذ قضيبه وخرج مع
خوته ثم عمد يعقوب الى السلة التي جعل فيها ابراهيم زاد اسحق فجعل فيها زاد يوسف وخرج ليشيعهم فقالوا
ي الله ارجع فقال يعقوب يا بني أوصيكم بتقوى الله ويحببي يوسف أسألكم بالله ان بعتم أطعموه وان عطش
سقوه وقوموا عليه ولا تتعبوه ولا تخذلوه وكونوا متواصلين متراحمين قالوا نعم يا أبانا كذا لك ربك وهو أخونا
حدنا بل له الفضل علينا بحبك اياه فقال نعم يا بني أنه خليفتي عليكم معي اني خائف أن أكون فضيعتم ثم أقبل
بل على يوسف فالتزمه وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعتك الله رب العالمين وانصرف راجعا
روى) السدي ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واسحق بن
شر بن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بحيرة عن كعب الاحبار عن سعيد بن أبي عروبة
ن الحسن دخل كلام بعضهم في بعض قالوا أرسل يعقوب يوسف مع اخوته فأخرجوه مظهرين له الكرامة
بارزوا به الى البرية أظهر والله العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحدا بعد واحد وهم يضربونه فلا
ي منهم رحمه فلما رأى أنه لا محالة مقتول قال يا اخوتاه ان كنتم لا بد قاتلي فاقتلوني على هذا الجبل
ديدا فقال لهم اسقوني جرعة من ماء قبل ان تقتلوني فلم يسقوه فعند ذلك بكت الملائكة رحمة ليوسف فلما رأى
سف ان ليس أحد منهم يعطف عليه جعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو علم ما تصنع بابنك هؤلاء الاشقياء فلما

الاثنة وأنت خير مسؤل
الله قال فلما وخرجنا
جميعا الى مكة شرفها الله
تعالى فأقمنا بها مدة
وخرجنا الى الشام
فتفرقنا فوالله ما ذكرتها
الا وهانت على الدنيا
وصغرت في عيني
(وأنشدني شعرا في المعنى)
لما رأيتك حاضرا
في القلب زادني الفؤاد
وبقيت فيك تحيرا
والقلب ليس له قرار
فامنح كؤسي بالرضا
جهرا فما عنها اصطبار
دارت على موسى الكليـ
م فلاح نحو الطور نار
لما لفت فلما ذاقها الا
حباب نحوا لحب طاروا
بذلوا اليه نفوسهم
وعلى خيول القوم غاروا
واليم في بحر الهوى
ركبوا وبالارواح ساروا
طلبوه سقيا بالقلو
ب وعند ما نظروه حاروا
هاموا به حتى لقد
أنست بقربهم الديار
ورأوا اشارات الهوى
لاحت لهم فتناولوا
هذا ان رأيتك لاح لهما
قد نورهم ابرق من الايمان
فرأوا الطريق وسلكوا
منهج التصديق وأنثنى
يا مسكين عمرك قد انقضى
ومضى في العصيان
وزمانك قد ذهب في
الخسران وأنت في بحر
الغفلة غريق وقد هبت
نسمات القبول والتوفيق
وأنت سكران نعم

ليلة البدر وهو أحسن في عيني من القمر

(القول في القصة)

قال أهل العلم بقصص الانبياء وأخبار الماضين كان ابتداء أمر يعقوب ويوسف عليهما السلام وبدء محبة يعقوب له وايثاره على سائر ولده ان الله تعالى أنبت ليعقوب شجرة في حجرة داره فكان كلما ولد له ولد أخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصنا فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ فاذا بلغ ذلك الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه اليه فولد له عشرة بنين فاخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيأ فلما كبر وشب قال لابيه يا نبي الله انه ليس أحد من اخوتي الا وله غصن الا أنا فادع الله تعالى أن يخصني بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه الى السماء وقال اللهم اني أسألك أن تهب ليوسف غصنا من الجنة يفتخر به على جميع اخوته فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه قضيب من الزبرجد الاخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه ويخرج به مع اخوته قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو اذذاك صبي كأن قضيبه غرس في الارض فعلق وتدلت أغصانه وأثمرت من كل ثمرة ثم أتى باعصان اخوته فغرست حوله فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر واذا بغصن يوسف أقصرها وأصغرها فلم يزل يتعالى في السماء ويطول حتى طال على أغصان اخوته ثم هبت الريح فاقتلعت أغصان اخوته من اصولها وألقتها في البحر وثبت غصن يوسف في الارض قائما فانتبه فزعا مرعوبا فقال له أبوه ما الذي دهاك يا بني فقص عليه رؤياه فبلغ اخوته فقالوا يا ابن راحيل لقد رأيت عجبا ولشأن أن تدعي انك ولا نا ونحن عبيدك فشق عليهم رؤياه وحسدوه بعض الحسد قال وهب رأى يوسف هذه الرؤيا يعني الغصن وهو ابن سبع سنين ثم انه رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة الرؤيا التي قصها الله علينا في كتابه اذ قال تعالى اذ قال يوسف لابيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا الآية وكان ينومه الى جانبه فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالي اذ رأى الرؤيا التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه الى صدره وقبل بين عينيه وقال يا حبيب أبيه ما الذي أصابك فقال يا أبت رأيت رؤيا أفزعتني فقال يا بني خيرا رأيت ما الذي رأيت قال يوسف رأيت كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم وأشرقت الجبال وزخرت البحار وعلت أمواجها وسبحت الحيتان بانواع اللغات ورأيت كأني ألبست رداء أشرقت الارض من حسنه ونوره ورأيت كأن مفاتيح خزائن الارض ألقيت بين يدي فبينما أنا كذلك اذ رأيت أحد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر فخروا الي ساجدين فقال يعقوب يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية ثم عبر رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث الآية قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقالت لها يعقوب اكتمي ما قال يوسف ولا تخبري أولادي بذلك فقالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب رمز اليهم أخبرهم بالرؤيا التي أسرها يعقوب بكتمها فانتفخت أوداجهم واقشعرت جلودهم غضبا على يوسف وقالوا ما عنى بالشمس غير أبينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ثم قالوا ان ابن راحيل يريد أن يتملك علينا فيقول أنا سيدكم وأنتم عبيدي فحسدوه على ذلك فلذلك قيل في الحكمة لا تأمن قارئا عى صحيفة ولا شابا على امرأة ولا امرأة على سر (وروى) الحكم بن ظهير عن اسمعيل السدي عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من اليهود يقال له نستار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشيء حتى نزل جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها فأرسل الى اليهودي ودعاه وقال له ان أخبرتك باسمائها أتسلم قال نعم فقال له جريان والطارق والذيال وذو الكتفين والفرغ ووثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق والضروح رآها يوسف في أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال أرى شيأ مشتتا يجمعه الله لك فقال اليهودي هذه والله أسماؤها ويقال كان بين رؤيا يوسف في الغصن ورؤياه في الكواكب سبع سنين فلما كان من أمر رؤيا يوسف ما كان وانضاف الى ذلك تخصيص أبيه يعقوب اياه بالمحبة والقربة حسده اخوته وحملهم الحسد على أن تآمروا بينهم في أن يفرقوا بينه وبين أبيه بضرب من الاحتيال فدبروا فيما بينهم كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب

ملطخ بدمه فذلك قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون وانما عشوا ذلك ليكونوا في الظلمة أجرأ على الاعتذار ولئلا يتزوروا بما مكروا فقد قالوا الاعتذار بالحاجة في الليل فان الحياء في العينين ولا اعتذار بالنهار من فيح دهان وتجلج في الاعتذار فلا تقدر على اتمامه (روى) الشعبي قال جاء اعرابي امرأة الى شريح فجعلت تبكي فقال رجل ألا ترى الى هذه المرأة المسكينة كيف تبكي فقال شريح قد جاء اخوة يوسف عشاء يبكون ثم انه أنشد في معناه

أغرك من شيخ بكاء ودمعه * أم اللمعة البيضاء للمتفسطلقه

فان بني يعقوب جاؤا أباهم * عشاء وهم يبكون زورا وخرقه

قال فلما قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق أي ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب الآية الى قوله بدم كذب لانه لم يكن دم يوسف وانما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كذب بدال غير معجمة أي طري فلما قالوا ذلك ليعقوب بكى بكاء شديدا وقال لهم أرأيتم حين فارقتموه فأرسله معكم أكنت آمنا عليه فأرى فيه رأيا فقالوا لا فلما رأوه لا يشك في أنه أكله الذئب قال أبوهم أكله الذئب ولم يشق له قميصا ولا خرق له ثوبا وصاح صيحة خر مغشيا عليه فلم يفق الا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكى بكاء شديدا ثم أخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينيه (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن ابراهيم بن شاذان أخبرنا عبيد الله بن نابت أخبرنا أبو سعيد الاشج أخبرنا أسامة حدثني زكريا بن سماك عن الشعبي قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات لما جاؤا به الى أبيه فقالوا أكله الذئب فقال أبوهم ان أكله الذئب ليشقن قميصه وجيء بقميصه الباب فشقشقة قميصه من خلف فعرف الوزر أنه لو كان هو الذي راودها لكان الشق من بين يديه وحين ألقي على وجهه فارتد بصيرا * قالوا فلما أصبح اخوة يوسف من الغد جعلوا الى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب أبيكم البارحة فان أردتم أن يصدقكم وتخرجكم من الملامة فرويدا على الذئب فنخرج يوسف منه ونفرق بين أضلاعه ولحمه حتى يعلم أبونا أن الذئب قد أكله فلما أجمعوا على ذلك أتوا يعقوب فقالوا له يا أبانا انا ذهبنا نستبق أي ننتضل ونتسابق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين عندك ولكن لك علينا أن لا نعود لمثل ما صنعنا وجاؤا على قميصه بدم كذب فقال لهم يعقوب بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون * قال ابن عباس لما كان بين بلاء يعقوب أنه ذبح شاة وهو صائم فأتاه مسكين فلم يطعمه فابتلاه الله تعالى بأمر يوسف قال ومكث يوسف في الجب ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ودعا بالدعاء الذي علمه جبريل عليه السلام جاءت سيارة أي رفقة مارة من قبل مدين تريد مصر فأخطؤا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قريبا من الجب قال وكان الجب في قفر بعيد من العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤنا الجب عذبا حين ألقي فيه يوسف فلما نزلت السيارة وسلوا رجلا من العرب من أهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال أوا الوارد الذي يتقدم الرفقة الى الماء فهي الاريشة والدلاء فوصل الوارد الى البئر فأدلى دلوه فأرسلها فتعلق يوسف بالحبل فلما وصل الى فم البئر ورآه مالك بن دعر فرأى أحسن ما يكون من الغلمان قال مالك يا بشراي هذا غلام يشبر أصحابه أنه أصاب عبدا وأسروه بضاعة قال المفسرون أسر مالك بن دعر أصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها من بعض الناس الى مصر خيفة أن طلبوا منهم فيه الشركة فان علموا به قال وكان يهوذا يأتي يوسف بالطعام كل يوم سرا من اخوته فلما فعل ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجده في البئر فنظر فاذا هو بمالك وأصحابه نزولا ويوسف معهم فرجع يهوذا وأخبر اخوته

الى شيخ وهابية الاهوازي
وانه طريد الركبية
وخفنا من الحرورية
فحادت الناس وبكوا
وضجوا فقال الرجل ياقوم
معنا في السفينة رجل
صالح كان من أمره كذا
وكذا فاسألوه ان يدعو
لكم فأتوا اليه وهو نائم في
ناحية المركب ملفوفه
رأسه في الكساء قال
فايقظناه وقلنا له يا سيدي
ما ترى من سألنا وما نحن
فيه من الشدة والغرق
فرفع رأسه الى السماء
وقال اللهم أويتنا فأوتنا
وقد وثقنا فارنا حالك
وعفوك قال فما استتم
كلامه حتى سكن الريح
وهدأ الموج وسار
السفينة قال عبد الرحمن
فلما نزلنا من السفينة
سرنا أياما فهلكت من
الجوع وشكوت اليه
فاستدار ودورقي الى
شجرة البطم فملأه
المزود من أوراقها
ثم أتيته به وقال كل
فاذا هو رطب جني
ما أكلت ألذ منه ولا
أطيب قال وعشت
معه في بعض البساتين
أيلا فشكوت اليه ذلك
فقال لي اشرب فنظرت
الى دلو تدلى في الهواء
وفيه ما لم أذق أطيب منه
طعاما ولا أحسن منه
ريحا فشربت منه حتى
رويت فمكثت بعد ذلك
أربعين يوما لا

هموا بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأيا ألبس انكم قد أعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فعند ذلك أجمعوا على القائه في الجب كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب فانطلقوا به الى الجب ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب في الاردن بين مدين ومصر وقيل بين طبرية والقدس على قارعة الطريق في وادمن أودية تماعلى ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وكانت بئرا وحشية مظلمة أسفلها واسع وأعلاها ضيق يهال من طرح فيها من سعة أسفلها لا يمكنه الصعود وكان ماؤها ملحا وكان الجب من حفر رسام بن نوح ويسمى جب الاحزان فلما أرادوا أن يلقوه فيه جعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفير البئر فرفر بطوايديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي أستتر به عورتي ويكون لي كفنا بعد مماتي وأطلقوا يدي أطرد بهما عني هوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تلبسك وتؤنسك فدلوه في البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليسقط فيموت فيه فأخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة ملمملة فوقف عليها وجعل يوسف يبكي فمادوه فظن انها وحية فهتهم فأجابهم فهموا أن يرضخوه بالحجارة فيقتلوه فمنعهم يهوذا وقال لقد أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فلما ألقى يوسف في الجب أضاء له الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب وبعث الله تعالى اليه ملكا فحل عنه قيده وكان ابراهيم حين ألقي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عريانا فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه وكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلقه في عنقه فلما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقي في الجب عريانا جاءه الملك وكان عليه التعويذ فأخرج القميص وألبسه اياه وجعل يؤنسه بالنهار (ويروى) ان الملك أتاه بسفرجله من الجنة فاطعمه اياها فلما أمسى يوسف نهض الملك ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت عني أستوحش فقال له الملك قل اذا هبت شيأ يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعرف حالي ولا يخفى عليك شئ من أمري فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا فحفوا به وآنسوه في البئر ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الرابع أتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طرحك ههنا في هذا الجب قال اخوتي لأبي قال ولم قال حسدوني على منزلتي من أبي قال أتحب أن تخرج من هذا الجب قال نعم قال قل يا سامع كل مصنوع ويا بار كل مكسور ويا حاضر كل ملا ويا شاهد كل نجوى ويا قريبا غير بعيد ويا مؤنس كل وحيد ويا غالبا غير مغلوب ويا عالم الغيوب ويا محيي الموتى لا اله الا أنت سبحانك أسألك يا من له الحمد بديع السموات والارض يا مالك الملك ويا ذا الجلال والاكرام أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وأن تجعل لي من أمري ومن ضيقي فرجا ومخرجا وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب فقالها يوسف فجعل الله له من الجب مخرجا ومن كيد اخوته فرجا وآتاه ملكا عصره من حيث لا يحتسب وأوحى الله اليه وهو في البئر لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون (وقال مجاهد) خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين لم يثغر وجمع الله بينهما وهو ابن اثنى عشرة سنة (أخبرنا) أبو عبد الله الدينوري أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصيرفي أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أخبرنا عمران القزاز أخبرنا عبد الوارث أخبرنا يونس عن الحسن قال ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في العبودية والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة * رجعنا الى قصة يوسف عليه السلام واخوته بعد ما ألقي في الجب فلما ألقوه في الجب عمدوا الى سخلة من الغنم فذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وشوها وهاموا كاذبين ثم انهم رجعوا الى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم متى يأتون بيوسف فلما دنوا منه اصفروا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب أنهم قد أصيبوا بمصيبة فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففزع يعقوب وقال ما لكم يا بني وأين يوسف قالوا يا أبانا انا ذاهبنا نستبق أي نتنضل وكذلك هو في قراءة عبد الله وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وهذا قميصه

أهل الكتاب لما تم ليوسف فى الارض ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث الآية قالوا فلما أتى العزيز بيوسف الى منزله وقال لامرأته أكرمى مثواه فتأملته امرأة العزيز ورأت حسنه وجماله وقع حبه فى قلبها وعشقته فراودته أى طلبت منه متابعتها على هواها وذلك قوله تعالى وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك أى هلم تدعوه الى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله انه ربى أحسن مثواى يعنى زوجك قطفير سيدى انه أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون يعنى ان فعلت هذا خنته فى أهله بعد ما أكرمنى وائتمننى فأنا ظالم له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ومعنى الهم بالشئ ما حدث المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد قال الشاعر

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

وأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف أهل العلم فى ذلك قال السدى وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكره محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شئ يتناثر من جسدى قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هما أول ما يسيل فى الارض من جسدى قالت ما أحسن وجهك قال التراب يأكله فلم تزل تأمره مرة وتعظمه أخرى وتدعوه الى اللذة وهو شاب مستقبل مجد شبق الشباب وهى حسناء جميلة حتى لان لها الماء من كفها به ولم يخرف منها حتى خلوا فى بعض البيوت وهموا بها (وروى) اسحق بن بشار عن جويبر عن الضحاك ومقاتل جميعا عن ابن عباس فيما كان من محاورتهما قال قالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شئ يبلى اذا مت قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال ربى تعالى صورنى فى الرحم قالت يا يوسف قد أنحلت جسمى بصورة وجهك قال الشيطان يعنك على ذلك قالت يا يوسف الجنينة قد التهبت نارا قم فاطفئها فقال ان أطفأتها اطفأتنى قالت يا يوسف اجنينة قد عطشت فم فاسقنى قال من كان المفتاح بيده فهو أحق أن يسقينى قالت يا يوسف بساط الطريق قد بسط لك قم فاقض حاجتى قال اذا يذهب نصيبى من الجنة قالت يا يوسف ادخل معى تحت الستر فاستتر به قال ليس شئ يستترنى من ربى تعالى ان عصيته قالت يا يوسف ضع يدك على صدرى تشفنى بذلك قال سيدى أحق بذلك منى قالت أما ما سيدك فاسقيه كأسا فيذيب الذهب فيتناثر لحمه وينساقط عظامه ثم ألقيه فى الاسفرز وألقيه فى القيطون يعنى المخدع لا يعلم به أحد من الناس وأوليك ما لكه قليله وكثيره قال فان الجزاء يوم الجزاء قالت يا يوسف انى حسكثيرة الدر الياقوت والزمرذ فاعطيك ذلك كله حتى تنفقه فى مرضاة سيدك الذى فى السماء فابى يوسف (قال ابن عباس) فجرى الشيطان فيما بينهما فضرب باحدى يديه الى جنب يوسف وبالاخرى الى جنب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس فبلغ من هم يوسف الى ان حل الهميان وجلس منها مجلس الرجل الخائن (وروى) جابر عن الضحاك عن ابن عباس هممت بيوسف أن يفترشها وهم بها يعنى تمناها أن تكون له زوجة * وأما البرهان الذى رآه يوسف وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه فاختلفوا فيه (أخبرنا) أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبرانى أخبرنا الحسن بن عطية عن اسرائيل عن أبى حصين عن أبى سعيد قال ابن عباس فى قوله تعالى ولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه قال فدخل بنى يعقوب ولده اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة أبيه فاستحيا منه وقال قتادة رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان الانبياء (وقال السدى) نودى يا يوسف لا تواقعها انما مثلك مثل الطير فى جو السماء لا يملك ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات ووقع فى الارض لا يقدر أن يدفع عن نفسه ومثلك مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ومثلك ان واقعتها مثل الثور الذى عرث فدخل الغل فى أصل قرنيه فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد الاصفهانى أخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد السكونى أخبرنا محمد بن ابراهيم بن

يوم الحساب اذا قدمت منكسرا
وقد أتيت بذل راجيا كرم
اليك يا سيد السادات مفتقرا
هاقد نشفعت بالهادى النبى ومن
فاق النبيين والاملاك والوزرا
تالله لو لم يكن فى الارض ما نبتت
زرعا ولا أنزل البارى لها مطرا
متى أسير الى ذاك الجناب متى
أحظى برؤيته أقضى بها وطرا
صلى عليه اله العرش ما ركضت
فوق وما زمزم الحادى له اوسرى

*(وجدت عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى ونفعنا به) * أنه كان يقول فى بعض مناجاته سيدى لئن طالبتنى بذنبى لا طالبنك بعفوك ولئن طالبتنى بخطيئتى لا طالبنك بجودك وكرمك ولئن طالبتنى باساءتى لا طالبنك باحسانك ولئن أدخلتنى النار لاخبرن أهلها بحبى لك فنودى يا أبا سليمان لا تدخلك النار ولا تعذبك بها أبدا بل تدخلك الجنة لتخبر أهلها بحبك لنا ولا تخبر أهل النار

بذلك فاتوا الى مالك وقالوا له هذا عبدنا أبق منا وكتم يوسف حاله مخافة أن يقتلوه فقال مالك أنا أشتريه منكم فباعوه منه ذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين أى باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لان ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وانما قال ذلك لانهم كانوا فى ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أوقية أو بعين درهما انما كانوا يعدونها عدا فاذا بلغ أوقية وزنوه لان أقل أوزانهم وأصغرها يومئذ أوقية أربعون درهما (واختلف) العلماء فى عدد الدراهم التى باعوا بها يوسف فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدى عشرون درهما واقتسموها بينهم درهمين درهمين وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة أربعون درهما وانما باعوه بهذا القدر لانهم كانوا فيه من الزاهدين لم يعلموا كرامته على الله ولا منزلته عند الله ويقال ان السبب فى استرقاق يوسف وبيعهم اياه ان ابراهيم دخل مصر فى بعض الازمنة فلما خرج منها شيعه زهادهم وعبادهم حفة مشاة الى أربعة فراسخ تعظيما له واجلالا ولم يترجل لهم ابراهيم فاوحى الله اليه انك لم تنزل لعبادى وهم يمشون معك حفاة لاعاقبنك بان يباع ولدك فى هذه المدينة ثم ان مالك بن دعر انطلق هو وأصحابه بيوسف ومعهم اخوته يقولون لهم استوثقوا منه فانه آبق سارق كاذب وقد رثنا اليكم من عيوبه فحمله مالك على ناقته وسار وابه الى مصر وكان طريقهم على قبر أمه فلما رأى قبر أمه لم يملك ان رمى نفسه عن الناقة الى القبر وهو يقول يا أمى يا راحيل حلى عنك عقدة الردى وارفعى رأسك من الثرى وانظرى الى ولدك يوسف وما لقى بعدك من البلايا أما لو رأيت ضعفى وذلى لرحمتنى يا أماه لو رأيتنى وقد نزعوا قميصى وشدونى وفى الجب ألقونى وعلى حر وجهى لطمونى وبالحجارة رجمونى ولم يرحمونى وكاتباع العبيد باعونى وكايحمل الاسير حملونى (قال كعب الاحبار) فسمع يوسف منادیا من خلفه وهو يقول اصبر وما صبرك الا بالله قال فافتقده مالك على الناقة التى كان عليها فلم يجده فصاح فى القافلة ألا ان الغلام قد رجع الى أهله فطاب القوم يوسف فراوه فاقبل عليه رجل منهم فقال يا غلام قد خبرنا مولاك بانك آبق سارق فلم نصدق حتى رأيناك تفعل ذلك فقال والله ما أبقت ولكنكم مررتم على قبر أمى فلم أملك أن رمت نفسى على قبرها قال فرفع مالك بن دعر يده ولطم حر وجهه وجره حتى حمله على ناقته وروى انهم قيدوه فذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما نزلت منزلا ولا ارتحلت الا استبان لى بركة يوسف وكنت أسمع تسابيح الملائكة عليه صباحا ومساء وكنت أنظر الى ثمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه اذا سار وتقف على رأسه اذا وقف فلما قدموا مصر أمر مالك بن دعر أن يغتسل فاغتسل وألبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع فاشتراه قطفير بن روحيب وهو العزيز بمصر وتوأمها وكان على خزائن الملك الاعظم وكان الملك يومئذ بمصر وتوأمها الريان بن الوليد بن ثروان بن اراشة بن فارات بن عمر بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وروى أن هذا الملك مات حتى آمن بيوسف وتبعه على دينه ثم مات ويوسف حى ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن غير بن السلواس بن فاران بن عمر وبن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافرا فدعاه يوسف الى الاسلام فابى أن يسلم (قال ابن عباس) لما دخلوا مصر تاق قطفير السيارة وابتاع يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارا وزوج نعال وثوبين أبيضين (وقال وهب بن منبه) قدمت السيارة الى مصر فدخلوا بيوسف الى السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس فى ثمنه وتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ورقا وحريرا فابتاعه قطفير بهذا الثمن من مالك فلما اشتراه أتى به منزله وقال لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا واسمها راعيل بنت رعاميل قاله اسحق بن بشار وأخبرنى ابن فنجويه أخبرنا ابن أبى شيبة أخبرنا أبو حامد المسيلى أخبرنا أبو هاشم الرفاعى قال اسم امرأة العزيز بكابنت فيوش قالوا فقال لها أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا فتبناه وقال ابن اسحق كان قطفير لا يأتى النساء وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة فى ملك ودنيا (أخبرنا) أبو بكر الجوزقى أخبرنا أبو العباس الدعولى بسر حين أخبرنا على بن الحسين الهلالى أخبرنا أبو نعيم أخبرنا زهير عن ابن اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس فى يوسف وقال لامرأته أكرمى مثواه والمرأة التى أتت موسى فقالت لابيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعنى أرض مصر قال

أبتى ولا أعاشى فهذا
كلابيكم فاقتلوه در رجال
ماتركوا فى فلوبهم لغير
محبوبهم مجال قد أسبلوا
العبرات على الوجنات
(شعر)
لله در رجال واصلوا السهرا
واستعذبوا الوجد والتبريح
والفكرا
فهم نجوم الهدى والليل
يسترهم
اذا انقار نهم هم سادة بررا
كل غدا قانيا بالله مشتغلا
عمن سواه وللذات قد
هجرا
عمى وبصم فى وجد وفى
قلق
مما جناه من العصيان
منذعرا
يقول يا سيدى قد جئت
معترفا
بالذنب فاغفره لى يا خير
من غفرا
جلت ذنبا عظيما لا
أطيق له
ولم أطع سيدى فى كل
ما أمرا
عصيته وهو يرخى ستره
كرما
يا ملما كان لى فى كل نائبة
اذا استغثت به فى كربة
نصرا
وانى تائب مما جنيت وقد
واقيت بابك يا مولاى
معتذرا
لعل تقبل عذرى ثم

من الفارق والوسائد (عن ابن عباس) وسعيد بن جبير وقتادة يعني هيأت طعاما وقرأ مجاهد متكأ خطفا غير مهموز وهو كل طعام تحزه بالسكين وقال وهب اعتدت لهن اترجا بليخا وموزا ورمانا وردادا وآتت كل واحدة منهن سكينا قالت ليوسف اخرج عليهن وكانت قد أبلسته في مجلس غير المجلس الذي هن فيه جالس فخرج عليهن يوسف فلما رأينه أكبرنه وهبنه وقطعن أيديهن بالسكاكين اللاتي معهن وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج وغيره (قال قتادة) أبن أيديهن حتى ألقينها فما أحسن الا بالدم ولم يجدن من حر الايدي ألما لشغل قلوبهن بيوسف عليه السلام (وقال وهب) بلغني ان سبعا من الاربعين امرأة منهن في ذلك المجلس وجدا بيوسف عليه السلام وقلن حاش لله أي معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت راعيل عند ذلك للنسوة فذلكن الذي لمتنني فيه أي في حبه وشغفي به ثم انها أبدت لهن الميل الذي عندها فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أي امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف أطع مولاتك فقالت واعمل لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فاختار يوسف سجنين عاودته المرأة في المراودة وتوعدته بالسجن على المخالفة فقال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن أي أمل وأنا بعض من أكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم أي العزيز وأصحابه من بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءة يوسف وهو قد القميص من دبر وشق الوجه وملح النسوة أيدين ليسجننه حتى حين (قال السدي) وذلك أن المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر اليهم ويخبرهم انه راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذر فاما أن تأذن لي أخرج فاعتذر واما أن تحبسه فحبسني فحبسه بعد علمه ببراءته دفعا للتهمة عن امرأته وذلك ان الله تعالى جعل ذلك الشاهد ليوسف من أهله ونكفير الزلته قال ابن عباس ثم بدا لهم ثلاث سنين حين هموا بالسجن وحين قال الملك اني أرى سبع بقرات الآية فلبث في السجن بضع سنين وحين قال لا تعدونه انكم لسارقون قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فلبث في السجن بضع سنين ولما دخل يوسف السجن دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن الريان لا صعر الا بر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلب والآخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه منجب وكان سبب حبسهما ان الملك الاكبر الذي فوقهما وذلك انه بلغه عنهما ان خبازه يريد أن يسمه وان ساقيه وافقه على ذلك وكان الملك يجبر بعض من يريد أن يقتله بالكبر فيقتله بالكبر فلما دخلا السجن جاءا من يومهما رأى الملك واختياله فدعوا الى هذين العلامين وضمنوا لهما ما لا لسيما الطعام الملائم والشراب فغلبا باباهما الى ذلك ثم ان الساقي تكفل عنهما وانطلا زعم الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضرهما رأى صهم الطعام قال الساقي أيها الملك لا تأكل فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم قال الملك للساقي اشرب فشرب فلم يضره فقال للخباز كل من طعامك فأبى فرمى ذلك الطعام في دابة من الدواب فأكلته فهلكت فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لأهله اني أعبر الاحلام فقال أحد السجنين لصاحبه علم تجربته هذا العبد العبراني فتعالوا نسأله فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيأ قال عبد الله بن مسعود ما رأيا شيأ وانما كانا تحالما ليجربا علمه وقال القوم بل كانت رؤياهما حقيقة فألهمهما الله تعالى حينئذ أن سألاه فقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قالا له والله لقد أحببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما الله تعالى لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم أحبني أبي فدخل علي من حبه بلاء ثم أحبتني زوجتي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني يا رشد الله فكما قال فأبيا الا حبه وألقاه حيث كان وجعل يعجمهما ما يريان من فهمه وعقله وقد كانا رأيا حين دخلا السجن رؤيا فأما لك يا يوسف فقال الساقي أيها العالم اني رأيت كأني في بستان فاذا أنا بأصل كرمة عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها وسقيت الملك شربة فذلك قوله تعالى قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا أي عنبا بلغة عمان يدل عليه قراءة ابن مسعود أعصر خمرا أي عنبا وقال الخباز اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها خبز وكان كل الطير منه يأكل بتأويله انا نراك من المحسنين أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مقبل أخبرنا عبيد الله بن محمد بن ابراهيم بن قاويه أخبرنا محمد بن يزيد السلمي أخبرنا أبو الربيع الزهراني أخبرنا خلف بن خليفة أخبرنا سالم

مخمورة قال ذو النون فقلت لها يا جارية عسى فائدة نسلك أو وصية أحفظها عنك فقالت يا ذا النون عليك بالسكون حتى تهول اللهم هول وارض من الله باليسير من القوت يبنى لك بيت في الجنة من الياقوت قيل أوحى الله تعالى الى نبيه داود عليه السلام يا داود أحبني وأحبب من يحبني وحببني الى عبادي فقال داود يا رب كيف أحبك وأحبب من يحبك وأحببك الى عبادك فقال تذكرني لهم وتذكرهم آلائي ونعمائي فانهم لم يعرفوا مني الا الجميل والاحسان قيل أوحى الله تعالى الى نبي من انبياء بني اسرائيل عليه السلام يا ابراهيم اتخذتك خليلا وأنا الله خليل فما قدر أن أطاع حتى قلبك فارغ لعبادتي ولا يغرني أحد يشتاق حبك لي فاني انما أختار لحبي من لو أحرقه بالنار لم يلتفت قلبه عني ولم يشتغل بغيري فاذا كان كذلك أسكنت حبي في قلبه فتوالت علمه الآلاف فتقر بنفسه مني وهيبتي تحجبني فاي نعيم يعدل ذلك عندي وأي شرف أشرف منه لدي فوعزتي لاشغفن صدره بالنظر الي وذلك اني تحب لسن أحبش

خالد بن عمرو بن سفيان البصري ببغداد أخبرنا خالد بن يزيد البصري أخبرنا جعفر عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها فقد حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فاذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا وفارا فلما ذهب عنهما الروع والرعب عاد وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته قال الله تعالى لجبريل عليه السلام يا جبريل أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على أصبعه أو كفه وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الانبياء قال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين (أخبرنا) يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله النعماني أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عامر الطبرستاني حدثني أبي قال حدثني علي بن موسى الرضا حدثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني أبي عن أبيه علي بن الحسين في قوله تعالى ولولا أن رأى برهان ربه قال قامت امرأة العزيز الى الصنم فطلبت دونه بثوب قال فقال لها يوسف ما هذا قالت استحيي أن يرانا فقال لها يوسف أتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا أستحيي انا ممن خلق الاشياء كلها وعلمها * قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادرا الى باب البيت هاربا مما أرادته فاتبعته المرأة فذلك قوله تعالى واستبقا الباب يعني تبادر يوسف وراعيل الى الباب أما يوسف ففر هاربا من ركوب الفاحشة وأما المرأة فطلبا ليوسف ليقضي حاجتها التي راودته عنها فادركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته لها مانعة له من الخروج فقدت أي خرقت وشقت قميصه من دبر أي من خلفه لان يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا ألفيا سيدها لدى الباب أي وجدا زوجها قطفير عند الباب جالسا مع ابن عم لراعيل فلما رأته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها ما جزاء من أراد بأهلك سوأ يعني الزنا الا أن يسجن أو عذاب أليم يعني الضرب بالسياط (عن ابن عباس) وهذا كالمثل السائر خذ اللص قبل أن يأخذك فقال يوسف هي راودتني عن نفسي فأبيت وفررت منها فادركتني وشقت قميصي قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد أن يذكرها فلما قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها واختلفوا في هذا الشاهد من هو (قال) سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد أنطقه الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى بن مريم وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صبيا ولكن كان رجلا حكيما وله رأي وكان من حاشية الملك وقال السدي هو ابن عم راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بما أخبر الله تعالى عنه ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم أقبل على يوسف فقال يا يوسف أعرض عن هذا الحديث لا تذكره لاحد ثم قال لامرأته واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين أي من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم كذبت عليه (قالوا) فشاع أمر يوسف وراعيل وتحدث الناس بذلك وقال نسوة في المدينة وهن امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن وامرأة حاجب امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه أي عبدها الكنعاني قد شغفها حبا أي دخل حبه في شغاف قلبها وهو حجابه وغلافه انا لنراها في ضلال مبين أي خطإ بين حيث تراود عبدها عن نفسه فلما سمعت راعيل بمكرهن أي بقولهن وحديثهن وقال ابن اسحق يعني بكيدهن وذلك انما قلنه سكرا بها أتريهن يوسف لما بلغهن من حسنه وجماله فاتخذت راعيل مائدة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللواتي عيرنها بذلك قوله تعالى أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ أعتدت أي هيأت لهن مجلسا للطعام وما يتكئن عليه

من

ملك مصر الاكبر وهو الريان بن الوليد رؤيا عجيبة فهالته وذلك انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت في بطونهن فلم يرين انه شيء ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وأخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والكهنة ومعبريه وقصها عليهم وقال يا أيها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون اى تفسرون قالوا أضغاث أحلام مختلطة مشتبهة التأويل أباطيل وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما أي من الفتيين وهو الساقي واذكر بعد أمة أي وتذكر حاجة يوسف بعد حين قال ابن عباس بعد أمة أي بعد سنين أنا أنبئكم بتأويله فارسلون أي الى السجن (قال) ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن السجن في المدينة فبعثوه فاتى ليوسف فقال له أيها الصديق يعني فيما عبرت لنا من الرؤيا والصديق هو كثير الصدق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف الى قوله لعلهم يعلمون أي فتنال وعلمك فقال له يوسف تزرعون سبع سنين دأبا الى قوله وفيه يعصرون فرجع الساقي الى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤياه كالنهار وعرف الملك ان الذي قال كان فقال الملك ائتوني بالذي عبر رؤياي هذه فلما جاءه الرسول الى يوسف أبى أن يخرج معه حتى يعرف عذره وبراءته ويعرف حجة أمره من قبل النسوة فقال للرسول ارجع الى ربك أي سيدك الملك فاسأله مابال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم (قال ابن عباس) لو خبر يوسف يومئذ قبل ان يعلم الملك شأنه ما زال الشيء في نفسه منه ما بقي ويقول هو هذا الذي راودتماني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من أخي يوسف وكرمه وصبره والله تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني ولو كنت في السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولم أبتغ العذر والله انه كان لحليما ذا أناة قال فرجع الرسول الى الملك فاخبره بما قال يوسف فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما سمع ذلك يوسف قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين فقال له جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي الآية فلما تبين للملك عذر يوسف عرف أمانته وكفايته وديانته وعلمه وعقله قال ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما جاءه الرسول الى يوسف قال له أجب الملك الآن فخرج يوسف ودعا له وغير ثياب السجن بما يعرف الى اليوم وذلك انه قال اللهم حبب علي بابه هذا بالخير ولا تجعل عليهم بالاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار الى اليوم في كل بلدة فلما خرج يوسف من السجن كتب على بابه هذا مبر الاحياء بين الاحزان وتربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم انه اغتسل وتنظف من دون السجن وليس ثيابا جددا حسانا وقعد الى الملك فلما وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي حسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم اني أسألك بعزتك وقدرتك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم انه دعاه بالعبرانية ثانيا فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان أبي يعقوب قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان أجابه بذلك اللسان فاعجب الملك ما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنه وغزارة علمه قال له ان عندي هذا علم تأويل رؤياي ولم تعلمه الكهنة والسحرة ثم انه أجلسه وقال له اني أحب أن أسمع رؤياي منك فاخبرها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما أنت كذلك تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره فخرج من سمه وحمله سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاخذن طلعن السمان واخترسهن اختراس السباع وأكلن لحمهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومشمشن مخهن فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبهن وهن مهازيل ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن اذا سبع

بد بلى وأنت فوالذي
والذي سم في السحر
بمنا باتك وما لذت بي
فوالي ثم أخذني البكاء
والتحيب قال ذو النون
فرك مني ما كان سا كنا
وهيج من شوقي ما كان
كامنا فقلت له يا فتى ما هذا
البكاء فقال يا ذا النون
انحير في سواد الثوب
يزول بالماء والصابون
وسواد القلب يزول بماذا
قال ذو النون فقلت أنا
والله في طلب ما أنت في
طلبه وما رفعت منه الا في
الحيرة والتيه وأنشد
يقول شعرا
رأى سوادي فقلت ويلي
أشد منه سوادا قلبي
طلبت منه لذيذ الشغلا
فقال لي ليس ذا بسهب
كذلك فابي به سوادا
فازددت كربا على كربي
(الخواص) مكتوب على
الحجة في القلوب فاستلوب
بانوار الغيوب قال
بعضهم سبعة أشياء لا تتم
معرفة الرب الا بها
اخلاص النية لله عز
وجل ومعرفة العزيمة
مع الله والصدق في الله
والشوق الى التوحيد
الظن بالله والوقوف من
الله فهذه السبعة لا تتم
معرفة الله الا بها كالذي
المصباح لا يوقد الا
بسبعة أشياء لا بد منها
الزناد والجر والخرقة
والكبريت والمسرجة
والزيت والفتيلة فمعرفة

عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسانه اذا مرض رجل في السجن قام عليه فاذا ضاق عليه وسع له وان احتاج جمع له وسأل ربه وقال قتادة بلغنا ان احسانه كان يداوي مريضهم ويعزي حزينهم ويحتهد لربه وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا وتؤجروا ان في هذا لأجر وثوابا فقالوا يافتى بارك الله فينا ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك انا لانحب أن نكون في غير هذا المكان منذ رأيناك لما نخبر به من الاجر والكفارة والطهارة في ذلك فمن أنت يافتى قال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن والله يافتى لو استطعت خليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك وأحسن إيثارك فكن في أي بيت شئت قال فكره يوسف أن يعبر لهما ما سألا لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما فاعرض يوسف عن سؤالهما وأخذ في غيره قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما فقالا له هذا فعل الكهنة والسحرة فقال ما أنا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلكما مما علمني ربي ثم بين لهما دينه ومذهبه فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب الى آخر الآية فأراهما يوسف فطنته ودرايته ثم دعاهما الى الاسلام وأقبل عليهما وعلى أهل السجن وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال الزاما للحجة يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الآية ثم فسر رؤياهما لما أخا عليه فقال يا صاحبي السجن أما أحدكما وهو الساقي فيسقي ربه خمرا يعني الملك ويعود الى منزلته التي كان عليها وأما العناقيد الثلاثة فانها ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرج وأما الآخر فيصلب والسلال التي رآها في المنام ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرج فيصلب فتأكل الطير من رأسه (قال ابن مسعود) ثم لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا ما رأينا شيأ انما كنا نلعب ونجرب علمك هذا فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان أي فرغ الامر الذي عنه تسألان (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد بن الوزان أخبرنا محمد بن عبد الله الصفار أخبرنا أحمد بن مهران عن أبي زين العقيلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر فاذا عبرت وقعت وان الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وأحسبه قال لا تقصها الا على ذي رأي وعقل وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الاول عابر فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذي علم انه ناج منهما وهو الساقي اذكرني عند ربك يعني الملك وقل له في السجن غلام محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه الآية والبضع ما بين الثلاثة الى العشرة وأكثر المفسرين على ان البضع في هذه الآية سبع سنين (وقال) وهب بن منبه أصاب أيوب البلاء سبع سنين وعذب يوسف بحبسه بضع سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين (وروى) يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى (وقال الحسن) نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس (وقال مالك) بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك فقيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت ما قلت فويل لاخوتي (ويحكى) ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أنها المنذرين مالي أراك بين المخطئين فقال له جبريل عليه السلام يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت مني ان استشفعت بالآدميين فوعزتي لابثنك في السجن بضع سنين قال يوسف يا أنجى يا جبريل وهو في ذلك راض عني قال نعم قال اذا لا أبالي (وقال كعب الاحبار) قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول لك من خلقك قال الله تعالى قال فمن حبيبك الى أبيك قال الله تعالى قال فمن آنسك في البئر وألبسك وأنت عريان قال الله تعالى قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله تعالى قال فكيف استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس التي كانت قبلها وذلك انه حبس خمس سنين قبل أن يستشفع بالساقي وهو قوله تعالى ليسجننه حتى حين فلما استشفع بالساقي وقال له اذكرني عند ربك بقي في السجن سبع سنين فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته رأى

(الغواني) اذا كانت محبتها سبقت للعبد بالعناية القديمة كيف لا يسلك العبد الطريق المستقيمة كما قيل ان الله تعالى يقول يا جبريل انم فلانا وأيقظ فلانا فالحب بين يدي محبوبه قائم والبعد منه ملازم وفي حبه هائم فما عليه من العاذل واللائم (شعر)

يا عاذل القلب في صبابته
ولائم الصب في تصابيه
ترك ملامي وخل عن عذلي
فالحب معنى وأنت تدريه
وفي ضميري من لا أبوح به
وفي فؤادي من لا أسميه
قد أدهش الطرف في محاسنه
وسير القلب في معانيه
محجب والقلوب تشهده
مغيب والغرام يبديه
وجهه حيث كنت واجهني
لا شئ يخفيه أو يواريه
ان جئته صادرا عما أملي
يقول ليبك في تعاليه
ها أنا ذا ومنك مقترب
فمذ من الوصل ورد صافيه
ومن ذي النون المصري رحمه الله تعالى) انه قال رأيت فتى ظاهره المجون وباطنه الفنون فعلمت انه محب مولاه مفتون فسمعته يبكي ويقول في مناجاته مولاي قربت المحبين وطردتني فما ذنبي وخصصتهم بالوصل منك وهجرتني فوا كربي وأي قلبي أقيم بين الاقياء

مصر دوابهم ولا دينارا الا فيضوه باعهم في السنة الثانية بالحلي والحلل والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شئ وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق عبد ولا أمة الا أخذه وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى على اولها ولم يبق لاحد ملكا وباعهم في السنة السادسة بأولادهم فان الرجل كان يشتري بولده الحطب أو الشعير من شدة السنة فلم يبق لاحد ولد ذكر ولا أنثى الا ملكه وباعهم في السنة السابعة بأبنيتهم وأراضيهم حتى لم يبق بمصر ولا بعدها أمة الا صار ملكا له فتعجب الناس من أمر يوسف وقالوا تالله ما رأينا ملكا أجل من هذا ولا أعظم ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى في هذا فقال له الملك الرأي رأيك وانا نعزم لك بتبع فقال يوسف فاني أشهد الله وأشهدك اني قد أعتقت أهل مصر جميعا وردت عليهم عقارهم وعبيدهم وأولادهم (وروى) ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اني أخاف ان شبعت ان أنسى الجائع (ويروى) ان يوسف أمر طباخ الملك ان يجعل غداءه نصف النهار وعشاءه ليلة واحدة في اليوم والليلة وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع ويعود من الحسابين فجعل الطباخ ذلك فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن أحدا منهم وان كان عظيما من أكثر من حمل بعير تقسيما بين الناس وتوسيعا عليهم فتزاحم الناس عليه فقالوا أو أصاب أرض كنعان وبلاد الشام من القحط والشدة ما أصاب سائر البلاد ونزل بيعقوب من ذلك ما نزل بالناس فأرسل بنيه الى مصر يطلب الميرة وامسك عنده بنيامين أخا يوسف لامه فقام بنو يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين من ثغور الشام وكانوا أهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وانكروه لما أراد الله تعالى أن يريه ليوسف ما أراده قال ابن عباس وكان بين ان طرحوه في الجب وبين ان دخلوا عليه أرض مصر أربعون سنة فلذلك أنكروه وقيل انه كان مر بيا برى فرعون مصر فكانت عليه ثياب الديباج وعلى سريره وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبين سنة فلذلك أنكروه قال بعض الحكماء المعرفة تورث النكرة لذلك قال تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم انكم لجواسيس وانكم ما أمركم فان أنكرتم شأنكم فقالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة بنو أب واحد شيخ كبير صديق اللهني من أنبياء الله تعالى يسمى يعقوب قال فكم أنتم قالوا نحن كنا اثني عشر وذهب هالك أي الى البرية فهلك وكان أحب الى أبينا منا قال كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الآخر قالوا عند أبينا لانه أخو الذي هلك من أمنا فأوصانا به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق فقالوا أنتم أيها الملك انا بلاد لا تعرف فيها قوة يوسف فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين فاني أرى بذلك قالوا ان أبانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فضعوا بعضكم عندي رهنا حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فاصاب القرعة شمعون وكان أكبرهم بيوسف فلما رجعوا عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم الآية الى قوله وانا للفاعلون فقال عند ذلك يوسف لفتيانه أي لغلمانه الذين يكيلون الطعام اجعلوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم (قال ابن عباس) كان ابن اعتم والادم (وقال قتادة) كانت ورقا فيما بينهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون واختلف العلماء في السبب الذي فعل ذلك يوسف بهم من أجله فقال الكلبي تخوف يوسف ان لا يكون معه أبيه من الورق ما يرجعون به اليه مرة أخرى وقيل خشي أن يشق أخذ ذلك منهم على أبيه اذا كانت السنة جدبة وقيل رأى لؤما أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته مع احتياجهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون لكرمه وقيل لاوقيل فعل ذلك لانه علم أن ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة ولا يستحلون امساكها (ويروى) ان يوسف لما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا قد منا على خير رجل أنزلنا واكرمنا كرامة وكان رجل من ولد يعقوب يسأل أكرمنا كرامة فقال لهم يعقوب اذا أتيتم ملك مصر فاقرؤا عليه مني السلام وقولوا له ان أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما

فاراد ولو قطعتنا بالبلاء
لم نعل من الصبر فوالوداد
فقلب اللهم انى سئلنا
على سكم من البلاء
والاهوال ما لا تشوم
بحمل الجبال أتصبرون
على البلاء قالوا بلى اذا
كنت أنت المبتلى لنا
فاعمل ما شئت بنا فهو لا
عبادى حقا وأحبائى
حقا (الخوانى) البلاء
وكل بالحبين قد أضنى
منهم الاجساد وهكذا
من الثواب فلا يزالون
كذلك يصلون الى
المحبوب وأشد بعض
العارفين يقول شعرا
بين الله للاحباب بما
عاقبه
هموم وأحزان وحبك الذى
الضر
وحسبك كربا ان تدوم
وتعظم
بقلم وآلام تتوقد
الصدر
وأدناهم يدعو أتاوه بله
وقال اللهم صبرنا
على حكم البلاء كما
صبر الصابرون
ابراهيم الخواص يروى
الله تعالى عنه ونفعنا
أنه قال كان سبب
من البلاء
من الثواب الخواص المعروفين
بالاخلاص وكان يردد
فى بعض الايام والليالى
وكان صائم الدهر فاتاه
الليل فبات عندى ليلة
فقدمت اليه طعاما
ليفطر عليه فلم يفعل
عندى الا على الماء فلما
صلى العشاء الاخيرة
أتيته وقام يصلى الى

سنبلات خضر وسبع أخر سود يابسات فى منبت واحد عروقهن فى الثرى والماء فبينما أنت تقول فى نفسك ما هذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن فى الماء اذ هبت ريح فردت أوراق السود اليابسات على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن وصرن سودا متغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انك انتبهت مذعورا فقال له الملك والله ما شأن هذه الرؤيا وان كانت عجبا باعجب مما سمعته منك فما ترى فى رؤياى أيم الصديق فقال يوسف الصديق انى أرى أيها الملك ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة وتبنى الاهرام والخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون أبقى له ويكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتأمر الناس يرفعون من طعامهم الخمس فتكفيك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها ثم تأتيك الخلق من جميع النواحى فيمتارون منك بحكمك فيجتمع عندك من الكنوز مالا يجتمع لاحد قبلك فقال له الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعه لى ويكفينى الشغل فيه فقال له يوسف اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم أيم كاتب حاسب وقيل حفيظ لما استودعتنى عليم بسنى المجاعة وبلغة من يأتينى فقال له الملك ومن أحق به منك ولاه ذلك كله وقال له انك اليوم لدينا مكين أمين (أخبرنى) الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى بن خلد بن علوية أخبرنا اسمعيل بن جعفر الباقرى أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى قال أخبرنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لولم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجهل سؤاله اياه أخره عنه ذلك سنة فأقام عند الملك فى بيته سنة وروى سفيان عن ابى سنان عن عبد الله بن أبى الهذيل قال قال الملك ليوسف انى أريد أن تخالطنى فى كل شئ غير أنى آنف أن تأكل معى فقال له يوسف انى أحق ان آنف بذلك منك لانى أنا ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعاه الملك فتوجه بتاجه وقلده بسيفه وحلاه بحلاه وأمر له بسرير من الذهب مكلل بالدر والياقوت فضرب عليه قبة من استبرق وكان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة أذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون نمرقة ثم أمره أن يخرج فخرج متوجا ولونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى فيه سبع من بياض وجهه الناظر صفاء لونه ثم انطلق حتى جلس على السرير فدانت له الملوك ولزم الملك فوض اليه أمر مصر وعزل قطفير عما كان عليه ووجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن قريب فزوج الملك يوسف براعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين منى فقالت له أيم الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كما رأيت فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى صورتك وهيئتك فغلبتنى نفسى فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فاصابها فولدت له ابنين افرايم ومنشا ابنى يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف الملك بمصر فاقام فيهم العدل فاحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى وكذلك نجزى المحسنين وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعنى أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين وللبحترى فى هذا المعنى

أما فى رسول الله يوسف أسوة * لثلاث محبوسا على الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وكتب بعضهم الى صديق له هذه الابيات

وراء ضيق الخوف متسع الامن * وأول مفروج به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا * خزائنه بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف فى ملكه ومضت السنين المخصبة ودخلت المجدبة جاعت جوع لم تعهد الناس مثله فاصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط نام الملك فيما هو نائم اذ أصابه الجوع فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط والجوع فلما دخل أول سنة من سنى الجدب هلك فيها كل شئ أعد من السنين المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم فى أول سنة بالنقود من الذهب والفضة حتى لم يبق فى

لا سبيل الى ايقاد المصباح فاذا أردت يا هذا ايقاد مصباح قلبك بمشاهدة ربك فلا بد من زناد المجاهدة وحجر المكابدة وسراج الاشواق وكبريت المحبة ومسرجة التوكل وزيت الشكر وفتيلة الصبر ثم تعلق المصباح فى سلاسل التضرع الى ربك عند ذلك يتوقد نوره فى قلبك * (وحكى عن محمد بن أحمد المقيد رحمه الله تعالى) * انه قال سمعت الجنيد رضى الله تعالى عنه يقول كنت نائما عند السرى السقطى رضى الله تعالى عنه ليلة من الليالى فايقظنى وقال يا جنيد رأيت كأنى وقفت بين يدى الله تعالى فقال يا سرى خلقت الخلق فادعى كلهم محبتى وخلقت الدنيا فهربت منى تسعة أعشارهم وبقى العشر وخلقت الجنة فهربت منى تسعة أعشار العشر وبقى عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهربت منى تسعة أعشار عشر العشر وبقى عشر عشر العشر فقلت للهاربين لا الى الدنيا أردتم ولا الى الجنة طلبتم ولا من البلاء هربتم فما الذى تريدون وبما الذى تطلبون فقالوا أنت

ثم انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى ظعنوا ثم ان يوسف امر بهم فادركوا وحبسوا عن المسير ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم لم تحسن منزلتكم وتكرم ضيافتكم ونوفيكم كيلكم وفعلنا بكم ما لم نفعل لغيركم قالوا بلى وما ذاك قال سقاية الملك فقدناها ولم نتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين وانا منذ قطعنا هذه الطريق لم نود أحدا بسوء واسألوا عنا من مر بنا به هل أضررنا أحدا او افسدنا شيأ وانا قد رددنا الدراهم لما وجدناها في رحالنا فاولا كنا سارقين ما رددناها وفي الحديث انهم لما دخلوا مصر كمموا أفواههم لئلا تناول من محروث الناس شيأ فقال الرسول انه صاع الملك الاكبر الذي يتكهن فيه وانه اؤتمنني عليه فان لم أجده تخوفت ان تسقط منزلتي عنده وأفتضح في مصر فمن رده علي فله حمل بعير من طعام وانا به زعيم أي كفيل قالوا معاذ الله أن نسرق فقال المؤذن وأصحابه فما جزاؤه أي جزاء من وجد في رحله ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فقال الرسول عند ذلك لا بد من تفتيش أمتعتكم ولستم ببارحين حتى أفتشها ثم انه انصرف بهم الى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه لازالة التهمة وكان ينفش أمتعتهم واحدا واحدا (قال قتادة) ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء أحد الا استغفر الله تعالى مما قذفهم به حتى لم يبق الا الغلام فقال ما أظن ان هذا الغلام أخذ شيأ فقالت اخوته والله ما تركناه حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك ولا نفسنا فاستخرجوا الصاع منه فلما أخرج الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم من اطراقهم أقبلوا على بنيامين فقالوا ايش الذي صنعت بنا وفضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا يزال الناس يكيدونكم بلاء أخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي الى البرية فاهلكتموه وان الذي وضع الصاع في رحلي هو الذي وضع الدراهم في رحالكم ثم انهم قالوا ليوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وهذا هو المثل السائر عند العرب شر من بوله * واختلف العلماء في السرقة التي وصفوا بها يوسف فقال سعيد بن جبير وقتادة السرقة التي وصفوا بها يوسف انه سرق صنما لجد ابي أمه من ذهب فكسره وألقاه في الطريق وقال ابن جريج أخرجه أمه وكانت مسألة أن يسرق صنمها لها من ذهب فاتخذه وكسره وقال مجاهد جاء سائل يوما فسرق يوسف بيضة من البيت وأعطاها السائل وقال ابن عيينة دجاجة فناولها السائل فغيروا بهما وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقال الضحاك وغيره كان أول ما دخل على يوسف من البلاء ان عمته بنت اسحق كانت أكبر ولد اسحق وكانت منطقة اسحق عندها وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت لرحيل أم يوسف فلما ماتت فوضت المنطقة الى عمة يوسف وأحبت يوسف حبا شديدا وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع وبلغ سنوان وقع حبه في قلب يعقوب فأتاها وقال لها اختاري علي الى يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت له ما أنا بتاركته فلما لم تر عليها يعقوب طلبته عند ذلك وقال لها أنظري الذي تفعلين ذلك يسلبني عنه ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من عندها عمدت الى منطقة اسحق فربطت يوسف بها تحت ثيابه ثم انها قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فالتمست فلم توجد فلما فتشوا أهل البيت وجدوها مع يوسف فقالت والله انه ليسلم لي اصنع فيه ما شئت وكان ذلك حكم آل ابراهيم في السارق فاتاها يعقوب فاخبرته بذلك فقال ان كان هذا فهو مسلم لك لا أستطيع غير ذلك فلما مكث عندها ما قدر عليها يعقوب بأذى حتى ماتت فهو الذي قال اخوته ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فاسر ها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون (قال الراوي) لما دخلوا على يوسف واستخرجوا الصواع من رحل بنيامين دعا يوسف بالصاع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال ان صاحبي هذا الجيد يخبرني انكم كنتم اثني عشر رجلا وانكم انطلقتم باخ فبعتموه لكم فلما سمع بقايا من قام فسجد ليوسف وقال ايم الملك صدق صواحك هذا عن أخي أحبه وفتقره ثم قال له حي وسوف تراه فقال بنيامين اصنع بي ما شئت فانه ان علم بي سوف يستقذني قال فدخل يوسف الى منزله ثم انه بكى وتوضأ فقال بنيامين أيها الملك اني أريد ان تضرب صواحك هذا فيخبرك بالحق من الذي سرقه فجعله في رحلي فنقره ثم انه قال ان صواحبي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي الذي سرقني وقد رأيت مع من كنت قال وكان بنو يعقوب اذا غضب بعضهم على بعض قال أيها الملك والله لئن لم تتركوا تركنا أخانا لاصيحن

بادية العراق أما ما قال أبو سعد أحمد أرافقه فبينما أنا سائر ذات يوم اذ رأيت خيمة من شعر لبعض العرب فقصدتها فاذا على باب تلك الخيمة ستر مسبل فسلمت على من في الخيمة فرد علي السلام فجاوزت من داخل الخيمة ثم قالت من أين الرجل قلت من مكة قالت وأين تريد قلت الشام فقالت أرى سمتك سمت البطالين هلا لزمت زاوية تعبد الله فيها ثم قالت هل تحسن شيأ من القرآن قلت نعم فقالت اقرأ علي آخر سورة الفرقان قال فقرأتها فصرخت صرخة عظيمة ونشي علي فلما أفاقت قرأت علي آيا فشهق شهقة جعلت أقول في نفسي لقد راعها شيء ثم قالت اقرأ علي ثانيا فما رأيته قال فسررت أنها لم تفهم أول ما فهمت في المرة الاولى ثم مكثت طويلا فظننت أنها قد نسيت أني لا أقرب منه ذاهبا وتركتها مسرورا فسبقني الى الخيمة فاشرفت عليه واذا فيها رجلان وامرأة وثلاثة غلمان ومعهما جارية فقال لي أحدهما أيها على الخيمة الشر الذي في الفلاة فسلمت ثم قال أيها الحسن يسمع قلت لا فقال ماتت ورب الكعبة فمضيت مع الغلامين حتى انتهيا الى الخيمة ودخلت الجارية فكشفت

أوليقتلنا ثم انه قال لهم أين تسكنون فقالوا ان الملك ارتم منا لما تيه ببنيامين ثم أخبروه بالقصة فقال لهم ولم أخبرتموه بذلك فقالوا له انه أخذنا وقال انكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة وقالوا يا أبانا منع منا الكيل فارسل معنا أخانا نكتل يعني بنيامين وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل الآية (قال كعب) لما قال يعقوب فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين قال الله وعزتي وجلالي لاوردن عليك كلاهما بعد ما توكلت على قالوا ولما فتحوا متاعهم الذي حملوه من مصر وجدوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير فقال لهم يعقوب لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا أن يحاط بكم أي تهلكوا جميعا (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى لتأتنني به الا أن يحاط بكم الى قوله حتى تؤتون موثقا من الله ومن قبل يعني حتى تحلفوا لي بحق محمد نبي النبيين وسيد المرسلين أن لا تغدروا بأخيكم ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل أي شاهد بالوفاء فلما أرادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذلك انه خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوي جمال وهيئة وصور حسان وقامات عتدة وكانوا أولاد رجل واحد فامرهم أن يتفرقوا في دخولهم البلد لئلا يصابوا بالعين ثم قال لهم وما أغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم وكان لمصر أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها ما كان يغني عنهم من الله من شيء صدق الله يعقوب عليه السلام فيما قال الى قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف في الكرة الثانية قالوا يا أيها العزيز هذا الخونا الذي أمرتنا ان نأتيك به قد جئناك به قال لهم أحسنتم وأصبتم وستحمدون على ذلك عندي ثم انه أنزلهم وأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين على مائدة وحده وحيد افبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي أشوكم هذا وحيدا فرد بدا ثم أجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرلهم يوسف بمثل ذلك وقال لهم ليبت كل اثنين منكم على فراش واحد فلما بقي بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه فجعل يوسف يشمه اليه ويشمه حتى أصبح فجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا قط فلما أصبح قال لهم اني لارى هذا الرجل الذي جئتم به ليس له أخ يؤنسه فان تشاؤا أضمه الى ليكون منزله معي ثم ان يوسف انزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام والشراب وأنزل أخاه لامه معه وذلك قوله تعالى آوى اليه أخاه فلما خلا به قال له ما اسمك قال بنيامين قال له ما بنيامين قال المشكل وذلك انه لما ولد فقد أمه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت لبان بن ناحور قال فهل لك من ولد قال نعم قال كم قال عشرة بنين قال فما أسماؤهم قال لقد اشتقت اسماءهم من اسم أخي لي من أمي هلك اسمه يوسف فقال يوسف لقد اعتراك ذلك الى حزن شديد فما أسماؤهم قال بالعا وأخير وأشكل واحيا ونحير ونعمان وورد وأرس وجيثم وعيثم قال فما هذه الاسماء قال أما بالعا فانه أخي ابتلعته الارض وأما الخير فانه كان بكرا محببا وأبي وأما اشكل فانه كان أخا لابي وأمي ومني وأما احيا فلكونه كان حييا وأما خير فانه كان خيرا حيث كان وأما نعمان فانه كان ناعما بين أبويه وأما ورد فانه كان بمنزلة الورد في الحسن وأما رأس فانه كان مني بمنزلة الرأس من الجسد وأما جيثم فاعلمني أبي انه جر واما عيثم فلو رأيت غرته لقرت عيني وتم سروري فقال له يوسف أتحب أن أكون اخاك بدل أخيك ذلك الهالك فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ولا تعلمهم شيئا من هذا ثم ان يوسف أوفى لاخويه الكيل وحمل لبنيامين بعيرا باسمه (قال كعب) لما قال له اني أنا أخوك قال بنيامين فاني لا أفارقك قال يوسف اني قد علمت باغتمام الوالد فان حبستك زاد همه ولا يمكنني حبسك الا بعد استهلالك بامر فظيع فقال لا أبالي افعل ما تريد فقال يوسف اني ادس صاعي هذا في رحالك ثم أنادي عليكم بالسرقة فليتهيأ لي رد ذلك بعد ثم يحملك قال افعل فذلك قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كاسا من ذهب مكللا مرصعا بالجواهر جعلها يوسف مكيالا يكال بها

السحر فسمعته يقول في مناجاته سيدي ان تعذبني فانا لك محبوان ترحمني فانا لك محب ثم بكى وشهق شهقة عظيمة خر مغشيا عليه فلما أفاق قلت له يا عتبة كيف كانت ليلتك فصرخ صرخة عظيمة ثم قال يا ابراهيم ذكر العرض على أسرع الحاسبين قطع أوصال المحبين ثم غشي عليه فلما أفاق رفع رأسه وقال ياسيدي أتراك تعذب من أحبك بالنيران أو تبتلي قلبه بالهجران فحبي هما تقايقول حاشاه أن يعذب من أحبه و اجتباه واختاره واصطفاه وأنشد يقول شعرا

في وصف حبيبنا ما يغني من الغزل
وفي حديثك ما يلهي عن العذل
ملكت كلي فكلي منك يحتمل
فالامر أمرك ليس الامر من قبلي
وحق حبك ما قلبي بمنقلب
الى سواك وما حبي بمنتحل
ولو سفكت دمي عمدا بلا سبب
لكان عين الرضا عندي هو الشمل
قال أبو عبد الله أبي بكر بن سعيد رضي الله تعالى

يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله الآية قال السدى لما أخبره ولده بخبر العزيز وقوله وفعله أحست نفس يعقوب وطمع وقال لعله يوسف (وروى) أنه كان رأى ملك الموت فى المنام فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا وانه والله حى يرزق وروى انه رأى ملك الموت وقد زاره فقال له السلام عليك أيها الكظيم فاقشعر جلده وارتعدت فرائصه ورد عليه السلام ثم قال له من أنت ومن أدخلك هذا البيت وقد أغلقت على نفسى بابى كيلا يدخل على أحد وأشكو بثى وحزنى الى الله فقال له يا نبى الله أنا الذى أيتم الاولاد وأرمل الازواج وأفرق بين الجماعات قال فانت اذا ملك الموت قال نعم فقال له يا ملك الموت أنشدك الله الا أخبرتنى هل تقبض روح من تاكله السباع قال نعم قال فاخبرنى عن الارواح أتقبضها مجموعة أو متفرقة قال بل أقبضها متفرقة روحا روحا قال فهل مرت بك روح يوسف فى الارواح قال لا قال فبقى يزاوم داعيا فقال يا نبى الله ما جعلت الامساء فان الله تعالى لا يميتك حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان فى الصخرة التى على قرار الارضين وما أذن الله لى فى زيارتك الا لبشرك وأجيبك عما تسألنى عنه وان شئت أعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك قال له فاعلمنى يا عزرائيل فقال يا اسرائيل الله هل تذكر الجارية التى اشتريتها عام كذا فى شهر كذا ثم فرقت بينها وبين أبويها قال نعم يا ملك الموت كأنه كان بالامس فقال له ملك الموت فلاجل ذلك ابتليت بفقد الولد وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر قال لا قال أمرت يوما بذبح جذعة فذبحتها وشويتها فى يوم كذا فى شهر كذا فرحم العابد العبد الصالح بل وهو صائم ما أفطر منذ أسبوع فاشتم قتار الشوى فلم تطعمه شيأ عند ذلك أعمق يعقوب من كان يحضرته من العبيد والاماء وأمر ان يذبح كل يوم من أغنامه كبشان ويفرق لحمها على الفقراء والمساكين فقبل الله ذلك منه وشكر عليه وأتاه الفرج فعند ذلك قال يعقوب يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه الى قوله تعالى الا القوم الكافرون (قال قتادة) ذكر لنا ان نبى الله يعقوب عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالى فى طول بلائه ساعة قط من ليل أو نهار فعند ذلك خرج اخوة يوسف راجعين الى مصر وهذه كرة ثالثة فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز أى الملك بلغة مصر مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة أى قليلة ردية لا تنفق فى ثمن الطعام الا بتجاوز من البائع فيها * واختلف المفسرون فى هذه البضاعة ما هى فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا لا تنفق الا بوضيعة وقال ابن أبى مليكة رضى الله عنه كانت خلقة الغرائر والحبال وثنا المتاع وقال عبد الله بن الحرث والحسن كانت أمتعة الاعراب الصوف والسمن والاقط وقال الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقلى فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين قال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك ان تصدقت علينا لانهم لم يعلموا انه مؤمن وقال عبد الجبار بن العلاء سئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحد من الانبياء سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال سفيان ألم تسمع قول الله تعالى وتصدق علينا أراهم سفيان ان الصدقة كانت لهم حلالا وانما حرمت على نبينا عليه الصلاة والسلام فقال لهم يوسف حينئذ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون * واختلف العلماء فى السبب الذى حمل يوسف على هذا القول الذى كان به فرج يعقوب وراحته وآخر بلائه ومحنته فقال محمد بن اسحق ذكر لنا أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه وأدركته الرقة فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذى كان يكتم فقال هل علمتم ما فعلتم الآية وقال الكلبى اغما قال ذلك حين حكى لاخوته ان مالك بن دعر قال انى وجدت غلاما فى بئر من حاله كيت وكيت فابتاعه منى قوم بكذا وكذا درهما فقالوا له أيها الملك نحن بعناه هذا الغلام فاغتاظ يوسف من ذلك وأمر بقتلهم فذهب ليقتلهم فولوا هاربين وهو يقول كان يعقوب يبكى ويحزن لفقد واحد منا حتى كف بصره فكيف اذا أتاه خبر قتل بنيه كلهم ثم انهم قالوا له ان أنت فعلت بنا ذلك فابعث بنا معتنا الى أبينا فانه يمكن كذا وكذا فذلك الوقت رحمهم وبكى وقال لهم ذلك القول * وقال بعضهم انما قال ذلك حين قرأ كتاب أبيه اليه وذلك ان يعقوب لما قيل له ان ابنك سرق كتب الى يوسف كتابا من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر المظهر العدل والموفى الكيل أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء فاما جدى فابتلى بالنمرود فشددت يداه ورجلاه وألقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبى فشددت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم وأما انا فكان

أنه قال مررت بسكران وهو ملقى على الارض والخمر يطفح من فيه وهو يقول الله الله قال فتعجبت من ذلك ورفعت بصرى الى السماء وقلت الهى لسان يذكرك لا يكون هكذا ثم طلبت ماء فغسلت له فمه وانصرفت فلما أفاق أخبره جماعة من الناس ان السرى السقطى فعل معنا كذا وكذا فسجل الرجل واستحى ولام نفسه ووبخها وقال ويحك يا نفسى اذا لم تستحى من الله ومن أوليائه فمن تستحين ثم تاب مما كان فيه وأقسم على نفسه أن لا يعود فقال السرى فبت تلك الليلة متفكرا فى أمر ذلك الرجل فرأيت رب العزة فى المنام وهو يقول يا سرى أنت طهرت فمه من أجلنا ونحن طهرنا قلبه من أجلك قال السرى فلما أصبحت فرحت بذلك فرحا شديدا ثم سألت عن ذلك الرجل فوجدته فى بعض المساجد وهو قائم يصلى فلما فرغ من صلاته سلم على وقال جزاك الله عنى خيرا قال السرى فقلت يا سيدى وكيف تسأل عن حالى وقد أخبرك به المولى الكريم من قال لك وقد طهرنا قلبه من أجلك فقال السرى فتحيرت

معجلة لا يرق في مصر امرأة حامل الا ألقت ما في بطنها وفاحت كل شجرة في جسدها فغر بجثمن ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا ومس احدهم الارض ذهب غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنب ربيل ومسه فقام الغلام الى جنبه فمسكن غضبه فقال ربيل ان في هذا البيت لشيأ من ولد يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب ربيل وقال أيها الملك لا تذكر يعقوب فانه اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله قال يوسف أنت اذا ان كنت صادقا فلما أراد يوسف أن يحتبس أخاه عنده ويصير بحكمه وانه أولى به منهم واحتبسه ورأوا ان لا سبيل لهم الى تخليصه منه سألوه أن يخلي لهم ويعاونه واحدا منهم بدله فقالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا كفانا جميعه فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال يوسف معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزا عن الكذب انا اذا لظالمون ان أخذنا بريئا بسقيم فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا أي خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين فقال كبيرهم يعني في العقل وهو شمعون عن مجاهد وقال قتادة والسدي كبيرهم في السن وهو روبيل ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله في هذا الغلام لتردونه ومن قبل ما فرطتم في يوسف أي من قبل هذا قصرتم في شأن يوسف فان أبرح الارض يعني أرض مصر حتى يأذن لي أبي فارجع الى الملك فانا خزة القتال أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا أي نحن رأينا سرقته وما كنا للغيب حافظين حين سألنا ان نرسله معنا ولو علمنا الغيب انه يسرق ما ذهبنا به معنا واسئل القرية يعني واسئل أهل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها يعني قوما صحبوهم من أهل كنعان وانا لصادقون في قولنا فرجعوا الى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذي لا جزع فيه عسى الله أن يأتيني بهم جميعا يعني يوسف وبنيامين انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم يعقوب وقال يا أسفا على يوسف وذلك انه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم وقال يا أسفا على يوسف والاسف أشد الحزن (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الامم عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب حين أصابه على ابنه ما أصابه من الحزن لم يسترجع انما قال يا أسفا على يوسف (وقال الحسن) كان بين خروج يوسف من عند أبيه الى يوم الالتقاء ثمانون سنة لم تجف عيناه من الدموع وما كان على وجه الارض أكرم على الله تعالى من يعقوب فلما شكا بثه وحزنه قال له ولده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أي مريضا ذاهب العقل من الهم أو تكون من الهالكين فقال يعقوب لسارا أي غلمانهم وحشمهم انما أشكو بثي وحزني الى الله لا اليكم وفي الحديث ان يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقة فقال له بعض جيرانه قد انحنيت وضعفت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فما بلغ بك ما أرى فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى الى يعقوب أتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي فقد غفرت لك فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثي وحزني الى الله (أخبرني) الحسين بن محمد به أنبأنا أحمد ابن الحسن بن حامد أخبرنا الحسين بن أيوب أخبرنا عبد الله بن أبي زياد أخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السمط قال سمعت أبي يقول بلغنا أن رجلا قال ليعقوب بما الذي أذهب بصرك قال حزني على يوسف قال فما الذي قوس ظهرك قال حزني على أخيه فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكوني وعزتي وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني فقال عند ذلك انما أشكو بثي وحزني الى الله فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لو كانا ميتين لأخرجتهما لك حتى تنظر اليهما ولاعدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام بابكم مسكين يستطعم فلم تطعموه منها شيأ وان أحب الناس الي من خلقي الاضياعهم المساكين فاصنع طعاما واوع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب (وقال) وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب أتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا الهي قال لانك شويت عناقا وقمت على بابك وأنت لم تعلم وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف أنه كان له بقرة تولد لها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تخور فلم يرحمها يعقوب فأخذه الله بذلك فابتلاه بفقد أعز ولده اليه ثم ان يعقوب قال لبنيه يا بني اذهبوا فتحسسوا من

نفر وجه الجور فاذا هي ميتة فتعجبت من ذلك ثم قلت للجارية حسن هذان الغلامان فقالت هما شر بيان جعفريان وهذه أختهما ولها منذ ثلاثين سنة لم تستأنس بكلام أحد من الناس واذا نزلوا بواد اعتزلت منهم بعيدا وضربت خيمتها في الفلاة فكانت تأكل في كل ثلاثة أيام مرة واحدة رضي الله عنها (اخواني) الى متى تشتغلون بالالذات الفانيات عن الباقيات الصالحات بادروا الى الاوقات واستدركوا الهفوات وكفوا عن الشهوات أما أيقظكم منادي الشتات أما هزكم حديث الصالحين والصالحات اذا جاء النهار قطعوه متقاطعة الاذات واذا أقبل الليل ضجوا بحنين الاصوات ليس لهم الى غير محبوبهم التفات (شعر)

حياتنا باطل نغتر به
وعمرنا ذاهب قصير
والناس في غفلة نيام
وقد دعتهم لها القبور
والعمر يمضي وليس يدري
مثل سنين بنا تدور
يا نفس ما سر فهو حزن
لا تحسبي انه سرور
فاذكري الموت واستعدي
له فقد جاءك النذير

(وعن السري السقطي رضي الله تعالى عنه

الله عز وجل وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما جنوا على أخيهم يوسف فأوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فنحويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبة أخبرنا أحمد بن السفر بن ثوبان البصري أخبرنا اسحق ابن زياد الارملي أخبرنا الفضل بن حميد البغدادي أخبرنا اسحق بن زياد وابن ضمرة عن رجاء بن أبي سلمة عن عطاء الخراساني قال طلب الحوائج الى الشباب أيسر منها الى الشيوخ الا ترى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي * (وروى) * ان يعقوب قال للبشير لما أخبره بحياة يوسف كيف يوسف قال له انه ملك مصر فقال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام فقال يعقوب الآن تمت النعمة (وقال الثوري) لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى يا بني ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك يوم القيامة قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازا ومائتي راحلة وسأله أن يأتيه باهله ووالده أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فلما دانا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر الذي فوقه فخرج مع يوسف في أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهما يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشي متوكئا على يهوذا فنظر يعقوب الى الجند والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر الاكبر فقال لا هذا ابنك فلما دانا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فمنعه الله من ذلك وكان يعقوب أفضل وأحق بذلك منه فابتدأه يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه ورفعهما على العرش وأبواه يعقوب وخالته ليا فسمي الخالة أما كما سمي العم أبا في قوله تعالى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق وقال الحسن نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له تحقيقا لرؤيا فذلك قوله تعالى وخروا له سجدا وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الارض فلما رأى يوسف أبويه واخوته قد خروا له سجدا انشمر عند ذلك جلده وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا الآية (قال وهب) دخل يعقوب وولده مصر وهم اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون وجلا سوى الذرية والهرمى والزمنى وكانت الذرية ألف ألف سوى المقاتلة * وقال الفضيل بن عياض بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف وملكه فكان يطوف يوما من الايام في خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس بيضاء فقال له يا بني لقد تغيرت بعدي لك هذه القراطيس وما حملت بطاقة منها تكتب الي كتابا فقال يوسف هذه القراطيس كلها كنت كلما زاد شوقي وكثر حنيني آخذ ورقة حتى أكتب اليك يا أبت فيمنعني جبريل ان أكتب اليك فأترك ذلك في هذه الخزانة شوقا لبلوغ هذا المبلغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال صدق ربي فسأل الله عن ذلك فأوحى الله اليه لانك قلت أخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتني هذه العقوبة لاجل تخوفك من غيري * (وروى) * صالح المري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال ان الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ما فعلتم بالشيخ يعقوب ويوسف قالوا بلى قالوا فان عفوا عنكم فكيف لكم بربكم فاستقام أمرهم على أن باتوا الشيخ فاتوه وجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه قاعد فقالوا يا أبانا أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط والانبياء أرحم البرية فقال ما بكم يا بني فقالوا ألست تعلم ما كان منا اليك والى أخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فاستغفر لنا قد عفونا عنا فالا بلى قالوا فان عفو كما لا يغني عنا شيأ اذا كان لله تعالى لم يعف عنا قال فما تريدون يا بني قالوا نريد أن تدعو الله لنا فاذا جاءك الوحي من عند الله سله هل عفا الله عنا فان أجابك بانه قد عفا عنا جمعنا قرت أعيننا وطابت قلوبنا والا فلا قرت لنا عين في الدنيا أبدا فقام الشيخ يا ستقبل القبلة وقام يوسف خلفه وقاموا كلهم خلفهما أذلة خاشعين قد عاينوا الموت وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريبا من عشرين سنة قال صالح المري ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويبشرك بانه قد أجاب دعوتك في ولدك وانه قد عفا عما صنعوا وانهم قد انعقدت مواثيقهم بعدك على

فيما هاهنا وأنشد في قوله شعرا

فيا روحي ويحاني اذا كنت حاضرا
وان غبت فالدنيا على محابس
اذا لم أنافس في هوالك ولم أغر
عليك ففي من ليت شعري أنافس

(وقيل) كان حبيب النجار رحمه الله تعالى من الاولياء الاخيار وكان يقوم الليل ويصوم النهار ويؤثر بطعامه عند الافطار ويبيت طاويا في خدمة الملك الغفار فاذا كان وقت الاسحار ناجى ربه بلسان الذل والانكسار وقال الهي عمرتني في بحار غفلتي وركبت بي في سدار سبوتي وعثرت في أذيال زلتي في بريه شقوتي ومالي غيرك أعتمد عليه ولا أعرف بابا غير بابك ألجئ اليه وها أنا عبدك الذليل المذنب قد وقفت ببابك ولذت بجنابك فان لم تغفر لي فواذلي ومصيبتي وان لم تعف عني فواطول سعيتي ثم يسجد فلا يرفع رأسه حتى يطلع الفجر فاذا صلى وفرغ من صلاته شرع في قراءة القرآن من أول الختمة الى آخرها بقية اليوم كله فلما مات كان آخر آية تلاها في سورة يس قوله تعالى اني اذا لفي ضلال

لي ابن وكان أحب أولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وأنك حبسته لذلك وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فاظهر لهم أمره وقال بعضهم انما قال ذلك حين سأل أخاه بنيامين هل لك ولد قال نعم ثلاثة بنين قال فاسمياتهم قال سميت الاكبر منهم يوسف قال ولم قال محبة لك ولذكرك قال فاسميت الثاني قال ذئبا قال ولم والذئب سبع عاقر قال لاذكرك به قال فاسميت الثالث قال دما قال ولم قال لاذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة ولم يتمالك ان قال لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا له أئنك لأنت يوسف قال ابن اسحق لما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف هل علمتم ما فعلتم الآية ثم تبسم وكان اذا تبسم كان ثناياه كاللؤلؤ المنظوم فلما أبصروا ثناياه شبهوه بيوسف فقالوا له مستفهمين أئنك لأنت يوسف (وروى) عطاء عن ابن عباس انه قال ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له في فرقه علامة وكان ليعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لسارة مثلها شبه الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا بان جمعنا بعد ما فرقتم بيننا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ثم انهم أقروا بفضل يوسف عليهم وحرمتهم اليه فقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال يوسف وكان حليما كريما موفقا لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (قال) السدي وغيره فلما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبي من بعدي قالوا ذهبت عيناه فاعطاهم قميصه (قال الضحاك) كان ذلك القميص من نسج الجنة وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا على سقيم الا صح وعوفي فاعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذي كان لابراهيم وقد مضت قصته فقال لهم اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يأت بصيرا وائتوني باهلكم أجمعين فلما فصلت العير من مصر متوجهين الى كنعان قال أبوهم يعقوب اني لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون أي تسفهون (وروى) أن ريح الصبا استأذنت ربها أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فاذن لها فاتتهم بها قال ابن عباس وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثمان ليال (وقال مجاهد) وذلك انه هبت ريح فصفقت القميص فاحملت الصبا ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس في الارض من رياح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال اني لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون فقال له بنوه تالله انك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير وهو يهوذا بن يعقوب قال ابن مسعود جاء البشير من بين يدي العير وقال السدي قال يهوذا ليوسف أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فاخبرته ان يوسف أكله الذئب فاعطني اليوم قميصك لاخبره انك حي فافرحه كما أحزنته (قال) ابن عباس حمله يهوذا وخرج ماشيا حافيا وجعل يعدو حتى أتى أباه وكان معه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما أتاه بالقميص ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال الضحاك رجع اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن (عن) أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان يعقوب عليه السلام أكرم أهل الارض على ملك الموت وان ملك الموت استأذن ربه في أن يأتي يعقوب فاذن له فجاءه فقال له يعقوب يا ملك الموت أسألك بالذي خلقك هل قبضت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس فقال لا ثم قال له ملك الموت يا يعقوب الا أعلمك كلمات قال بلى قال قل يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصيه أحد غيرك قال فدعا بها يعقوب في تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرح القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند ذلك ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي الآية (قال) أكثر المفسرين أخر ذلك الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وذلك ان الدعاء في الاسحار لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب الى الوعد قام الى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى

من ذلك وقلت من أخبرك بذلك فقال الذي طهر قلبي من سواه وجاد علي بعفوه ورضاه (وعن السري أيضا رضي الله تعالى عنه) أنه قال دخلت الجبانة فرأيت بهلولا المجنون على قبر مقرفصا على التراب فقلت له ما جلوسك ههنا فقال عند قوم اذا حضرت عندهم لا يؤذنون وان غبت عنهم لا يفتقدونني فقلت له ياهذا ان الخبز قد غلا فقال والله ما أبالي ولو صارت كل حبة بدينار علينا أن نعبده كما أمرنا وعليه أن يرزقنا كما وعدنا (وقيل) ان رابعة العدوية رضي الله عنها مرت برجل وهو يذكر الجنة وما أعد الله فيها لاهلها فقالت له ياهذا الى متى تشتغل بالاغيار عن الواحد القهار ويحك عليك بالبار ثم الدار فقال لها الذهبي يا مجنونة فقالت است بمجنونة وانما المجنون من لم يفهم ما أقول ثم قالت يا مسكين الجنة سجن من لم يكن الله أنيسه وجليسه ألا ترى الى آدم عليه السلام لما كان في الجنة يرتع فلما تعرض له ابليس للاكل من الشجرة صارت عليه سجنا وابراهيم الخليل لما لفظ سرمولا قربه واجتباه ولما طرح في النار صارت عليه بردا

يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

(مجلس في قصة موسى بن عمران بن منشا بن يوسف عليه السلام)

وهو موسى الاول وقد ذكرنا فيما مضى ان يوسف عليه السلام ولد له ابنان أحدهما يقال له افرايم والآخر منشا وابنة يقال لها رحمة وهي امرأة النبي أيوب عليه السلام فولد لافرايم نون وولد لنون يوشع وهو فتى موسى ابن عمران وخليفته على بني اسرائيل وأما منشا فولد له موسى فنبأه الله تعالى فزعم أهل التوراة انه صاحب الخضر والعامة من العلماء ان صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) أهل العلم بالتاريخ لما مات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الامر الى الاسباط كثروا وغلبوا ظهر فيهم ملوك فغيروا وسيروهم وأفسدوا في الارض وفشا فيهم السحر والكهانة فبعث الله تعالى اليهم موسى بن منشا رسولا يدعوهم الى عبادة الله وأداء أمره واقامة سننه وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتي سنة فأطاعه قوم منهم وعصاه آخرون (وقال وهب بن منبه وغيره) كان مما أوحى الله اليه ان قل لقومك اني بريء من سحر أو سحرته له أو تكهن أو تكهن له أو تطير أو تطير له من آمن بي صادقا وتوكل علي فاني كنت له كافيا ومنجيا وكفيته هم دنياه وكنت له خير معين وهاد وكنت عند ظنه بي ومن عدل عني ووثق بغيري فانا أغنى الشركاء عن الشرك أكلا الى من وثق به دوني ومن وكله الى غيري فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباعد عني كنت عنه أشد تباعدا ومن تقرب الي كنت اليه أشد تقربا منه الى وقل لعبادي لا تغفلوا عن ذكري وليكثر ذكروا الموت عند كل شهوة فانه يميت الشهوات واللذات كلها قالوا فلبث فيهم ما شاء الله أن يلبث يقيم أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين والله تعالى أعلم

(مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد)

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الآية (روى) سفيان عن منصور عن أبي وائل قال ان رجلا يقال له عبد الله بن قلابة خرج في طلب ابل له قد ضلت أي شردت فبينما هو في بعض صحاري عدن في تلك الفلوات اذ وقع على مدينة عليها حصن معمول ذلك الحصن قصور عظيمة وأعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها من يسأله عن ابله فلم ير فيها أحدا ولا انهار جاف نزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدنيا أعظم منهما ولا أطول واذا خشبهما من أطيب عود وعليهما النجوم من ياقوت أصفر وياقوت أحمر مثبتة وهما قد ملآ المكان فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين فاذا هو بمدينة لم ير الراؤن مثلها قط واذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد على كل باب من أبواب تلك القصور مصراع مثل مصراع باب تلك المدينة من عود رطيب قد نضدت عليه اليواقيت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم ير هناك أحدا أخذه الفزع ثم انه نظر الى الازقة فاذا في كل زقاق منها أنهار قد أثمرت ونخلها أنهار تجري في قنوات من فضة أشد بياضا من الثلج فقال هذه الجنة التي وصفها الله لعباده في الدنيا والحمد لله الذي أدخلني الجنة ثم انه حمل من اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها شيأ ولا من ياقوتها لانها كانت مثبتة في أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران منثورة بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف فأخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم انه سار يتقفو أثر ناقته حتى وجع الى اليمن فأظهر ما كان معه وأعلم الناس بأمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد اصفر وتغير لونه من طول الزمان الذي مر عليه ففشا خبره حتى بلغ معاوية بن أبي سفيان فأرسل رسولا الى صاحب صنعاء وكتب اليه بأشخاصه فأشخص حتى قدم على معاوية فخلا به ثم سأله عما عاين فقص عليه أمر المدينة وما رأى فيها فاستعظم ذلك معاوية وأنكر ما حدثه به وقال له ما أظن ما تقوله حقا فقال له يا أمير المؤمنين ان معي من متاعها الذي هو مطروش في قصورها وغرفها فقال له وما هو قال اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فقال له أرني اياه فعرض عليه ما حمله من تلك المدينة

(وكان) يحيى بن معاذ الرازي يقول في مناجاته الهي ليس العجب من عبد ذليل يحب ربا جليل بل العجب من رب جليل يحب عبدا ذليل (قال) بعض العارفين رضي الله تعالى عنهم اطلب حبه يزرع في أرض القلوب ويسقى بماء العقول فينمو على قدر طيب الارض وصفو المياه والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا (وعن) أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله تعالى وأن يكره أن يعود للكفر بعد أن أنقذه الله تعالى منه كما يكره أحدكم ان يقذف في النار (وعن) أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون في جلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي (وقيل) كان عبد الله بن الحسين جارية أعجمية وكانت من أولياء الله تعالى قال فرأيتها في بعض الليالي وقد قامت من منامها فاحسنت الوضوء

النبوة قالوا فاقام يعقوب بمصر بعد موافاته بأهله وولده أربعة وعشرين سنة باغبط حال وأهنأ عيش وأتم راحة وأدوم سلامة ثم حضرته الوفاة فلما احتضر جمع بنيه وقال ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ثم قال يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم انه أوصى الى يوسف أن يحمل جسده الى الارض المقدسة حتى يدفنه عند أبيه اسحق وجده ابراهيم ففعل ذلك ونقله الى بيت المقدس فى تابوت من ساج وخرج معه يوسف فى عسكره واخوته وعظماء أهل مصر وافق ذلك يوم وفاة عيص فدفنا فى يوم واحد وكان عمرهما جميعا مائة وسبعا وأربعين سنة لانهما ولدا فى بطن واحد وقبرا فى قبر واحد (قال) فلما جمع الله ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له تفسير رؤياه وكان موسعا عليه فى ملك الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك لا يدوم له وانه لا بد من فراقه فاراد نعيم الجنة الذى هو أفضل منه فتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن نبى قبله ولا بعده الموت فقال ربى قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث الآية *(وروى)* ان يوسف لما حضرته الوفاة جمع اليه قومه من بنى اسرائيل وهم ثمانون رجلا وأعلمهم بحضور أجله ونزول أمر الله تعالى به فقالوا يا نبى الله نحب أن تعرفنا كيف تتصرف الاحوال بنا بعدك وبمن أظهرنا والى ما يؤل اليه أمرنا ودينا وملتنا فقال لهم ان أمركم يستقيم على ما أنتم عليه وتستقيمون على دينكم الى أن يبعث رجل جبار عات من القبط يدعى الربويبة فيقهركم ويذبح أبناءكم ويستحيى نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتمتد أيامه مدة مديدة ثم يخرج من بنى اسرائيل من ولد لاوى بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران رجل طوال جعد الشعر آدم اللون فينجيكم الله من أيدى القبط على يده قال فجعل كل من بنى اسرائيل يسمى ابنه عمران ويسمى عمران ابنه موسى قال وكان ليوسف ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف انه يستقيم أمركم ما دام يصرخ فيكم هذا الديك فاذا ولد هذا الجبار يسكن فلا يصرخ مدة ولايته حتى اذا انقضت مدة ولايته وأذن الله تعالى بمولد هذا النبى فيصرخ هذا الديك ويعود الى صراخه ويكون ذلك علامة انقضاء ملك الجبار وظهور نبى الله فى الارض فما زالوا يراعون الحال الى أن سكن صراخ الديك فوجدوه قد اكتأبوا وأيقنوا بوهى أركان دينهم واضطلال ما آذنهم به يوسف من مولد الجبار واعتزلوا الذلك واجمين الى أن صرخ ذلك الديك فاستبشروا وتصدفوا وفرحوا واستبقنوا بالفرج والراحة ثم مات يوسف عليه السلام وكان قد أوصى الى أخيه يهوذا واستخلفه على بنى اسرائيل فتوفاه الله طيبا طاهرا ودفن فى النيل فى صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب أن يدفن فى محلتهم لما يرجون من بركته حتى هموا بالقتال فرأوا أن يدفن فى النيل حيث تتفرق المياه بمصر فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونون كلهم فيه شرعا واحدا ففعلوا ذلك وكان قبره فى النيل الى أن حمله موسى عليه السلام معه حين خرج من مصر بنى اسرائيل فنقله الى الشام ودفنه بأرض كنعان خارج الحصن حيث هو اليوم فلذلك تنقل اليهود موتاهم الى الشام من فعل ذلك فيهم (وروى) يونس بن عمران عن أبى موسى قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعرابى فاكرمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرمتنا فاحسنت سل حاجتك فقال ناقة نرحلها ونمتحلبها أهلى فقال صلى الله عليه وسلم أعجز هذا أن يكون مثل عجوز بنى اسرائيل فقالوا يا رسول الله وما عجوز بنى اسرائيل فقال ان بنى اسرائيل لما خرجوا ضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا فقال علماؤهم ان يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله ان لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبنى اسرائيل فبعث اليها موسى فاتته فقال دلينى على قبر يوسف فقالت له وتعطينى حكمى قال وما حكمك قالت ان أكون معك فى الجنة وكره أن يعطيها حكمها فأوحى الله اليه أن أعطها حكمها ففعل (وروى) من طريق آخر ان هذه العجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم فقالت له لا أخبرك حتى تعطينى أربع خصال تطلق رجلى وتعيد الى بصرى وشبابى وتجعلنى معك فى الجنة قال فكبر ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه ان أعطها ما سألت فانك انما تعطى على فعل فانطلقت بهم الى موضع عين فى مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطئ النيل فى صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه (وقال) أهل التاريخ عاش يوسف بعد موت

يعقوب

بين ظهرانى قومه ينتظر اليه الملائكة فقالا له مرحبا بك وبمن دينك فقال انى آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين *فلله درهم من أقوام قاموا يناجون الحبيب والناس فى غفلاتهم نائمون ويتحملون أثقال الوجد والغرام ويفرحون بالليل اذا جن الظلام فهم فى جنات الخلد يتنعمون والى وجه الحبيب ينظرون ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون شعر

لله قوم بذكرها اشتغلوا
وفى حمى قربه لقد نزلوا
ليس لهم غير ذكره فرحا
فهم حقيقا مرادهم حصلوا
من ذاق وصل الحبيب هام ولم
يكنه منزل ولا ملل
بروحهم فى وصاله سمحوا
وحققوا ربحهم وما جهلوا
قاموا يناجونه وقد علموا
أنهم للمعاد قد عملوا
فاستعذبوا الصعب فى
هواه وقد
لذ لهم فى رضاه ما حملوا

(قيل) كان أبو يزيد البسطامى رحمه الله تعالى يقول فى مناجاته الهى لست أعجب من حبى لك وأنا عبد حقير وانما أعجب من حبك لى

اليهم الجواهر والذهب والفضة فمنهم من بعث بالعمد ضربة ومنهم من بعث بالذهب والفضة مسنوعة مفرغا منها فدفعوا كل ذلك الى أوائل القهارمة والوزراء فاقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد فقال له معاوية يا أبا اسحق انى لاحسبهم أقاموا فى بنائها زمانا من الدهر قال نعم يا أمير المؤمنين انى لاجد فى التوراة انهم أقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قال كان عمره سبعمائة سنة فقال له معاوية يا أبا اسحق لقد أخبرتنا خبرا عجيبا فحدثنا فقال يا أمير المؤمنين انما سماها الله تعالى ارم ذات العماد من أجل العماد التى تحتها من الزبرجد والياقوت وليس فى الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فاذلك قال التى لم يخلق مثلها فى البلاد (قال كعب) انهم لما أتوه وأخبروه بفراغهم منها قال انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا واجعلوا حول الحصن ألف قصر عند كل قصر ألف علم ويكون فى كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائى ويكون كل علم منها عليه ناطور فرجعوا وعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم انهم أتوه فاخبروه بالفراغ مما أمرهم به قال فامر ألف وزير من خاصته أن يهيؤا أسبابهم ويعملوا على المثل الى ارم ذات العماد وأمر رجالا أن يسكنوا تلك الاعلام وان يقيموا فيها ليلهم ونهارهم وأمر لهم بالعطاء والارزاق وأمر الملك من أراد من نسائه وخدمه ان يتجهزوا الى ارم ذات العماد فاقاموا فى جهازهم عشرين سنة ثم سار الملك بمن أراد الى أرض أبين وخلف من قومه أكثر مما سار به فلما استقل وسار اليها ليسكنها وبلغ منها وضعا وبقى بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق أحد منهم ولم يدخل شداد ولا من كان معه ارم ذات العماد ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة فهذه صفة ارم ذات العماد وانه سيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك هذا ويرى ما فيها فحدث بما عاين ولا يصدق فقال له معاوية يا أبا اسحق هل نصفه لنا قال نعم هو رجل أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه مثال يخرج فى طلب ابل له فى ثنية العمارى فيقع على ارم ذات العماد فيدخلها ويحمل مما فيها وكان الرجل جالسا عند معاوية فالتفت كعب فرأى الرجل فقال هو ذاك الرجل يا أمير المؤمنين قد دخلها فاسأله عما حدثت به فقال معاوية يا أبا اسحق ان هذا من خدمى ولم يفارقنى قال قد دخلها والاسوف يدخلها وسيدخلها أهل هذا الدين فى آخر الزمان فقال معاوية يا أبا اسحق قد فضلك الله على غيرك من العلماء ولقد أعطيت من علم الاولين والآخرين ما لم يعطه أحد فقال يا أمير المؤمنين والذى نفس كعب بيده ما خلق الله فى الارض شيئا الا وقد فسره فى التوراة لعبده موسى عليه السلام فسيرا وان هذا القرآن أشد وعيدا وكفى بالله شهيدا وكيلا (قال الشعبى) أخبرنا دغفل الشيبانى عن رجل من حضرموت يقال له بسطام انه وقع على حضيرة شداد بن عاد فى جبل من جبال حضرموت مطل على البحر قال كنت أسمع فى صباى الى ان اكتهلت بمغارة فى جبل من جبالها وان الناس تهيبوا دخولها فلم أحفل بما كنت أسمع من ذلك فبينما أنا فى نادى قومى اذ أنشدت واحدة تلك المغارة وأطنبوا فى ذكرها ووصفوا دخولها فقلت لقومى انى غير منته عن هذه المغارة حتى أدخلها فهل فيكم من يساعدنى فقال فتى منهم حديث السن أنا أصاحبك قلت يا ابن أخى أتجسر على ذلك قال عندى ما عند رجل من شدة الجاش وقوة القلب فهيأنا شمعة وحملنا دوات عظيمة تمر وعصا وطعاما مقدار ما يقوم بنا ونقدر على حمله ثم مضينا نحو ذلك الجبل الذى فيه المغارة وكان شرفا على البحر فى المكان الذى يركب منه أهل حضرموت البحر فلما انتهينا الى باب تلك المغارة حزمنا علينا ثيابنا أشعلنا الشمعة ثم ذكرنا الله تعالى ودخلناها وحملنا تلك الادوات من الماء والطعام فاذا مغارة عظيمة عرضها شرون ذراعا وطولها ما لا نحو خمسين ذراعا فمشينا فيها وهو يناف طريق أملس مستو ثم أفضينا الى درج عادية رض الدرجة عشرون ذراعا فى سمك عشرة أذرع فحملنا أنفسنا على نزول تلك الدرج فقلت لصاحبى هلم الى يدك كنت آخذ بيده حتى ينزل فاذا نزل وقام فى الدرجة تعلقت بطرف الدرجة وتشبثت حتى يتناول رجلى على منكبه فلم نزل كذلك دأبنا عامة يومنا حتى نزلناها وكانت مقدار مائة ذراع فاذا نحن بعرصة فافضينا الى أزج عظيم محفور فى الجبل فى طول مائة ذراع وعرض أربعين ذراعا وسمكه فى السماء قدر مائة ذراع وفى صدر ذلك الازج سرير من ذهب منضد مسنوف بالجواهر وفوقه رجل عادى عظيم الجسم قد أشفى طول ذلك الازج وعرضه وهو مضطجع على ظهره

وانخر ليس له آخر وقرب
منى قاربا من تقرب
منى شبرا تقربت منه
ذراعا فركبت موافقة له
واتباعا له فطابت الروح
من دعاها باسم الله
بحراها ومرساها
فلما توسطت اللجة
توعرت سبيل الجفنا
زلت حتى جمعنى فى تجميع
بحر يحبهم ويحبونه فانا
بين البقاء والفناء حتى
وصلت الى ذلك الغناء
والهناء (شعر)
حروف المحبة معروجة
تبشرنا بابلوغ المنا
فهم الممات وعاد الحياة
وباء البلاء وهاء الهوى
فلا تطمئن بطيب اللقا
وطول البقاء بدون الفنا
حبينا الوصال بعد النصال
فان ذاق سمر القنا ثلقنا
فلا تجزعن من نار النكال
وحر الوبال فطعم الهنا
ومن مثل مامات أهل الهوى
فاتوا الشقا فنالوا المنى
وناضرهم حين نادتهم
على طور سيناء انى أنا
(ويحكى عن أبى يزيد
البسطامى رضى الله تعالى
عنه) انه قال كنت يوما فى
سماعى متلذذا تحلوبى
وراحتى مستغرقا فى
ذكرى مستأنسا بذكرى
اذ وجدت فى سرى يا أبا
يزيد امض الى دير سمعان
واحضر مع الرهبان فى
يوم عيدهم القربان
قلت فى ذلك نبأ وشان قال

من اللؤلؤ وبنادق المسك فشم البنادق فلم يجد لها ريحا فأمر ببندقة منها فدقت فسطع ريحها مسكا وزعفرانا فصدقه عند ذلك ثم قال معاوية كيف أصنع حتى أعرف اسم هذه المدينة ولمن هي ومن بناها والله ما أعطى أحد مثل ما أعطى سليمان بن داود عليه السلام وما أظن انه كان له مثل هذه المدينة فقال له بعض جلسائه ما كان لسليمان مدينة مثل هذه وما يوجد خبر هذه المدينة في زماننا هذا الا عند كعب الاحبار فان رأى أمير المؤمنين ان يبعث اليه ويأمر باشخاصه ويغيب عنه هذا الرجل في موضع هنا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه للمدينة حتى يتبين أمر هذه المدينة على مثل هذه الصفة فان كعبا سيخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا الرجل ان كان دخولها الان مثل هذه المدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها الا أن يكون قد سبق له في الكتاب دخولها فيعرف ذلك فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما حضر قال له يا أبا اسحق اني دعوتك لامر رجوت أن يكون علمه عندك فقال له يا أمير المؤمنين على الخبير سقطت سل عما بدا لك فقال له أخبرنا يا أبا اسحق هل بلغك ان في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعدد هامن زبرجد وياقوت وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهارها في الازقة تجري تحت الاشجار فقال كعب والذي نفس كعب بيده لقد ظننت اني سأسأل قبل ان يسألني أحد عن تلك المدينة وما فيها ولكن أخبرك بها يا أمير المؤمنين وان هي ومن بناها أما تلك المدينة فهي حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له وأما الذي بناها فشداد بن عاد وأما المدينة فهي ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فقال له معاوية يا أبا اسحق حدثنا بحديثها رحمك الله فقال كعب يا أمير المؤمنين ان عادا كان له ابنان سمي أحدهما شديدا والآخر شداد فهلك عاد وبقي ولداه بعده فملكا وتجبرا وقهرا كل البلاد وأخذاها عنوة وقهرا حتى دان لهما جميع الناس ولم يبق أحد في زمانهما الا دخل في طاعتهما لا في شرق الارض ولا في غربها وأنهما لما صفا لهما ذلك وقر قرارهما مات شديد بن عاد وبقي شداد فملك وحده ولم ينازعه أحد وكانت له الدنيا كلها وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعته نفسه أن يجعل تلك الصفة لنفسه في الدنيا عتوا على الله تعالى وكفرا فلما وقر ذلك في نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التي هي ارم ذات العماد وأمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان ثم قال لهم انطلقوا الى أطيب بقعة في الارض وأوسعها واعملوا الى فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وحفت تلك المدينة أحمد من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف واغرسوا تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها وأجروا فيها الانهار تحت الاشجار فاني أرى في الكتب صفة الجنة وانى أحب أن أتخذ مثلها في الدنيا وأتعجل سكناها فقالت له قهارمته كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فنبني منها مدينة كما وصفت لنا فقال لهم شداد ألستم تعلمون ان ملك الدنيا كلها بيدي قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأي بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم رجالا تخرج لكم ما في كل معدن من تلك الارض ثم انطلقوا الى ما في أيدي الناس من ذلك فخذوه سوى ما يأتيكم به أصحاب المعادن فان معادن الدنيا فيها كثير من ذلك وما فيها مما لا تعلمون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة (قال) فخرجوا من عنده وكتب معهم الى كل ملك في الدنيا كتابا يأمره أن يجمع لهم ما في بلاده من الجواهر وان يحفر معادنها فانطلق تلك القهارمة وأعطوا كل ملك من الملوك كتابا يأخذ ما يوجد في مملكته فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا ما يحتاجون الى ارم ذات العماد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موضعا كما أراد ووصف لهم فقال معاوية يا أبا اسحق كم عدد أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شداد قال كانوا مائتين وستين ملكا قال فخرج عند ذلك الفعلة والقهارمة متفرجوا في العمارى ليتخذوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك الا في أرض أبين من بلاد عدن فوقعوا بها على صحراء عظيمة نقية من التلال والجبال وأذاهم بعيون مطردة فقالوا هذه صفة الارض التي أمرنا بها فاختطوا بقدر ما أمرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدودا ثم عمدوا الى مواضع الازقة التي فيها الماء فاجروا فيها القنوات لتلك الانهار ثم وضعوا الاساس من صخور الجزع اليماني وجعلوا طين ذلك الاساس من دهن البان والعنبر فلما فرغوا من وضع الاساس وأجروا فيها القنوات أرسل الملوك

فقال الله لهم خذها واقطع نسلها واسلط عليها آية تذهب بهم فاصابتها صاعقة فاحرقت فلم يرلها أثر بعد ذلك
فضرب بتسبيها العرب مثلا في أشعارها وحكمها وأمثالها ان أصحاب الرسة هم الذين قتلوا نبيهم فاهلكهم الله تعالى (وقال
بعض العلماء) بلغني انه كان رسان أما أحدهما فكان أهله أهل بدو وعمود وأصحاب نخل وموات فبعث الله اليهم
نبيا فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضده بولي فقتلوا الرسول وجاهدهم الولي حتى ألحقهم وكانوا يقولون انا
في البر وكانوا على شفير وكان يخرج اليهم من البحر شيطان في كل شهر خرجة فيخرون عنده ويعبدونه يوما
فقال لهم الولي أرأيتم ان خرج اليكم الذي تدعونه وتعبدونه الى وأدعاني أتجيبوني الى عبادته وتكفرون الي فقالوا بلى
فاعدوه على ذلك العهود والمواثيق فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة ثور أكحل أزبد أحوى له
عنق مستعلية على رأسه مثل التاج فلما نظروا اليه عفروا له سجدا فخرج الولي اليهم وقال له اثنني طوعا أو كرها بسم
الله الكريم فنزل عند ذلك من على اخوته فقال له الولي ائتني راكعا على ثلاثة أكوان لئلا يكون القوم في أمرهم على شك فاتى
الطوي وأتت به اخواته حتى أفضوا به الى البرية يجرونه ويجرهن فلما رأى ذلك منهن راوغهن وكذبهن ونقض العهود
فبعث الله اليهم ريحا فألقتهم في البحر ومواشيهم جميعا وما كانوا يملكون من ذهب ونضة وآنية فاتى الولي الصالح
الى البحر وأخذ الذهب والفضة والاواني فقسمها على أصحابه بالسوية حتى الصغير والكبير واتسع ذلك النسل
(وأما الآخر) فانهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون اليه وكان فيهم أنبياء كثيرة لا يدوم فيهم نبي الا فتلوه
وذلك النهر ينفسح أذربيجان بينها وبين أرمينية فاذا انفلق عنه براعم خلت في عدد أذربيجان واذا انفلق عنه ثلاثة خلت في عدد
أذربيجان وكان من حولهم من أهل أرمينية يعبدون الاوثان ومن حولهم من أهل أذربيجان
يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجواري العذارى فاذا تقلن لاحداهن ثلاثون سنة فاوهاها راسخا ثبتها
وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ وكان ينبع في كل يوم وليلة حتى يبلغ أنصاف اليالي التي حوله وكان لا ينضب
في بحر ولا بر فاذا خرج من حدهم يقف يوما ثم يرجع اليهم فبعث الله تعالى اليهم ثلاثين نبيا في شهر واحد
فقتلوهم جميعا فبعث الله تعالى اليهم نبيا يأيده بنصر ويعزه بسعة وليا فجاهدهم في الله وجاهدهم فبعث اليه
ملكا ثبتا يحين نابقوه وكان في أوان وهو راع في الارض وكانوا عند ذلك أحوج ما يكونون الى الا استغفار
بهم في البحر وانصب ماء أسفله وأنبت الى عيون فرفعه هو بيده الله الذي سخر الملائكة أعوانا
له فغرقوا ما بقي في وسطهم ثم أمسكه بجبريل فنزل فلم يبق في أيديهم من ذلك الا الأثيب فاذن الله تعالى
وأمسك الماء فانطلق الى الواشي فاتاهم بها فعمروا به ما شاء الله أن يعمروا ثم أرسل الرياح الاربع الجنوب والشمال والدبور
والصبا فنبعت ما كان لهم من زاد الى الله تعالى عليهم السباسم فحملت الرياح الاربع بذلك الماء فأبلغ
ورمت به في رؤس الجبال وبطون الاودية وأما ما كان من على تبروآ نبي الله تعالى أمر الارض فابلعته
فاصبحوا الا شاء منهم ولا بقرة ولا مال يعود ون اليه ولا ماء يشربون ولا ماء يأكلون فاتى نبي الله عند ذلك قليل
منهم وهداهم الله الى غار في جبل لطريق من شاء فنجوا وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة وقوجين
وكان عدة الباقين من الرجال والنساء والذراري سبعمائة ألف فعاشوا عيشا رخيا وجاء لهم منهم ما شاء الله من النسل
الى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فقد عا القوم عند ذلك فخلوا بين أن تحيتهم بما وزرعها
ويحملها قليلا قليلا ليبلغوا فاجابهم الله تعالى الى ذلك فلما علم من صدق نياتهم وانخلاص سرهم وقالوا انا لا نبغي الله
رسولا الى من يليهم ويقاربهم الا أعانوه وصدقوه وعبدوه فعلم الله منهم الصدق فاطاف لهم من رزقهم وزادهم على
ما سالوه فاقام أولئك القوم في طاعة الله ظاهرا وباطنا حتى مضوا وانقرضوا فنشأ من بعدهم من أسلمهم قوم
أطاعوا الله في الظاهر ونافقوا في الباطن وأملى الله تعالى لهم وكان عليهم مادوا وكانت معاصيهم أكثر من طاعتهم
وخالفوا أولياء الله فبعث الله عليهم من فارقهم وخالفهم فاسرع فيهم القتل وبقيت منهم شرذمة فسلط الله عليهم
الطاعون فلم يبق منهم أحد بواق نهرهم ومنازلهم وما حولها ما بقي عام لا يسكنها أحد ثم أتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها
وكانوا صالحين فاقاموا فيها ستين سنة ثم أحدثوا فاحشة فجعل الرجل يدعو ابنة أخته وزوجته فيبيت معها جاره
وأخاه أو صديقه لينفس بذلك البر والصلة ثم ارتفعوا من ذلك الى نوع آخر فجعل الرجال النساء حتى شبق

كهيئة النائم وعليه سبعون حلة بمقدار طوله وعرضه منسوجة تلك الحلل بقضبان الذهب والفضة واذا ذلك الازج بضيء من ثقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة أذرع خارجا الى فضاء لم يدر ماهو واذا على رأس السرير لوح من ذهب عظيم فيه كتابة ما لها مثل وهي كتابة كاتب عاد كتبها في زمانه محفورة تلك الكتابة في اللوح حفرا فطلعنا ودنونا من ذلك الرجل ومسسنا تلك الحلل فصارت رميما وبقيت قضبان الذهب قائمة فجمعناها فكانت مقدار مائة رطل فحملناها في أزوادنا وأردنا أن نأخذ شيئا من تلك الجواهر المنضد بها السرير فلم نقدر عليها لوثاقتها فتركناها وهجم علينا الليل ونحن في ذلك الازج وعرفنا ذهاب النهار بذهاب ذلك الضوء الذي كان يدخل من ذلك الثقب فبتنا الليلة في ذلك الازج وطفئت الشمعة التي كانت معنا فلما أصبحنا قلت لصاحبي ماترى قال أما الرجوع من حيث جئنا فلا سبيل اليه لارتفاع هذه الدرج وانا لا نستطيع صعودها لا سيما والشمعة قد طفئت ولكن هلم بنا نلزم هذا الضوء الذي نراه في هذا الثقب فاني أرجو ان نخرج منه الى الفضاء ان شاء الله تعالى فقلت له لعمري ان هذا هو الرأي فنهضنا جميعا معنا من تلك القضبان التي من الذهب وحملنا معنا ذلك اللوح الذي كان عند رأس السرير وسرنا من ذلك الثقب فلم نزل نمشي في طريق ضيق مقدار مائة ذراع حتى خرجنا منه الى كهف في ذلك الجبل كهيئة الحائط وقد سحف بذلك الكهف البحر فجلسنا على باب ذلك الثقب ثلاثة أيام بلياليها نتموه ببقية الماء والطعام الذي كان معنا فلما كان اليوم الرابع نظرنا الى مركب قد أقبل في البحر فلوحنا اليه فنظر الينا أهله فارسلوا الينا القارب فنزلنا من باب ذلك الثقب نزولا شافا حتى وثبنا الى القارب فلما خرجنا من البحر اقتسمنا ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح الي بقسطي ثم ان أنفسنا دعتنا الى العود الى ذلك السرب عائدين الى الثقب فركبنا قاربا وسرنا في البحر نحو المكان الذي خرجنا منه فخفي علينا مكانه فعلمنا أنا لم نرزق منه الا ما أخذنا فرجعنا وان اللوح ممكث عندي سولا لا أجد أحدا يقرؤه لي حتى أتاني رجل من أهل صنعاء حميري كان يحسن قراءة تلك الكتابة فاخرجنا اليه اللوح فقرأه فاذا فيه مكتوب هذه الابيات

اعتبروا أيها الغرور بالعمر المديد ... أنا شداد بن عاد صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبأ ... ساء والملك الحشيد ... دان أهل الارض طرا لي من خوف وعيد
وملكت الشرق والغر ... ب بسلطان شديد ... وبفضل الملك والعد ... ة فيه والعديد
جاءنا هود وكنا ... في ضلال قبل هود ... فدعانا لو قبلنا ... كان بالامر الرشيد
فصببناه ونادينا ... الا هل من محيد ... فاتتنا صيحة ... سوى من الافق البعيد
فتوافينا كزرع ... وسط بيداء حصيد

(قال دغفل) سألت علماء حمير عن شداد وقلت انه أصيب وقد كان دنا من ارم ذات العماد فكيف وجد في تلك المغارة وهي بحضرموت فقالوا انه لما هلك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة من تلك المدينة هلك من بعده مزيد ابن شداد وقد كان أبوه خلفه على ملكه بحضرموت فامر بحمل أبيه الى حضرموت فحمل مطليا بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك السرير الذي من الذهب والله أعلم

(مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس)

قال الله تعالى وعادا وثمود وأصحاب الرس اختلف العلماء أهل التفسير وأصحاب الاقاصيص فيهم فقال سعيد ابن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم في بعض وكل أخبر بطائفة من حديث أصحاب الرس ان أصحاب الرس بقية ثمود قوم صالح وهم أصحاب البئر التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد وكانوا فلج اليمامة نزولا على تلك البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهي رس وكان لهم نبي يقال له حنظلة ابن صفوان وكان بارضهم جبل يقال له فتح مصعد في السماء ميلا وكانت العنقاء تبيت به وهي كأعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون وسموها العنقاء لطول عنقها وكانت في ذلك الجبل تنقض على الطير فتأكلها فجاعت ذات يوم وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب لانها تغرب بما تأخذه ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فاخذتها فضمتها الى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فشكوا ذلك الى نبيهم

فقال

فيها نبيهم وألقوا على فيها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الانابيب من الماء وقالوا الآن نرجو أن نرضى عنا آلهتنا اذا رأت أنا قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها وانا دفناه تحت كبيرها يشفي فيه فيعود لها نورها وضرتها كما كان فبقوا على ذلك عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم وهو يقول سيدي ومولاي ترى ضيقي وكاني وشدة كربي وارحم ضعف ركني وقلة حيلتي وعجل قبض روحي ولا تؤخر اجابة دعوتي حتى مات عليه السلام فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام انفار عبادي هؤلاء الذين غرهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقالوا رسلي وأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي وانى حلفت بعزتي لاجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين فبينما هم في عيدهم اذ غشيتهم ريح عاصف حمراء قمطرير وانهاوذعر وامنها وتضام بعضهم الى بعض ثم ان الارض صارت من تحتهم كير كبير يتوقد وأظلتهم سحابة سوداء فالقت عليهم جمرا كالقبة يلتهب فاذاب أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار فنعوذ بالله من غضبه ودرك نقمته انه هو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله أعلم

(مجلس في ذكر قصة نبي الله أيوب بن أموص عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه الآية وقال تعالى وأيوب اذ نادى ربه انى مسني الضر وأنت أرحم الراحمين قال وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتب كان أيوب رجلا من الروم وكان رجلا عظيم الرأس بعيد الشعر حسن العينين وانملق قصير العنق غليظ الساعدين والساعدين وكان مكتهلا على جسيم تام البنية الصابر هو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن اوران وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكان له الثنية من أرض الشأم كلها سهلها وجبلها وبها كان مقامه وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والبغال مالا يكون لرجل أفضل منه في الحلة الكثيرة وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال وجعل آلة كل فدان أتان لكل أتان ولد من الاثنين الى فوق الخمسة وكان الله أعطاه أهلا وولدا ومن رعاء ومواش وكان أعز أهل زمانه عيالا المساكين يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله تعالى موحدا لله تقيا ممتنعا من عدو الله ابليس أن يرتكب منه ما أصاب من أهل الغنى من الفرقة الغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة نفر آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من أهل بلاده يقال لاحدهما الناذ والآخر ناظر وكانوا كهولا (قال وهب) ان جبريل عليه السلام بين يدي الله تعالى ليس لاحد من الملائكة منه في القربة والفضيلة وان جبريل هو الذي يناقل الكلام فاذا كر الله تعالى عبدا بخير تلقاه جبريل ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة المقربين والحافين من حول العرش اذا شاع ذلك في الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فاذا صارت عليه الملائكة لسموات هبط عليه الصلاة الى ملائكة الارض وكانا بليس لا يجيء من شيء من السموات وكان يتفحص عن شيء أراده من هلك وصل الى آدم حين أخرج من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد الى السماء حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربع وكان يصعد في ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب عن الملائكة باقيه فهو وجنوده محجوب عن جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين قال فسمع ليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فاذ كر ذلك البغي والحسد وحدثت بها نفسه في الصلاة على أيوب فلما كان يقول ما الذي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكر لك وعافيته فصبر لم تختبره بشدة ولا بلاء وانا لا نزعم لئن ضربته بلاء ليكفرن بك وليسبنك فقال الله تعالى انطلق اليه فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله حتى بلغ الارض ثم جمع عفاريت الشياطين وعفاريتهم فقال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فاني قد سلطت على مال أيوب وزوال المال هي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت تحولت اعصارا من نار فاحرقت

من قوم أوحى الله اليهم لامن الجن ولا من الانس ولا من الملائكة وأنبيائنا أين يكون الليل اذا جاء النهار وأين يكون النهار اذا جاء الليل فقال أبو يزيد هل بقي مسائل غير هذه المسائل فقال لا فقال ان قد رضيت لكم وأجبت عنها فؤضوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا نعم فقال اللهم أنت الشاهد على ما يقولون (أما) سؤالكم عن واحد لا ثاني له فهو الله عز وجل (وأما) سؤالكم عن اثنين لا ثالث لهما فهما الليل والنهار لقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين (وأما) سؤالكم عن ثلاثة لا رابع لها فهي العرش والكرسي والقلم (وأما) سؤالكم عن أربعة لا خامس لها فهي الكتب المنزلة وهي التوراة والانجيل والزبور والفرقان (وأما) سؤالكم عن خمسة لا سادس لها فهي الصلوات الخمس المفروضات على كل مسلم ومسلمة (وأما) سؤالكم عن ستة لا سابع لها فهي الستة أيام التي ذكرها الله في كتابه العزيز بقوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام

واستغنى الرجال بالرجال فجاءت للنساء شيطانة في صورة امرأة وهي الدلهاث بنت ابليس وهي أخت الشيطان وكانا في بيضة واحدة فشهت للنساء تركيب بعضهن بعضا وعلمتهن كيف يضعن فاصل وتركيب النساء بعضهن بعضا من الدلهاث فساط الله تعالى على هؤلاء القوم صاعقة في أول ليلهم وخسف في آخره وسيجتمع الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت منازلهم ولا أحسب منازلهم اليوم مسكونة (وروى) علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ان رجلا من أشراف بني تميم يقال له عمر أتاه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس وفي أي عصر كانوا وأين كانت منازلهم ومن كان ملكهم وهل بعث الله اليهم رسولا أم لا وبماذا أهلكوا فاني أجد في كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم فقال له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لقد سألتني عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدي كان من قصتهم يا أخا تميم انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاب درخت وكان يا شب بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان كانت انبعث لنوح عليه السلام بعد الطوفان واغا سموا أصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الارض وذلك قبل سليمان بن داود عليهما السلام وكان لهم اثنا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الارض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكانا وعمرانا منها وكان أعظم منازلهم اسفنديار وهي التي كانت تنزلها ملكهم وكان يسمى تركوذ بن غابور بن نوش بن سارب بن النمرود بن كنعان فرعون ابراهيم عليه السلام وفيها العين التي يشقون منها الصنوبرة التي كانوا يعبدونها وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة فنبتت تلك الحبة وتصير شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والانهار فلا يشربون منها لا هم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هي حياة آلهتنا فلا ينبغي لاحد أن ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيدا يجتمع اليه أهلها ويضربون على تلك الشجرة مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يأتون بشاة ويقربونها قربانا للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فاذا سطع دخان تلك الذبائح وفتارها وبخارها في الهواء وحال بينهم وبين النظار للسماء خروا سجدا للشجرة يكونون يتضرعون اليها أن ترضى عنهم وكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح في ساقها صياح الصبي يا عبادي قد رضيت عنكم فطيبوا نفسا وقروا عينا فيخرون عند ذلك رؤسهم ويشربون الخمر ويضربون المعازف فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون حتى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم فيضربون عند شجرة الصنوبر والعين سرادقا من ديباج وعليه أنواع الصور وله اثنا عشر بابا كل باب لاهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرة من خارج السرادق ويقربون اليها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم فيجيء ابليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكا شديدا ويتكلم من جوفها كلاما مجهورا يسمعهم ويفهمهم بأكثر مما وعدتهم الشياطين جميعا فيخرون رؤسهم من السجود ولهم من الفرح والسرور ما لا يفيقون ولا يتكلمون معه فيدعون الشرب والمعازف ويكونون على ذلك اثني عشر يوما وليلة بعدد أعيادهم في السنة ثم انهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله اليهم نبيا من بني اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى الله تعالى ويعرفهم بربوبيته فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ماهم فيه من الغي والضلالة وتركهم قبول ما دعاهم اليه من الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظمى وقال يا رب ان عبادك أبوا تصديقي ودعوتي اليهم وما أرادوا الا تكذيبي والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فأيبس شجرهم أجمع وأرهم قدرتك وسلطانك فاصبح القوم وقد يبس شجرهم كلهم فلما رأوا ذلك وغضبوا فصاروا فرقتين فرقة قالوا سحر هذا الرجل الذي زعم انه رسول رب السماء آلهتكم ليصرف وجوهكم عنها الى الهه وفرقة قالت بل غضبت علينا آلهتنا حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم الى عبادة غيرها فحبست حسنها وبهاءها وجمالها التي تغضبوا لها فانتصروا منه فاجمعوا أمرهم على قتله فاتخذوا منازل بيت واتخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة الافواه ثم انهم أرسلوها الى قرار العين واحدة فوق الاخرى مثل البرابخ ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا في قعرها بئرا عميقة العين عميقة قرسوا

والله أعلم به انه لم يسلط عليه الا رحمة لعظم ثوابه ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل
بهم ليتأسوا به في الصبر ويرجوا الثواب فانقض عدو الله سريعا فوثب على أيوب ساجدا فقبل أن يرفع رأسه أتاه
من قبل الارض فساخ موضع وجهه ونفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخر ساجدا فدخل وخرج بين فرقه الى قدميه
ثم ليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها ولا يجد ما يحك عنه حكها بل بأظفاره حتى سقطت كلها ثم
حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع وتغير وأنتن
فأخرجته أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فرفعه الله كلهم غير امرأته رحمة بها فأوحى الله الى ابراهيم
بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام وكانت تختلف اليه فيما يصلحه وتخدمه فلما رأى أصحابه الثلاثة ما نزل بالله
ما نزل به وهو ورفقته من غير أن يتركوا دينه فلما نالهم به البلاء انطلق اليهود في بلاده فكذبوه ولاموه وقالوا له ترى
لي الله من الذنب الذي هو قد به (قال) وكان حضرهم في حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال انتم
كلامكم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام لأسنانكم ولكنكم قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم
من الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجمل من الذي أتيتم وقد كان لا يوب عليكم من الخلق والانعام أفضل
من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حقيق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم من الرجل الذي عبتم واتهمتم
لم تعلموا أن أيوب نبي الله وحبيبه وخيرته وصفوته من أهل الارض في يومكم هذا ثم انكم لم تعلموا ولا أطلعكم الله
تعالى على انه سخط شيأ من أمره منذ آتاه الله الى يومكم هذا ولا علم انه نزع منه شيأ من الكرامة التي
أكرمه الله بها ولا ان أيوب غير الحق في طول ما حبسه الله الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم
وضعه في أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم لم يكن البلاء هم ليس دليلا
على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس هو من الله بهذه المنزلة الا انكم
تحتجون على وجدا لحجة لكان لا ينبغي لكم أن تعذل أخاه عند البلاء ولا تعيره بالمعصية ولا تعيبه بما لا يعلم
هو منكم وبه حزين ولكنه يرجو ويبكي ويستغفر الله ويحزن لحزنه ويبكي على بكائه أمره وليس يكلمكم ولا
يشير عليكم من جهل هذا فانا لله أيها الكهول فقد كان لكم في علم الله وجهلا وذكر الموت ما يشغلكم أن تنتقصوا
بكم رقاد بكم ألم تعلموا ان لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء النبلاء
بلغاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم وانقشعرت جلودهم
وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله تعالى واجلالا فاذا استفاقوا استقبلوا الله
بالاعمال الزاكية الصالحة يعدون أنفسهم مع الظالمين وليسوا بأبرار يرون أنفسهم مع
المقصرين وليسوا بأتقياء يأتون ما يأتون وهم لا يحاسبون أنفسهم لا يستكثرون كثيرا ولا يرضونه بالقليل ولا يرون
أنهم بالاعمال فهم مرعوبون مشفقون خاشعون مستكينون فقال أيوب ان الله تعالى يزع بالحكمة بالرحمة
قلب المؤمن الكبير والصغير فتثبت في القلب أنلهمها الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة
من قبل السن والشيب ولا طول التجربة فاذا جعل الله العبد حكيما في الدنيا فقد استحكم الحكام
هم يرون من الله تعالى عليه نور الكرامة ثم ان أيوب أقبل على الثلاثة وقال أتيقنون في غيابي وتهتم قبل أن
تستمعوا وتبكتم قبل أن تنزبوا كيف بكم لو قلت لكم قد سمعت ما عنى بأموالكم الله تعالى ليبتليني بها وهو
يا نا العمل الله يتقبلها وهو عني راض وانكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم فهنيأ لكم
بتم وتعززتم ولو تناصفتم فيما بينكم وبين ربكم ثم حمدتم لوجدتم لكم في ستره الله عليكم بالعافية التي
بكم اياها وقد كنت فيما خلا الرجال توقرني وأنا صبي وكلا يصرف في حق منتصفا من خصمي فأصبحت اليوم
يس لي رأي ولا كلام معكم فأنتم اليوم أشد علي من مصيبتي ثم انه أعرض عنهم وأقبل على ربه سبحانه تا
ضرعا اليه فقال رب لاي شيء خلقتني ليتني اذ كرهتني ما خلقتني ليتني كنت سقطا ألقتني أمي أو ليتني قد
رفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني وأطعمتني بأناملي
لون كان أجل لي يا الهي ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا وللتيم وليا وللارملة قيما الهي أنا عبدك

تعالى وقالت اليهود
ليست النصارى على شيء
وقالت النصارى ليست
اليهود على شيء فهم
صدقوا واستحقوا النار
(وأما) سؤالكم عن
مستقر الروح في الجسد
فانهم اتكون بين أذنيك
في صورة الوجه (وأما)
سؤالكم عن الرياح
فذروافي الرياح الاربع
(وأما) الملائكة وقرا
فهي العجب (وأما)
سؤالكم عن الجبال
يسيرا فهي السطح
الجارية في البحار
(وأما) سؤالكم عن
المقسمات أمرا فهم
الملائكة الذين يقسمون
على الناس أرزاقهم في
ليلة النصف من شعبان
(وأما) سؤالكم عن أربعة
عشر كلمة أيام وهي
العالمين فهي السموات
السبع والارضون
السبع وقوله تعالى انا
أهلكناها والارض اقتاتوا بها
أو كرها قالتا أتينا
طائعين (وأما) سؤالكم
عن يوم هي فيه
فهو حوت يونس عليه
السلام (وأما) سؤالكم
عن شيء تنفس وليس بروح
فهو الصبح (وأما) سؤالكم
عن ماء لا تراب من السماء
ولا نبع من الارض فهو
الذي بعثه بلقيس الى
سليمان عليه السلام
فقارورة كان من عرقه

كل شئ آتى عليه فقال له ابليس فأت الابل فاحرقها ورعاتها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت رؤسها وثبتت فى مراعيها فما شعر الناس حتى ثارت من تحت الارض اعصار من نار تقلع فيها رياح السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها فى صفة راعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلى فقال له يا أيوب قال لبيك فقال هل تدرى ما الذى صنع ربك الذى اخترته وعبدته بما بالك ورعاتها فقال أيوب انم اماله أعارنيها وهو أولى بها ان شاء تركها وان شاء أخذها وقد تحققت وطيبت النفس انى ومالى للفناء والزوال فقال له ابليس فان ربك أرسل الىّ نارا من السماء فاحترقت كلها ولم يبق الناس مبهوتين وقوفا عليها يتعجبون منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا فى غرور ومنهم من يقول لو كان له أيوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع وليه من حريق ماشيته ومنهم من يقول بل هو الذى فعل ما فعل فشمت به عدوه وفجع به صديقه فقال أيوب الحمد لله الذى أعطانى وحيث شاء نزع منى عريانا خرجت من بطن أمى وعريانا أعود الى القبر وعريانا أحشر الى ربى ليس ينبغى لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته فهو أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خير النقل وحملك مع تلك الارواح وصيرك شهيدا مع الشهداء ولكنه علم فيك شرا فاخرك وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخالص فرجع ابليس الى أصحابه خائبا خاسئا فلما رأوه قال لهم ما اذا عندكم من القوة انى لم أكلم قلبه فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما لو شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت مهجة نفسه فقال له ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا توسطها صاح صوتا فماتت منه الغنم جميعا وماتت رعاتها ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الرعاة حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول ورد عليه أيوب مثل ما قال فى النوبة الاولى ثم ان ابليس رجع الى أصحابه فقال ما اذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تشف كل شئ تأتى عليه حتى لا يبقى منه شئ فقال له ابليس فأت القرادين واطرف فانطلق يؤمهم حتى قرب من الفدادين واستوى فى الحرث وأولادهم ورتوع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنشفت كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الحرث حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فأجابه أيوب بمثل جوابه الاول فعمل ابليس بصيبه ماله الاول فالاول حتى أتى على آخره (قال) وأيوب كلما انتهى اليه مهلك مال من ماله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما يبقى له مال فلما رأى ابليس أنه قد أفنى ماله ولم ينل منه شيأ ولا نجح فى شئ من أفعاله شق عليه ذلك وحسد سرعا وقف الموقف الذى كان يقفه وقال الهى ان أيوب يرى انك مهما متعته من نفسه وولده فانت مسلطى على ماله فانى ما الفتنة الماثلة والمصيبة التى لا تقوم لها الرجال ولا يقوى عليها سواهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى جاء نبى الله أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل يناطح بجدره بعضها بعضا فرماهم بالخشب والجندل حتى مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقلبه فصار وا منكسين ثم ان ابليس انطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمهم من دماغه فأخبره بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلبهم القصر وكيف نكسوا على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطون نسائهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردد حتى رق أيوب عليه وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فاغتنم ابليس الفرصة منه لذلك فصعد سرعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا ثم لم يلبث أيوب أن ابصر فاستغفر وشكر فصعد قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدر ابليس وسبقوه الى الله والله أعلم بما كان فوقف ابليس خاسئا ذليلا فقال يا الهى انك هون على أيوب خطر المال والولد انه يرى انك مهما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطى على نفسه وبدنه فانى لك زعيم لئن ابتليته فى جسده ليسبنك وليكفرن بك وليجحدن نعمتك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه ولا على عقله وكان

والله

(وأما) سؤالكم عن سبعة لا تامن لها فهى السموات السبع لقوله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا (وأما) سؤالكم عن ثمانية لا تاسع لهم فهم حملة العرش لقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (وأما) سؤالكم عن تسعة لا عاشر لهم فهم التسعة رهط الذين يفسدون فى الارض لقوله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون (وأما) سؤالكم عن عشرة كاملة فهى فروض مكة التى وجبت على الحاج وهو محرم لقوله تعالى فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة (وأما) سؤالكم عن احد عشر فهم اخوة يوسف عليه السلام (وأما) سؤالكم عن اثنى عشر فهى عدة الشهور (وأما) سؤالكم عن ثلاثة عشر فهى رؤيا يوسف عليه السلام لقوله تعالى انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر (وأما) سؤالكم عن قوم كذبوا وادخلوا الجنة فهم اخوة يوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب (وأما) سؤالكم عن قوم صدقوا وادخلوا النار فهم

يم خلقت التنين وزوجه في البحر وسكنت في السماء وعيناه تتوقدان نارا ومنخراه يثوران دخانا أذناه مثل وس السحاب يثور منهما الهب كأنه اعصار الجاموجوفه يحرف ونفسه يلتهب وزبده جمر كأن مثال الحدو كأن ضربه أسنانه أه وان الصواعق وكأن نظر عينيه لمع البرق تحربه ايليوش وهو متكئ لا ينزعه شئ اليس يه منفصل زبر الحديد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخشب لا يفزع من النشاب ولا يخشى وقع العنور الى جسده ويطير في الهواء كأنه عصفور فيه لك كل شئ تعربه هل أنت آخذه بالحبل وواثق وواضع اليمام في شدقه لى تحصى عمره أم هل تعرف أجله أم تعرف رزقه أم هل تدري ماذا تخرب من الارض وماذا تخرب فيما بقي من ره أم هل تطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك تبارك الله أحسن الخالقين فقال أيوب عليه السلام صرت عن هذا الامر الذي وددت على ليت الارض انشقت لي فذهبت ولم أتكلم بشئ يسخط ربي سبحانه وتعالى اجمع على بلاها الهي قد جعلتني لك مثل العدو وقد كنت تعرفني وتعرف نصحي وقد علمت ان كل الذي ذكرت صنع يديك ك بيرحكمتك وأعظم من هذا لو شئت علمت أن لا يعزب عنك شئ ولا تخفى عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة من هذا ذي يظن أن يسر عنك سرا وأنت تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت مني في بلائي هذا ما لم أكن أعلم وخفت أن كون أمر أكثر مما كنت أخاف انما كنت أسمع بصوتك فاما الآن فهو نظر العين انا تكلمت حين تكلمت عني وسكتُّ حين سكت لترضى كلمة تزلت عن لساني فارجع أعود وقد وضعت يدي على في وعضضت على مالي وألصقت بالتراب خدي ورددت فيه وجهي لصغاري وسكت حين أسكتني خطيئتي فانفرلي ما قلت ن أعود لشئ تكرهه معي فقال الله تعالى يا أيوب نفسك فاحكمني وسبقتك رحمتي غنيي اذا خطأت فقد ت الشافات وحقك وردد عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون سيد الاهل لاله وعزاه الصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقربنا من أحبابك قربانا واستغفر سم فانهم قد عصوني فبلك فركض برجله فانفجر له عين فدخل فيها فاغتسل فاذهب الله عنه ما كان في من لاعضاء ثم خرج وجلس فأقبلت امرأته فقامت تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت تندبه وتقول الهة فرقت نيا يا عبد الله هل للعلم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيتيه فقالت نعم وهل عرفه فتبسم وقال ها أنا هو فعرفت لما تجلى فاعتنقته (قال) ابن عباس والذي نفسي بيده ما فارقته من عناقه ى صحيح مما كان له ما من المال والولد وذلك قوله تعالى وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر الآية ختلف العلماء في وقت نداء ومدة بلائه والسبب الذي طال لاجله حبسي الضر (حدثنا) الامام أبو الحسين بن علي بن سهل املاء في شهر ربيع الاول سنة أربع وثمانين ومائتين أنبأنا أبو طالب عمر بن الربيع سابور بن الحشاب بمصر أنبأنا يحيى بن أيوب العلاف أنبأنا سعيد بن أبي مريم أنبأنا نافع بن يزيد عن عقيل ابن شهاب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبي الله أيوب لبث في بلائه ثمان عشرة ة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه والله أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما أدراك قال منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا الى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك فقال أيوب ما أدري ما تقولان غير ان الله يه يعلم اني كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع الى بيتي وأكفر عنهما كراهة أن كر الله تعالى الا في حق قال وكان يخرج لحاجته فاذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان يوم أبطأ عليها وذلك ان الله تعالى أوحى الى أيوب في مكانه أن اركض برجلك الآية فاستبطأته فذهبت لر ما شأنه فاقبل عليها وقد أذهب الله تعالى عنه ما أصابه من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت له هل ث نبي الله المبتلى فقال اني أنا هو وكان له أندران اندر للقمح واندر للشعير بعث الله تعالى سحابتين فلما كانت اهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الاخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض يروى) ان الله تعالى امطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحثو منها في ثوبه فنادا ما أيوب ألم أغنك عما ترى قال أيوب ولكن لا غنى لي عن فضلك ورزقك وحسنك ومن يشبع من نعمتك (وقال الحسن) كان أيوب عليه

من الدالة فهي يوم القيامة (وأما) سؤالكم عن شجر له اثنا عشر شه نافي كل شهر من ثلاثين ر ورقة في كل ورقة ثمرة ز ثمرات اثنان في الشهر وثلاثة في الفل فهي السنة والاغصان هي الشهور والاوراق هي الايام والخمس ثمرات هي الخمس صلوات في اليوم والليلة (وأما) سؤالكم عن شئ حج الى البيت الحرام وطاف ولم يرمل ولا وجب عليه فر فتفهم هي سفينة نوح عليه السلام (وأما) سؤالكم عن أربعة مختلفة طعمها ولونها والاصل واحد فهي العينان والاذنان والانف والفم فاما العينان فماؤهما الدموع وماء الاذنين صيوان الانف ماء ومن ماء الفم ملح (وأما) سؤالكم عن النسمة التي والقتيل والشاهد فالنقطة النقرة التي في ظهر النواة والفتيل هو الذي في باطنها والقطمير هو الشئ الذي فوقها (وأما) سؤالكم عن السيد واللبد فهو شعر الذئب والمعز (وأما) سؤالكم عن الطعم والرم فهي الامم الماضية قبل آدم عليه السلام (وأما) سؤالكم عما يقول الجاهل في تمريقه فانه يرى الشيطان ويقول لعن

ذليل ان أحسنت فالمنة لك وان أسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا فقد وقع علي بلاؤك سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي الهي تقطعت أسبابي فاني لا أرفع الا كلتي من الطعام الا بيدي جبهتها نايلغان في الاعلى الجهد مني الهي تساقطت لهواتي ولحم رأسي فما بين أذني من سداد بل احداهما نرى من الاخرى وان دماغي ليسيل من في الهي تساقط شعر عيني كأنما أحرق بالنار وجهي وحدقتاي مندليتان على خدي ورم لساني حتى ملأ في فما أدخل فيه طعاما الا غصني وورمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي والسفلى ذقني وتقطعت امعائي في بطني واني لادخل الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعني وذهبت قوتي فكأنما قد يبستا ولا أطيق حملهما وذهب المال فصرت أسأل بكفي وبطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فبين بها علي وبعيني الهي هلك أولادي ولو بقي واحد منهم أعانني على بلائي ونفعني قد مانني أهلي وعتني أرحامي وتنكرت لي معارفي ورغب عني صديقي وقطعني أحبابي وجحدت حقوقي ونسيت مناقبي أصرخ فلا يصرخوني واعتذر فلا يعذروني دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لأمتي فلم ترحمني وان قضاءك هو الذي أذلني وأدناني وأهانني وأقامني وان سلطانك هو الذي أستضعفني وأنهل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري فأطلق لساني لاتكلم بما في ولو كان ينبغي للعبد أن يعاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك عمائي ولكنه ألقاني وتخلى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه ولا نظر الي فرحمني ولا دنا مني ولا أدناني فأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظلمته غمامة حتى ظن أصحابه انه عذاب ثم نودي يا أيوب ان الله تعالى يقول لك ها أنا قد دنوت منك فلم أزل منك قريبا فقم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد علينا ازارك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي أن يخاصمني الا جبار مثلي ولا ينبغي أن يخاصمني الا من يحمل الزمام في فم الاسد والسخال في فم العنقاء واللعم في فم التنين ويكيل مكيالا من النور ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد أمس لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ غسل قوتك ولو كنت اذ منتك نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت أي مرام رامت بك أأردت أن تكاثرني بضعفك أم أردت أن تغالبني بغيك أم أردت أن تحاجني بخطئك أين كنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل علمت بأي مقدار قدرتها أم كنت معي قيراطا فيها أم تعلم ما بعدد واياها أم على أي شيء وضعت أكتافها بطاعتك حمل الماء الارض أم بحكمتك كانت الارض على الماء علماء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا معالق تمسكها ولا تحملها دعائم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجري وتسير نجومها أم هل بأمرك يختلف ليلها ونهارها أين كنت مني يوم سجرت البحار وأنبعث الانهار أقدرتك حبست أمواج البحار على سدودها أم قدرتك فجعت الارحام حين باشرت مدتها أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل لك أن تطبق حملها أم كنت تدري كم مثقال ما فيها أين الماء الذي أنزلته من السماء هل تدري كم بلدة أهلكتها وكم من قطرة أحصيتها وقسمت الارزاق أم قدرتك تثير السحاب وتنزل الماء هل تدري ما أصوات الرعد أم من أي شيء لهب البرق وهل رأيت عمق البحر أم هل تدري ما بعد الهواء أم هل تدري أين خزانة النهار بالليل وأين طريق النور وبأي لغة تتكلم الاشجار أين خزانة الريح وأين جبال البرد أم هل تدري من جعل العقول في أجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه ومن قهر الجبابرة بجبروته وقسم أرزاق الدواب والعباد بحكمته ومن قسم للاسد أرزاقها وعرف الطير معاشها وعطفها على أفراخها من أعنق الوحوش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تأنس بالاصوات ولا تهاب السلاطين أحكمتك عطفت عليها أم هاتها حتى أخرجت لها طعاما من أجوافها وأثرتها بالعيش على نفوسها أم بحكمتك يبصر العقاب الصيد البعيد وأخلق أما كنت الفلا أين أنت يوم خلقت البهموت مكانه في منقطع التراب واللوتيا حملان الجبال والقرى والعمران أنيابهما كأنها شجر الصنوبر الطوال ورؤسهما كأنها الجبال وعروق أفخاذهما كأنها عمد النحاس أنت ملأت جلودهما لحما أم أنت ملأت رؤسهما دماغا هل لك في خلقهما من شريك أم لك بالقوة التي غلبتهما ميدان أم هل يبلغ من قوتك ان تضع يديك على رؤسهما أم تقعد على طريق فتيسهما أو تصدهما عن قوتهما أين أنت

الجليل (وأما) سؤالكم عن أربعة لامن ابن ولا من الانس ولا من الملائكة ولا من ظهر آدم لا من بطن أم فهي كبش اسمعيل وناقة صالح وآدم وحواء (وأما) سؤالكم عن شيء خلقه الله ثم ذكره فهو صوت الحمار كما قال الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير (وأما) سؤالكم عن أول دم اهريق على وجه الارض فهو دم هابيل لما قتله قابيل (وأما) سؤالكم عن شيء خلقه الله واستعظمه فهو كيد النساء لقوله تعالى ان كيدكن عظيم (وأما) سؤالكم عن شيء أوله هو وآخره وسط فهي عصا موسى عليه السلام لقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى الآية (وأما) سؤالكم عن أفضل النساء حواء أم البشر وحديجة وعائشة وآسية ومريم ابنة عمران (وأما) سؤالكم عن أفضل البحار فبحيون وجيحون والفرات ونيل مصر (وأما) سؤالكم عن أفضل الجبال فهو الطور (وأما) سؤالكم عن أفضل الدواب فهي الخيل (وأما) سؤالكم عن أفضل الشهور فشهر رمضان (وأما) سؤالكم عن أفضل الليالي فليلة القدر (وأما) سؤالكم

ما كان لهم من مال وولد فأتاهم عندي ثم أراها إياهم في بطن الوادي الذي التقيا فيه (قال وهب) وقد سمعت أنه قال لها لو أن صاحبك أكل طعاما لم يسم عليه لعوفي مما هو فيه من البلاء والله أعلم وأراد عدو الله أن يأتيه من قبلها ورأيت في بعض الكتب أن إبليس قال لربه وان شئت اسجد لي سجدة واحدة حتى أرد عليك الاولاد والمال وأعافي زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراد فقال لقد أراد عدو الله أن يفتنك عن دينك ثم ان أيوب اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة فقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سجود زوجتي له ودعائه اياها واياي الى الكفر قالوا ثم ان الله تعالى رحم زوجة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها وأراد أن يبر يمين أيوب فأمره ان يأخذ جماعة من الشجر مبلغ مائة قضيب خفافا أو طافا فيضربها ضربة واحدة كما قال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الآية وقد كانت امرأة أيوب تكسب وتعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد التمست يوما من الايام ما تطعمه فباعت ذؤابة من رأسها فجاءته برغيف وأتته به فقال لها أين قرنك فأخبرته فقال عند ذلك مسني الضر وقيل انما قال ذلك حين قصدت الدود فيه واسانه فخشي أن يعيا عن الذكر والفكر وقيل انما قال ذلك حين رمت الدودة من نفذه فأخذها وردها الى موضعها وقال لها كلي فقد جعلني الله طعاما لك فعضته عضة زاد ألمه على جميع ما قاسى من عض الديدان وقال عبد الله بن عمر كان لايوب أخوان فأتياه فقاما من بعيد لا يقدران على الدنو منه من نتن ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما ترى قال فسامع أيوب شيأ كان أشد عليه من تلك الكلمة وما جزع من شئ أصابه جزعه من تلك الكلمة فعند ذلك قال مسني الضر ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت ليلة شبعانا قط وأنا أعلم بمكان جائعا فصدقني فصدقه وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم أتخذ قميصا قط وأنا أعلم بمكان عريانا فصدقني فصدقه وهما يسمعان فخر لله ساجدا وقيل معناه مسني الضر من شماتة الاعداء يدل عليه ما روي انه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك فقال شماتة الاعداء وأنشد بعضهم في معناه

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد

ان المصائب تنقضي أيامها * وشماتة الاعداء بالمرصاد

(وقال المجيد) في هذه الآية عرفه قادة السؤال لمن عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله الآية (واختلف العلماء) في كيفية ذلك فقال قوم لما ابتلى الله أيوب في الدنيا سئل له أهله فاما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا وانما وعد الله أيوب أن يؤتيها اياهم في الآخرة وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين وقال آخرون بل ردهم الله تعالى اليه باعيانهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وحسبك بهؤلاء أصحابهم الله تعالى وآتاه مثلهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية (وذكر) ان عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وان الله أوصى عند موته الى ابنه حزقل وان الله بعث بعده بشر بن أيوب نبيا وهذا هو الكفل وأمره بالدعاء الى توحيده وانه كان مقيما بالشام طول عمره حتى مات وكان مبلغ عمره خمسا وتسعين سنة وان بشرا أوصى الى ابنه عبدان وان الله تعالى بعث بعده شعيبا عليه السلام والله أعلم

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

هذا المجلس يأتي بعد في آخر الكتاب بعد قصة اليسع وما كنت بهمتاز بادة في المجلس المذكور (روى) الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث ان نبيا من الانبياء قال من يكفل لي أن يصوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام شاب فقال أنا فقال له اجلس ثم انه أعاد قوله الاول فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال له اجلس ثم انه أعاد قوله ثالثا فقال الشاب أنا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب قال نعم فسمات ذلك النبي فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان في صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فأرسل اليه رجلا فقال لا أرضى بهذا الرجل فأرسل معه آخر فقال لا أرضى فخرج اليه فأخذ بيده وانطلق معه حتى اذا كان في السوق خلاه وذهب فسمي ذا الكفل وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه الله بعد أبيه رسولا الى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه

سائل غيرذلك فقالوا
لا فقال أخبروني عن
مفتاح الجنة ومفتاح
السموات ما هو قال
فسكتوا ولم يتكلموا
فقال أبو يزيد سألوني
عن مسائل كثيرة
فأجبت عنها وقد
سألتكم عن مسئلة
واحدة فلم تجيبوا عنها
أعجزتم عنها فقالوا نعم
ثم لتفتوا الى كبيرهم
وقالوا أعجزت عن ذلك
فقال ما عجزت ولكن
أشفقت ان لا تواتيني
فقالوا بل نواتيك فانك
كبيرنا وقد ما قلت لنا
سمعنا وأطعنا فقال عليه
فقال مفتاح الجنة
والسموات لا اله الا الله
محمد رسول الله فقالوها
وأسلموا عن آخرهم
وحسن اسلامهم وتزهدوا
من الدنيا وأخربوا بيوتهم
مسجدا وقطعوا زنانيرهم
فهنالك قوى أبو يزيد
شدتين من أجلنا زنارا
فقطعنا من أجلك
خمسمائة زنار (انظروا)
انظروا الى هؤلاء كلهم
قد كانوا كفارا في ظلمات
العمى فانقذهم الله
تعالى بحسن الرد على يد
الوحدي فكذلك
ببركة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فانظروا الى
كلمة الاخلاص ما
أعظم بركاتها وما أنجع
مرجستكم فاقطعوا
ألسنتكم بها تنالوا بركة
احسانها وتظفروا

السلام مطروحا على كناسة في مزبلة لبني اسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب وقال وهب لم يكن بأيوب أكلة وانما كان يخرج منه مثل ثدي النساء ثم يتفقأ قال الحسن ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير رحمة امرأته صبرت معه تخدمه وتأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمده وأيوب على مابه لا يفتر عن ذكر الله تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه الله فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع اليه جنوده من أقطار الارض بزعم من صبر أيوب فلما اجتمعوا عليه قالوا له ما اجتلبتنا قال لهم أعياني هذا العبد سألت ربي أن يسلطني على ماله وولده فلم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزدد الا صبرا وثناء على الله ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى على كناسة لا يقربه الا امرأته وقد افتضحت من ربي فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له ابن ملك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا علي قالوا نشير عليك بما أتيته به آدم حين أخرجته من الجنة من اين اتيته قال من قبل امرأته قالوا فاشأ أنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس احد يقربه غيرها قال أصبتم فانطلق حتى أتى امرأته وهي تطلب الصدقة فتمثل لها في صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله فقالت هو ذاك يحك قرحه وتتردد الدواب في جسده فلما سمع منها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكر لها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أنها قد جزعت فأتاها بسخلة وقال لها اذبح أيوب هذه لي وصبر أقال فجاءت تصرخ وقالت يا أيوب الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال أين الماشية أين الولد أين الصديق أين ثوبك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد وأين جعدك الحسن قد بلي وهو يتردد فيه الدود اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها أيوب أتاك عدو الله فنظر فيك فأجبته وبلك أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة من أنعم به علينا فالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين قال ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك ألا صبرت في هذا البلاء الذي ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كافى الرخاء والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة كما أمرتيني أن أذبح لغير الله تعالى وطعامك وشرابك الذي تأتيني به على حرام لا أذوق مما تأتيني به شيأ بعد أن قلت هذا فاعزبي عني لا أراك فطردها فذهبت فلما رأى أيوب امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال ربي مسني الضر ثم رد الامر الى ربه وسلم فقال وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب للشاكر كيف رجلك الآن فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من داء شيء ظاهر الا سقط أثره وأذهب الله منه كل ألم وداء وكل سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن مما كان وأفضل مما مضى ثم انه ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا كما كان فجعل يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى شيأ مما كان له من أهل وولد ومال الا وقد مثل الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان قد طرد ني الى من أكله أد عسى يموت جوعا وعطشا ولا يسمع فتأكله السباع فوالله لأرجعن اليه فربحت فلم تر الكناسة ولا المال التي كانت تعهدها وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وأيوب ينظرها قال وهاب صاحبها لها أن تأتيه فتسأله فارسل اليها أيوب فدعاها وقال لها ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أريد ذلك المبتلي الذي كان منبوذا على هذه الكناسة لا أدري أضاع أم ماذا فعل به فقال أيوب عليه السلام ما كان منذ فبكت وقالت بعلي فهل رأيته فقال وهل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على ثم انها جعلت تنظر اليه وهي تهابه وقالت أما انه كان أشبه خلق الله بك اذا كان صحيحا قال فأنا أيوب أمرتيني أن أذبح لابليس فاني أطعت الله وعصيت الشيطان قرد على ما ترين (وقال كعب) كان أيوب في بلائه سبع سنين وقال وهب لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزدد به الا حمدا فلما غلب أيوب ابليس لعنه الله ولم يستطع له على شيء اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال فقال لها أنت صاحبة أيوب المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا قال أنا اله الارض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك انه عبد الله السماء وتركني وأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليكما

فشمر جاده وقال يا قوم ان شعيبا مرسل فذروا * عنكم شعيبا وعمران بن شداد
اني أرى غيمة يا قوم قد طلعت * تدعو بصوت على حنانة الوادي
فانه لن يرى فيها فخاخ غد * الا الرقيم عشي بين انجاد

شعيب وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال أبو عبد الله البجلي أبو جاد وهلي وهوز وكلمن وسعفص وقرشت
أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الغالة في زمن شعيب كاهن يقال أخت كاهن تبكيه حين هلك

كاهن أهدى كني * هلكه وسط المحل سيد القوم أتاه الـ ـحتف يا ويح طله
سبعت نارا عليهم * دارهم كالفحل

قال الله تعالى الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين أي لهم الهلاك في الدنيا
والعذاب في الآخرة *(يجلس في ذكر صفي الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على أبواب)*

(الباب الاول في ذكر نسب موسى عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن
لاوى بن يعقوب عليه السلام قال أهل العلم باخبار الاولين وسير الماضين ولد لعقوب لاوى وقد مضى من عمره
سبع وثمانون سنة ثم ان لاوى نكح نابتة بنت ماوى بن يشجب فولدت له غرسون ومرزي ومردي وقاهث ثم ان
قاهث بعد ان مضى له من عمره ست وأربعون سنة نكح فاهي بنت مبين بن تنويل بن الياس فولدت له يصهر بن
قاهث فنكح يصهر بن قاهث سميت بنت بنادم بن بركان بن دعان بن ابراهيم فولدت له عمران وقد مضى له من
العمر ستون سنة وكان عمر يصهر مائة وسبعا وأربعين سنة فنكح عمران بن يصهر يحميد بنت شمويل بن بركيا بن
شمعان بن ابراهيم فولدت له هرون وموسى واختلف في اسم امها فقال ابن اسحق يوخابد وقيل ناجية وقيل
يخابيل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقد مضى من عمره
مئون سنة والله أعلم *(الباب الثاني في ذكر مولد موسى عليه السلام)*

(قال أهل التاريخ) لما مات الريان بن الوليد فرعون مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذي ولى
يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثاني فدعاه يوسف الى
الاسلام فأبى وكان جبارا وقبض الله يوسف في ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك بعده أخوه أبو العباس بن
الوليد بن مصعب بن الريان بن اراشة بن ثروان بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام
وكان أعتى من قابوس وأكبر وأشد وطالت أيام ملكه وأقام بنو اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد
انتشروا وكثروا وهم تحت العماليق وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب واسحق وابراهيم شرعوا
فيه من الاسلام تمسكون به حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله اليه وقد ذكرنا اسمه ونسبه ولم يكن فيهم
فرعون أعتى على الله ولا أعظم قولا ولا أقسى قلبا ولا أطول عمرا في ملكه ولا أسوأ ملكا على بني اسرائيل منه وكان
يذبحهم ويستعبدهم فجعلهم خدما وخولا ويستخدمهم في أعماله فصنفهم يبنون ويستخرجون ويحرثون ويحصدون
الاعمال القذرة ومن لم يكن أهلا للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى يسومونكم سوء العذاب ويستحيون نساءكم
وكان فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضي الله عنها من خيار النساء المعدودات ويقال هي آسية بنت
مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول فأسلمت على يد موسى قال مقاتل لم يسلم من أهل مصر
الا ثلاثة آسية وحزقيل ومريم بنت ناموسى التي دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام قالوا فمر فرعون فيهم
فهم تحت يده عمالا طويلا قال انه أربعمائة سنة يسومهم سوء العذاب فلما أراد الله تعالى أن يفرج عنهم بعث
موسى عليه السلام وكان بعد ذلك على ما ذكره السدي عن رجاله أن فرعون رأى في منامه كأن نارا قد أقبلت من
بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة
والسحرة والعبرين والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا له ولد في بني اسرائيل غلام يسلبك ملكك ويغلبك على
سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وقد أظلك زمانه الذي ولد فيه فأمر فرعون بقتل كل غلام

بأنكم هو بني من ذريته
أبعد آخر الزمان بالآيات
والبرهان فهو خير
الانبياء وأمته خير الامم
قال فلما خلق الله تعالى
حواء ركب فيها الشهوة
فقال آدم يا رب زوجني
بها فقال الله تعالى هات
مهرها فقال يا رب وما
مهرها فقال تصلي على
صاحب هذا الاسم مائة
مرة وأنا أزوجك بها
فقال آدم يا رب ان
فعلت ذلك تزوجنيها
فقال الله عز وجل
نعم فصلى آدم عليه
السلام مائة مرة على
النبي صلى الله عليه وسلم
فزوجه الله بها *(وقال
بعض الصوفية رضي
الله تعالى عنه)* كان لي
جار مسرف على نفسه
بالمعاصي فلما مات رأيته
في المنام وهو في دار السلام
فقلت له بم نلت هذه المنزلة
قال حضرت مجلس
الذكر فسمعت الحديث
يروى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول
الله من صلى علي صلاة
ورفع بها صوته وجبت
له الجنة ثم رفع الحديث
صوته بالصلاة ورفعنا
أصواتنا وجميع القوم
فغفر لنا في ذلك اليوم
(قال) ورأت امرأة
ولدها بعد موته يعذب
فحزنت على ذلك وبكت
ثم رأته بعد ذلك في النور
والرحمة قال فسألته عن

واتبعوه ثم ان الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشرانا قوم شعيب الحياة وتكره الممات ومع ذلك نكره أن نعصي الله تعالى ورسوله فلو سأل الله أن يطيل أعمارنا ولا يمتنا الا اذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه فقال لهم بشر لقد سألتموني عظيما وكافتموني شططا ثم انه قام وصلى ودعا وقال الهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها وأمرتني أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم اني لا أملك الا نفسي وان قوتي قد سألوني في ذلك ما أنت أعلم به مني فلا تؤاخذني بجريرة غيري فانا أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك قال فاوحى الله تعالى اليه يا بشر اني سمعت مقالة قومك وانى قد أعطيتهم ما سألوني طولت أعمارهم فلا يموتون الا اذا شاؤا فكن كفيلا لهم مني بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله اليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمي ذا الكفل ثم انهم تواثبوا وكثروا وغواحتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشرا أن يدعو الله أن يردهم الى آجالهم فاوحى الله تعالى الى بشر أما علم قومك ان اختياري لهم خير من اختيارهم لانفسهم ثم انهم ردوا الى أعمارهم فعاشوا بآجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال ان الدنيا دارهم خمسة أسداسها للروم وسموا روما لانهم نسبوا الى جدهم روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمى ذا الكفل مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وتسعين سنة والله أعلم

(مجلس في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام)

قال الله تعالى والى مدين أخاهم شعيبا الآية اختلف العلماء في نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب بن صيفون بن عيفا بن مابت بن مدين بن ابراهيم وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم واسمه بالسريانية يثرون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أعمى فذلك قوله تعالى اخبارا عن قومه انا لنراك فينا ضعيفا أي ضريرا وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وان الله تعالى بعثه نبيا الى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف (وقال قتادة) بعثه الله تعالى الى أمتين أهل مدين وأصحاب الايكة قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس للناس وتطفيف في المكاييل والموازين وكان الله قد وسع لهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجا منه لهم فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان الآية ونظيرها في الاعراف فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم الآية وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيبا ويؤمن به انه كذاب فلا يفتنك عن دينك وكانوا يتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم (قال السدي) وأبو روق كانوا عشارين (وقال) عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي خشبة على الطريق لا تمر بها ثوب أحد الا شقته ولا شيء الا خرقته فقلت ما هذا يا جبريل فقال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون الآية وكان من قول شعيب وجواب قومه اياه ما ذكره الله تعالى في سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء (قال المفسرون) وكان مما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لاجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا الى قوله الحليم الرشيد أي السفيه الغاوي وهو على الضد كما يقال للحبشي أبو البيضاء وكقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم (قال ابن عباس) رضي الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثر فسادهم وقل صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فاجاب الله تعالى دعاءه فيهم فاهلكهم بالرجفة وهي الزلزلة عن الكلبي ويقال بالصيحة وبعذاب الظلة (قال) ابن عباس وغيره وهي ان الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فارسل عليهم بردا وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا في أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانفجهم الحر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم ووجدوا لها بردا وجاءت ريح طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت الارض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى فصاروا رمادا وذلك قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها وقال تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم (قال ابن عباس) بلغني أن رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى الظلة فيها العذاب

لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لها ما أدخل على ابنك هذه القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فرجعوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت أخت موسى أين الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت اليه فوجدته قد جعل الله تعالى عليه النار بردا وسلاما فاحتملته (قال اسحق) بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ولدها فقذف الله في نفسها أن تتخذ له تابوتا ثم تقذفه في اليم وهو النيل فانطلقت الى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت أخبأ فيه ابني وكرهت أن تكذب قال ولم قالت أخشى كيد فرعون قال فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بأمرها فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق فجعل يشير بيده فلم تدر الامناء ما يقول فلما عياهم أمره قال كبيرهم اضربوه واخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ الله تعالى بلسانه وبصره فلم ينطق بشيء من الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه وأخرجوه فوقع في وادي هوى فيه حيران فاشهد الله تعالى عليه ان رد له لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه يحفظه حيثما كان فعل الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فمر لله ساجدا وعلم ان ذلك من الله تعالى فآمن به وصدقه فانطلقت أم موسى به وألقته في البحر وذلك بعد ما أرضعته ثلاثة أشهر وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء من مصر والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا له أيها الملك انا لا نرى لها الا من قبل البحر حتى يؤخذ منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه ويلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا في ساعة كذا وكذا حين تشرق الشمس فلما كان في يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون وجواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها يتلاعبن ويتضحكن الماء على وجوههن فبينما هن على ذلك اذ أقبل النيل بالتابوت فشرعوا به الامواج فقال فرعون لهذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجر اتوني به فابتدر وه من كل جانب بالسفن حتى وضعوه بين يديه فحاولوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وحاولوا كسره فلم يقدروا فدنت منه آسية فرأت في جوف التابوت نورا لم ير مثله غيرها الا الامر الذي أراد الله تعالى فلما رأته فتحت التابوت فاذا هي بصبي صغير في مهده والنور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهام يمينه يمص منها لبنا فألقى الله تعالى محبة موسى في قلبها وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون عليه فلما أخرجوه من التابوت عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فذهبت به وضمته الى صدرها فقالت النواطق من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان المولود الذي تحذره من بني اسرائيل هو هذا الرضيع في البحر أو اقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته منه آسية فوهبه لها ثم انه قال سميه فقالت قد سميته وسميته لانه وجد بين الماء والشجر قالوا ثم ان أم موسى قالت لاخته وكانت تسمى مريم قصيه أي ابتغي أثره واطلبيه فجعلت تبصر به عن جنب وهم لا يشعرون انها أخته وكانت آسية قد أرسلت الى من حولها من كل أنثى بم لبن لتختار له ظئرا تربي موسى فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت آسية أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج الى السوق ليجتمع عليه الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يقبل ثديها ويأخذ ثديها ويرضع منها فلم يقبل ثدي امرأة فذلك قوله عز وجل وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت أخت موسى حين أعياهم أمره وأعيا الناوون فعل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها وقالوا لها وما يدريك بنصحهم له ولملك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفهم وانما نصحهم له وشفقتهم عليه من أجل رغبتهم في ظئورة الملك وربما منفعة فتذكروها فانطلقت الى أمها فاخبرتها بالخبر فانت فلما وضعته على ثديها في حجرها نزل اللبن من ثديها حتى ملأ جنبيه فانطلق البشير الى آسية يبشرها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فارسلت اليها فاتاها بها فلما رأت ما يصنع بها قالت لها اكفني عندي نرضى ابني هذا فاني لم

(وعن سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه)
انه قال بينما أنا أطوف بالبيت اذ رأيت رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا هذا لقد تركت التسبيح والتهليل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقل عندك في هذا شيء فقال من أنت يرحمك الله فقلت سفيان الثوري فقال لولا انك عارف أهل زمانك لما أطلعتك على حالي وأخبرتك بسري ثم قال خرجت من بلدي أنا ووالدي ماشيين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فبينما نحن في بعض المنازل اذ مرض والدي مرضا شديدا فمكث لا طاقة فيه أنا عند رأسه اذ هو قد مات واسود وجهه قال فلانه ازدري وغطيت به وجهه وجعل عندي غم عظيم وجعل يخطر ببالي حديث حدثنا به على ثلثمائة ميل في بلاد الغربة ولا يمكنني اخفاء ذلك الخبر عن الناس وصرت متفكرا في أمري لا أدري ما أصنع فبينما أنا كذلك اذ غلبني النوم فنمت فاذا أنا

ولد فى بنى اسرائيل فجمع القوابل من النساء من أهل مملكته وقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام من بنى اسرائيل الا قتلتنه ولا جارية الا تركتنها وكل بهن وكلاء فكن يفعلن ذلك قال مجاهد لقد بلغنى انه كان يأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار ثم يصف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بنى اسرائيل فيوقفن عليه فتجرح أقدامهن حتى ان المرأة منهن لتضع ولدها فيقع من بين رجليها فتقتل تطؤه وتتقى به حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها وكان يقتل الغلمان الذين فى وقته ويقتل من يولد بعدهم ويعذب الحبالى حتى يضعن ما فى بطونهن وأسرع الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا له ان الموت قد وقع فى مشايخ بنى اسرائيل وأنت تذبح صغارهم وتميت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون بذبح الولدان سنة وتركهم سنة فولد هرون فى السنة التى لا يذبح فيها أحد فترك وولد موسى فى السنة التى يذبحون فيها (قال) فولدت هرون أمه علانية آمنة فلما كان فى العام الذى أمر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه واشتد تحفظها فأوحى الله تعالى اليها ان أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم الى قوله المرسلين فلما وضعته فى خفية أرضعته ثم انها اتخذت له تابوتا وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه قال مقاتل وكان الذى صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل انه كان من بردى فاتخذت أم موسى التابوت وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وصرت رأسه ثم ألقته فى النيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها أتاها الشيطان فوسوس اليها فقالت فى نفسها ماذا صنعت بابنى لو ذبح عندى لواريته وكفنته وكان أحب الى من أن ألقيه بيدى فى البحر وأدخله الى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين الاشجار عند دار فرعون الى روضة هى منتهى جوارى فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير فى دار فرعون داخل فى بستانه فرجت جوارى فرعون يغتسلن ويستقين فوجدن التابوت فأخذنه وظنن ان فيه مالا فحملنه على حالته حتى أدخلنه الى آسية فلما فتحته رأت الغلام فألقى الله تعالى عليها محبة منه فرحته آسية وأحبته حبا شديدا فلما سمع الذابحون بأمره أقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الصبى فقالت آسية للذابحين انصرفوا فان هذا لا يريد فى بنى اسرائيل فانا آتى فرعون وأستوهبه اياه فان وهبه لى كنتم قد أحسنتم وان أمركم بذبحه فلا ألومكم ثم انها أتت به فرعون وقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا فقال فرعون قرة عين لك أما أنا فلا حاجة لى فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله تعالى به كما هدى به امرأته ولكن الله تعالى حرمه ذلك قال فاراد أن يذبحه وقال انى أخاف أن يكون هذا من بنى اسرائيل وأن يكون هذا الذى هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها فلما أخذت آسية أرادت أن تسميه باسم اقتضاه له فسمته موشى لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط مو الماء وشى الشجر فعرب فقيل موسى (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علويه أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا ابن بشير أخبرنى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بنى اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصى ووافق شرارهم أشرارهم ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وساموهم سوء العذاب فذبحوا أبناءهم قال وقال أبو الياس قال وهب بلغنى أنه ذبح فى طلب موسى سبعون ألف ولد قال اسحق عن ابن عباس ان أم موسى لما قاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بحبالى بنى اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها أم موسى فقالت نزل بى ما نزل فلينفعنى معك اليوم فقالت لها نعم فعالجت قبالها فلما وقع موسى على الارض أضاء لها البيت نورا بين عينى موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى فى قلبها ثم قالت لها ياهذه ما جئت الليلة حين دعوتينى الا فى رأى قتل ولدك واخبار فرعون بذلك ولكن وجدت لابنك هذا حبا لم أجد حب شئ مثله فاستقطنى يا بنيك فانى أراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاء الى باب الدخل على موسى فقالت أختنه يا أماه هذا الحرس بالباب فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع به شوقا على موسى فلفت موسى فى خرقة وألقته فى التنور وهو مسجور وكان ذلك الهاما من الله تعالى لها لما أراد الله بعبده موسى فدخلوا فاذا التنور مسجور وأم موسى لم تغب

لها

ذلك فقال من بنا رجل
وقف بوسط المسجد
وصلى على النبى صلى الله
عليه وسلم وأهدى ثواب
صلاته لجميع الاموات
حل نصيبى من ذلك الرحمة
والمغفرة فغفر لى (وقال
بعض العارفين رضى
الله تعالى عنه) صليت
ليلة من الليالى صلاة
عشاء الاخيرة فلما جلست
للتشهد نسيت الصلاة
على النبى صلى الله عليه
وسلم فرأيته فى المنام
وهو يقول ياهذا نسيت
صلاة علينا فقلت يا رسول
الله اشتغلت بالثناء
على الله فقال أما علمت
ان الله سبحانه وتعالى
لا يقبل الثناء عليه الا
بالصلاة على أما سمعت
قول الله سبحانه وتعالى
فى كتابه العزيز يا أيها
الذين آمنوا صلوا عليه
وسلموا تسليما فتحت
لى نومى وأنشدت
شعرا

صلوا على من أنت حقا
بشره

هاشمى الذى طابت
عناصره

والنبى الذى شاعت
رسالته

بالخلق طرا وقد عمت
بشره

والرسول الذى تسمى
بالمولى له

بالرؤس فقبلتهم مفاخره

هذا الطبيب لهذى
الناس كلهم

فى العليل وللمكسور
جابره

انما آخذه في عمل أبيك وأبى أن يخلى سبيله فغضب موسى فبطش به وخلص السامري من يده فنازعه القبطي فوكزه موسى فقتله وهو لا يريد قتله ذلك وربه تعالى فوكزه موسى فقضى عليه قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم (وقال وهب) أوحى الله الى موسى بن عمران وعزتي وجلالي لو كانت النفس التي قتلت اقربت لي طرفة عين أني الله خالق رازق لاذقتك طعم العذاب واني اعفوت عنك لانك سألتني ساعة واحدة أني الله خالق رازق فالوا واما قتل موسى القبطي لم يرهما الا الله تعالى والاسرائيلي فلما أصبح في المدينة خائفا يترقب الاخبار فاتوا فرعون وقالوا له ان بني اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فذلنا محققا ولا ترخص لهم في ذلك فقال فرعون ائتوني بقاتله ومن يشهد عليه لانه لا يستقيم أن يقضي بغير بينة ولا يثبت ملك على الاخذ بالظلم فالملبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلي على قتال الفرعوني فصادف موسى وهو نادم على ما كان منه بالامس فكره الذي رآه فغضب موسى فديده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني وقال للاسرائيلي انك لغوي مبين ففر الاسرائيلي من موسى وظن انه يبطش به من أجل انه أغلظ عليه في الكلام وكان غضبان فلما أقبل لنصره ومد يده ظن انه يريد قتله فقال له يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس الآية وانما قال ذلك مخافة من موسى وظن ان يكون موسى أراده ولم يكن أراده وانما أراد الفرعوني فتنازعا فذهب الفرعوني فاخبرهم بما سمع من الاسرائيلي وذكر ان موسى هو الذي قتل الرجل بالامس وهو المثل السائر العدو العاقل أحرى عليك من الصديق الاحمق وينشد في معناه

ان اللبيب اذا تزايد بغضه * أحرى عليك من الصديق الاحمق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه فانه غلام لا يهتدي الى الطريق فطلب موسى في ثنيات الطريق وكان موسى يسلك الطريق الاعظم فجاءه رجل من شيعته من أقصى المدينة يقال له حزقيل وكان على بقية من دين ابراهيم وكان أول من صدق بموسى وآمن به (ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالبناء وهو أفضلهم قال فجاء حزقيل مؤمن آل فرعون فاخبر موسى بما أمر به فرعون من قتله واختصر طريقا يقاتر به حتى سبق الذباحين اليه فاخبره الخبر فذلك قوله تعالى وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج موسى ولم ير أين يذهب فجاء ملك على فرس بسده عنزة فقال له اتبعني فاتبعه فهداه الطريق الى مدين (ويروى) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال وبقال نحو من الكوفة الى البصرة فلم يكن له طعام الا ورق الشجر فاوصل اليها الا وقد وقع خف قدميه وتحضرة البقل لترى من بطنه

(الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنته اياه)

قالت العلماء لما انتهى موسى الى أرض مدين في ثمان ليال نزل في أصل شجرة واذا تحتها بئر وهي التي قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أي تحبسان أغنامهما فقال لهما ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء لانا امرأتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرعاء فاذا سقوا ورحلوا سقينا أغنامنا من فضول حاجتهم وما يبقى من حياضهم وأبونا شيخ كبير تعنيان شعيبا * وروى حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال اسم أبي امرأة موسى الذي استأجره ثبرون صاحب مدين ابن أخي شعيب النبي عليه السلام واسم احدى الجاريتين ليا ويقال صفورا والاخرى صفورا وهي امرأة موسى عليه السلام فلما قالتا ذلك لموسى رحمهما وكان هناك بئر على رأسها صخرة عظيمة وكان النفر من الرجال يجتمعون اليها حتى يرفعوها عن رأسها (وحكى الاستاذ) أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ أن تلك البئر غير البئر التي تسقى منها الرعاء قال وقد حضرتها ورأيتها قال فرفع موسى الصخرة عن رأسها وأخذ دلوا لهما

بعد صلاة الصبح بكلام لا يفهمه أحد فرجعت في يوم السنين عاما الى بيت الله الحرام وكانت سنة شديدة الحر فكنت أسير في الركب وأنام حتى يلحقني رفاقي فبقيت ليلة من الليالي على عادتي وكنت عادلا عن الطريق فساور الركب ولم يشعروا بي رفاقي فصرت نائما حتى طلعت الشمس والتهبت وأنا لا أدري كيف الطريق فرفعت طرفي الى السماء وقلت الهي ومسيدي الى هنا جعلتني وعن بيتك فعاتبني في سري فقال لو دعاني بحقي عليك من المسير وهو على حر الهجير فايست من الحياة وانطرحت على كثيب من رمل انتثار الوبر فبينما انا كذلك اذا شخص ينادي باسمي فنهضت وتطلعت فاذا هو الشيخ أبو سعيد قال فسلمت عليه فرد علي السلام ثم ناولني رغيفا سخنا فاكلته فاستدرني ثم ناولني ركوة فيها ماء أحلى من الشهد وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن فشربت منها وغسلت وجهي فعادني روحي ثم قال اتبعني يا عبد الرحمن فعرجت بذلك فقال اليث هنا فالوكيب يأتيك بالخبر

أحب شيأ مثل حبه قط فقالت لا أستطيع ان أدع بيتي وولدي فيضيعوا فان طابت نفسك ان تعطيني فاذهب به الى بيتي وولدي فيكون نعمى ولا أولى له الا خيرا فعلت والا فاني غير تاركة بيتي وولدي وتذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت ان الله سبحانه وتعالى منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من وقتها * وقيل كانت غيبة موسى عن أمه ثلاثة أيام ثم رده الله اليها وذلك قوله عز وجل فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن فلما جاءت أمه به الى بيتها كادت تقول هو ابني فعصمها الله عز وجل فذلك قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه فلما ترعرع قالت آسية لفرعون موسى أحب أن تريني ابني فوعدتها يوما تريها اياه فيه فقالت آسية لخواصها وقهارمتها لا يبقى منكن واحدة الا استقبلت ابني بهدية وكرامة فاني باعثة بامينة تحصي ما تصنع كل قهرمانة منكن فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت أن خرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون فلما أن دخل عليها اكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ثم قالت لها انطلقي به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون أخذه ووضعه في حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى جذبها وانتف منها بعض شعرات وكان فرعون طويل اللحية ويقال انه لطم وجهه (وفي بعض الروايات) أنه كان يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب صغير فضرب به على رأس فرعون فغضب غضبا شديدا وتطير منه وقال هذا عدوي المطلوب فارسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسعى الى فرعون وقالت له مابدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي فاخبرها بما فعل موسى فقالت له انما هو صبي لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وأنا أجعل فيه بيني وبينك أمرا تعرف به الحق وأضع له حليا من الذهب والياقوت وأضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان أخذ الجمرة علمت انه صبي ثم انها وضعت له طشتا فيه الذهب والياقوت وطشتا آخر فيه الجمر فمد موسى يده على انه يأخذ الجوهر ليقبض عليه فقبل جبريل عليه السلام يده الى الجمر فقبض على جمرة ووضعها في فيه فجاءت على لسانه فاحرقته وذلك الذي قال في قوله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فقالت له آسية ألا ترى الى فعله وانه صبي لا يعقل فكف عن قتله وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عز ذا مكرما في بيت فرعون وحببه الله اليه والى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه (ويروى) انه سئل ابليس هل أحببت أحدا من العالمين قال لا الا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له وكيف ذلك فقال لان الله تعالى قال وألقيت عليك محبتي فلم أتمالك ان أحببته

(الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام)

قال كعب الاحبار كان هرون بن عمران نبي الله رجلا فصيح اللسان بين الكلام اذا تكلم تئوده وعلم وكان أطول من موسى وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه أيضا شامة سوداء وكان موسى بن عمران رجلا آدم اللون جعدا طويلا كأنه من رجال أزد شنوأة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة عجلة وكان أيضا على طرف لسانه شامة سوداء

(الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه من مصر ورده مدين)

قال أهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران أشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس فرعون وكان يدعى موسى بن فرعون وامتنع به عن بني اسرائيل كثير من الظلم والسخرة التي كانت فيهم ولا يعلم الناس ان ذلك الامن قبل الرضاعة فالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى في أثره وأدركه القيل بارض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد أغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد وهي التي قال الله تعالى فيها ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فبينما هو يمشي في ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني اسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه الآية والذي من شيعته يقال له السامري والذي من عدوه رجل من القبط كان خباز الفرعون واسمه فاتون وكان قد اشترى ثورا فاخذ السامري ليحمله فامتنع السامري فلما مر به موسى استغاثه السامري على القبطي فقال موسى للقبطي دعه فقال الخباز لموسى

رجل لم أر أحسن منه وجها ولا أنقى منه ثيابا ولا أطيب منه رائحة وهو يرفع قدما ويضع قدما حتى دنا من والدي ثم كشف الازار عن وجهه ومسح بيده عليه فعاد أبيض يلوح منه نور ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه وقلت من أنت الذي من الله علي والدي بك في هذه البرية قال فتبسم وقال أنا محمد رسول الله صاحب القرآن كان والدك مسرفا على نفسه وكان يكثر الصلاة علي فلما نزل به ما نزل استغاث بي فاغثته وأنا غياث من أكثر الصلاة علي فانتبهت فرأيت وجه أبي أبيض يلوح منه نور ساطع (اخوافي) أكثروا من الصلاة على هذا النبي الكريم فان الصلاة عليه تكفر الذنب العظيم وتهدي الى صراط مستقيم وتقي قائلها من عذاب الجحيم وتحفلي بالجنة دار النعيم * (وعن عبد الرحمن بن جعفر رحمه الله تعالى) * أنه قال كنت بالبصرة أصلي الخمس في مسجد بجوار ي وكان ذلك المسجد يسرف بالخطباء وكان فيه امام مغربي يدعى بابي سعيد وكان رجلا مشهورا بالخير والصلاح وكان يتكلم في المسجد

في الارض فسئل عنها فقال عبد الله أما الشيخ الذي وضعه الله للناس في الارض من الجنة فهو هذا الركن الاسود وأما أول ما وضع للناس في الارض فبئر بروت باليمن يردها أرواح الكفار وأما أول شجرة وضعها الله تعالى في الارض فالعوسجة التي اقتطع منها موسى عصاه فلما بلغ ذلك كعبا قال صدق الرجل فعلى هذا القول انما اقتطع موسى عصاه من تلك الشجرة فاظهر الله فيها قدرته ومعجزة موسى فيها وقال ابن عباس كتب صاحب الروم الى معاوية يسأله عن أربعة أشياء لم يتكلموا في رحم فلما قرأ معاوية الكتاب قال أخزاه الله وما علي بجوابها فقيل له اكتب الى ابن عباس فاسأله عن ذلك فكتب اليه يسأله عنها فكتب اليه ابن عباس في الجواب أما الاربعة التي لم يتكلموا في رحم فآدم وحواء والكبش الذي فدي به اسمعيل وعصا موسى حيث ألقاها صارت ثعبانا (وقال) أكثر العلماء كانت عصا موسى من آس الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى حملها آدم من الجنة الى الارض فورثها الناس صاغرا عن كابر الى ان وصلت الى شعيب فأعطاها موسى واختلف العلماء في اسمها فقال سعيد بن جبير اسمها ماسا وقال مقاتل بن سليمان اسمها نفعة وقال ابن جريان اسمها غياث وقال آخرون اسمها عليق

(الباب السابع في صفة المآرب التي كانت فيها لموسى)

قال أهل العلم بأخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان وخصن في أسفل الشعبتين وسنان حديد في أسفلها وكان موسى اذا دخل مغارة ليلا ولم يكن قرتضيء شعبتاها كالشعبتين من نار تضيئان له حتى يبصر وكان اذا أعوزه الماء دلاها في البئر فتمتد على قدر قعر البئر ويصير في رأسها شبه الدلو فيستقي بها واذا احتاج الى الطعام ضرب الارض بها فيخرج مايا كل يومه وكان اذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرزها في الارض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتهى موسى فاكهتها وأثمرت له من ساعتها وقال كانت عصا موسى من الآس وكان اذا جاع ركزها في الارض فأورقت وأثمرت وأطعمت وكان يأكل منها الآس وكان اذا قابل بها عدوه ويلقاه وعلى شعبتيها نوران يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتخرج له الطريق وكان اذا أراد عبور نهر من الانهار بلا سفينة يضرب بها عليه فانفلق وبدا له فيه طريق فخرج وكان يشرب من احدى شعبتيها العسل ومن الاخرى اللبن وكان اذا أعيا في طريق قصرها فتجعل الى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان اذا طلب منها الطبيب فتح منها الطبيب فيتطبب ويعلمه غيره واذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس بأنهم تركه العصا فتقول له اذهب يا طبب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا وكان يشجر بها على غنمه ويدفع بها السباع عنها والحشرات والهوام واذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جوازه ومتاعه وثلاثة وعشرين عكازا معه وكساءه وطعامه وشرابه قال ابن جريان قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه ترعاها اذهب بها الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وان كان السلك بها أكثر فان هناك تنالها فانطلق موسى بالاغنام حتى اذا بلغ مفرق الطريق أخذ بالاغنام ذات اليمين فابتدرها موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على ما يريده ثم نام موسى والاغنام ترعى واذا التنين قد جاء تلك الغنم فأخذ منها شاة وأتى بها نحو فمه فانتبه موسى فوثب اليه فأخذ بذنبه فاستلقى التنين على قفاه فانتزع الشاة من بين أنيابه وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا قائمة والتنين مقتولا فعلم موسى ان في تلك العصا قدرة وعرف ان لها شأنا فهذه مآرب موسى اذا كانت في يده وأما اذا ألقاها فيرى انها كانت ثعبانا عظيما لا يكون من الثعابين سوداء مدلهمة ذنب على أربع فراسخ فصير شعبتاها فاها وفيها اثنا عشر نابا ونشر لها سبعين شعبة وصير يخرج منها لهب النار ويسير نحو عصاه فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم العاشر سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي عشر سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني عشر سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث عشر سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع عشر سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس عشر سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس عشر سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع عشر سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن عشر سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع عشر سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم العشرين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والعشرين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والعشرين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والعشرين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والعشرين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والعشرين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والعشرين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والعشرين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والعشرين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والعشرين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثلاثين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والثلاثين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والثلاثين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والثلاثين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والثلاثين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والثلاثين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والثلاثين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والثلاثين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والثلاثين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والثلاثين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الاربعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والاربعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والاربعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والاربعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والاربعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والاربعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والاربعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والاربعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والاربعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والاربعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخمسين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والخمسين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والخمسين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والخمسين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والخمسين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والخمسين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والخمسين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والخمسين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والخمسين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والخمسين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الستين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والستين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والستين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والستين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والستين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والستين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والستين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والستين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والستين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والستين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السبعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والسبعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والسبعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والسبعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والسبعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والسبعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والسبعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والسبعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والسبعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والسبعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثمانين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والثمانين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والثمانين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والثمانين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والثمانين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والثمانين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والثمانين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والثمانين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والثمانين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والثمانين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التسعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والتسعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والتسعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والتسعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والتسعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والتسعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والتسعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والتسعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والتسعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والتسعين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم المائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم المائتين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والمائتين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والمائتين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والمائتين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والمائتين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والمائتين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والمائتين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والمائتين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والمائتين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والمائتين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثلاثمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والثلاثمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والثلاثمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والثلاثمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والثلاثمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والثلاثمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والثلاثمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والثلاثمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والثلاثمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والثلاثمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الاربعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والاربعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والاربعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والاربعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والاربعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والاربعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والاربعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والاربعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والاربعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والاربعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخمسمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والخمسمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والخمسمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والخمسمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والخمسمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والخمسمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والخمسمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والخمسمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والخمسمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والخمسمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الستمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والستمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والستمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والستمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والستمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والستمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والستمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والستمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والستمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والستمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السبعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والسبعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والسبعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والسبعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والسبعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والسبعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والسبعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والسبعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والسبعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والسبعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثمانمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والثمانمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والثمانمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والثمانمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والثمانمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والثمانمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والثمانمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والثمانمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والثمانمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والثمانمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التسعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والتسعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والتسعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والتسعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والتسعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والتسعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والتسعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والتسعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والتسعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والتسعمائة سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الألف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والألف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والألف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والألف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والألف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والألف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والألف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والألف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والألف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والألف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الألفين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والألفين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والألفين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والألفين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والألفين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والألفين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والألفين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والألفين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والألفين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والألفين سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثلاثة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والثلاثة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والثلاثة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والثلاثة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والثلاثة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والثلاثة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والثلاثة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والثلاثة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والثلاثة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والثلاثة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الأربعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والأربعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والأربعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والأربعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والأربعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والأربعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والأربعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والأربعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والأربعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والأربعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخمسة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والخمسة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والخمسة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والخمسة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والخمسة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والخمسة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والخمسة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والخمسة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والخمسة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والخمسة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الستة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والستة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والستة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والستة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والستة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والستة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والستة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والستة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والستة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والستة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السبعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والسبعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والسبعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والسبعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الرابع والسبعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الخامس والسبعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السادس والسبعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم السابع والسبعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثامن والسبعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم التاسع والسبعة آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثمانية آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الحادي والثمانية آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثاني والثمانية آلاف سار نحوها فلما رآها كاد يتميز من النار ثم رجع منها راجعا فلما كان في اليوم الثالث والثمانية

وقال لهما قد ما غنمكما فسقى لهما أغنامهما حتى أرواها فرجعتا الى أبيهما سريعا قبل الناس وتولى موسى الى الظل ظل الشجرة وقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لنظرها وما سأل الله تعالى الا أكلة وقال ابو جعفر محمد الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة قالوا فلما رجعتا الى أبيهما قال لهما ما أعجلكما وأسرع ورواحكما اليوم قالتا وجدنا رجلا صالحا فرحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه الى فجاءته احداهما وهي التي تزوجها موسى وهي تمشي على استحياء فقالت له ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى فتقدمته وهو يليها أي يتبعها فهبت ريح فالصقت ثوب المرأة برد فها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها موسى امشي خلفي ودليني على الطريق فاذا أخطأت فارمي قدامي بحصاة حتى أتوخى حيث رميت فعلت فانتهى بها الى أبيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب فسأل شعيب موسى عن حاله وقصته فأخبره الخبر فقال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما وهي التي كانت الرسول الى موسى يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين (قال) النبي صلى الله عليه وسلم أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاهما فرستا في موسى فاما بنتا احداهما امرأة فرعون حين قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شعيب حيث قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وانما قالت القوي الامين لانه أزال الحجر العظيم الذي لا يرفعه الا أربعون رجلا فقال لها أبوها هبلتك امك عرفت قوته فما أعلمك بامانته فاخبرته بما أمرها موسى من استدبارها اياه في الطريق فازداد فيه شعيب رغبة فقال له اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج الى قوله من الصالحين أي في حسن الصحبة معلنا والوفاء بشرطك فقال موسى ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت الآية (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الاجلين قضى موسى قال أكملهما وأفضلهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج بصغراهما

(الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدو أمرها)

اختلف العلماء في اسمها والمنافع التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها قالوا ثم ان شعيبا أمر ابنته أن تأتيه بعصا ليعطيها موسى فيستعين بها في رعايته فجاءته بعصا كانت تلك العصا وديعة عنده دفعها اليه ملك على صورة رجل فردها عليها شعيب وأمرها أن تأتيه بعصا أخرى فمازالت ترجع وتأتيه بها بعينها لانها كانت كلما ردتها الى مكانها وأرادت أن تأخذ غيرها سقطت هي في يدها فمازالت كذلك حتى أخذها شعيب وأعطاها موسى فلما أعطاه اياها ندم على ذلك لانها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد علي العصا فابى أن يرد ها عليه فتنازعا الى أن شرطا على أنفسهما أن يرتضيا حكم أول رجل يدخل عليهما فاتاهما ملك يمشي فتحاكما اليه فقال ضعها على الارض فمن حملها فهي له فوضعها موسى على الارض فعالجها الشيخ فلم يطق حملها فاخذها موسى بيده فرفعها فلما رأى شعيب ذلك تركها له وفي رواية أخرى ان موسى لبث عند شعيب ما شاء الله ثم استأذنه في الانصراف فاذن له وقال له ادخل هذا البيت وخذ عصا من العصي تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصي الانبياء يومئذ عند شعيب فلما دخل موسى البيت وثبت اليه العصا فصارت في يده فخرج بها فقال له شعيب رد ها وخذ غيرها وذلك ان شعيبا كان قد أخبر بامر العصا ولم يدر شعيب ان صاحبها هو موسى فردها موسى الى البيت فالقاها وذهب ليأخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك مرارا فقال له شعيب ألم أقل لك خذ غيرها فقال له موسى قد رددتها مرات فكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي فعلم شعيب ان ذلك أمر يريده الله تعالى فقال له خذها (قالوا) وزوجه ابنته وربى له موسى عشر سنين وولد لموسى أولاد من ابنة شعيب (قالوا) لما خرج موسى من مدين ووافى مصر كان شعيب يزوره في كل سنة فاذا أكل قام موسى على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقيه بين يديه ويقول له كل (وقال مقاتل) بل كان جبريل هو الذي دفع العصا الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل (قال كعب) لما قدم مكة عبد الله بن عمرو بن العاص قلت سلوه عن ثلاث فان أخبركم فانه عالم سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس وعن أول ما وضع في الارض وعن أول شجرة غرست

من ربك الى فرعون وملئه الآية ثم قال له اذهب الى فرعون انه طغى فقال موسى رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف أن يقتلون وأخى هرون هو أفصح منى لسانا الى قوله يكذبون فقال له يا موسى انى أوقفتك موقفا لا أجعل بعدك لاحد عليك سلطانا دونى ولا ينبغى ان يعدلك أن يسمع كلامى وأنت فى أقرب الاماكن منى وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قد خللها اجفلال وجبة من صوف وثياب من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكلمه ويعهد اليه ويقول له يا موسى انطلق برسالتى وأنت بعينى وسمعى ومعك قوتى وبصرى بعثتك الى خلق شهيش من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى وعبد دونى وغرته الدنيا حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى وزعم انه لا يعرفنى وانى أحاضه بعزتى وجلالى لولا الحجة والقدرة اللتان جعلتهما بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والارض والجبار والجبال والشجر والدواب فلو أذنت للسماء لحصبته وللارض لابتلعته وللجبال لدككته وللجار لغرقته ولكن سقطا من عينى وهان على وصغر عندى ووسعه حلمى وأنا لغنى عنه وعن جميع خلقى وحق ذلك لى وأنا خالق الغنى والفقير لا غنى لاحد عن أغنيته ولا فقير الا من أفقرته فالبغير سالتى وادعه الى عبادتى وتوحيدى والاخلاص لى وحذره نقمتى وبأسى وذكره آياتى وأعلمه انه لا يقوم لغضبى شئ قل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وبعثه فى خطابك اياه ولا ترعلما ألبستك من لباس الدنيا فان ذلك ناصيتى بيدى ولا بعارف ولا ينطق ولا يتنفس عن شئ الا بامرى وأخبره بانى من العفو والمغفرة أسرع منى الى الغضب والعقوبة وقل له أجب ربك فانه واسع المغفرة وقد أمهلك فى طول هذه المدة وفى كل ذلك تتمادى فى الربوبية دونه وتصد عن عبادته وفى كل ذلك عطر عليك السماء وينبت لك الارض وما بسط لك العافية حتى لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تطلب ولو شاء لعاجلك بالنقمة واسبل ما أصابك ولكنه ذو حلم عظيم ثم أمسك الكلام عن موسى سبعة أيام يليها ثم قيل له بعد سبع ليال أجب ربك يا موسى فيما كلمك فقال رب اشرح لى صدرى الى قوله تعالى بصيرا فقال الله تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى فاهد بنفسك وأخيك وكان قد خطر فى قلب موسى ان فرعون فى بأس عظيم وجند كثير وأنا وأخى وحيدان فريدان فقال الله تعالى له انكما جندان من جندى وأنا محكما أسمع وأرى وأبصر كما أكون سمحكما فلا تستضعفان ولا تستقلان ولو شئت أن آتيه بجنود لا قبل له بها فعلت ولكن ليعلم ذلك الشق الضعيف الذى قد أعجبه نفسه وجنوده ان الغلبة والقاهرية فى تغلب الفئة الكثيرة بأذنى ولا بجمعكما زينة ولا بكما عندى فلو شئت أن أزينكما من زينة الدنيا بجمتها ما يبهت فرعون وملأه اذا نظروا اليها ويعلم ان مقدرته تعجز عما أتيتكما فعلت فلا تأخذكما أنت ومن معكما من متاع الدنيا وزينتها فان ذلك دأبى فى أوليائى وأصفيائى أذودهم عن نعيم الدنيا ولذاتها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن المراتع الوبيئة لكى تستكملوا نصيبكم من كرامتى فى الآجل واعلم انه لا يزين أحدا من عبادى بزينة هى أبهى من الزهد فى الدنيا وهو زينة الابرار وشعار الاتقياء ونور الله تعالى فى قلوب أوليائه وبه يسقيهم يوم يلقونه ويجزيهم الجنة بصبرهم على الزهد فى الدنيا وهو يقول الاجر كل الاجر لمن زهد فى الدنيا وقال ان الله تعالى كان فى تلك المدة مائة ألف كلمة وأربعة عشر ألف كلمة يقول له مع كل كلمة قلت نفسا بغير حق (وقيل) لموسى عليه السلام عرفت ان الله تعالى هو الذى كلمك فقال لان كلام المخلوق انما يسمع من جهة واحدة فاستوا عليه وهى السمع وانى كنت أسمع كلام الله تعالى من جميع اجزاء جسدى حتى كأنما فرغت انه كلام الله تعالى (قالوا) ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صار الجبل عقيقا فلما نزل موسى عنه عاد الى حالته الاولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولا بربه وأراد أن يختنه فامر الله تعالى ملكا فذبحه ولم تزل قدمه عن موضعها حتى جاءه الملك ملفوفا فى خرقة وناوله الى موسى فاخذ حجرا من قلة أسد هما بالآخر حتى سدده كالسكين من الحديد فختن به ابنه ثم ان الملك عالج المقطوع من الختون فتفل فيه فبرأ من ساعته باذن الله تعالى ثم ان الملك رده الى موضعه الذى جاء به منه ولم يزل أهل موسى مقيمين فى ذلك المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم وردهم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر وجاوز بنى اسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب الى مصر لموسى قالوا وخرج موسى من فوره ذلك لما بعثه الله الى مصر لا علم له بالطريق وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حولة ولا صاحب ولا شئ من الاشياء غير العصا ومدرعة صوف

هو فقال فى نفسى اخلاصى لربى فقلت له فهل لك فى مرافقتى فقال الرفيق يشغل عن ذكر الله ولا أحب أحدا يشغلنى عن ذكر الله تعالى فارفقنى فقلت من أين تاكل فقال الذى غذانى فى ظلمة الاحشاء صغيرا يتكفل برزقى كبيرا فلما احتجت الى طعام حضر بين يدى فقلت له هل من حاجة فقال نعم اذا رأيتنى بعد هذا اليوم فلا تكلمنى فقلت بالله أسالك يا سيدى ان تقول فقال جل الله عن كل معصية وشغل كل يقصر بك اليه فقلت يا سيدى فاين اللقاء بعد ذلك اليوم فقال ما بقى لقاء بعد هذا اليوم فان كنت من أهل القرب فاطلبنى عندى فى منازل القربة ثم غاب عن عينى فلم أره رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين * (وعن مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه) * انه قال كان لى جار مسرف على نفسه لا يعرف لله يوما من أمسه فاجتمعت الجيران الى تشكوه فاحضرته وقلت له ما هذا قد كثر عصيانك فلما أن تتوب واما أن تخرج من هذا المحل فقال أنا فى ملكى

قال الله عز وجل فلما قضى موسى الاجل الآية قالت العلماء بسير الانبياء لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم ورده تسع سنين قال له شعيب انى وهبت لك كل بلقاء وأباق من نتاج أغنامى التى ترضعها فى هذه السنة يعنى السنة العاشرة أراد بذلك تمام عشر موسى وصلة ابنته صفورا الى أمر أتموسى قال فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك الماء الذى فى مستقى الاغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى الاغنام من ذلك الماء فما أخطأت واحدة من تلك الاغنام الاوضعت حملها من تينا بين أبلق و بلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه وسلم اليه الاغنام التى وهبها منه وقضى موسى أتم الاجلين وأوفاهما فلما قضى موسى الاجل وسار باهله منفصلا من أرض مدين وكان فى أيام الشتاء ومعه امرأته وأغنامه وهى فى شهر هالا تدرى أتضع ليلا أو نهارا فانطلق فى برية الشام عادلا عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان أكبرهمه يومئذ طلب أخيه هرون واخراجه من مصر ان استطاع اليه سبيلا فسار موسى فى البرية غير عارف بطرقها فالجأه المسير الى جانب الطور الايمن الغربى فى عشية شاتية شديدة البرد وأظلم عليه الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر وأخذ امرأته الطلق فعمد موسى الى زنده فقدحه فلم يور فقصر وقام وقعد فلم يكن له عهد بمثل ذلك فى الزند وأخذ يتأمل ما قرب وما بعد تحيرا وضجرا ثم أخذ يتسمع طويلا هل يسمع حسا أو حركة فبينما هو كذلك اذ آنس من جانب الطور نورا فحسبه نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى يعنى من يدلنى على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أتاها رأى نورا عظيما ساطعا متصلا من عنان السماء الى شجرة عظيمة هناك واختلفوا فى تلك الشجرة ما كانت فقيل العوسجة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى نارا عظيمة ليس لها دخان وهى تلتهب وتشتعل من جوف شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا نضرة فلما دنا موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته الى النار فرجع اليها ودنت منه فنودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى فنظر فلم ير أحدا فنودى انى أنا الله رب العالمين فلما سمع ذلك علم انه ربه تعالى فناداه ربه أن ادن واقرب فلما قرب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته وصار حيا كميت الاأن روح الحياة تتردد فيه من غير حوالة وأرسل الله اليه ملكا شد ظهره و يقوى قلبه فلما ناب اليه عقله نودى فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى وكان السبب فى أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الاصبهانى قال حدثنا يحيى السدى قال حدثنا أحمد بن بجدة قال حدثنا الحمانى قال حدثنا عيسى بن يونس عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وفى بعض الاخبار غير مدبوغ (وقال مجاهد وعكرمة) انما قال فاخلع نعليك كى تمس راحلته قدميه الارض المقدسة فتناله بركتها لانها قدست مرتين وقال سعيد بن جبير انما قال له ذلك لان الحفوة من أمارات التواضع والاحترام فقيل له طأ الارض حافيا كما تدخل الكعبة لتحصل من بركة الوادى وقال أهل الاشارة النعل عبارة عن المرأة وذلك تأويل فى المنام فقيل له فرغ قلبك من شغل أهلك ثم قال له تعالى تسكين القلب وازهاق الهشة وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى الآية فقال الله تعالى ألقها يا موسى فالقاها فاذا هى حية تسعى قد صارت شعبتاها فما هو محجنها عرف الها فى ظهرها وهى تهتز لها أنياب وهى كما شاء الله أن تكون فرأى موسى أمرا فظيعا فولى موسى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه تعالى أن يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين سنعيدها سيرتها الاولى أى نردها عصا كما كانت ويقال ان الحكمة فى أمر الله تعالى اياه بالقاء العصا قبل أن يصل الى فرعون لكى لا يفزع منها موسى اذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما أقبل موسى قال له خذها ولا تكن عصاك ولا تخف لانه كان ادعى للملك فقال هى عصاى فنبه على ذلك وكان على موسى جبة من صوف فلف كمه على يده وهو لها هائب فنودى أن احسر يدك فحسر كمه عن يده ثم أدخل يده تحت لحيته فلما أدخل يده قبض فاذا هى عصاه فى يده و يده بين شعبتيها حيث كان يضعها ثم قال له أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى وانما قال فى جيبك لانه لم يكن للبوسه كم واسع فضاق عليه فادخل يده فى جيبه ثم أخرجها فاذا هى نور تلتهب يكل عنه البصر ثم ردها فعادت كما كانت على لون يده فقال الله تعالى فذانك برهانان

عند دعاء موسى بدعاء وهو لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم سبحان رب السموات السبع
والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم إني
أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شر عواستعين بك عليه فما كمنه بعد ما شئت قال فقول ما في قلبه وسيء من الخوف
أضعاف كذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو مستيقن أمن الله تعالى وناس كثير ينسونه وهو من عليه بتذكرات الموت ثم إن
فرعون قال لموسى من أنت يقال أنا رسول رب العالمين فتأمله فرعون فعرفه فقال له ألم نربك فينا وليدا ولبثت
فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين فعلت فعلي ديناهذا الذي هو الآن بيني قال
موسى فعلتها إذا وأنا من الضالين أي من الخاطئين ولم أرد بذلك القتل فمررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي
حكما وجعلني من المرسلين ثم أقبل موسى يذكر عليه ما ذكره من يده عليه وقال وتلك نعمة تمن علي أن عبدت
بني إسرائيل أي اتخذتهم عبيدا تترع أبناءهم من أيديهم فتذبحهم من شئت وتستحيل من شئت أي إناثهم يعني
أن ذلك قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله
من ملئه ألا تستمعون ألا تعجبون مما قاله موسى قال موسى ربكم ورب آبائكم الأولين قال فرعون إن رسولكم الذي
أرسل إليكم لمجنون يعني ما هذا الكلام رجل صحيح العقل إذ يزعم أن لكم إلها غيري قال موسى رب المشرق والمغرب
وما بينهما إن كنتم تعقلون ثم قال فرعون لموسى لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك
بشيء مبين تعرف به صدقي وكذبك وستي وباطلك قال فرعون فأت به إن كنت من الصادقين فألقى موسى عصاه
فإذا هي ثعبان مبين فاتحة فاها قد ملأت ما بين بانبي القصر وأقبلت نحو فرعون تأخذ ما تمر به من شيء وتلقمه
لقمة حتى رأى بعض من كان خارجا من مدينة مصر رأسها ثم توجهت نحو فرعون تأخذ ما فوق منها الناس
يذعرهم فرعون وثب عن سريره أحدث حتى قام من بطنه في يومه ذلك أو بعينه وكان فيما يزعمون
لا يسهل ولا يحدث ولا يتصدع رأسه ولا تصيبه آفة مما يصيب الناس وما كان يقوم الأفي كل أربعين يوما مرة
واحدة وكان أكثر ما يأكل الموز لا يكون له ثفل يحتاج إلى القيام وكان يعد هذا الشأن عجزا من الرأي فقال
ما قال لأنه ليس له من الأمر شيء (قالوا) فلما رأى ذلك منه قال يا موسى أنشدك بالله وحرمة الرضاع
لما أمسكتني وأنا أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل وأخذها موسى فمسحت عما كانت ثم
وسى يده من جيبه فأخرجها فقال لفرعون هذه لك أيضا فإذا هي بيضاء للناظرين فمسحها وأعادها
ساطع في السماء مثل عنه الأبصار تدانيا ما بينهما وأهوى بها نحو فرعون وهو يرى أنه سيأخذه
لم يستتم فرعون النظر إليها ثم ردها موسى إلى جيبه ثم أخرجها فإذا هي على لون الأول قالوا فعند ذلك
تعدد فرعون على الهلاك وجلس بين يديه ثم إنه قال له بعد أن قال له تعبدا أنت يا رجل لعبد فقال فرعون لموسى
مهما لي الوم وعدا وأوحى الله لموسى أن قل لفرعون إنك إن آمنت بالله وعدته عزا في ملكه ورددت شابا
لريا فاستنظر فرعون لما كان من العدد في الملأ فأنظره موسى عامه ذلك ثم رجع إلى مصر فمكث بها
عاما والله ما عدا عبد عبادة هو لا هلك يومئذ واحد ولا ولد في مصر مولود (وقال له هامان أنا أولد لك شابا ما بالوشم
فشبه به فهو أول من خضب بالوشم وأحدث ذكر هو صلى الله عليه وسلم ومن عنده فلما دخل على موسى وأشكل
ذلك على الملأ من قومه دعا موسى ربه فأوحى الله تعالى إليه يا موسى ولنك ما رأيت فإنه لن يأتي الأمر الذي يعود إلى الحال الأولى
(وفي بعض الروايات) أن موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما ما شاء الله في الطريق فأتيا على عجوز
من أقرانهما وكان فرعون وجه الطلب في أثرهما فلما دخل عليهما الليل فأما في دارها وإما بالقرب إلى الباب
العجوز فمنتبهة فلما أحست بهم قامت على رجليها فأغلقت الباب والعجوز تنظر إليها فانتظم منهم
فتحت منهم سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى وهرون أخبرتهما العجوز بقصة الطلب
فكانا في الصناديق ثم إن العجوز آمنت بما وصفا لها

(الباب العاشر في مسير موسى وهرون مع فرعون والسحرة وغرقهم يوم الزينة إلى الفضاء المغالبة)

اعلم أيها العالم بأخبار الأنبياء أن موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما أتيا به من سلطان الله

أبي فتح عينيه فرآني
ثم قال يا مالك أترى مولاي
يسطو عن ذلك الذنوب
والسيئات ويرحم هذه
العبرات تقاربون
أهلي وطني وتوبت
من ذلك الكلام حتى
مسلمان وأنت مسلم
فكيف أدنو بين
يدي الخالق جل وعلا
ثم نفسي وشوقي شهقة
فمات رضي الله تعالى عنه
آمين *(ومن البديع
رضي الله تعالى عنه)*
أنه قال عرضت على الحج
إلى بيت الله الحرام في
بعض الأعوام فركبت
ناقتي وتوجهت إلى
الكعبة شرفها الله تعالى
وعظمها وكرم عنها
ورده من المسلمين
فرأيت امرأة وهي
تعود وهي تقول في نعت الله
في ذلك يا رحيم يا رحمن
وقالت لي يا عبد الله
ولا تكن ممن لا يرجو الله
حق رجائه أن توجد
عن يمينك فلا من الله
إلا فضله ولا تجد
غيره فدخلت
إلى القسطنطينية
فلما دخلت البلد رأيت
الناس في هرج ومرج
فسألت عن الخبر فقال
بعض الناس إن ابنة
الملك قد ذهب عقلها
وهم يلتمسون لها
طبيبا يداويها فقلت في
نفسي هذه فرصة

وقلنسوة صوف ونعلين وكان يبيت قائما ويبيت قائما ويستعين بالصيد ويقول الارض حتى ورد مصر فلما قرب من مصر أوحى الله تعالى اليه لا تخف ولا تجزع ثم أوحى الله تعالى الى أخيه هرون يبشره بقدوم موسى ويخبره أنه قد جعله وزيراله ورسولا معه الى فرعون وأمره أن يمر يوم السبت غرة ذى الحجة متكرا الى شاطئ النيل ليلقى موسى ثلاث الساعة قال فخرج هرون وأقبل موسى فالتقيا على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس وانفق انه كان يوم ورود الاسد الماء وكانت لفرعون أسد تحرسه فى غيضة محيطة بالمدينة من حواليه وكانت ترد الماء غبا وكان فرعون اذذاك فى مدينة حصينة عليها سبعون سورا وكان بين كل سورين بساتين وأنهار ذات مزارع وأرض واسعة فى ربض السور السبعون ألف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بيده وعمل فيها وسقاها بالنيل وأسكنها الاسد فتناسلت وتوالدت حتى كثرت ثم اتخذها جندا من جنوده تحرسه وجعل خلال تلك الغيضة طرقا تفضى بمن سلكها الى أبواب المدينة معاومة ليس لتلك الابواب طرق غيرها فمن أخطأها وقع فى تلك الغيضة فتأكله الاسود وكانت الاسود اذا وردت النيل ظلت عليه يومها كله ثم تصدر مع الليل قال فلما التقى موسى بهرون كان يوم وروده فلما رأتهما الاسد مدت أعناقها ورفعت اليهما وشخصت بابصارها نحوهما وقذف الله فى قلوبهم الرعب فانطلقت نحو الغيضة مسرعة فهرتها على وجوهها يطأ بعضها بعضا حتى اندست فى الغيضة وكان لها ساسة يسوسونها اذا دنا قيدودونها أى يعرونها ويسلطونها على الناس فلما أصابها ما أصابها خافت ساستها من فرعون ولم يشعروا من أين أتوا ثم ان موسى وهرون انطلقا فى تلك الغيضة حتى وصلا الى باب المدينة الاعظم الذى هو أقرب أبوابها الى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذى الحجة بيوم فاقاما عليه سبعة أيام فكلمهما واحد من الحراس وقال لهما هل تدريان ان هذا الباب والارض كلها وما فيهم الرب العالمين وأهلها عبيده فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله قط ولم يظن ان أحدا من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما سمع أسرع الى كبرائه الذين فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولا وعاينت عجبا من رجلين هما عندى أعظم وأشنع وأفظع مما أصابا فى الاسد وما كانا يقدران أن يقدما على ما قدما عليه الا بسحر عظيم وأخبرهم بالقصة ولم يزل ذلك الخبر يتداول بينهم حتى انتهى الى فرعون قال السدى باسناده سار موسى باهله نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف أصوهى لا تعرفه فأتاها فى ليلة كانوا يا كلون فيها الطفيشل فنزل فى جانب الدار فجاء هرون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فاخبرته انه ضيف فدعاه فاكل معه فلما تعارفا وتحدثا بأنه هرون من أنت فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما الى صاحبه فاعتنقه فلما تعارفا قال له موسى يا هرون انطلق معى الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلنا اليه فقال له هرون سمعا وطاعة فقامت أمهما وصاحت وصاحت وقالت أنشدكما الله أن لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما فابيا عليها ومضيا لامر الله تعالى فانطلقا اليه ليلا فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلا فقرعا الباب ففزع فرعون وفزع البواب وقال فرعون من هذا الذى يضرب بابى فى هذه الساعة فاشرف عليهما البواب وكلمهما فقال له موسى انى أنا رسول رب العالمين ففزع البواب وأتى فرعون وأخبره بما سمع وقال له ان هما انسانا مجنونا يزعم انه رسول رب العالمين وقال ابن اسحق حرج موسى لما بعثه الله تعالى حين قدم مصر على باب فرعون هو وأخوه هرون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان انا رسول رب العالمين فمكثا فيما بلغنا سنتين يغدوان الى بابه ويروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بلال له يلعب معه يضحكه فقال له أيها الملك ان على بابك رجلين يقولان قولا عجبا يزعمان ان لهما الها غيرك فقال فرعون أدخلوهما فادخل موسى ومعه هرون عليهما السلام

(الباب التاسع فى ذكر دخول موسى وهرون على فرعون)

قال الله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (وروى) عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى فى هذه الآية قال قال لهما أعذرا اليه لعله يتذكر أو يخشى فقولا له ان لك ربا ومعادا وان بين يديك جنة ونارا لعلك عند ذلك يتذكر أو يخشى وعيدكما وهو عندى لا يتذكر ولا يخشى قال لكيلا يقول أهاكته قبل ان اعذر اليه قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون دخلا عليه فلما وقفا

ثلاثون له عينان يلتهبان نارا وفخر امن منخراه سموما وعلى معرفته شعر كأمثال الرماح وصارت الشعبتان له كأسنته اثنا عشر ذراعا وفيه أنياب وأضراس لها فحيح وكشيش وصريف وصرير فاستعرضتهما ألقت السحرة من حبالهم وعصيهم وهي تخيل في أعين الناس ومن فرعون أنهم التي فجعلت تلقف تلك الحبال والعصا واحدا واحدا حتى لم يرفى الوادي إلا قليلا ولا كثيرا مما ألقوا وانهزم قوم فرعون هاربين منقلبين فترا موا وتضاغطوا وقتل بعضهم بعضا حتى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا وانهزم فرعون فيمن انهزم منهزما وفارس لا يلوي على أحد فلما استطاق عليه بلغ من يومئذ ذلك أربعمائة مرة فصار يحصل له ذلك أربعين مرة في كل يوم وليلة على الدوام الى أن هلك فلما انهزم الناس وعاين السحرة ما عاينوا قالوا لبعضهم لو كان ساحرا ما غلبنا ولا نخفى علينا أمره ولو كان بأمر السماء لآمنا به وصدقناه فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون وكان فيهم اثنان وسبعون شيخا قد انحنت ظهورهم من الكبر وكانوا علماء رؤساء وكان رؤس السحرة خمسة نفر ساور ودالور وحفظ وخطا ومصفا وهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك أسف وقال لهم متجلدا آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر الى قوله تعالى أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات الآية فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل وهو أول من عمل ذلك فاصبحوا سحرة كفرة وأمسوا شهداء بررة وجمع فرعون سحرة مصر وما مكسور ائم أبى الا الاقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليه الآيات وأخذه وقومه بالسنين الى أن أهلكهم ثم ان موسى عاد اليها فى قومه وهو العصا على حالها حية تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الألوف بصاحبه والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها وقد ملؤا عباقلم تزل العصا على هيئة الحية والناس يتحدثون وينظرون اليها ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكر بني اسرائيل فانذر أسها فاذا هي عصا كما كانت أول مرة شتت الله على فرعون أمره ولم يجد الى موسى سبيلا واعتزل موسى مدينة مصر وأقام بقومه وعسكره وكانوا يتعجبون ان صاروا ظافرين

(الباب الحادي عشر في قصة حزقيل مؤمن آل فرعون واسم أبيه ومقتله وأولاده رضي الله عنهم أجمعين)

قالت الرواة كان حزقيل من أعجاب فرعون نجارا وهو الذي سمع كلام موسى الناشئ بين والدته وألقته في البحر قيل انه كان نجارا لفرعون قد سخر له ما ئة سنة وكان مؤمنا مخلصا يكتم ايمانه الى أن ظهر موسى على السحرة ظهر حزقيل أمره فاخذ يومئذ وقتل مع السحرة قلبا وهو الذي ذكره الله في القرآن في قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلي مؤمن آل محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضلهم وأما امرأة حزقيل فانها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة من آل فرعون وكانت تخدمهن وكان من قصتها ما أخبرنا به الاسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أسري بي مررت برائحة طيبة فقلت لجبريل عليه السلام ما هذه فقال رائحة ماشطة بنات فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أبي قالت لا بل ربي وربك الله فاخبرت ذلك أبي فلما أخبرته دعاها وولدها وقال لها من ربك فقالت ان ربي وربك الله فامر بتنور من نحاس فاحمي وأمر بها وبولدها أن يلقوا فيه فقالت له انك لي حاجة فقال وما هي قالت تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها قال ولك ذلك لما للك علينا من الحق ثم أمر بأولادها فقوا واحدا واحدا في التنور وحتى اذا كان آخر أولادها وكان صبيا رضيعا فقال اصبري يا أماه فانك على الحق فقيت في التنور مع ولدها فسئل ابن عباس فيمن تكلم في المهد فقال تكلم في المهد ثلاثة عيسى بن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي

(الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها رحمها الله تعالى)

كان في البلد معهم فقال
البنيد فهزمت على
الفور فقالت الجارية
لا تجل يا سيدي بالخروج
فاني سألت الله أن يقوني
وأنت عاجز حتى تقف
على قتلي وتصلي على ثم
تشهدت وخرجت سبقة
فعلماها ودعاها رحمة
الله تعالى عليها (وعن
أبي بكر بن الفضيل
رضي الله تعالى عنه)
انه قال سألت بعض
أصدقائي وكان أصله
رومياً عن سبب اسلامه
فامتنع أن يحدثني فما
زلت أقسم عليه حتى
حدثني فقال نزل بنا
عساكر المسلمين
فاحاطوا بنا فنفر من السبي
فخرجنا اليهم وقاتلناهم
فقتلوا منا جماعة وقتلنا
منهم جماعة وأسروا منا
جماعة وأسرنا منهم جماعة
فلما عادة الله تعالى
القتال فاسرت أنا وحدي
من المسلمين عشرة فالقوا
وكنت على الروم البراذة
فسار ان العشرة الى
بلادهم فقيدوهم وجاؤهم
على البغال حتى تركوهم
عندي في السجن فبينما
أنا يوما من الايام جالس
بقصري اذ جاءني بعض
غلماني وقال يا سيدي ان
أحد الموكلين بك قد أخذ من
أحد المأسورين مالا وتركه
يمشي قال فلما سمعت
ذلك أحضرت الموكل بهم
وقلت له أخبرني ما الذي

تعالى على السحر فقال الملأ حوله ان هذان لساحران عليمان فماذا تأمرون قالوا اقتلهما فقال العبد الصالح حزقيل مؤمن آل فرعون أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله الى قوله تعالى سبيل الرشاد وقال الملأ من قوم فرعون أرجئه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم وكانت لفرعون مدائن فيها سحرة معدة للامر اذا أجزنا (قال ابن عباس) قال فرعون لما رأى من سلطان الله تعالى في اليد والعصا ما رأى انا لا نغالب موسى الا بمن هو مثله فابعث فحشر في مدائن بني اسرائيل فبعث جنوده الى قرية يقال لها الفرما يعلمونهم السحر كما يعلمون الصبيان في الكتاب فعلموهم سحرا كثيرا ثم ان فرعون واعد موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجيء بهم ومعهم معلمهم فقال له ماذا صنعت فقال له معلمهم قد علمتهم سحرا عظيما كبير الا تطيقه سحرة الارض الا أن يكون أمر من السماء فانهم سم لا طاقة لهم به ثم ان فرعون بعث الى الشرط في مملكته فلم يتركوا في مملكته ساحرا الا أتوا به واختلفوا في عدة السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رؤساء القوم وسبعون من بني اسرائيل (وقال الكلبي) كانوا سبعين ساحرا غير رؤسهم وكان الذي يعلمهم السحر رجلين مجوسيين من أهل نينوى (وقال) كعب كانوا اثني عشر ألفا وقال السدي كانوا بضعة وثلاثين ألفا وقال عكرمة سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر ثمانين ألفا والجامع لهذه الاقاويل ما روي أن فرعون جمع السحرة وهم سبعون ألفا فاختار منهم سبعة آلاف ليس فيهم الا من هو ساحر ماهر ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين من كبارهم وعلمائهم قال مقاتل وكان اسم رأس السحرة شمعون وقال ابن جريج يوحنا وقال عطاء كان رأس السحرة بأقصى مدائن الصعيد وكانا أخوين فلما جاءهما رسول فرعون قالا لأمهما دلينا على قبر أبينا فدلتهما عليه فأتياه وصاحا باسمه فأجابهما فقالا له ان الملك وجه الينا رسولا لنقدم عليه لانه أتاه رجلان ليس معهما سلاح ولا رجال ولا مال ولا مانع ومنعة وقد ضاق الملك ذرعا من عزهما ومنعتهما ومعهما عصا اذا ألقياها لا يقوم لها شئ حتى تبلع الحديد والخشب والحجارة فأجابهما أبوهما وقال انظراهما اذا هما نائمان فاقذفا عليهما عصاكما فتبلعان ما جاءا به من سحرهما فان ذلك سحرهما وان عصاهما تصير ثعبانا فاذا قد رأيتما أن تلا العصا فسلاها فان الساحر لا يعمل سحره وهو نائم فان علمت العصا وهما نائمان فذلك أمر رب العالمين لا طاقة لكما به ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا ثم سماها في خطبة وهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتهما العصا فالتقمتهما ثم انه واعد موسى غدوة يوم الزينة وكان يوم سوق لهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يوم عاشوراء ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وكان يوم عيدهم تجتمع اليه الناس من جميع الآفاق وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حشرهم بالميقات بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية البحيرة من وراء البحيرة يومئذ قالوا ثم ان السحرة قالت لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال فرعون نعم وانكم اذا لمن المقربين يعني في المنزلة فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكئا على عصاه ومعه أخوه هرون حتى أتى المجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى فقالت السحرة لئن أتينا اليوم بسحر لم نر مثله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون وكانوا قد جاؤا بالعصا والحبال يحملها ستون بعيرا فلما رأوا الا الاصرار على السحر قالوا لموسى اما ان تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال لهم موسى بل ألقوا أنتم حبالكم وعصيكم فالقوا فاذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي ركب بعضها بعضا تسعى فذلك قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى الى قوله تعالى خيفة موسى فقال موسى والله انها كانت لعصا في أيديهم ولقد عادت حيات وما عصاي هذه فلما حدث نفسه بذلك أوحى الله اليه لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فرمح موسى ثم انه ألقى عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين كأعظم ما يكون من الثعابين أسود مدلهم يدب على أربع قوائم فصار غلاظ شداد وهو أعظم وأطول من بختي عظيم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق جبلات المدينة رأسه عنقه وكاهله لا يضرب بذنبه على شئ الا حطمه وقصمه يكسر بقوائمه الصخر والصم الصلاب يبتلع كل شئ ويصرم الحيطان والبيوت نفسه

ألف رجل قالوا ولم يبق أحد ممن عمل فيه الا أصابه موت أو حريق أو عاهة فمن نجا أو حداد أو بناء الا بيده وأما الذين كانوا يطحنون الآجر والجص فانهم احترقوا عن آخرهم وأما القهارمة والعمال فما ماتوا وكان تدمير فرعون من أمر الله تعالى على ذلك كله مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم ان حيلته لم تغن عنه شيأ فعزم على قتال موسى وقومه فأمر أصحابه فتنبوا للحرب ثم ان عسكر فرعون قالوا لموسى انك لساحر وأنت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكسرت نعمته ونزيته ونسبت احسانه البك ومنته علينا حيث أنقذك أمك في اليم فجاريناه بعض الاشياء علمت ما أنت صانع اليهم من سوء الحال فاستغاث فرعون من الغرق واستدرك كلمة من الموت فآمن وقال لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين وأيقن بالهلاك فلما رأى ذلك موسى ضرب بالعصا البحر فانفلق اثني عشر طريقا يبسا فجاوزوا البحر وأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا كان آخر أصحاب موسى خارجا من البحر وأول أصحاب فرعون داخلا فيه أمر الله تعالى البحر فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين وأورث الله بني اسرائيل أرضهم وديارهم وأموالهم وأقام بنو اسرائيل بعد هلاك فرعون بمصر ما شاء الله ثم خرج بهم موسى الى التيه فمكثوا فيه أربعين سنة ثم مات موسى ودفن بالتيه وخرج يوشع بن نون بعد موسى بثلاث سنين فقاتل الجبارين وفتح أريحا وأقام بنو اسرائيل بعد يوشع بن نون مائتي سنة ثم ملكوا عليهم ملوكا وأنبياء فعصوا وبدلوا وغيروا فسلط الله عليهم بخت نصر فخرب بيت المقدس وسبى بني اسرائيل وذهب بهم الى بابل فلبثوا هناك سبعين سنة ثم ان الله تعالى رحمهم فرد عليهم ملكهم وبيت المقدس وأموالهم وأقاموا بالشام وما حولها الى أن بعث الله تعالى عيسى ابن مريم عليه السلام فكفرت به طائفة من بني اسرائيل وآمنت به طائفة فسلط الله تعالى على الكافرين به الرومانيين فخربوا بيت المقدس وقتلوا من اليهود ما قتلوا وسبوا ما سبوا وأجلوا من بقي منهم الى الشام وما حولها فهم على ذلك الى يومنا هذا وهم أذل الناس وأحقرهم وأهونهم على الله تعالى وأما بنو اسرائيل الذين كانوا مع موسى فانهم لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله هامان وأتى فرعون وهو راكب في عسكر بني اسرائيل فأمر فرعون قومه أن يكلموا بني اسرائيل ما لا يطيقون فكان الرجل من القبط يجيء الى الرجل من بني اسرائيل يقول له انطلق معي فاكنس بيتي واعلف دوابي واستق لي وتجيء المرأة القبطية الى الكريمة من بني اسرائيل فتكلفها ما لا تطيق ولا يطعمونهم في كل ذلك شيأ فاذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فاكتسبوا لانفسكم ما تأكلون فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فقالوا يا موسى أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا كما تظلم اذا استعملوا من قبل أن تأتينا فلما جئتنا استعملنا ولم يطعمونا فقال موسى عسى ربكم أن يهلك عدوكم يعني فرعون والقبط ويستخلفكم في الارض يعني الشام ومصر فينظر كيف تعملون فلما أبى فرعون وقومه الا التمادي على الكفر والاقامة على الشر والظلم دعا موسى ربه فقال يا رب ان عبدك فرعون قد طغى في الارض وبغى وعتا وان قومه نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك رب فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم من الامم

الاخيرة أوما الى فقالت له لا آخذ الا عشرين دينارا فقال نعم فصلى وأحسن صلاته ودفع الى العشرين دينارا وقال اطلب ما شئت فان سيدي شيخ كريم لا يحل على عما سألته قال فبت تلك الليلة متفكرا في أمره متعجبا مما رأيته منه وقد دخلني منه هيبة وأمر عظيم وعلمت انه من أولياء الله تعالى فلما أصبحت دعوته للعشور عندي ثم أكرمته وفكهت قيوده وألبسته ثوبا حسنا وعممته وجعلت ثم ماله وقلت له يا سيدي هل لك في الاقامة عندنا في بلادنا وأنت في أعز مكان وأكرم محل وذكرت له غاية الاكرام أو الرجوع الى بلاده فاشار الي بالرجوع الى بلاده فجهزته له وزودته بنفسي على أحسن ما يكون وانفذت معه من أصحابي رجالا الى عشرة بلاد وأوصيتهم بايصاله الى بلاده سالما مكرما وان لا يعترضه أحد في طريق ولا يؤذيه أحد وعرفتهم اجمع بامرهم به وينفعوا اجمع ما اختاره ثم أحضر بدرة وقرطاسا وجعلت له علامتي في وسطه وقلت له اذا وصل الى بلاده سالما فاكتب لي تلك العلامة في القرطاس خوفا عليه في الطريق ثم ودعته وسلمته بنفسي وقمت له على

قال الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون يقال ان امرأة فرعون آسية كانت من بني اسرائيل وكانت مؤمنة مخلصة وكانت تعبد الله سرا حتى انها كانت لتتعالى في قضاء حاجتها فتبرز فتصلي بزيها في تبرزها خوفا من فرعون وكانت على تلك الحالة الى أن قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية متطلعة من كوة في قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة عاينت آسية الملائكة وقد عرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها من الخير فزادت يقينا بالله وتصديقا بنبيه فهي كذلك اذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية الويل لك يا فرعون ما أجرأك على الله تعالى فقال لها العلك قد اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبتك فقالت ما اعتراني جنون ولكني آمنت بالله ربي وربك رب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها الجنون الذي أخذ الماشطة وانه أقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله موسى فقالت بها أمها وسألتها موافقة فرعون فيما أراد فأبت وقالت تريدين أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك أبدا فامر بها فرعون فمدت بين أربعة أوتاد ثم مازالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى وفرعون ذي الاوتاد عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأة آسية من أبتدأ بها يعذبها التدخل في دينه فرعون بها وهو يعذبها فشكت اليه ما صنعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألما الى أن ماتت في عذاب فرعون فقالت وهي في العذاب رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني الآية فاوحى الله تعالى اليها أن ارفعي رأسك ففعلت فرأت البيت في الجنة من درة فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذي بها تضحك وهي في العذاب

(الباب الثالث عشر في بناء الصرح)

قال الله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا الآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أمسك لفرعون في كل باب من أبواب الملك والتسلط والثروة والتنعم والترفع والتمتع ما قد استخف به رعيته من أهل مملكته فاستعبدهم فعبدوه وادعى الربوبية فقبلوه مع ما أوتي من العمر الطويل والقوة والمنعة والجنود والشوكة والعدة والعدد وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وخلقته وقوة تركيبه وبنيته أنه ربما لبث أربعين يوما وليلة لا يخرج منه شيء الا مرة واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يبرز ولا يتغوط ولا يتمخط ولا يسعل ولا يأخذه وجع في بطنه ولا ترمد عيناه ولا يمرض ولا تصيبه آفة في نفسه ولا كراهة فالواحد بلغ من امهاله الله تعالى أنه كان يركب كل صعب وذلول من دوابه قال سعيد بن جبير ملك فرعون أربعمائة سنة لا يرى مكروها ولو كان في تلك المدة أدنى وجوع يوم أو حمى ليلة لما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسيم فلم يمسه سوء ولا مكروه ولا تلقاه الا محبوبا وسرعوب وكان له قصر من قصوره مشرف منيف على ألف مدينة وسخر الله له دابة من دوابه يركبها في صعود ذلك القصر عليها وكان يركبها ساعدا ونازلا مع ما أنعم الله تعالى به عليها سدرا جاما له فلما عاين من أمر موسى ما عاين لم يزده ذلك الا عتوا واستكبارا وعلم من قومه الرعب والخوف فخاف عليهم ان يؤمنوا بموسى ويجعلوه مكانه فاحتال لنفسه وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه ويشيد أركانه فقال لوزيره يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا فامر هامان ببنيانه فجمع له العمال والفعلة ولم يترك أحدا يقدر عليه ممن يعمل البنيان الا جمعه لبنائه حتى اجتمع نحو ألف بناء سوى الاتباع والاجراء ممن يطبخ الآجر والجص ويتخذ الخشب والابواب والمسامير فلم يزالوا يبنون الصرح ويبنون الله تعالى له أمره واستدراجا له منه وآتاه الامر على ما يريده الى أن فرغ منه في سبع سنين فارتفع ارتفاعا عاليا لم يبلغ بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والارض فشق ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه أن دعه وما يرى فاني مستدرجه وآخذه بغتة وانى مبطل كل ما عمله في ساعة واحدة وكان ذلك الصرح اذا طلعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب واذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يعلمه الا الله تعالى فلما أتم بناءه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح ضربة فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه في البحر وقطعة في الهند وقطعة في المغرب قال الضحاك بعث الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألفا

أخذته من هذا الاسير حتى تركته يصلي فقال نعم يا سيدي انه في كل وقت صلاة يدفع الي دينارا ذهبا فقلت هل معه شيء من ذلك فقال لا يا سيدي ولكنه اذا فرغ من صلاته يضرب الارض بيده فيظهر له ذلك الدينار قال فتعجبت من ذلك وأحببت أن أعرف حقيقة هذا الرجل فلما كان من الغد أحضرت الموكل به ولبست ثيابه ووكلت نفسي بذلك فلما جاء وقت صلاة الصبح أومأ الى بانه يريد الصلاة ويدفع الي الدينار على عادته فاشرت اليه وقلت له ما آخذ الا دينارين فقال نعم فاطلقته يصلي فلما فرغ من صلاته ضرب الارض بيده ودفع الي الدينارين فازددت تعجبا من ذلك فلما جاء وقت صلاة الظهر أومأ الى كالمرة الاولى فقلت له ما آخذ الا خمسة دنانير فقال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الي خمسة دنانير فلما جاء وقت صلاة العصر أشار الى كعادته فقلت له ما آخذ الا عشرة دنانير فقال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الي العشرة دنانير فلما جاء وقت المغرب أشار الي فاشرت اليه لا آخذ الا خمسة عشر دينارا فقال نعم فلما فرغ دفع الي ذلك فلما جاء وقت العشاء

ولم يستطيعوا الهجرة وقال سعيد بن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة أقفزة الى الرحا فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا الى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر أما العالم انا تتوب ولا نعود فادع لنا ربك عساه عند ذلك يكشف عنا هذا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم القمل فانتشر وافي أقطار الارض وأطراف البلاد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم نكثوا العهد وعادوا الى أخبث أعمالهم وقالوا ما كفط أحق ان نستيقن أن موسى ساحر لنا الا اليوم فجعل الرمل دواب فعلى ماذا نؤمن ونرسل معه بني اسرائيل فقد أهلك زرعنا وحرثنا وأذهب أموالنا فما عسى أن يفعل أكثر مما فعل وعزة فرعون لا نصدقه أبدا ولا نتبعه فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهرا في عافية وقيل أربعين يوما فاوحى الله تعالى اليه أن مر أمتك يقوم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه ويشير بالعصا الى أدناه وأقصاه وأعلاه وأسفله ففعل ذلك فتنابعت له الضفادع بالتفتح من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضا وسمع أدناها أقصاها ثم انها خرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعا تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم في بيوتهم بغتة وامتلأت منها أنيتهم وآنيتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه وكان أحدهم ينام على فراشه وسريره فيثب فتاوقد ركبته الضفادع ذرا عا بعضها فوق بعض وتسير عليه مركبا حتى لا يستطيع أن ينصرف الى شقه الايمن ولا الايسر وكان أحدهم يفتح فاه لاكلة فتسبق الضفادع اليه فيها وكانوا لا يجدون شيأ من الطين الا انسدخت فيه ولا يجدون قدرا الا امتلأت منه وكانت تثب في برامهم فتطفئها وفي طعامهم فتفسده فلقوا منها أذى شديدا (روى) عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تفور وفي التنانير وهي مسجورة فانا لم الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فشكوا الى فرعون من ذلك وضاق عليهم أمرهم حتى كاد يهلكهم فكانوا يمكثون بمصارين المدينة وطرقها عاملوقة جيفا من كثرة ما يلقاهم باقدامهم وأرواح البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا كشف عنا هذا البلاء فانا نتوب بهذه المرة ولا نعود فاخذ على ذلك عهودهم ومواثيقهم ثم ان موسى دعا ربه فكشف عنهم الضفادع وذلك فيما يروى ان موسى أمر أن يهتف بصوته ويعلمها فجعل ذلك فانقمع ما كان منها حيا فطفق بالنيل وأرسل الله على النيل ريحا فحملتها عن وجه الماء بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية وقيل أربعين يوما ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فارسل الله عليهم الدم وذلك ان الله تعالى أمر موسى أن يذهب الى شاطئ النهر فيضربه بعصاه ففعل ذلك فسال النيل عليهم دما وصار ماء آبارهم وعيونهم كلها دما واستقوا من الانهار والآبار الا وجدوه دما عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم انه قد سحركم موسى فكان يجتمع الرجلان على الاناء الواحد القبطي والاسرائيلي فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما عبيطا وكان القبطي والاسرائيلي يستقيان من ماء واحد فيخرج من ماء القبطي دما وماء الاسرائيلي ماء عذبا وكانا يقومان الى الجرة التي فيها الماء فيخرج للاسرائيلي ماء وللقبطي دم حتى ان المرأة من آل فرعون تأتي المرأة من بني اسرائيل حين يجهدها العطش فتقول اسقيني من مائك فتسكب لها من جرتها أو تسكب لها من قربتها فتعود في اناءها دما حتى انها تقول لها اجعلي فيه ثم تجيء في فيها فتأخذ في فيها ماء فاذا اجتمعا صار دما قالوا فالنيل على ذلك يسقي الزرع والشجر فاذا ذهبوا يستقون من بين الزرع عاد الماء دما عبيطا وان فرعون اعتراه العطش في ذلك الايام حتى انه اصغر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صارت ماؤها علما أجاجا وما زراعا فشكوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون ولا يشربون الا الدم (وقال زيد بن أسلم) كان الدم الذي ساط عليهم الرماف فما حفروا من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك أن موسى أمر أن يضرب النيل بعصاه ضربة أخرى فضربه فتحول ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان الآيات قال نوف البكالي ابن امرأة

منها الى الحاجم ثم مضت والدتي الى بيت القاضي فلما وصلت استأذنت في الدخول فدخلت ووصلت على القاضي فرد عليها السلام ثم قال ما حاجتك يا بنية فقالت له يا سيدي ان لي ثلاث بنات وندركهن بالجوع وجئت اليك لعلك ان تتصدق علينا بشيء من بيت مال المسلمين قال فلما سمع القاضي كلامها قال لها عد الى أعطيك شيأ قال فخرجت من عنده وجاءت الى البناء وهم يبكون من شدة الجوع فقالت لهن يا بناتي طيبن قلوبكن فقد أوعدنا القاضي بالله في غد يتصدق علينا وان شاء الله تعالى غدا أوسع اليكم فقال وأنت كم شيء من عنده قال فبالوا تلك الليلة مستبشرين فلما أصبح الصباح ذهبت والدتي الى بيت القاضي وهو جالس بالساعلى بابه داره فلما رأته وقفت عليه فرد عليها السلام ثم قال لها ما حاجتك يا سيدي كنت أوعدتني بالامس بشيء وقد جئتك طائعة في طلبه فلما سمع كلامها استهان بوعدها وقال اذهبي عني فرجعت المرأة حزينة وهي باكية وجاءت الى خرابة كانت مجاورة لبيتها فدخلت الهاوبكت بكاء شديدا وقالت الهي يا رجاء من أرجع الى بناتي وبأي وجه

اعتبارا فتابع الله عليهم الآيات المفصلات بعضها في أثر بعض فاخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط متلبكة مختلطة بعضها في بعض فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه أراضيهم وركد فلم يقدروا على أن يحرثوا ولا يعملوا شيأ حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل وعادوا الى أشرهم كانوا عليه فانبت الله تعالى لهم في تلك السنة من الكلأ والزرع والثمرة مالم ينبت قبل ذلك فاعشبت بلادهم وأخصبت فقالوا هذا كنا نتمنى وما كان هذا الماء الا نعمة لنا وما يسرنا أنا لم نمطر فاقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى انها كانت لتأكل الابواب والثياب والامتعة وسقوف البيوت والخشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعل لا يشبع وكان لا يدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فجهدوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فاعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ويقال ان موسى برز الى الفضاء فأشار الى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كأن لم يكن

(فصل في بعض ما ورد من الاخبار الغريبة في الجراد) أخبرني الحسن بن محمد باسناده عن جابر عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو على الجراد يقول اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم وأهلك صغارهم وأفسد بيضه وخذ بأفواههم عن معايشنا وأرزاقنا انك سميع الدعاء فقال رجل من القوم كيف ذلك يا رسول الله تدعو على جند من جنود الله يهلكه وقطع دابره فقال انما الجراد نثرة حوت من البحر (قال ابن علاثة) وحدثني من رأى الحوت ينثره وباسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الجراد مكتوب جند الله الاعظم وباسناده عن جابر بن عبد الله قال عدم الجراد في سنة من سني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يعتبر عنه شيء فاغتم لذلك فأرسل راكبا الى اليمن وراكبا الى الشام وراكبا الى العراق يسألون هل رأوا شيأ من الجراد أولا فأتاه الراكب الذي دخل اليمن بقبضة من الجراد فالقاها في يده فما رآه كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر فاول شيء يهلك من هذه الامم الجراد فاذا هلك الجراد تتابع مثل النظام اذا قطع سلكه وباسناده عن أبي أمامة الباهلي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مريم ابنة عمران سألت ربها أن يطعمها لحما لا دم له فاطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شباع فقلت يا أبا المضى ما الشباع قال الصوت وباسناده عن عبد الله بن ضمرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لا تخذن من عبادك نصيبا مفروضا قال الله تعالى وأنا متخذ من خلقي جندا هو الجراد فقال ابليس وأنا جندي النساء هن شبكتي التي لا تخطئ أبدا (أخبرنا) الحسين باسناده عن الاوزاعي يقول كان ببيروت رجل صالح يذكر أنه رأى رجلا صالحا راكبا على جرادة قال وعليه خفان طويلان أظنهما أحمرين وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها باطل ويقول بيده هكذا فيحيث ما أشار استاق الجراد الى ذلك الموضع فبلغنا ان ذلك الرجل مات فأقام قوم فرعون شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك ان موسى أمر أن يمشي الى كثيب أعفر بتربة من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب وكان مهيلا عظيما فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فاكلها ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قملا حتى ان أحدهم ليبني الاسطوانة بالجص ونحوه لتلقها حتى لا يرتقي فوقها شيء ثم يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليه ليأكله وجده ملئ قملا فاصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنها الجدري عليها ومنعتهم النوم والقرار

مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وبيده حربة وقال ابن جريج أرسل فرعون في أثره موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف رجل ثم خرج فرعون خلفهم في الدهم وكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الالوان وذلك حين طلعت الشمس وأشرقت كما قال الله تعالى فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان ورأت بنو اسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا يا موسى أين ما وعدتنا من النصر والظفر هذا البحر قدامنا وان دخلنا غرقنا وفرعون خلفنا فان أدركنا قتلنا ولقد أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا فقال موسى لقومه يا قوم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون

(فصل) قالوا لما سار موسى بني اسرائيل من مصر وأرادوا أن يسيروا ضرب الله عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني اسرائيل فسألهم عن ذلك فقالوا له ان يوسف عليه السلام لما مات بمصر أخذ على اخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيضعوه في الارض المقدسة فلذلك لا ندري هذا الامر فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم موضع قبر يوسف الا أخبرني ومن لا يعلم صمت أذناه من قولي فكان عن يمين رجلين ينادي فلا يسمعان قوله حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرأيت ان دللتك عليه أتعطيني ما سألت فقال عليها وقال حتى أستأذن ربي فأمر به أن يعطيها ما قالت فقالت له ذلك فقال لها اني أريد أن لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قالت نعم قالت فاني عجوز كبيرة فلا أسمع بشيء أن أمشي فاحملني فحملها فلما دنت من النيل قالت له انه في جوف هذا الماء فادع الله أن يسرعنه الماء فدعا الله تعالى فسرعنه فقالت له احفر ههنا فحفر فاستخرج صندوقا من مرمر فحمله معه وذهب في الارض المقدسة قال عروة بن الزبير وقد كان الله تعالى أمر موسى أن يسير ببني اسرائيل اذا طلع الفجر فدعا به أن يخرج طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ففعل فمن ثم تحمل اليهود موتاهم من كل بلد الى الارض المقدسة من فعل يومهم ذلك أخبرني الحسن بن محمد باسناده عن ابن أبي موسى الاشعري عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل النبي صلى الله عليه وسلم بأعرابي فأكرمه فقال له عليه السلام تعال معنا فأتاه الاعرابي فقال له عليه السلام ما حاجتك قال له الاعرابي ناقة بارسول الله برحلها وأعنزة تحلبها أهلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية ما حاجتك فقال مالي حاجة غير هاتين فقال عليه السلام ان عجوزا بني اسرائيل كانت أحسن من هذا وذكر الحديث الذي في قصة يوسف قال فلما انتهى موسى الى البحر هابت الريح وعادت توحي بموج كالجبال فقال له يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال وهي ههنا فاضرب يوشع ابن نون الماء فاز البحر ولم يوار ما فرد بتلك الماء وقال الذي بكتم ايمانه وهو مؤمن آل فرعون يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكم فرس يلجمه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فارتسب في الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر وكان الماء في ذلك الوقت في غاية الزيادة فضربه موسى البحر بعصاه فلم يلطمه فأوحى الله تعالى اليه أن كنه فضربه ثانيا وقال انفلق يا أبا خالد باذن الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فلما انفلق البحر فاذا بالرجل الذي أقحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يتمل سرجه ولا لبده وهام في البحر اثنا عشر طريقا لاثني عشر سبطا لكل سبط طريق وأرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا كما قال الله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى قال سعيد بن جبير أرسل معاوية الى ابن عباس يسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس الا مرة واحدة فأرسل اليه انه المكان الذي انفلق عنه البحر لبني اسرائيل (أخبرنا) الحسن بن محمد باسناده عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال لمن كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا فرجا ومخرجا فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وروى) الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمكم الكلمات التي تكلم بها موسى حين جاوز البحر بني اسرائيل فقلنا بلى يا رسول الله قال

الشمس وما يرى من القصر فلما رأوه صاحوا في وجهه وقالوا يا محروم كنا لك كنا وكان لك هذا القصر وهذه الجنة وأنت تسرنا فأخذوا النصراني ثم طردوا القاضي وأخرجوه من الجنة وأورده مقامه في المنارة فانتبه القاضي فزعا مرعوبا وهو يقول يا ويلتاه على ما فرطت في ثم خرج من وقته مسرعا حتى جاء الى بيت سيدوك النصراني وطرق عليه الباب فخرج اليه غلام من غلمان سيدوك النصراني وقال من بالباب فقال القاضي فرجع الغلام وأخبره ولا ان القاضي بالباب فأذن له بالدخول فدخل فلما رآه سيدوك وثب اليه وأجلسه وقال ما حاجتك في هذا الليل فقال له القاضي هل عندك من خبر في هذه الليلة فقال له سيدوك اني بت في هذه الليلة سكران فمن أن لي فعل الخير قال فلم يعد القاضي وبال الذي عملته في هذه الليلة بنحو ثلاثة دينار فقال ويلاه على هذه القضية اني سأبقى حتى أبعث قال فأخبره القاضي بما رآه في منامه وما وقع من القاضي فلما سمع سيدوك النصراني هذه الرؤيا وثب قائما على قدميه واغتسل ولبس

كعب الاحبار مكث موسى فى آل فرعون عشرين سنة بعد ما غلب السحرة بهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال أصحاب الاخبار لما يئس موسى من ايمان فرعون وقومه وآهم لا يزدادون الا الطغيان والكفر والتمادى والتجبر دعا عليهم وأمن هرون عليهما السلام وهو ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاجاب الله دعاءهما كما قال تعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان الآية قالوا وكان لفرعون وأصحابه من أثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة والبواقيت وأنواع الحلى والجواهر مالا يحصيه الا الله تعالى وكان أصل ذلك المال مما جمعه يوسف عليه السلام فى زمانه أيام القحط فبقى ذلك فى يد القبط فاوحى الله الى موسى عليه السلام انى مورث بنى اسرائيل ما فى أيدى آل فرعون من العروض والحلى وجاعله لهم جهازا وعيادا الى الارض المقدسة فاجعل لذلك عيدا تعتكفون عليه أنت وقومك تشكرونى وتذكرونى وتعظمونى ذلك اليوم وتعبدونى فيه لما أريكم من الظفر ونجاة الاولياء وهلاك الاعداء واستعيروا لعيدكم من آل فرعون الحلى وأنواع الزينة فانهم لا يمنعونكم للبلاء الحال بهم فى ذلك الوقت ولما قذفت فى قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما أمره الله تعالى فامر فرعون بزينة أهله وولده وما كان فى خزائنه من أنواع الحلى فاعيرت لبنى اسرائيل لما أراد الله بذلك أن يبقى على موسى وقومه أفضل أموال أعدائهم بغير قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب لظلمهم وافضالا عليهم فلما دعا موسى عليهم مسخ الله الاموال التى بقيت فى أيديهم حجارة كلها حتى المغزل والدقيق (قال) محمد بن كعب القرظى سألنى عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التى أراها الله فرعون وقومه فقلت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء والطمس وفلق البحر فقال بحر لا يكون الفقه الا هكذا ثم انه دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز بن مروان اذ كان فيها بقايا أموال فرعون فاخرج البيضة مشقوقة نصفين وانها لجر والجوزة مشقوقة وانها لجر والحصة والعدسة (وروى) محمد بن اسحق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال قد رأيت نخلة مصروعة وانها لجر وقال لقد رأيت انسانا وما شككت أنه انسان وانه لجر وكان ذلك المسخ فى ارقائهم دون أحرارهم اذ العبد من جملة أموالهم فلم يبق لهم مال الا مسخه الله تعالى ما خلا الذى بايدى بنى اسرائيل من الحلى والجواهر وأنواع الزينة (وقال) ابن عباس أول الآيات العصا وآخرها الطمس قالوا ويا عنان الدنانير والدراهم صارت حجارة مقوسة كهيئتها صحاحا وانصافا وأثلاثا وجعل سكرهم حجارة

(الباب الخامس عشر فى قصة اسراء موسى عليه السلام ببنى اسرائيل وخبر فلق البحر لهم)

قال الله تعالى وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون قال العلماء باخبار الانبياء أوحى الله تعالى الى موسى حين أراد اظهاره على عدوه أن اجمع بنى اسرائيل كل أهل أربعة بيوت فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الابواب فانى مرسل على أعدائكم عدابا وانى سأرسل الملائكة فلا تدخل بيتا على بابه دم وسآمرها أن تقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم فتسلمون أنتم وهم لتكونوا هم ثم اخبزوا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادى حتى تنتهى بهم الى البحر فيأتيك أمرى فامر موسى بنى اسرائيل ففعلت ذلك فقال القبط لبنى اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم قالوا ان الله تعالى أرسل العذاب علينا فنسلم وتهلكون فقالت لهم القبط فما يعرفكم ربكم الا بهذه العلامة فقالوا هكذا أمرنا نبينا فاصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلهم فى ليلة واحدة وكانوا سبعين ألفا فاشتغلوا بدفنهم وبما لهم من حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه متوجهين الى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره وهم المقاتلة سوى الذرية وكان موسى على الساقة وهرون على المقدمة فلما فرغ القبط من دفن أبكارهم وبلغهم خروج بنى اسرائيل قال فرعون هذا عمل موسى وقومه تالوا أبكارنا من أنفسنا ثم انهم خرجوا ولم يرضوا ان ساروا بانفسهم حتى ذهبوا باموالنا ونعمهم فنادى فرعون فى قومه كما قال الله تعالى فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون ثم ان فرعون تبعهم فى قومه وعلى

من جنات وعيون الى قوله تعالى فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين الى آخر القصة ثم ان يوشع بن نون استخلفه على قوم فرعون ورجلامنهم وعالى موسى بن عمران سبعين عاقلين شاكرين

(الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل ليقات ربه وسؤاله ايتاه الله تعالى له الالواح وانزاله التوراة وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر وقال في موضع آخر واذ واعدنا موسى أربعين ليلة قال العلماء بتفسير النبيين وسير الماضيين ان موسى كان وعد بني اسرائيل وهو بمصر اذا نجوا منها وهلك عدوهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون وقومه واستقر بنى اسرائيل دار أيديهم وأموالهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة يتتهون اليها قالوا لموسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوما ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويأتي طور سيناء ليكلمه ويناجيه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوما فلما صعد الجبل أنكر خلوف فيه فتسوك بعود خرنوب (وقال أبو العالية) أخذ من ساق الشجرة فقالت له الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك فأوحى الله تعالى اليه أن صم عشرة أيام أخر وقال له أما علمت ان خلوف فم الصائم أطيب عند ربي من رائحة المسك وأتممت فتتمتهم في العشرة الايام التي زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة فذا العقدة وأتممناها بعشر يعني من ذي الحجة (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة ان جميع الشهور تنقص مرة وتتم مرة الا ذا العقدة لقوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر أي من ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة فلما مضت أربعون ليلة تطهر موسى وطهر ثيابه ثم أتى طور سيناء كما وعده ربنا وناجاه ربه وأدناه كما قال تعالى وقربناه نجيا (قال وهب) كان بين الله وبين موسى سبعون حجابا فرفعها الله كلها الا حجابا واحدا فتجلى موسى لكلام الله تعالى واشتاق الى رؤيته وطمع فيها فقال رب أرني أنظر اليك (قال السدي) لما كلم الله موسى غاص الخبيث ابليس في الارض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس في قلبه وقال ان ربك كلمك الشيطان فعند ذلك سأل الرؤية فقال الله تعالى ان ترائي وليس يطيق البشر النظر الي في الدنيا من نظر الي مات فقال الهي سمعت كلامك فاشتقت للنظر اليك ثم أموت أحب الي من أن أعيش ولا أراك فقال له انظر الى الجبل وهو أعظم جبل في مدين يقال له زبير وثلاثان الجبال الساعة أن الله يريد أن يتجلى للجبل منها تعالا ما حتى وتشامخت رجاء أن يتجلى الله لها ويجعل زبير بتواضع من بينها فلما رأى الله تواضعه من بينهن وخصه بالتجلي قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف تراني فتجلى الله تعالى للجبل (وانشقاق الجبل) في معرفة التجلي قال ابن عباس تلهر نوره للجبل وقال الضحاك أظهر الله تعالى من نور الحجب مثل خرت الابرة وقال عبد الله بن سلام وكعب ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل الا كسم الخياط حتى صار دكا دكا وقال السدي ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضع لابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل يعني غار وقال الحسن أوحى الله تعالى الى الجبل وقال هل تطيق رؤيتي فغار الجبل وساخ في الارض وموسى ينظر اليه حتى ذهب أجمع وقال أبو بكر بن عمر الوراق حدثنا عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى أظهر من بين سبعين ألف حجاب نورا قدر ثقب الابرة فجعل الجبل دكا قال أبو بكر فغلب اذ ذاك كل ما هو أفاق كل مجنون وبرئ كل مريض وزال الشوك عن الاشجار وانخفضت الارض وازهرت وخمدت نار المجوس وخرت الاصنام لوجوهها وقال السدي ما تجلى للجبل الا قدر جناح بعوضة صار الجبل دكا وقال ابن عباس ترابا وقال سفيان سائخ حتى وقع في البحر فالبحر عليه العوفي صار رملا هائلا وقال الكلبي جعله دكا أي مكسرا جبالا صغارا *وبالاسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال صار بعضه مثل أحد وبعضه مثل أحدود وقال وهب وروى غيره وقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء وخر موسى صعقا قال ابن عباس مغشيا عليه وقال قتادة ميتا وقال الكلبي حين رأى موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة وأعطي التوراة يوم الجمعة يوم النحر قال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت

هاروت بافعلك لا تشقى قد
كفيت شره ثم قصصت
عليه القصة فطرق
رأسه باصبعه ثم رفعها وقال
يارب هكذا تفعل بمن
عصاك فكيف بمن أطاعك
ثم قال وعزتك وجلالك
لو صبرت بعد هذا اليوم
أبدا ثم ولى تائبا الى الله
تعالى ورحمة الله تعالى
عليه *(وحكى عن ذي
النون المصري أيضا
رضي الله تعالى عنه)*
انه قال بينما أنا طائف
بالبيت الحرام سنتين
السنين اذ نظرت الى
شاب في الطواف من
أحسن الناس وجها
وأجملهم هيئة ورعة من
الصوف وهو يتضرع في
طوافه ويقول يا مولاي
هذه حضرة من يفتخر
بعزك ولا يأنس بسواك
قال ذو النون فدنوت
منه وقلت له
حبيبي ومن الذي نعى
عليك هذا الكلام وانه
بشيرة الناس انظر
الى ما صار اليه العبد
والغلمان قال فنظرت
فاذا بشاب جميل وهو
يمشي ويختر في مشيه
وأثوابه نور على الارض
فقلت له يا حبيبي ومن
يكون هذا الشاب
فقال ناهيك هذا عبد
لأمير مكة يفتخر بكونه
عبدا لامير مكة فكيف
لا أفتخر وأنا عبد الملك
المتعال الذي أمير مكة
عبده والسلاطين وأهل

قولوا اللهم لك الحمد ولك المشتكى وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال عبد الله فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فخاض بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق وعلى جانبيه الماء كالجبل العظيم لا يرى بعضهم بعضا خافوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء شبكات كهيآت الطاقات فنظر بعضهم بعضا فاخذوا يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر أي فلقنا وميزنا لكم الماء يمينا وشمالا فانجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وذلك أنه لما خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون اليه فاراد موسى أن يدعو البحر ليرجع الى حالته الاولى فاوحى الله اليه أن اترك البحر رهوا أي ساكنا على حاله انهم جند مغرقون فلما وصل جند فرعون الى البحر رأوه منفلقا فقال فرعون انظروا الى البحر كيف انفلق لهيبتي حتى أدرك أعدائي وعبيدي الذين أبقوا مني فاقتلهم فاقتحموا البحر فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون انثى وانما كانت ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس له أنثى وديق مشتهية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم وخاض البحر فلما أصحاب فرعون أن الفارس منهم فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر في أثرها حتى خاضوا كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يسوقهم ويقول لهم الحقوا باصحابكم فلما أراد فرعون أن يسلك طريق موسى زاغ وزيره هامان وقال له انى قد أتيت لي هذا الموضع مرارا وما لي عهد بهذا الطريق وانى أخاف ولا آمن أن يكون مكرا من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك أصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب مسرعا جلادا على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاء جبريل على رمكة بيضاء فصهل فصهل الحصان فرعون فتقاضى جبريل البحر فنبعها حصان فرعون فاقتحمه البحر فلما توافوا في البحر وهم أولهم أن يخرج من البحر أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين وذلك بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون يعني الى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فقال له جبريل الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم ان جبريل أراه قتاده وتوفيه الذي فيه وقال له اليوم ننجيك ببدنك الذي أقليت به ثم جعل يدس في فيه من حما البحر مخافة أن يعيد ذلك الشهادة وفي الحديث أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بغضت أحدا من الخلق ما بغضت رجلين أما أحدهما فمن الجن وهو ابليس عليه لعنة الله حين أبى ان يسجد لآدم والآخر من الانس وهو فرعون حين قال أنا ربكم الاعلى ولو رأيتني يا محمد وأنا آخذ من حما البحر وأدسه في فيه مخافة أن يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله بها قالوا فلما سمعت بنو اسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى ما هذه الضوضاء فقال لهم ان الله قد أهلك فرعون وكل من كان معه فغرقه فقالوا لموسى ان فرعون لا يموت ألم تر أنه كان يلبث كذا وكذا يوما لا يحتاج الى شيء مما يحتاج اليه الانسان فامر الله تعالى البحر فالقاه على نجوة من الارض وعليه درعه حتى نظر اليه بنو اسرائيل فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فيقال انه لو لم يخرجه الله ببدنه لشك فيه بعض الناس فلما جاوز موسى بني اسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء مبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن محمد بن قيس قال بعث يهودي الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبركم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا فقال بلى قد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت أقدامكم من حما البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فلما أغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بني اسرائيل كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهي يومئذ خالية من أهلها قد أهلك الله عظماءهم ورؤساءهم وقادتهم ومقاتلتهم فلم يبق منهم الا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فامر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحمول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى كم تركوا

ثيابا بجسد بدنه وجلس
بين يدي القاضي وقال
امدد يدك فاني أشهد
أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له وأشهد أن
محمدا رسول الله أرسله جاءنا
بالهدى ودين الحق قال
فرفع القاضي من عنده
باكيا حزينا فانطلق
يأتي الجبل كيف
جعل القاضي من أهل
النار لجعله وجعل
البصراني من أهل الجنة
بكرمه وختم له بالخير
والاسلام ما أعجب هذا وما
أحسنه (وحكي عن ذي
النون المصري رضي الله
تعالى عنه) * أنه قال
بينما أنا أمشي على شاطئ
النيل اذ رأيت عقربا
تمشي فاتخذت جرابا وأردت
قتلها فهربت مني مسرعا
حتى وقع في البحر فخرجت
اليه ضفدعة فوثبت
العقرب على ظهرها ثم
عامت به حتى طلعت
الى الجانب الآخر وأنا
أنظر اليها فتعجبت من
ذلك وتبعته فلما نزل
العقرب عن ظهرها سار
حتى أتى الى مكان فيه
رجل نائم سكران وقد
أتى اليه تنين عظيم يريد
أن يلدغه فاسرع اليه
ذلك العقرب ولدغ
التنين فقتله فازددت
تعجبا ثم حمدت الله سبحانه
وتعالى ومشيت الى ذلك
الرجل وأيقظته فقام
من نومه فزعا مرعوبا
فاخبرته بما رأيت من

حملها فقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها من النور والبيان والعهود فهل خلقت خلقا يطيق حملها فامده الله بلا تكيف حملها بعدد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا الالواح على الجبل فانصدع لها الجبل وخشع وقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها وضرب الله مثلا في القرآن فقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون كما أنزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها فقال فلما وضعوها على الجبل بين يدي موسى وذلك عند صلاة العصر فقبض موسى على الالواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فذلك قوله يا موسى اني اصطفيتك الآية وقوله تعالى وكتبنا له في الالواح الآية

(فصل في نسخة العشر الكلمات التي كتبها الله تعالى لموسى نبيه وصفيه في الالواح وهي معظم التوراة وعليها مدار كل شريعة)

وهي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسى بن عمران أن سبحني وقدسني لا اله الا أنا فاعبدني ولا تشرك بي شيأ واشكر لي ولوالديك الي المصير أحيك حياة طيبة ولا تقتل النفس التي حرم الله عليك فاضيق عليك السماء بأقطارها والارض برحبها ولا تحلف باسمي كاذبا فاني لا أطهر ولا أزكي من لا يعظم اسمي ولا تشهد بما لا يعنيك سمعك ولا تنظر عينك ولا يقف عليه عقلك فاني أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة وأسائلهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي ورزقي فان الحاسد ناعتي ساخط لقسمتي ولا تزن ولا تسرق فاحجب عنك وجهي وأغلق دونك سمواتي أبواب السموات ولا تظلم لغيري فانه لا يصعد الي من قربان أهل الارض الا ما ذكر عليه اسمي ولا تخبر بعلاقة جارك فانه أكبر مقتا عندي وأسبب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ان فهذه نسخة العشر الكلمات وقد أعطاها الله جميعا محمدا صلى الله عليه وسلم في ثماني عشرة آية وهي قوله تعالى في سورة بني اسرائيل وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه الى قوله ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ثم جمعها في ثلاث آيات من سورة الانعام وهي قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (أخبرنا) أبو بكر محمد الفارسي باسناده من ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصعد موسى الالواح نظر فيها فقال يارب لقد أكرمني بكرامة لم تكرم بها أحدا من العالمين وقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين أي بقوة وجد وجاهد وقم على حب فعند ذلك قال موسى يارب ومن أحمد قال أحمد الذي أثبت اسمه على عرشي قبل أن أخلق السموات والارض بالفي عام وانه نبي وعبد من عبيدي وخيرتي من خلقي وهو أحب الي من جميع خلقي وجميع ملائكتي فقال موسى يارب ان كان أحمد أحب اليك من جميع خلقك فهل خلقت أمة أكرم عليك من أمتي قال الله تعالى ان فضل أمة محمد عليه السلام على سائر الامم كفضلي على جميع الخلق قال يارب ليتني أراهم وأراهم قال يا موسى انك لن تراهم ولو أردت ان تسمع كلامهم أسمعتك قال يارب فاني اريد ان أسمع كلامهم قال الله تعالى يا أمة محمد فاجبنا كلنا من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا البيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك فقال الله تعالى يا أمة محمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عذابي وقد أعطيتكم من قبل أن تسألوني وقد أجبتكم من قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم من قبل أن تعصوني فمن جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة ولو كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر وهذا قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا (أخبرنا) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن نصير المكي قال أخبرنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عن أبيه ان كعب الاحبار رأى حبرا من اليهود يبكي فقال له ما يبكيك فقال ذكرت بعض الامر فقال كعب الاحبار أنشدك الله ان أخبرتك بما أبكاك لتصدقني قال نعم قال انشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام أن موسى نظر في التوراة فقال اني أجد أمة هم خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

فسألت عنه فقال لي رجل امض معي الى بيته فمضيت معه الى بيت الشاب فوجدته قد مات فتأسفت عليه أسفا شديدا وهو التبع فقيل لي انه دخل بيته يوم السبت ولزم محرابه وبكى على نفسه طويلا وانه هذه الصيحة كانت هي قال ذو النون وعظنا فاصلحنا أمره ولم يبق أحد بمكة ممن حضر جنازته من الرجال والنساء والولدان الا بكى وخرجوا يشيعون جنازته فلما دفناه وانصرفنا عنه أخذني البكاء والحنين عليه فلما كان الليل رأيته في المنام وهو في أحسن صوره وعليه ثياب سندس واستبرق فلما رآني قام الي واعتنقني وقال يا سيدي أما تعرفني قلت بلى ما فعل الله بك قال غفر لي وتجاوز عني وقال يا عبدي هذه هبتي وقد أبحتها لك فزره ما شئت فانا اليوم في مقعد صدق عند ملك مقتدر اللهم انفعنا به وبعبادك الصالحين آمين

(وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما) أنه قال ركبت في مركب صدمه من السفن الى بيت الله الحرام وكانت معي زوجتي وكانت حاملا فبينما نحن سائرون اذ كسر بنا

الملائكة يا ابن عمران وسؤاله الرؤية (وفى بعض الكتب) أن ملائكة السموات والارض أتوا موسى وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة وقال وهب لما سأل موسى الرؤية أرسل الله تعالى الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فاحاطت بالجبل الذى عليه موسى وأمر الله تعالى ملائكة السموات أن يعرضوا على موسى أربعة فراسخ من كل ناحية فحف به الملائكة ملائكة سماء الدنيا كثير امثل البقر تتبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بصوت عظيم كصوت الرعد الشديد ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه مثل الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى عما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة فى جسده فقال ندمت على مسئلتى فهل يخبرنى من مكانى الذى أنا فيه شئ ان خرجت احترقت وان قعدت مت فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم هبطت ملائكة السماء الثالثة كامثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تتبع بالتسبيح والتقديس والتهليل كلجب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى عليه السلام واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له رئيس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شئ من الذين مر بها ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شئ من أصوات الذين مر بها ثم هبطت عليه ملائكة السماء الخامسة فى سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن ينتبههم طرفه ولم يرمثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوف موسى فزعا واشتد خوفه وكثر بكاؤه ثم قال له خير الملائكة وكبيرهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدى الذى أراد رؤيتى فاعترضوا عليه فهبطوا فى يد كل ملك منهم حربة طويلة تلتهب نارا أشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار واذا سجدوا قدسوا جادبهم كل من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبد الابدين وفى رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع رأسه وصوته يسبح معهم ويبكى ويقول رب اذكرنى ولا تنس عبدك لا أدرى هل أتخلص مما أنا فيه أولا ان خرجت احترقت وان مكثت احترقت فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم أوشك يا ابن عمران ان يشتد خوفك ويخلع قلبك فاصبر للذى سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة قال الله تعالى أروه اياه فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة رب العزة ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبد الابدين بشدة أصواتهم فارغ الجبل واندك وخر موسى صعقا على وجهه ليس معه روح فقلب الله الحجر الذى كان موسى عليه وجعله كهيئة القبة لئلا تعترف موسى وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بالله رجوعت فيما ومن نظر الى ملائكتك اخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب واله الآلهة وملك الملوك لا يعدلك شئ ولا يقوم لك شئ تبت اليك الحد لا شريك لك أنت رب العالمين (قال السدى) حف حول الجبل بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار وحف حول النار بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار ثم تجلى ربه للجبل (أخبرنى) الحسن باسناده عن عروة بن رويم اللخمى قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى صماء ملساء فلما تجلى الله للجبل صار الطور دكا وتفطرت الجبال وصار فيها كهوف وسقوف قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن فقطع منها شجرة فاتخذ منها تسعة ألواح طول كل لوح منها عشرة أذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التى اتخذ منها الالواح من زمرذ خضر ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة أغصان من سدرة المنتهى فجاء بها فصارت جميعا نورا وصارا النور رقما أطول ما بين السماء والارض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم فكتب الله فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا وذلك يوم الجمعة وأشرقت الارض بالنور ثم أمر الله موسى أن يأخذها بقوة ويقرئها قومه فوضعت الالواح على السماء فلم تطق حملها لثقل العهود والمواثيق التى فيها فقالت يا رب كيف أطيق ان أحمل كتابك الثقيل المبارك وهل خلقت خلقا يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الالواح فيبلغها موسى فلم يطق

حملها

وجوههم وأتاهم البحر لحاذا من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان فيلتموه وفعلتم ما أمرتكم به والا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون الا على أصداغ وجوههم فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعنا (وروى) قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعد ما اتخذ السامري العجل وانصرف الى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد الا مات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه يرخي يديه وجهه لا حد مخافة أن يموت (وأخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي قال حدثنا محمد بن أبي شيبة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المزريني قال حدثنا محمد بن مرزوق النضري قال حدثنا هاني بن يحيى السلمي قال حدثنا الحسن بن أبي سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك دبيب النملة في الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ (وأخبرنا) أبو عبد الله الثقفي قال حدثنا عبد الله بن شبة قال حدثنا أبو حامد المستملي قال حدثنا اسحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه ان موسى كان اذا غضب اشتعلت فلسوته نار الشدته * (باب في ذكر عبادة بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل) *

قال أهل السير وأصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى اني ذاهب الى الجبل لميقاتي ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون ووا عدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون. وامر جبريل عليه السلام على فرس يقال لها فرس الحياة وهي باقاة أنثى لا تصيب شيأ الا حيي فلما رآه السامري على تلك الفرس عرفه وقال ان لهذه الفرس لشأنا عظيما وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدي (وقال الكلبي) انما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل الجبل حين عبروا البحر وبعث الله تعالى جبريل على فرس يلقاه فخطر في نفسه ان مركب الانبياء كلهم وماض البحر وشمت بقوم فرعون برجعها فأخذت في أنوفها فقالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني اسرائيل لان فرعون حين أمر بذبح أولاد بني اسرائيل جعلت الام أقذافا ولدت الغلام ألقته بسرا في موضع الماء الجاري أو واد أو غار في جبل فاخذته وبعثن الله له ملكا من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يغتاظ بالناس وكان الذي رأى السامري جبريل عليه السلام. وقيل بعض من أحد اسم أمه سميعا من الآخرين سلافين ثم عرفه من ذلك الوقت اذا بلغ الطفل عمر اسم أمه فيروى عن ابن عباس لا يعيش له ولد فعرفت ان جبريل عليه السلام وكل بالسامري وعلم انه يسقيه اللبن بالعداوة والحقد حتى كبر واختلط بالناس فلذلك عرفه دون سائر بني اسرائيل لانه هو الذي رباه (١) وكان أبو عمرو الكندي يقول دابة موسى وفرعون دابة موسى أزأهل دوزخ دابة السامري وجبريل دابة جبريل أزأهل دوزخ والسامري أزأهل دوزخ يزيد قال قتادة والسدي كان قد ابان عداوة بني اسرائيل لجبريل يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق وقال سعيد بن جبير كان السامري من أهل كرمان وقال غيرهما كان رجلا من أهل باجرمي واسمه موسى وقال ابن عباس اسمه موسى فكفر وكان رجلا منافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فدخل في قلبه حب البقر فلما ذهب موسى لميقات ربه وكان قد وعدهم ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر حتى صارت أربعين فعدوا بني اسرائيل ثلاثين ليلة فلما لم يرجع اليهم اقتحموا وقالوا ان موسى أخلفنا الوعد فاغتنمها السامري حتى فعل ما فعل وقال قوم انهم عدوا الليل يوما والنهار يوما وكان موسى قد وعدهم أربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتتنوا وأتاهم السامري وقال لهم ان موسى قد احتبس عنكم فيما ينبغي لكم أن تتخذوا الها فان موسى ليس براجع اليكم وقد تم الميقات فابنى لكم أن تتخذوا الها وانما طمع فيهم السامري لانهم يوم عبروا مع موسى البحر رأوا على قوم من العمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الآية فاغتنمها السامري فلما كان ذلك اليوم وخرج موسى ومضى من خروجه عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حليا كثيرا من آل فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة العيد وأهلك الله فرعون وقومه

(١) قوله وكان أبو عمرو الخ عبارة قاموسه هذا دابة موسى وجبريل من أهل الجنة ودابة فرعون والسامري من أهل جهنم اه من هامش الاصل

أن لا هذه المرتبة فقال له الحداد يا أخي انه كان لي حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك انه كان لي جارة جميلة وكنت بها مولعا فراودتها عن نفسها فامتنعت علي فلم أقدر عليها الا بخصلة واحدة بالوقوع فحاصرتها سنة فحط وجدب وعدم الطعام وعم الجوع الانام فبينما أنا يوما من الايام جالس ببيتي واذا بتارع يقرع الباب فرحت لانظر اليه فاذا بها واقفة بالباب وقالت يا أخي أصابني جوع شديد هل لك أن تطعمني لله فقلت لها أما تعلمين ما أنا فيه من الجهد والجوع وما أظن عندي من أكل فما أظنك الا ان مكنتني من نفسك فمالت الموت ولا عيشة الا بالله تعالى وصرت الى منزلها فلما كان بعد يومين عادت الي وقالت لي كالمرة الاولى فأجبتها بمثل جوابي الاول فخجلت وقعدت في البيت وقد أثرت على الهلاك فلما علمت الطعام بين يدي اذرفت دموعها بالدموع ثم قالت هذا لله فقلت لا الا أن تمكنيني من نفسك فقامت ولم تأكل شيأ وخرجت من عندي الى منزلها فلما كان بعد يومين اذا بها تقرع الباب فخرجت اليها وهي واقفة بالباب وقد قطع الجوع صوتها وقصم ظهرها فقالت يا أخي أعيتني الحيل ولم أقدر على

و يؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال له الجبار نعم قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى أن موسى نظر في التوراة فقال اني أجد أمة هم الحامدون رعاة الشمس هم المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا نفعله ان شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتي فقال هم أمة محمد يا موسى قال له الجبار نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير ان موسى كان يجمع صدقات بني اسرائيل فلا يجد عبدا عملوا كلا ولا أمة الا اشتراه من تلك الصدقة وما فضل يحفره حفرة عميقة القعر وألقاه فيها ثم دفنه كي لا يرجعوا فيه وهم المسجون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى يارب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الجبار نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال اني أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى واذا هبطوا الى واد حمدوا الله تعالى الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غر محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الجبار نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في التوراة أن موسى نظر فيها فقال يارب اني أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واذا عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه واذا عملها كتبت عليه سيئة مثلها فاجعلهم يارب أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال الجبار نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مرحومة أقوياء يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد يا موسى فقال الجبار نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مساجدهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصطفون في صلاتهم صفوفا كصفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار منهم أحد ومنهم من لا يرى الحساب الا مثل ما يرى الطير من وراء الشعير فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال الجبار نعم قال فلما تعجب موسى من الخير الذي أعطاه الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قال موسى باليتني من أصحاب محمد فأوحى الله تعالى اليه ثلاث آيات يرضيه بهن فقال تعالى يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين وقوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضا (وقال ابن عباس) لما سار موسى الى طور سيناء الى الميقات قال له ربه ما تبتغي قال جئت لتبغي الهدى قال وجدته يا موسى قال موسى يارب أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال أي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه فيسمع الكلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى (وقال عبد الله بن مسعود) لما ناجى الله تعالى موسى الى طور سيناء رأى عبدا في ظل العرش جالسا قال يارب من هذا قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله بر بوالديه لا يمشي بالنميمة قال موسى يارب اغفر لي ما جرى من ذنبي وما غبر وما بين ذلك وما أنت أعلم به مني أعوذ بك من وسوسة نفسي وأعوذ بك من سوء عملي قال قد كفيت ذلك يا موسى قال موسى يارب أي الاعمال أحب اليك أن اعمل به قال تذكرني ولا تنساني قال أي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه مؤمن في خلق حسن قال فأي عبادك شر عملا قال فاجر في خلق سيئ جيفة بالليل بطال بالنهار قال فلما رجع موسى الى قومه وقد أتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها وما عملوا بما فيها من الاثقال والاغلال التي كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله جبريل فقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مثل الظلة مقدار قامة الرجل وقال أبو صالح عن ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور وقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة (وقال عطاء) عن ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤسهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم

صاحت بي يار جل أدركني ... فاني عطشان فقلت ماترين ما لنا وما نحن فيه من الغرق ثم رفعته بصري الى السماء واذا
رجل صالح في الهواء
بيده سلسلة من ذهب
نهار كوة من ياقوتة
حمراء فيها ماء أشد بياضا
من اللبن وأبرد من الثلج
وأحلى من العسل فقال
ي هل لك اشرب فاخذتها
منه وأسقيت المرأة
وشربت فاذا هي أطيب
رائحة من المسك فقلت
له من أنت يرحمك الله
فقال عبد من عباد الله
تعالى فقلت له كم وصلت
الى هذه المرتبة فقال
ما تركت هواي لهواه
فاسكنني في الهواء ثم غاب
عن بصري فلم أر وضي
الله تعالى عنه ونفعنا به
آمين (وحكي عن بعضهم
رضي الله تعالى عنه) أنه
قال كان عندنا رجل
حداد كان يدخل يده في
النار ويخرج بها الحديد
المحمى ولم تمسه النار
فقصده رجل لينظر
صدق ذلك الامر فلما
دخل البلد سأل عن
الحداد فدل عليه فلما
نظر اليه وتأمله رآه
يصنع كما وصفه فامهله
الرجل حتى فرغ من
صنعته فأتاه وسلم عليه
فرد عليه السلام فقال له
الرجل اني ضيفك في
هذه الليلة فقال له الحداد
مرحبا وكرامة فمضى به الى
منزله وتعشى معه وبات
هو وياه فلم يزد على فرضه
ونام الى الصبح فقال
الرجل في نفسه لعله اجتهد في هذه الليلة فبات عنده ثاني ليلة وهو على حاله لا يزيد على الفرض فقال له الرجل

أم الآية قال المفسرون كان هرون أشد موسى لابيه وأمه ولكنه أراد بقوله يا ابن أم ترقيقه واستعطافه عليه لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي أي بذوائبي اني خشيت ان قاتلتهم ان يصيروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فتفترق فرقتين بني اسرائيل ولم تأتني بخبر قولك أي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ثم ان موسى أقبل على السامري وقال له ما خطبك يا سامري أي ما أمرك وشأنك فقال السامري بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول يعني أخذت ترابا من أثر فرس جبريل فمبذتها أو طرحتها في العجل وكذلك سولت لي نفسي أي زينت لي قالوا فما علمك يا سامري انهم قد اطلعوا على عداوتهم العجل ندموا على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال تعالى ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فقال لهم موسى يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل قالوا له فاي شئ نصنع وما الحيلة قال توبوا الى بارئكم أي ارجعوا الى خالقكم قالوا فكيف نتوب قال ليقتل البريء المجرم ذلكم يعني القتل خير لكم عند بارئكم قال ابن عباس أبى الله ان يقبل توبة بني اسرائيل الا بالقتل الذي كرهوا ان يقاتلوهم حين عبدوا العجل وقال قتادة جعل الله توبة عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر موجب الدم فلما أمرهم موسى بالقتل استسلموا لامره وقالوا نصبر لامر الله فجلسوا في الافنية محتبين وأتاهم عليهم القوم بالسيوف وانطلقوا حرفيكان الرجل يرى أباه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم يكف الا امضاء أمر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نصنع فأوحى الله تعالى اليه ان ابسط لهم غماما فبسط لهم غماما وبقوا سبعة أيام ولياليهن حتى قتل بعضهم بعضا وقيل انهم من حل حبوته أو مد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردود توبته وكانوا يتناولهم السيف الى المساء فلما كثر فيهم القتل وبلغ عدة القتلى سبعين ألفا قال موسى وهرون ربنا هلك خلق عظيم وقلت بنو اسرائيل فابق البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم ان يرفعوا الايدي ويكفوا القتل عنهم فعلما انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أما يرضيك ان أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي منهم مكفرا ذنبه فذلك قوله تعالى فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم وقالوا أمر الله تعالى موسى ان يبرد العجل بالمبرد ويحرقه ثم ينذروه في النيل فمن شرب ماء من عبد العجل اصفر لونه وجهه واسودت شفتاه وقيل ثبت على شاربه الذهب وكان علامة لجرمه فأخذ موسى العجل فذبحه ثم برده بالمبرد ثم أحرقه وجمع رماده وأمر السامري بالبول عليه واستخفافا به وتصغيرا لشأنه ثم ذراه في الماء فذلك قوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا الآية قالوا ثم ان موسى أمرهم بالشرب من ذلك الماء عشر رواء منه فاصفرت وجوه الذين عبدوه واسودت شفاههم فعرفوا بالعجل وعاقبته وقالوا يا موسى انا عند ذلك لعلى ما صنعنا وتبنا الى الله فلو أمرنا ان نقتل أنفسنا لتقتيل لهانت علينا فقيل لهم قد فعل الله أنفسكم ثم ان موسى هم بقتل السامري فأوحى الله تعالى اليه لا تقتله فانه سخي فلعنه موسى وقال له فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه أي بعد البعث في القيامة ثم أمر موسى بني اسرائيل أن لا يبايعوا ولا يقربوا السامري وحشمه الا بألفة أحد ولا يؤلف ولا يدنو من الناس ولا يمس أحد أحدهم فمن عرض ذلك المولج بالفراض وكان كذلك حتى هلك قال قتادة ان بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك أي لا مساس وفي بعض الكتب أنه ان مس أحد من غيرهم أو واحد منهم سقم كلاهما في الوقت قالوا ثم ان الله تعالى أمر موسى أن يأتيه في نفر من خيار بني اسرائيل ليعتذروا اليه من عبادة قومهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا لينطلقوا معه الى الجبل كما أمر الله تعالى وأمره أن يكونوا شيوخا لم يسبب الاسنين شيخا فأوحى الله تعالى اليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا شموطا (وروى) انه اختار من كل سبط ستة فرفعوا اثنين وسبعين رجلا فقال انما أمرت بسبعين رجلا فليختلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال موسى ان من قعد مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فأمر موسى السبعين أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا أثوابهم ثم خرج بهم الى الطور لميقات ربه وذلك قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الآية وكان لا يأتيه الا باذن منه فلما دنا موسى الى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا

عين ماء كان يتوضأ منها
ويشرب منها ويفتات
من نبات الارض وكان
يصوم النهار ويقوم
الليل لا يفتر عن العبادة
وعليه أنوار السعادة
فسمع به موسى عليه
السلام فقصده بالنهار
فوجده مشغولا بالصلاة
والاذكار ثم قصده بالليل
فوجده مشغولا بالصلاة
فعلم عليه موسى
عليه السلام وقال له
يا هذا ارفق بنفسك
فان المولى كريم فقال
يا نبي الله أخاف أن
أوخذ على غفلة فقصر
عمري فاكون مقصرا
عند ربي فقال له
موسى عليه السلام
هل من حاجة الى مولاك
يا هذا فقال نعم سله ان
يعطيني رضاه ولا يشغلني
بما سواه حتى ينسى
عبيده وآلاءه قال فلما
فعل موسى عليه السلام
الى مناجاة ربه واستغرق
في لذة كلام ربه
نسي كلام العابد فقال له
الله عز وجل يا موسى
ما قال لك عبدي العابد
فقال موسى يا رب أنت
أعلم بما قال فقال الله
تعالى يا موسى اذهب
اليه وقل له يتعبد ما شاء
في الليل والنهار فانه
من أهل النار ولما سبق
له من الذنوب والاوزار
فاتاه موسى عليه السلام

و بقى ذلك الحلى بايدى بنى اسرائيل فلما خرج موسى قال هرون لبنى اسرائيل ان حلى القبط الذى استعرتموه منهم غنيمة ولا يحل لكم فاجمعوه جميعا واحفروا له حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه ففعلوا ذلك فجاء السامرى بالقبضة التى أخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام فقال لهرون يا نبى الله هل اقذفها فيه فظن هرون انه من الحلى يريد به ما يريد بأصحابه فقال له اقذف فقذفها فى الحفرة على الحلى فصارت عجلا جسدا له خوار (وقال ابن عباس) أوقد هرون نارا وأمرهم ان يقذفوها فيه فقذف السامرى تلك القبضة فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار وكان البلاء والفتنة حين صار كذلك وذلك أن السامرى قال لهرون ألقى ما فى يدى وهو يظن أنه من تلك الحلى فقال نعم وبقى لان الذى قال لبنى اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم هو السامرى فصدقوه وجمعوها ودفعوها اليه فصاغ منها عجلا فى ثلاثة أيام ثم ألقى فيه القبضة فصاروا خوارة ثم لم يعد وقال السدى كان يخور ويمشى فلما أخرج السامرى العجل وكان من ذهب مرصع بالجوهر كحسن ما يكون وقال هذا الهكم والله موسى فنسى أى اخطأ الطريق فتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عليكم واختلف الموعد وفى بعض الروايات ان السامرى لما صاغ العجل وقذف القبض فيه أشعر العجل وصار له خوار فصار له لحم ودم ويروى ان ابليس حار فى وسطه ويقال ان السامرى جعل مؤخر العجل الى حائط وحفر فى الجانب الآخر فى الارض وأجلس فيه انسانا فوضع فمه فى دبره فخار وتكلم بما تكلم به وقال هذا الهكم والله موسى فليس السامرى على أوغاد بنى اسرائيل وجوههم حتى أضلهم وقال لهم ان موسى قد أخطأ ربه فاتا كربه أراد أن يريكم أنه قادر على أن يدعوكم الى نفسه بنفسه وأنه لم يبعث موسى بحاجة منه اليه وانه قد أظهر اليكم العجل ليكلمكم من وسطه كما كلم موسى من الشجرة قال على بن أبى طالب رضى الله عنه انما سمى العجل لانهم تعجلوه قبل رجوع موسى اليهم (وقال الحسن البصرى) اسم عجل بنى اسرائيل الذى عبدوه هيوت قالوا فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامرى افتتنوا به غير اثنى عشر ألفا وكان مع هرون ستمائة ألف فعكفوا عليه يعبدونه من دون الله واحبوه بما لم يحبوا مثله شيأ قط فقال لهم هرون يا بنى اسرائيل انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فاقام هرون فيمن معه من المسلمين وأقام من يعبد العجل على عبادته وتخوف هرون ان سار عن معه من المسلمين الى المفتونين الضالين أن يقول له موسى فرقت بين بنى اسرائيل وكان له هائبا مطيعا وقال قتادة فى هذه القصة قد ذكر لنا ان الصالحين الفرقة قبلكم (أخبرنى) الحسن باسناده عن راشد بن سعيد قال لما واعد الله موسى أربعين يوما قال الله تعالى يا موسى ان قومك قد افتتنوا من بعدك قال يارب كيف يفتتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم قال انهم اتخذوا العجل الها من دونى وهو عجل ذو جسد له خوار قال يارب من نفخ فيه الروح قال أنا قال أنت وعزتك فتنتهم ان هى الا فتنتك الآية فقال الله تعالى يا موسى يا رأس النبيين يا أبا الاحكام انى رأيت ذلك فى قلوبهم فيسرته لهم فلما رجع موسى من الميقات الى قومه وقرب منهم سمع اللغط حول العجل وكانوا يرقصون حوله ولم يخبر موسى أصحابه السبعين بما أخبره به من حديث العجل فقالوا هذا قتال فى المحلة فقال موسى لهم لا ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله فذلك قوله تعالى وما أعجلك عن قومك يا موسى فلما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فلما رآهم حول العجل وما يسمعون به ألقى الالواح من يده فتكسرت فسد عامة الكلام الذى كان فيها ولم يبق فيها الا سدسها ثم أعيدت له فى لوحين (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المعاين كالمخبر قال الله تعالى لموسى ان القوم قد فتنوا فلم يلق الالواح فلما عاين ألقى الالواح فكسرها (عن تميم الدارى) قال قلت يا رسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قرية من ساحل البحر فقال عليه الصلاة والسلام تلك انطاكية أما ان فى غار من غيرانها رضاضا من ألواح موسى وهامن سعابة شرقية ولا غربية تمر بها الا ألقت عليها من بركاتها وان تذهب الايام والليالى حتى يسكنها رجل من أهل بيتى يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما قالوا فلما رأى موسى ما صنع قومه من بعده من عبادة العجل أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمينه ولحيته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم فى اثنى عشر ألفا لم يعبدوا العجل فقال لهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن أفعصيت أمرى هلا قاتلتهم اذ علمت أنى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هرون يا ابن

ولم يكن عندى طعام
فقمت وأضرمت النار
وصنعت لها طعاما فلما
تجهز الطعام ووضعته بين
يديها أدركنى لطف الله
تعالى وقلت فى نفسى
ويحك لم هذا ان هذه
امرأة ناقصة عقل ودين
تمتنع من طعام لا قدرة
لها عليه وهى تتردد المرة
بعد المرة من ألم الجوع
وأنت لا تنتهى عن
معصية الله تعالى ثم قلت
اللهم انى تائب اليك
مما كان منى انى لا
أقربها فى معصية
أبدا فدخلت الهاوهى
تأكل فقلت لها كلى
ولا روع عليك فانه لله
سبحانه وتعالى فلما
سمعت ذلك رفعت رأسها
الى السماء وقالت اللهم
ان كان صادقا فحرم عليه
النار فى الدنيا والآخرة
قال فتركتها تأكل
وقمت لازيل النار وكان
ذلك فى زمن الشتاء
فوقعت جمرة على قدمى
فلم أشعر بها فدخلت اليها
وأنا فرح مسرور
وقلت أبشرى فان الله
تعالى أجاب دعاءك
فرمت اللقمة من يدها
وحمدت شكرا لله
تعالى وقالت اللهم
أرينى مرادى فيه
فاقبض روحى هذه
الساعة فقبض الله
روحها فهى ساجدة رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بها وهذا يحدثنى يا أخى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب * (وحكى عن بعضهم

ومابه علة ولاسقم * أكثر من سبعماية لاه اذا شلاق الظلام مبتهلا * أجابه الله عم لباه قال ولم يزل يكرر هذا القول عليك ياذا الجلال

ابليس يافاروق قد رضينا بهذا الذى نحن فيه لانشهد لبنى اسرائيل جماعة ولانعودلهم مريضا ولانشهد جنازة قال فأخذ ذره من الجبل الى البيعة فكانوا يؤتون بالطعام فقال له ابليس ياقارون قد رضينا أن نكون هكذا كلا على بنى اسرائيل فقال له قارون فاى رأى عندك قال نكتسب يوما فى الجمعة ونتعبد بقية الجمعة قال فتكتسب فى يوم الجمعة وتعبد باقيتها فقال ابليس قد رضينا أن نكون هكذا قال قارون فأى الرأى عندك قال نكتسب يوما ونتعبد يوما فقال فعلى قال فلما كسبا يوما وتعبدا يوما جاس ابليس وتركه فغضبت على قارون أبواب الدنيا فبلغ ماله ما أخبرنا به ابن فتحويه باسناده عن المسيب بن شريك قال مالان مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت أربعمائة ألف فى أربعين خزانة فصار فى الثروة وكثرة المال بحيث يضرب به الامثال أنشدنى أبو العباس سهل بن محمد الرازى عن بعضهم

وعدتنى وعدا حتى اذا * أطمعتنى فى كنز قارون
جئت من الليل بسالة * تغسل ماقالت بصابون

فبغى قارون وطغى وتجبر حين استغنى وأثرى حتى هلك فصار عبرة للغابرين وعظة للبادين وكان أول بغيه وعصيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة الاموال فكان يخرج فى زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى فخرج على قومه فى زينته الآية قال مجاهد خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليها المعصفرات وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خرج فى سبعين ألفا عليهم المعصفرات قال وكان ذلك أول يوم ظهرت المعصفرات فى الارض * فيما كان أبى يذكر لى عن مقاتل أنه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليها الارجوان ومعه ألف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب فمنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذى أوتيه فقالوا يالبيت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم فأنكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعلموا أمركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه فان ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهواتها قال الله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا أى لا يوفق لهذه الكلمة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا (قالوا) ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى عليه السلام أن يأمر قومه أن يأتوه فى أردية بهم حمرا وطالما أردية بهم فى كل طرف خيط أخضر ليوبه كون السماء فقال موسى يارب لم أمرت بنى اسرائيل بتعليق هذا الخيوط الخضر فى أرديتهم فقال الله تعالى ان بنى اسرائيل فى غفلة وقد أردت أن أجعل لهم علما فى ثيابهم يذكرونى به اذا نظروا اليه يذكرون الله السماء ويعلمون أنى منزل منها كلامى فقال موسى يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أردية بهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل يحقر هذا الخيوط قال له يا موسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير وان لم يطيعونى فى الامر الصغير لم يطيعونى فى الامر الكبير قال فدعا موسى بنى اسرائيل ثم قال لهم ان الله أمركم أن تجعلوا فى أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء اذكروا بكم اذا رأيتموها ففعلت بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يفعله وقال ما يفعل هذه الاالارباب بعبيدهم ليتميزوا عن غيرهم فكان أبناؤهم من بغيه وعصيانه (قالوا) فلما قطع موسى ببنى اسرائيل البحر جعلت الحبارة وهى رياسة المذبح وبيت القربان لهرون فكانت بنو اسرائيل يأتون بهم فيدفعونه الى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون فى نفسه من ذلك فأتى موسى وقال يا موسى لك الرياسة والرسالة ولهرون الحبارة ولست أنافى شئ من ذلك وأنا أقرأ للتوراة فتكلا ولاصبر لى على هذا فقال موسى والله ما جعلتها أنا فى هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك فى ذلك حتى تريني بيانه قال فجمع موسى رؤساء بنى اسرائيل وقال هاتوا عصيكم فأتوه بعصاه خضراء فهو أخوها بالحبارة فجعلوا العصى وبعثوا بها وكتب كل واحد اسمه على عصاه فأخذها موسى وألقاها فى القبة التى كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فاصبحت عصا هرون قد اهتزت وأنبتت وأورقت أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا من فعلى فقال قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التى بينهما وهو يؤذيه فى كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا ومخالفة ومعاداة لموسى حتى انه بنى دارا وجعل بابها من الذهب الاحمر

معتمدى
وهو يبكى وأنا أبكى
شفقة عليه ثم ذكر
سبحانه كلاما معناه انه
رأى نورا ساطعا ومع
قائلا يقول هذا الجواب
ليك عبدى فانت فى كنفى *
وكل ماقلت قد سمعناه
صوتك تشتاقه ملائكتى *
وذنبك الآن قد غفرناه
قال فقلت لعل هذه الرؤية
والسماع المذكورين
فى حالة النوم أوفى غيبة
فسلمت عليه فرد على
السلام فقلت له بارك الله
لك فى ليلك وبارك فيك
من أنت رحمك الله
فقال راشد بن سليمان
فعرفته لما كنت أسمع
من أمره وشجبه وكنت
أتى لقاءه فلم أقدر على
ذلك حتى يسر الله تعالى
لى فقلت له هل لك ان
تحبنى فقال هيهات وهل
يأنس بالخاطئين من يتلذذ
بمناجاة رب العالمين اما
والله لو تحين على عمرنا
هذا أحد من أصحابه
النبيين الصديقين قالوا
هؤلاء أحزاب لا يؤمنون
بيوم الحساب ثم غاب
عن بصرى فلم أره
فاشتقت الى مرافقته
ثم سألت الله تعالى أن
يجمعنى به فى جبل الطور
فلما كان بعض الاعوام
خرجت حاجا الى بيت الله
الحرام فاذا به فى طل
الكعبة واذا بنفسر

وكان موسى اذا كلمه الله وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني اسرائيل أن ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسى ويأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى أنني أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي نار جاءت من السماء فاحرقتهم جميعا قال وهب بل أرسل الله عليهم جندا من السماء فلما سمعوا حسهم ماتوا ومكثوا يوما وليلة فذلك قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون فلما ماتوا قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يا رب كيف أرجع الى بني اسرائيل وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسى يناشد ربه حتى أحياهم الله له جميعا رجلا برجل ينظر بعضهم بعضا كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم الآية (أخبرني) الحسن باسناده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا الى الجمعة سبعون كانوا كالسبعين الذين وفدوا مع موسى الحر جهم وأفضل

* (باب في قصة قارون حين عصى ربه وموسى واستكبر وأورثه ماله الطغيان والبطر حتى أهلكه الله تعالى) *

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم الآية قالت العلماء باخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث هذا قول أكثر العلماء (وقال) ابن اسحق تزوج يصهر بن قاهث سمين بنت ماويب بن بركيا بن يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران يخبث بنت شمويل بن بركيا بن يقشان فولدت هرون وموسى ابني عمران فموسى على قول ابن اسحق ابن أخي قارون وقارون عم لابيه وأمه وعلى قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ وكان قارون أعلم بني اسرائيل بعد موسى وهرون وأفضلهم وأجلهم قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني اسرائيل أقرأ للتوراة منه ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فبغى على قومه كما قال تعالى فبغى عليهم واختلفوا في معنى هذا البغي قال ابن عباس رضي الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بني اسرائيل حين كانوا بمصر (وأخبرني) الحسين باسناده عن المسيب بن شريك ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل وكان يبغي عليهم ويظلمهم وقال عطاء الخراساني وشهر بن حوشب زاد عليهم في الثياب شبرا وروى شيبان عن قتادة قال بغى عليهم بالكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان أغنى أهل زمانه وأثراهم كما قال تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء الآية أي لتثقل وتميل بهم اذا حملوها لثقلها واختلف المفسرون في عدد العصبة في هذا الموضع فقال مجاهد ما بين العشرة الى الخمسة عشر وعن قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وعن عكرمة منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول سبعون وعن الضحاك ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل هم ستون (وروى) جرير عن مغيرة قال وجدت في الانجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا غير الحمولة ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح منها كنز ويقال ان قارون كان أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع فكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا واختلفوا في سبب جمع تلك الاموال له فقيل كان عنده علم الكيمياء قال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث العلم وعلم كالب ابن يوفنا مثله وعلم قارون مثله فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه وفي الخبر ان الله تعالى علم موسى الكيمياء فعلم موسى أخته فعلمته قارون فكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى انما أوتيته على علم عندي أو بالتصرف في التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالب وقيل في سبب جمعه تلك الاموال ما أخبرنا الثقفي باسناده عن ابن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني كان يقول تبدى ابليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل أربعين سنة يتعبد حتى اذا غلب جميع بني اسرائيل في العبادة بعث اليه ابليس شيطانه فلم يقدروا عليه فتقدم هو له وجعل يتعبد مع قارون وجعل ابليس يقهره بالعبادة ويفوقه فخضع له قارون وقال له

فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة وأهلك أعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض الآية (باب في قصة موسى مع ابي الخضر وما جرى بينهما من العجائب الى أن بلغ من أمرهما ما بلغ) قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا قال الاستاذ الامام اشتملت الحكماء في السبب الذي قصد موسى لاجله الخضر فروى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عيينة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب وقال بعضهم يا ابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب ان موسى عليه السلام الذي طلب العلم انما هو موسى بن ميشا قال ابن عباس كذب نوف حدثني أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى نبي بني اسرائيل سأل ربه فقال يا رب ان كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلني عليه فقال الله عز وجل نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام وآذن له في لقائه وروى هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه فقال يا رب أي عبادك أحب اليك فقال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال يا رب أي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى قال فهل في الارض أحد أعلم مني قال نعم قال يا رب من هو قال الخضر قال فاين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة التي يفقد عندها الحوت وجعل الحوت علما له ودليلا وقال اذا حي هذا الحوت فان صاحبك هناك وكان قد تزود سمكا مملحا وروى عطية العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر واستقرت بهم الدار أنزل الله عليهم المن والسلوى فخطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم في الارض قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه فنبيكم أفضل أهل الارض وأنتم تقرؤن التوراة فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفهم اياها فقال له رجل منهم من بني اسرائيل قد عرفنا الذي تقول فهل على وجه الارض أحد أعلم منك يا نبي الله قال لا قال فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه فبعث اليه جبريل عليه السلام فقال له يا موسى ما يريدك أن أصنع علي بل ان لي عبدا بمجمع البحرين أعلم منك فسأل موسى ربه ان يريه اياه فأوحى الله اليه ان ائت البحر فانك تجد على شاطئ البحر حوتا فخذه واد فعه الى فتاك ثم الزم شاطئ البحر فاذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح قال فخرج موسى وفتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما حوت مالح فذلك قوله تعالى واذ قال موسى يعني ابن عمران لفتاه اي لصاحبه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام لا أبرح أي لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين يعني بحر فارس والروم مما يلي المشرق قال قتادة وقال أبي بن كعب هو افريقية وقال محمد بن كعب ظهره أو أمضي حقبا دهرا وزمانا طويلا فذهبا وهما الى سبرة والسبرة الملح وسارا حتى انتهيا الى الصخرة عند مجمع البحرين لا لقاء معتمل بن زياد وهي الصخرة التي دون ثمر الزيت قال وعندها عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب ذلك الماء شيأ الا عاش حيا فلما أصاب السمكة برد الماء وبرد اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله تعالى فلما بلغا يعني موسى وفتاه مجمع بينهما يعني البحرين نسيا حوتهما وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه فيدل عليه قوله تعالى انى نسيت الحوت ولكنه صرف النسيان اليهما والمراد به أحدهما كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرجان من الملح دون العذب فاتخذ الحوت سبيله في البحر سربا أي مذهبا وسلكا واختلفوا في كيفية ذلك فروى أبي ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة فلما انتهى فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضر عليه السلام وقال ابن عباس رأى أثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء وجعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى يصير صخرة وروى ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت في المكتل فخرج منه وسقط في البحر فصار بافا فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ

عندهما ثلاثة أيام بلياليها لم آكل ولم أشرب فلما كان غداة اليوم الرابع قلت في نفسي لا بد من سؤالهما في موعدنا أتتبع به فرفع الشاب رأسه وقال على بحجة من يذكر الله تعالى بلفظه ويمثل بلسان فعله لا بلسان قوله ثم التفت فلم أرهما فرغبت على فراقهما رضي الله تعالى عنهما ونفعنا بهما وبركاتهما آمين (وحكي عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه) أنه قال رؤي صاحب دجل من السادة باليمن من الطائفين سبعا على المجتهدين وهو بصلاح الناس معروف وبالله والحكمة والخشوع موصوف فقال نزحت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام فلما دخلت حجرته صلى الله عليه وسلم لأسمع كلاما وأتفجع بموعظته وكان معي جماعة يطلبون كما أطلب من البركة والدعاء وكان في جانبهم شاب عليه سيما الصالحين ومنار الطائفين مصفر اللون من غير سقم أعش العينين من غير رمد يعجبه الصلاة ويأنس بالوحدة كأنه غريب

وضرب على جدرانهم صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس ثم ان الله أنزل الزكاة على موسى فلما أوجب الله الزكاة عليهم أتى قارون موسى فصالحه عن كل ألف دينار دينار واحد وعن كل ألف درهم درهم واحد وعن كل ألف شاة شاة واحدة وعن كل شيء شيء ثم رجع قارون الى بيته وحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل فقال لهم يا قوم ان موسى قد أمركم بكل شيء فاطعموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا وسيدنا فربما شئت فقال آمركم أن تجيئوا ببغلانة البغي فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو اسرائيل فرفضوه فاستحيا منه فأتوها فجعل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال لها أنا أمونك وأسلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني اسرائيل اجتمعوا ينظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم اعلام دينهم وأحكام شرعهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فيهم خطيبا وعظهم وقال فيما قال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كان له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت ببغلانة قال أنا قال نعم قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فدعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لموسى وبني اسرائيل وأنزل التوراة على موسى الا صدقت فلما ناشدها تذكرها الله بالتوفيق وقالت في نفسها الا أن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله فقالت لا بل كذبوا ولكن بعثل لي قارون جعلا على أن أقذف نفسي فلما تكلمت بهذا الكلام سقط في يد قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنه قد وقع في مهلكة فخر موسى ساجدا لله يبكي ويقول يا رب ان عدو لك هذا قد آذاني وأراد فضيحتي وسبني اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي وسلطني عليه فأوحى الله تعالى اليه أن ارفع رأسك وأمر الارض بما شئت تطعك فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله تعالى قد بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم الى كعابهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى ركبهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى جنوبهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أعناقهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أعناقهم وقارون وصاحباه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشدونه فاوحى الله تعالى اليه أن ارفع رأسك وأمر الارض بما شئت تطعك فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله تعالى قد بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم الى كعابهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى ركبهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى جنوبهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أعناقهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أعناقهم وقارون وصاحباه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشدونه فاوحى الله والرحم حتى روي في بعض الاخبار أنه ناشده سبعين مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه عليه ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت الارض عليهم وأوحى الله الى موسى يا موسى ما أفظك استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغثهم ولم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو اياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قامة وأنه يتجلجل بهم فيها لا يبلغون قعرها الى يوم القيامة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين قال أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يونس قالوا أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن همام بن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برديه ويتنفر في عطفيه وقد أعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة * قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الارض أصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وأمواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وأمواله الارض وأوحى الله تعالى اليه اني لا أعبد الارض لاحد بعدك أبدا فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فلما حلت نقمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه وبأس الله كما أشبر الله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين أي لا تبطر ولا تأشر وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالامس وقالوا كما قال الله وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر

ثم قال يا ابن الاسقف ما أقل ما أغنى عنك ما أوتيت عند الله تعالى

شهقة فظننت انه قد انفتق عتاب قلبه وخرج مغشيا عليه ثم تفرق النفر الذين كانوا يقرؤن عليه فلما أفاق قلت يا أخي ما هؤلاء النفر الذين كانوا يقرؤن عليك فقال هم نفر من الجن فهم يقرؤن على القرآن ويحجون معي في كل عام ثم ودعني وقال جمع الله بيني وبينك في الجنة حيث لا فرقة ولا تعب ولا نصب ثم غاب عني بصري فلم أر رضي الله تعالى عنه * (وحكي عن عبد الله بن الاحنف رضي الله عنه) * أنه قال حججت من مصر أريد الرملة لزيارة الشيخ الزيادي رضي الله تعالى عنه فرآني عيسى بن يونس المصري في الطريق فقال هل أدلك على خير لك فقلت نعم فقال عليك بصور فان فيه شيخا وشابا اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لاغتنمت باقي عمرك قال فسرت اليهما حتى دخلت عليهما وأنا جائع عطشان وليس على ما يسترني من الشمس فوجدتهما مستقبلين القبلة فسلمت عليهما فكلماني بكلامهما فلم يكلمني ثلاث أقسمت عليكما الله العظيم الا ما كلمتماني فرفع الشيخ رأسه

يتم من الطعام مخافة طول المقام ويصبر على غصص الدوا مخافة طول الشفا قال فضاع الشاب

ولما فكر ذلك الخضر وألح عليها أبوها حتى فرق بينهما وزوجها من أخيها وولدا ثلاثة فمرض عليها الخضر مقالته الاولى فرضيت وقالت أقيم معك ظلا ثم ان أباها استبطأ الولد منه فدعاه وقال له ليس يولد لك فقال ليس ذلك بيدي ولكنه بيد الله ثم انه دعا امرأته وقال لها أنت امرأة شابة وولدك عندي غير ابني ولست تلدين عند ابني فقالت ما مسني منذ صحبته وكذلك المرأة الاولى فدعاها وقال لها قد قلت مثل ذلك فدعا ابنه وعيره وعنفه ففزع من أبيه ولم يأمن على نفسه منه فخرج من عنده فهام على وجهه ولم يدر أحد من خلق الله تعالى أين توجه فندم أبوه على ما فعل فارسل في طلبه مائة رجل من طرف شتى مختلفة فانطلقوا في طلبه فادركه منهم عشرة في جزيرة من جزائر البحر فقال لهم ابي أقول لكم شيأ فاكتموه عني قالوا نعم قال فان كتمتموه عني غفر الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أبيتم ذلك وأفشيتم سري عذبكم الله في الدنيا وفي الآخرة قالوا له قل ما شئت قال هل بعث أبي في طلبي أحدا غيركم قالوا نعم فقال لهم اذا فاكتموا أمري ولا تخبروا أبي أنكم رأيتموني وقولوا مثل قولنا انكم الذين أرسلهم في طلبي فلم يروني لانكم لو أخبرتموه بي أوذهبتم بي اليه قتلني وصرتم أنتم مؤاخذين بدمي قال فحلفوا عنه وانصرفوا فلما دخلوا على أبيه قال تسمعتهم فوجدناه وقال لنا كيت وكيت فخلينا عنه وقال العاشر ما لنا به علم ومالي به خبر والتسعة قالوا بلى قد ظفرنا به وان شئت أتيناك به فقال لهم ارجعوا في طلبه وأتوني به وان الخضر خاف ان يظفر وابه فانحاز من ذلك الموضع الى موضع آخر فأتوا اليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم نره فقال لهم أبوه قال وان أباه دعا بالمرأة الشابة وقال لها أنت صنعت هذا بابني حتى هرب فقتلها وسمعت المرأة الاولى بذلك فهربت خافة القتل وقال العاشر الذي أنكر رؤيا الخضر ما يؤمنني أن يقتلني كما قتل التسعة فهرب حتى أتى قرية فاذا المرأة الهاربة أيضا في تلك القرية فكانت تحتطب فقالت يوما بسم الله فسمعها الرجل الهارب فقال لها من أنت فاخبرته بخبرها فقال يا هذه أنا العاشر خرجت نعوف القتل فهل لك أن أتزوجك ونعبد الله حتى نموت فقالت نعم ثم انهما انطلقا حتى أتيا قرية فيها بعض من الفراعنة فاشتريا بيتا من قصب ومكثا فيه وولد لهما ولادا فقال لها الرجل اذا أنا مت فادفنيني في هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فاني لا أحب أن تكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتا فليهدم علينا البيت فمات الرجل فدفنته امرأته ثم انه بلغ فرعون زمانهم انهم يوحدون الله ويعبدونه فجيء بالمرأة الى حضرته فامرها أن ترجع عن دينها فابت فامر بقدور من نحاس فملئت ماء وأغلي غليانا شديدا وأمر بالمرأة وولدها فلما أحضروا قال لها ارجعي عن دينك والا ألقيتك وأولادك في هذا القدر فابت عليه فأمر بولدها الاكبر فالقي فيه فتفسخ فيه وكذلك الثاني وكان في حجرها الابن الرضيع فاراد وا القاءه فرقت المرأة ونازعتهم في شأنه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها فاصبري فانا في الجنة فلما أرادوا أن يلقوه في القدر قالت لهم لي اليكم حاجة يسيرة قالوا وما هي قالت اذا رميتموني في القدر فادفنوها بما فيها من عظامنا في بيتنا هذا وهدموه علينا فعلوا ذلك فلما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وجد رائحة طيبة فقال ما هذا يا جبريل فاخبره بقصتهم وقال هذه رائحتهم وروي ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما من أهل تلك المدينة تركبوا البحر في بعض مراكبهم فضربتهم الامواج فتكسرت بهم سفينتهم فانفلت منهم رجلان على لوح من ألواحها فضربتهم الامواج حتى أسندتهم الى جزيرة من جزائر البحر فرمى بهما الى الجزيرة فاذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو قائم يصلي فسلما حتى فرغ من صلاته فالتفت اليهما وقال لهما من أنتما فالا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا في هذا البحر للتجارة فانكسرت بنا هذه السفينة ودفعنا الى هذه الجزيرة فقال اختاران شئتما أن تقيما في هذا الموضع تعبدان الله تعالى وتأتيكما أرزاقكما وان شئتما رددتكما الى منازلكما قالا بل نرد نا الى منازلنا فقال لهما على ان تعطياني عهد الله وميثاقه على انكما لا تخبران بشيء مما رأيتماني فاعطياه العهد والميثاق على ذلك فتفارقا فاذا بمحاريب تترى فدعاهن وسألهن فقالت كل واحدة منهن أريد لمن كذا وكذا فدعا التي تريد بلادهما فقال لهما اجلسا هذين حتى تضعيهما على سطوحهما فسقطت الصحابة وانشقت لهما ثم رفعتهما ووضعت حتى وضعتهما على سطوحهما فعزم أحدهما على الكتمان ونزل الى منزله وعزم الآخر على اذاعته فنزل من سطحه وخرج من بابه

ياسيدي ما علامة المحب لله تعالى فقال الشيخ ان درجة المحبين رفيعة فقال الشاب أحب يا سيدي أن تصفها لي فقال الشيخ ان الله سبحانه وتعالى شغلهم عن قلوبهم فابصروا بنور القلوب الى جلال عظمة المحبوب فصارت أرواحهم روحانية وقلوبهم نورانية وعقولهم معانية تسرح بين صفوف الملائكة الكرام وتشاهد الامور باليقين والاعيان فعبدوه مبلغ استطاعتهم لا طمعا في جنته ولا خوفا من ناره قال فشهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه فبكى الشيخ عليه بكاء شديدا وقال هكذا مصرع المحبين رضي الله تعالى عنهم أجمعين

(وحكي عن أبي القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه) أنه قال كنت في مسجدي واذا برجل قد دخل على وصلى ركعتين ثم امتد في ناحية من المسجد وأشار الي فلما جئته قال لي يا أبا القاسم قد آن لقاء الله تعالى فغسلني وكفني وصل علي وادفني فاذا فرغت من أمري فسيدخل علي شاب مصري مخن فاذا حضر الميت فادفع له مرقعتي وعصاي وركوتي هذه قال الجنيد كيف

موسى عليه السلام نعى صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال لموسى لفتاه آتنا غداءنا الآية وقال قتادة رد الله الى الحوت روحه فسرب حتى أفضى الى البحر ثم سلكه جعل لا يسلك منه موضعا الا صار ماء جامدا طريقا يبسا وقال الكلبي توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المملح من ذلك الماء وهو في المكتل فعاش ووثب في الماء فجعل يضرب بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيأ من الماء وهو ذاهب الا يبس قال الحكماء كان لموسى عليه السلام خمسة أسفار الاول سفر الهرب وهو قوله تعالى ففررت منكم لما خفتكم الآية والثاني سفر الطور وهو قوله تعالى فلما أتاها نودي أن بورك من في النار ومن حولها الآية وقوله تعالى فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن الآية والثالث سفر العلم وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى وأوحينا الى موسى ان أسر بعبادي والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى اخبارا عن قول قومه فاذهب أنت وربك فقاتلا الآية والخامس سفر النصب وهو قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك انه لما ألقى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه فقال له فتاه وتذكر أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت أي تركته وفقدته وقيل فيه اضمار تقديره فاني نسيت ان أذكر أمر الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال عبد الرحمن بن زيد أي شيء أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتى حشر في البحر قال وكان شق حوت وقال وهب بن منبه ظهر في الماء من أثر جري الحوت أخدود شبه لهم من حيث دخل الى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهى الى مجمع البحرين واذا هو بالخضر فذلك قوله تعالى قال ذلك ما كنا نبغ أي نطلب فارتدا فارتجعا على آثارهما الذي جاءا منه قصصا أي يقصان الاثر فوجدا عبدا من عبادنا يعني الخضر عليه السلام

(فصل في ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله)

واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين الشرقي قال حدثنا محمد ابن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا عبد الله بن حامد الوراق قال أنبأنا مكي بن عبدان قال أنبأنا أبو الازهر قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء وأخبرنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الطزاعي قال أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن القصار قال أنبأنا أحمد ابن يوسف السلمي قال أنبأنا محمد بن يوسف الفريابي قال ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال انما سمي الخضر لانه أينما صلى اخضر حوله

(فصل في بدو أمر الخضر عليه السلام)

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري به الى السماء بينما هو على البراق وجبريل عن يمينه اذ وجد رائحة طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة قال انه كان ملك في الزمان الاول له سيرة حسنة في أهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره قال أصحاب الاخبار وكان أبو ملكا عظيما فسلمه الى المؤدب يؤدبه وكان يختلف اليه وكان بين منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فأعجبه حاله فألفه وكان يجلس عنده والمعلم يظن انه في المنزل وأبوه يظن انه عند المعلم حتى شب ونشأ وأخذ من العابد شمائله وعبادته فقالوا لابيه ليس لك ولد غيره يرث ملكك فلو زوجته لعله يرزق أولادا فعرض عليه أبوه التزويج فأبى ثم عاوده فعرض عليه فرضي فزوجه جارية من بنات الملوك فزفت اليه فلما بقيت عنده قال لها اني مخبرك بأمر ان أنت سمحت به صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أفشيت سري عذبك الله في الدنيا وفي الآخرة قالت وما ذاك قال اني رجل مسلم لست على دين أبي وليست النساء من حاجتي فان رضيت أن تقيمي معي على ذلك وتتابعيني على ديني فذاك البلاء وان أنت أبيت طلقت باهالك فقالت المرأة بل أقيم معك فلما أتت عليها مدة قالوا لابيه ما نظن ابنك الا عاقرا لا ولد له ولد فسأله أبوه فقال ما ذاك بيدي وانما ذاك بيد الله يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسألها فردت عليه مثل ما رد عليه الخضر فمكث أبوه زمانا ثم دعا ابنه اليه فقال له أحب أن تطلق امرأتك هذه وأزوجك امرأة غيرها ولود لعلها ترزق منها

حبكم قد سرى لوسط فؤادي
من قديم الزمان منذ كنت ملفلا
قال ولم يزل الشاب في جلتنا حتى انتهينا الى العين فسألنا عن منزل الشيخ فارشدنا اليه فطرقنا عليه الباب ففرج الينا كأنه قد خرج من القبور فلما جلسنا بين يديه بدأ الشيخ الشاب بالسلام والكلام والمصافحة وأبدى له البشر والترحيب من دوننا فقال الشاب ياسيدي ان الله جعلكم أطباء للقلوب ولاوجاع الذنوب وان بي جرحا أغفل دواءه فكن أو أفضل فان قدرت ان تلطف ببعض مراهمك فافعل وأنشد يقول شعرا
ان داء الذنوب داء عظيم
كيف لي بالخلاص من داء ذنبي
هل طبيب مناصح لي فاني
أعجز الخلق والاطباء طبي
آه واحزني ويا طول حزني
من وقوفي اذا وصلت لربي
وانقطاع الجواب مني ولما
وبلائي قد جل عن كل خطب
فقال له الشيخ سل عما بدا لك فقال الشاب ياسيدي ما علامة الخوف من الله تعالى فقال ان تؤاسك خوفه من كل خوف قال فقر الفتى

من الدهور والازمان مالا يجهله ذو علم بايام الناس وأخبارهم * وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب ان صاحب موسى بن عمران الذي أمر بطلبه والاقتباس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالامور الماضية والباقية وموسى بن عمران الحاني في عصره مشهور الذكر كان مشهورا الذكر بعد ما ان جده انريدون ذل هذا على خطأ من قال انه أرميا بن حلقيا لان أرميا كان في أيام بختنصر وبين عهد موسى وبختنصر من المدة ما لا يخفى على أهل العلم اللهم الا أن يكون الامر كما قاله من قال انه كان على مقدمة ذي القرنين صاحب ابراهيم عليه السلام فشرب من ماء عين الحياة فلم يمت في أيام ابراهيم ومن بعده الى ايام ناشئة بن أموص فبعث حينئذ نبيا والله أعلم والصحيح انه نبي معمر محجوب عن الابصار

(وروى) محمد بن المتوكل عن ضمرة بن عبيد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان في كل عام في الموسم وأخبرني محمد بن القاسم أخبرنا أبو بكر محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد ابن يعقوب قال أخبرنا يزيد بن سمعان بن دهان الواسطي أخبرنا علي بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال ان الخضر والياس لا يزالان حيين في الارض ما دام القرآن فيها فاذا رفع القرآن ماتا وأخبرني أبو عمرو العمراني أخبرنا أبو أحمد بن محمد علي الرازي أخبرنا ابراهيم بن اسحق الانماطي أخبرنا أبو همام الوليد بن شجاع السلمي أخبرنا عمر بن عبد الواحد السلمي عن ابن ثوبان عن بعض اهل العلم عن أنس بن مالك قال بينما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بصوت يجيء من شعب فقال يا أنس انطلق فابصر ما هذا الصوت قال فانطلقت فاذا رجل يصلي ويقول اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمته بذلك فقال لي انطلق فقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ورسول لك من أنت فاتيته فاعلمته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له اخوك الخضر يقول لك ادع الله أن يجعلني من أمتك المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها

(ورجعنا الى حديث موسى وفتاه) قالوا فاتى موسى وفتاه الى الخضر وهو قائم يصلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بارضك السلام فقال أنا موسى فقال موسى بني اسرائيل قال نعم قال يا موسى لقد كان في بني اسرائيل شغل قال وما شغلهم قال ربي أرسلني اليهم لا بعلم أعلمهم من علمك ثم جلسا يتحدثان فاطال موسى جلوسه عند الخضر فقال الخضر يا موسى ما طول بك جلوسك عندي قال أنك أعلم أهل الارض ما علمك وعلمي وعلم جميع الاولين والآخرين في جنب علم الله تعالى الا مثل ما يأخذ الذي حلته انطلاقه بمنقاره فذلك قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا أي نبوة وحكمة وعلما لدنا علما

(وقال ابن عباس) كان الخضر يعلم علم الغيب فقال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا اني أعلم علما علمنيه الله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا يعني على علم لم تعلمه قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا وأبين لك شأنه فانطلقا يسيران على الساحل فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجأ موسى الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا أي عجبا منكرا قال الخضر ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال موسى لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا يعني لا تكلفني ولا تضيق علي أمري (قال ابن عباس) لما خرق الخضر السفينة نفض موسى ناحية ثوبه وقال في نفسه ما كنت أصنع بصحبة هذا الرجل كنت في بني اسرائيل أتاو عليهم كتاب الله غدوة وعشية وأعلمهم فيقول له الخضر يا موسى أتريد أن اخبرك بما حدثت به نفسك قال نعم قال فلعلك كذا وكذا قال صدقت

ان تحتمل مني قال والذي بارب أعرني اياه حتى أرجع من مجاهدتي الى قريتي فليس معي شيء قال فما تم كلامه حتى قام النهر في أطلال ما

عز وجل وعزتي وجلالي ان كان مدد طولك الجنة فقد قبلته فانا أرسل الملائكة وأعفو عن المذنبين امضوا بعبدي الى الجنة برحمتي وأنا أرحم الراحمين اللهم ارحمنا كما رحمته وارحم جميع المسلمين (وحكى عن أبي العباس الخضر عليه السلام) أنه قال كنت بصنعاء اليمن في مسجد عبد الرزاق الواسطي وكان من أكابر العلماء والاولياء أجتمع معه ما يقرب الى شاب معمر دينا حسنة من المسجد مشتمل بنفسه واضعا رأسه بين ركبتيه ساكتا ليله ووكزته وقلت ما هذا لم لا تتحدث بجلس نبيه الرزاق تسمع ونسمع يقول جل قد سمعته من الله عز وجل وأنا هنيء ذلك له قلت له ان كنت صادقا فمن أنا قال ان صحت الفراسة فانت الخضر عليه السلام ثم غاب عن بصري فلم أره نفعنا الله تعالى به آمين

(وحكى عن عبد الله التستري رضي الله تعالى عنه) أنه قال غزا والدي سنة من السنين مع المجاهدين في سبيل الله تعالى قال فلما كان بين الصفين وقع النهر الذي

وانطلق الى باب المدينة ونادى النصيحة فادخل على الملك فقال له ما نصيحتك فقال رأيت ابلك في موضع كذا وكذا وصنع بي كذا وكذا فقال له من يعلم ذلك فلان كان رفيقي فبعث اليه وسأله عما قال فقال أما ركوب البحر فقد ركبنا جميعا وقد انكسرت بنا السفينة وصرنا على لوح من ألواحها فلم نزل الامواج تضربنا حتى صرنا الى الساحل فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الارض والثمر ترفعنا أرض وتضعنا أخرى حتى انتهينا الى منازلنا فقال له الغادر ابعث معي رسلك حتى أدفعه اليك وتعلم ان هذا قد كذب فامر بالرجل الكاتم فحبس ووعده بالصلب ان وفى صاحبه بما قال ووعد الغادر بالصلب ان هو كذب ولم يأته به فبعث معه رسلا فركبوا البحر حتى انتهوا الى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيأ فرجعوا بالرجل الى الملك وقالوا هذا أكذب خلق الله ما رأينا مما قال شيأ فصلبه وخلى عن الآخر ثم ان أهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المعاصي حتى غضب الله عليهم قال جبريل عليه السلام فبعثني الله تعالى اليهم فادخلت جناحي تحتها واقتلعتها فرفعتها حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرني فقلبتها فجعلت تهوي بمن فيها حتى انتهت الى وجه الارض فبقي بيت الرجل الكاتم والمرأة الكاتمة من جانب سالمين ثم انطبقت الارض بمن فيها فلم ينج منهم غيرهما فهما لا يدوران في حدود المدينة فلا يلقى كل واحد منهما غير صاحبه فلما ان كثر ذلك قال الرجل أيتها المرأة قد رأيت ما أصاب القوم وانه لم ينلك غيري وغيرك فبأي شيء تنجوننا فاخبريني وأنا أخبرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فتصادقا فاذا قصتهما واحدة واعتناهما الكتمان فقال لها هل لك أن تزوجيني نفسك ونخرج الى مدينة من هذه المدائن فاكتسب عليك ولك وتكتسبين علي حتى يقضي الله من أمرنا ما يشاء ففعلت فذهبا الى مدينة فرعون من الفراعنة فاتخذا لهما بيتا وولد لهما أولادا وتلاقت المرأة آل فرعون وصاروا ماشطة لهم فحظيت عندهم فبينما هي ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك اذ سقط المشط من يدها فقالت بسم الله تعس من كفر بالله ففزعت الجارية من ذلك وقالت لها من الله قالت لها ربي فقالت لها وان لك ربا غير أبي فقالت نعم هو ربي وربك وأبيك وربكل شيء فذهبت الجارية ودخلت على أبيها وقالت تعلم ان فلانة تقول قولا عجبا تقول كذا وكذا فارسل اليها فحضرت فقال لها ماهذا الذي بلغني عنك فقالت هو ما بلغك قال فهل أحد يقول بقولك قالت نعم بعلي وصبيتي فبعث اليهم واحضرهم فاذا هم يقولون قولا واحدا فقال لهم انا لا نقركم على ما أنتم عليه حتى ترجعوا الى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت صانع فامر بقدر من نحاس عظيمة فملئت ماء ثم أشعل تحتها حتى اضطرب الماء ثم دعا بالصبية فعرض عليهم واحدا واحدا ليكفروا فابوا أن يكفروا فاخذهم وطرحهم في القدر ثم انه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فابى فالقاه في القدر ثم دعا بالمرأة وقال لها ان لك علينا حقا فان أنت رجعت الى ديننا والا ألقيناك في القدر فقالت له اصنع ما أنت صانع ثم انها قالت له لي اليك حاجة قال وما هي قالت اذا صنعت ما أنت صانع فربيتنا أن تحفر فيها حفرة ثم تامر بالقدر فتحمل بعاديها ثم يأتون بهم امنزلنا فيكب ما في القدر في الحفرة ثم يعاد علينا التراب ثم يهدم علينا البيت ففعل ذلك فهذه الراتحة راتحة المسك تسطع من بيتهم الى يوم القيامة فهذه قصة الخضر مع أبيه وبدو أمره وكان في زمن افريدون الملك ابن اثفيا على قول عامة أهل الكتب الاولى وقيل انه كان على مقدمة ذي القرنين الاكبر الذي كان في زمن ابراهيم عليه السلام وهو الذي قضى ببئر اليسع وهي بئر كان احفرها ابراهيم عليه السلام لماشيته في صحراء الاردن وان قوما من أهل الاردن ادعوا الارض التي احتفر فيها ابراهيم عليه السلام فاحكمهم ابراهيم عليه السلام الى ذي القرنين الذي كان الخضر على مقدمته أيام مسيره في البلاد وانه بلغ مع ذي القرنين ثم راحياة وشرب من ماء وهو لا يعلم به ولا يعلم ذو القرنين ومن معه في محلته فلد وهو في الحياة الى الآن وقيل ان ذا القرنين الذي كان على عهد ابراهيم عليه السلام وكان الخضر عليه السلام على مقدمته هو افريدون الملك وزعم بعضهم ان الخضر من ولد من كان آمن بابراهيم خليل الرحمن واتبعه على دينه وهاجر معه من أرض بابل

(وروي) محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان الخضر هو ارميا بن خلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الذي بعثه الله نبيا في أيام ناشئة بن اموص ملك بني اسرائيل والقول الاول أشبه بالحق وأولى بالعدل والصدق لان ناشئة بن أموص كان في عصر كرفيث ابن كراراشت في أيام بختنصر وبين افريدون وكرفيث

الوديعة يا أبا القاسم فقلت له وكيف ذلك أخبرنا أيها الشاب بحالك فقال يا سيدي

ني كنت في مقربة
سني فلان فهتف بي
ما تقف ان تم الى الجنيد
واستلم ما عنده من
الوديعة التي تركها
لك فلان وهي كذا
وكذا فانك قد جعلت
مكانه من الابدال قال
الجنيد فرفعت اليه
تلك الوديعة ونزع ثيابه
واغتسل ولبس المرقعة
وأخذ الركوة والعصا
وتوجه نحو الشام فلم
أره رضي الله تعالى عنه
ونفعنا به آمين

(وحكي عنه أيضا رضي الله تعالى عنه) انه قال كان لي مسجد وكان بجانبه بيت شرطي كنت أعرف منه أخذ أموال المسلمين فلما حضرته وفاة أتوابه الى مسجدي لاصلي عليه فامتنعت من الصلاة عليه وقلت خذوه عني وصلوا عليه في أي مسجد كان بعيدا عن مسجدي فاخذوه ومضوا به من عندي فلما كان الليل رأيت الشرطي وعليه ثياب خضر وهو يتجبر في الجنة قال الجنيد فقلت له ألست الذي طردتك بالامس فقال نعم فقلت له اخبرني بحالك فقال لما كان من أمري ما كان وطردتني وامتنعت من الصلاة علي دخل عندي رهب

اشهد أني بعته نفسي ومالي بان لي الجنة فقلت له يا غلام ان سعد السيف أشد من ذلك وأنت صغير السن يخاف عليك ان لا تصبر

الملك فقال أكثر العلماء اسمه جلندى وكان كافرا وقال ابن اسحق كان اسمه منواه بن جلندى الازدي وقال شعيب الجبائي كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان اهذا الملك ثلثمائة وستون قصرا في كل قصر امرأة قال فلما جاوزوا الملك سد الخضر خرق السفينة ورمى بها وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أي فعلمنا أن يرهقهما بطغيانه وكفره فيحملهما على دينه (فأردنا) قبل أن يدرك فيدعو أبويه الى الكفر فيجيباه ويدخلا معه في دينه (أن يبدلهما ربهما) له وفصل خشي على الغلام أن يعمل عمل الفساق فيتعاقل ابواه فيدخلان النار فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وصلاحا وأقرب رحما (قال ابن عباس) يعني وأصلا للرحم وبرا بوالديه فابدلهما الله جارية ولدت أحد عشر نبيا وقال ابن جريج أبدلهما بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وقال قتادة في هذه الآية قد فرح به أبوا مؤمنين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فرضا المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره خير له من رضاه فيما يحبه وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة واسمهما أصرم وصريم وكان تحته كنزلهما واختلفوا في ذلك الكنز ما هو فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان صحفا مدفونة تحته فيها علم وقال الحسن ومجاهد وجعفر بن محمد كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يجمع وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون كان ذلك الكنز مالا دل عليه ما أخبرنا أبو بكر الخسادي المزكي أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن قديوس الطرائفي أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا صفوان ابن صالح الدمشقي أخبرنا بزيد بن مسلم الصنعاني عن يزيد بن يزيد عن مكحول عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان ذهبا وفضة وكان أبوهما اسمه كاشح وكان سابعا سبعة آباء تقيا أمينا فحفظ الصلاح أبيهما ولم يذكرهما بصلاح وكان بينهما وبين الاب الذي حفظا به سبعة آباء (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال ان الله عز وجل ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبعقبه التي هو فيها والدويرات التي حوله فما يزالون في حفظ الله وستره وعن سعيد بن المسيب أنه كان اذا رأى ابنه قال يا بني لأزيدن في صلاتي من أجلك لعلي أحفظ فيك ويتلو هذه الآية (أخبرنا) يحيى بن اسمعيل بن سلمة قال كانت لي أخت اسمها منيرة فاخطبت وذهب عقلها فتوحشت وكانت في غرفة في أعلى سطوحنا فلبثت كذلك بضع عشرة سنة وكانت تصعد ذهاب عقلها تقوم على الصلاة والطهور فبينما أنا نائم ذات ليلة اذا أنا بباب بيتي يدق نصف الليل فقلت من هذا فقالت أختك منيرة فقلت ليلك فضحت فتحت الباب ودخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من عشرين سنة فقلت يا أختي خيرا فقالت خيرا يا أخي بت الليلة فأتاني آت في منامي فقال لي السلام عليك يا بنة السلام فقلت وعليك السلام فقال لي ان الله قد حفظ أباك اسمعيل بن سلمة بن كهيل بحفظ الله بأبيك اسمعيل فان شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وان شئت صبرت ولك الجنة فان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد نشدا الله تعالى لما ذهب أبيك وجسدك اياهما فقال ان كان ولا بد من اختياري احدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة وان الله واسع الفضل لطيف لا يتعاظمه شئ في حكمه لو شاء لجمعهما لي قالت فقيل لي قد جمعهما الله لك ورضي عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر فانزل فان الله اذهب ما كان بك (ويحكى) عن بعض العلوية انه دخل على هرون الرشيد وقد هم بقتله فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بم دعوت حتى نجاك الله قال مات بي من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما استفتحت به لصلاح آبائي فارادوا بذلك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما المدفون تحت الجدار رحمة من ربك وما فعلته عن أمري وما فعلته بأمر الله تعالى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويقال ان الخضر موسى على الخضر خرق السفينة وقتل الغلام واقامته الجدار وحسبانا قال له يا موسى أتاوني على خرق السفينة مخافة

وتعجب من ذلك فقال الغلام يا عبد الواحد أبايع الله تعالى بالجنة ثم أعجز أن أشتري نفسي ومالي في سبيله قال عبد الواحد فتعجبنا من ذلك وقلنا صبي يعقل ونحن لا نعقل فخرج من عندنا وتصدق بجميع ماله في سبيل الله الا فرسه وسلاحه ونفقته فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا هو فقال السلام عليك يا عبد الواحد فقلت وعليك السلام يا حبيبي وبيع البيع ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا اذا نمنا حتى انتهينا الى بلاد الروم فبينما نحن جلوس اذا به قد أقبل وهو ينادي واشوقاه الى العيناء المرضعة فقال أدركوا هذا الغلام وسوروا وانتقلنا عقل فقال عبد الواحد فقلت له يا حبيبي ما هذه العيناء المرضعة فقال السلام يا سيدي اني غفوت غفلة فرأيت في منامي كأن منادا ينادي أن آت فقال لي اذهب الى العيناء المرضعة ثم أشذ بيدي وهجم بي على روضة فيها ماء غير آسن واذا على شاطئ ذلك النهر جوار عاجين من الدر والجمان مالا أقدر أن أصفه فاذا رأيتني اسمة تشمر بي وقل هذا ربيع العيناء المرضعة فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضعة فقلن نحن خدمها

بأذن الله تعالى فغزا والذي عليه فلما رجع قال يا ولدي بعد السريع عن المهر فقلت يا والدي انه عمر فان حتى يستريح فقال يا ولدي

فانطلقا عشيان حتى أتيا أيلة فاذا هما بغلمان عشرة فيهم غلام هو أطرفهم وأضوئهم وجها قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحلم وقال الضحاك كان غلاما يعمل الفساد فتأذى منه أبواه وقال الكلبي كان الغلام يسرق المتاع بالليل فاذا أصبح جاء الى أبويه فيحلفان دونه شفقة عليه ويقولان لقد بات عندنا واختلفوا في اسمه فقال الضحاك كان اسمه حسود وقيل الحسين وقال وهب بن منبه كان اسم أبيه ملاس واسم أمه رحمة قال فأخذه الخضر عليه السلام فقتله واختلفوا في كيفية قتله قال سعيد بن جبير أخذه فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وقال الكلبي صرعه ثم نزع رأسه وقال قوم رفسه برجله فقتله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار حتى قتله وفي رواية أخرى أدخل أصبعه في سرة الصبي فاقتلعها فمات فلما قتله قال موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا أي منكرا قال قتادة المنكر أشد وأعظم من الامر قال فغضب الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه فاذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن عبيد الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا يحيى أخبرنا قيس عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا فقال الخضر لموسى ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا أي في فراقي (أخبرنا) عبد الواحد بن حامد الوزان أخبرنا مكي بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا دعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب العجاب ولكنه قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا عشيان حتى أتيا أهل قرية واختلفوا في القرية قال ابن عباس هي انطاكية وقال محمد بن سيرين هي أيلة وهي أبعد أرض الله من السماء وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة والها ينسب النصارى قالوا فوافيا ها قبيل غروب الشمس فاستطعما أهلها واستضافاهم فأبوا أن يضيفوهما قالوا كانوا أهل قرية لئاما وقال قتادة في هذه الآية شر القرى التي لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة في تلك القرية قرى ولا ماء ولا مأوى وكانت ليلة باردة فالتجئوا الى مائط على شارع الطريق يريد أن ينقض أي يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن مر به أهل القرية ولا غيرهم من الناس الا على خوف منه وكان قد بناه رجل صالح وفي بعض الاخبار ان سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن وكان طوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فأقامه الخضر أي سواه وقال ابن عباس هدمه وبناه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه بيده ومنكبيه فاستقام فقال له موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرا ليكون لنا قوتا وبلغة على سفرنا اذا استضفناهم فلم يضيفونا فقال له الخضر هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ثم أخذ يعتذر له فقال اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر الآية قال كعب وغيره كانت لعشرة اخوة زمنى لم يكن لهم معيشة غيرها وتوهما من أيديهم خمسة منهم يعملون في السفينة في البحر وخمسة لا يطيقون العمل فاما العمال منهم فأحدهم كان مجذوما والثاني أعور والثالث أعرج والرابع أكمه والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي كانوا يعملون فيه ما بين فارس الى بحر الروم (ويروى) عن عكرمة قال قلت لابن عباس في قوله أما السفينة فكانت لمساكين كانوا مساكين والسفينة تساوي ألف دينار فقال ان المسافر مسكين وان كان معه ألف دينار ولهذا قيل ان المسافر وماله على قلة الا ما وقى الله تعالى فاردت أن أعيبها فقطعا طمع الطامعين فيها وقد فعل الشر هم وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وراءهم أي امامهم قال الله تعالى من ورائه جهنم ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون أي امامهم وقيل خلفهم لانه كان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون خبره فاعلم الله تعالى الخضر خبره وكان يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكذلك كان يقرأها ابن عباس نفرقتها وعيبها كي لا يتعرض لها ذلك الملك واختلفوا في اسم ذلك

الله عنه فلما أخذت السريع عنه وقع المهر في الحال ميتا وهذا من بعض كرامات رضي الله تعالى عنه * (وحكي عن بعض الصالحين نفعنا الله تعالى بهم) * أنه قال كان عندنا رجل نباش كان يسرق الاكفان من القبور فماتت امرأة من المتعبدات فصلى عليها كثير من الناس وصلى النباش معهم وخرجوا الى قبرها والنباش معهم ليعرف قبرها فلما جن الليل أتى النباش الى قبرها ونزل اليها فأطلقها الله عز وجل وقالت سبحان الله رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة معفور لها فقال النباش ان الله غفر لك فكيف غفر لي فقالت ان الله غفر لي ولمن صلى علي قال فخرج النباش من عندها وتاب الى الله تعالى وحسنت توبته بركتها ولزم العبادة حتى مات رحمة الله تعالى عليه وعلينا وعلى أموات المسلمين أجمعين * (وحكي عن عبد الواحد بن زيد رضي الله تعالى عنه) * أنه قال بينما نحن جلوس ذات يوم في مجلسنا اذ قد تهيأنا للخروج للغزو في سبيل الله تعالى وقد أمرت أصحابي ان يتهيؤا فقد أحدنا منهم في مجلسنا ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فقلت نعم فقال غلام يا عبد الواحد المال

يدعو الله لبين لهم أمر ذلك القتيل فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا جئتنا لنسألك عن القتيل فتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد الامرين في الظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين أي من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم ان ذبح البقرة أمر من الله تعالى قد لزمهم سألوه الوصف فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ولو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم لكنهم شددوا الامر على أنفسهم فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم تقديرا من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدي وغيره أن رجلا في بني اسرائيل كان بارا بأبيه وبلغ من بره ان رجلا أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفا وكان فيها فضل وربح فقال البائع أعطني ثمن اللؤلؤة فقال ان أبي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فامهلني حتى يستيقظ وأعطيك الثمن فقال أيقظ أبالك وأعطي المال فقال ما كنت لأفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف وأنظرني حتى ينتبه أبي فقال الرجل أنا أحط عنك عشرة آلاف ان أيقظت أبالك وجعلت النقد فقال أنا أزيدك عشرين ألفا ان انتظرت انتباهه فقال قبلت فقعد ولم يوقظ أباه فلما استيقظ أبوه أخبره بذلك فدعا له وجزاه خيرا وقال له أحسنت بابني وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة انظروا ما صنع الله به لاجل البر (وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من أهل الكتب) كان في بني اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجلة فأتى بالعجلة الى غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ثم مات الرجل وشبت العجلة في الغيضة حتى صارت عوانا وكانت تربض من كل ذرآها فلما كبر الابن وكان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل هو وأمه بثلثه ويعطي والدته ثلثه فقالت له أمه يوما اني ان أبالك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق اليها واعزم عليها بالله ابراهيم واسمعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من بين قرنيها وكانت اسمها المذهبة لحسن خلقها ووصفها ولونها وصفرتها فأتى الغيضة فرآها وهي ترعى فصاح بها الفتى وقال لها أعزم عليك بالله ابراهيم واسمعيل واسحق وبحقوبأن تردي علي فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فخبض على عنقها وفاه فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك أهون لك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك وانما قالت خذ بعنقها فقالت البقرة والله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر على أبدا فانطلق فالجبل أشرت الى الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق انطلق لبرك بوالدتك فانطلق الفتى فانا سنقبله عدو الله ابليس في صورة راع فقال له أيها الفتى اني راع من رعاة البقر اشتقت الى أهلي فأخذت ثوري من ثيراني وحملت عليهما زادي ومتاعي حتى اذا بلغت شطر هذا الطريق ذهبت لاقضي حاجتي فذهبا وما الي بهما قدرة عليه واني لاخشى على نفسي الهلكة فان رأيت أن تخدمني هذين الثورين وتحبني من الموت وأعطيك بقرتين مثل بقرتك فلم يطمئن الفتى وقال اذهب فتوكل على الله فلما علم الله تعالى اليقين من قلبه بلغ بلاده ولا راحلة فقال له ابليس لعنه الله ان شئت فبعنيها بحكمك وان شئت فاحملني عليها واعطيك عشرة أمثالها فقال له الفتى ان أحلم تأمرني بهذا فبينما الفتى كذلك اذ طار طائر بين يدي البقرة فنفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعاها الفتى وقال بسم الله اله ابراهيم فرجعت اليه البقرة وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر الى الطائر الذي طار فانه ابليس عدو الله احتلسني أما انه لو ركبني لما قدرت علي أبدا فلما دعوت بالله ابراهيم جاءني ملك فانتزعني من يد ابليس ورد الي البر لك بامك وطاعتك لها فاعلمها الفتى الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك وشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها فقالت بثلاثة دنانير لا تبعها بغير رضاي ومشورتي وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله الى الفتى ملكا ليريه خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتي فقال له الملك أنا أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى

ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها
فينبغي لك ان لا تأمن النارا * (وحكي عن عبد الواحد رضي الله تعالى عنه) * انه قال أصابني مرة في ساقي سنة من السنين فكنت أتحامل عليها للصلاة فغمت علي من الليل فاجتهدت وجعي منها فجلست ثم لففت ازاري في شراب ووضعت رأسي عليه ونمت فبينما أنا نائم اذا أنا بجارية تفوق الدنيا حسنا وهي تخطر بين جوار من ياقوت حتى وقفت على وأبي والجواري من خلفها ثم قالت لبعضهن ارفعنه ولا توقظنه فاقبلن نحوي واحتملني وأنا أنظر اليهن في منامي ثم قالت للجواري اللاتي معها افرشن له وهدنه ووسدنه قال عبد الواحد فافرشن لي نحو سبع فرش لم أر لهن في الدنيا مثلا ووسدن تحتي مرافق فحضر احسانا ثم قالت الاتي معلنني اجعلنه على الفراش رويدا قال فجعلته على الفراش وصرت انظر اليهن متعجبا مما أراه من شأني ثم قالت أين العلة فاشرت اليها فوضعت يدها عليها وقالت قم شفاك الله الى صلاتك

غرق أهلها ونسيت نفسك حين ألقتك أمك وأنت صغير في اليم ضعيف فذلك الله وتلومني على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير أمر وتلومني على ترك أخذ الاجرة في اقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسبا لاجل الملك الجبار (قال بعض أهل الاخبار) هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر حيث كان وفي التوراة فلما فارق موسى الخضر رجع الى قومه وهم في التيه (وروى) عن علي ابن أبي طالب وغيره ان موسى لما أراد فراق الخضر قال له الخضر استودعك الله ثم قال له موسى أوصني فقال له الخضر لا تكن مشاء في غير حاجة وأبان والحاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غد (وروى) ابو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينما الخضر يمشي في سوق من أسواق بني اسرائيل اذ لقيه مكاتب فقال له تصدق علي بارك الله لك فقال آمنت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون ما مضى من شيء أعطيكه فقال له الرجل تصدق علي بارك الله عليك فاني أرى الخير في وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون ما مضى شيء أعطيكه فقال له السائل اسألك بالله لما تصدقت علي فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون ما مضى شيء أعطيكه الا أن تأخذ بيدي وتدخلني في السوق فنبيعني قال الرجل وهل يكون مثل هذا قال الحق أقول انك سألتني بعظيم سألتني بوجه ربي وقد أجبتك فخذ بيدي وأدخلني السوق فبعني فأخذ بيد الخضر فأدخله السوق فباعه بار بعمائة درهم فلبث عند المبتاع أياما لا يستعمله في شيء فقال له الخضر استعمني فقال له انك شيخ كبير أكره أن أشق عليك قال لا يشق علي ذلك قال فقم فانقل هذه الحجارة من ههنا الى ههنا وكانت الحجارة لا ينقلها الا ستة نفر في يوم تام فقام ونقلها في ساعة واحدة وأمده الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر اني أراك أمينا ناصحا فاخلفني في أهلي قال نعم ان شاء الله تعالى فاستعمني في شيء قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك علي فقال اضرب لبنا بيده لقصر لي ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع من سفره اذا هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما أراد فازداد منه تعجبا وقال له من أنت قال أنا المملوك الذي كنت اشتريتني فقال له سألتك بوجه الله أن تخبرني من أنت فقال الخضر ان هذا القسم هو الذي أرقني في العبودية اما انا فسأخبرك أنا الخضر سألني سائل بوجه ربي ان أعطيه ولم يكن معي شيء أعطيه فامكنته من نفسي حتى باعني وباعني أن من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدي ربه وليس على وجهه لحم ولا جلد الا عظم يتقعقع قال فبكى ذلك الرجل وانكب عليه يقبله ويقول له بابي أنت وأمي شققت علي ولم أعرفك فاحكم علي في مالي وأهلي وان أحببت أن أخلي سبيلك فعلت قال نعم بل أحب أن تخلي سبيلي أعبد ربي وكان الرجل كافرا فأسلم على يديه وأعطاه أربعمائة دينار وخلى سبيله فأوحى الله اليه قد نجيتك من الرق وأسلم الكافر على يديك وأعطاك مكان كل درهم دينارا تعلم أن لا يخسر أحد في معاملتي فهذا آخر قصة الخضر وموسى وفتاه والله أعلم

(باب في ذكر قصة عاميل قتيل بني اسرائيل وقصة البقرة)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قال المفسرون وجد قتيل في بني اسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلفوا في قاتله وسبب قتله فقال عطاء والسدي كان في بني اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث له غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل ابنة عم له مالها في بني اسرائيل مثل في الحسن والجمال فقتله ابن عم لها ليتزوجها فلما قتله حمله من قرية الى قرية أخرى فألقاه هناك وقال عكرمة كان لبني اسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جر الى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثاره ويدعيه عليه وقيل ألقاه بين القريتين فاختصم أهلهما وجاء أولياؤه الى موسى وأتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوه القصاص فسألهم موسى عن ذلك فجحدوا ولم يكن لهم بينة فاشتبه أمر القتيل على موسى ووقع بينهم قتال واختلاف وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن

لو كنت أصلحت قبل هذا لعيالك أو تيتهم من قريب تغنى عن البغى والتعدى * وأنشد (١٢٩) فى الغى كالراعى يسيء

والتابوت والسكينة وقربانا القربان وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود الملبسة عليها وأن تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القربان وسبيلها التى تقدم من أصواف تلك الذبائح وعهد اليه أن لا ينزل تلك الجبال حائض ولا يذبح تلك الجلود جنب وأمره أن ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها أربعون ذراعا ويجعل فيها اثنى عشر مسمارا فاذا انتضى وصار اثنى عشر جزأ جعل على كل جزء مما فيه من العمد سبط من أسباط بنى اسرائيل وأمره أن يجعل سعة تلك السرادقات ستمائة ذراع فى ستمائة ذراع وأن ينصب فيه سبع قباب ستة منها مشتبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منهن منصوبة على عمود من فضة طوله أربعون ذراعا وعليها أربعة سوت من ثياب حلالا الباطن الاول سندس أخضر والثانى أرجوان أحمر والثالث دباج والرابع من جلود القربان وقبابها من المطر والغبار وجبالها التى تحمل منها من صوف القربان وأن يجعل سعتها أربعين ذراعا وأن ينصب فى جوفها سوائد من فضة مرصعة يوضع عليها القربان سعة كل مائدة منها أربعة أذرع فى أربعة أذرع كل مائدة منها على أربع قوائم من فضة كل قائمة ثلاثة أذرع لا ينال الرجل منها الا قائما وأمره أن ينصب بيت المقدس على عمود من ذهب طوله سبعون ذراعا يشتمل على سبكة من ذهب أحمر طولها سبعون ذراعا مرصع بأنواع الجواهر وأن يجعل أسفله مشبكا بقضبان الذهب والفضة وأن يجعل حبالها التى تقدلها من أصواف القربان وأن يجعل مصبوغا بألوان من أحمر وأصفر وأخضر وأن يبلغ سبعة من الجلال حلالا الباطن الاول منها سندس أخضر والثانى أرجوان أحمر والثالث من الدباج الاصفر والرابع من الحرير الاصفر وكذلك أثواب نحوها وسائرها من الديباج والوشى والظاهر لها غشاء من جلود القربان وقبابه من الاذى والندى وأمره أن يجعل سعته سبعين ذراعا وأن يفرش الغشاء بالقز الاحمر وأمره أن ينصب فيه تابوتا من ذهب كتابوت الميثاق مرصع بألوان الجواهر والياقوت الاحمر والاشهب والزمرذ الاخضر وقوائمه من ذهب وأن يجعل سعته سبعة أذرع فى أربعة أذرع وعلوه قامة موسى وأن يجعل له أربعة أبواب باب تدخل منه الملائكة وباب يدخل منه موسى وباب يدخل منه هرون وباب يدخل منه أولاد هرون وهم سدنة ذلك البيت وخزان التابوت وأمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يأخذ من كل مقتلم قبل من بنى اسرائيل مقتالا من ذهب فينفقه على هذا البيت وأن يجعل باقى ذلك المال الذى لا يحتاج اليه من الحلى والحلل التى وزنها الله بنى اسرائيل لموسى وأصحابه من فرعون وقومه حين فى أرض بيت المقدس ففعل ذلك فبلغ عدد بنى اسرائيل ستمائة ألف وسبعة وستين رجلا فأخذ منهم ذلك المال وأوحى الله اليه انى منزل عليكم من السماء نارا لا دخان لها ولا تحرق شيأ ولا تلف أبدا تأكل القربان المتقبل وتسرج القناديل التى فى بيت المقدس وبنى من ذهب معلقة بسلاسل من الذهب منظومة من الياقيت والدر وأنواع الجواهر وأمره أن يتخذ فى وسط البيت صخرة عليها من الرخام ويقرن بها شفرة لتكون كانون تلك النار التى تنزل من السماء فدعا موسى أسباط هرون وقال له ان الله قد اصطفانى بنار تنزل من السماء تأكل القربان المتقبل وتسرج منها القناديل وأوصانى بها وانى قد اصطفيتك بها وأوصيتك بها فدعا هرون ابنه وقال لهما ان الله تعالى قد اصطفانى وبنى بأمر وأوصانى به وانه قد اصطفانى له وأوصانى به وانى قد اصطفيتكما له وأوصيتكما به وبأن أولاد هرون هم الذين يكونون سدنة هذا البيت وأمر القربان والنيران فشمروا ذات ليلة حتى تمموا البيت وأمروا القناديل منه هذه النار التى فى الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فرفعته اليه موسى وهرون يدفعان عنهما النار فلم يمنعا منهما من أمر الله شيأ فأوحى الله تعالى الى موسى هكذا أفعل بمن عصانى ممن يعرفنى فكيف أفعل بمن لا يعرفنى من أعدائى وهذا آخر القصة والله أعلم

(باب فى ذكر مسير بنى اسرائيل الى الشام حتى جاوزوا البحر وصفة حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا الآيات اختلفت عبارات المفسرين فى الارض المقدسة ما هى فقال مجاهد هى الطور وما حوله وقال مقاتل هى ايليا وبيت المقدس وقال عبد الله بن عمر الحرم بحرمه بقداره من السموات والارض والبيت المقدس مقدس بقداره

قال عبد الواحد فدهشت عند سماع ذلك وقلت لها يا سيدتى انى أرى هذه الاغنام مع الذئاب ترعى فلا الغنم تخاف من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم فقالت الملك يحمى بإذن الله فانى أصلحت ما بينى وبين سيدى فأصلح ما بين الذئاب وغنمى قال فخرجت من عندها وقلت من أطاع الله أطاعه كل شىء نفعنا الله تعالى بهم وغفر لنا ببركاتهم وأسرارهم ومددهم آمين * (ويحكى عنه أيضا رضى الله تعالى عنه) * انه قال اشتريت غلاما للخدمة فلما كان الليل طلبته فلم أجده ورأيت الابواب مغلقة على حالها فلما أصبحت أتانى بدراهم فدفعها الى وقال اكتب باعلى سورة الاخلاص فعلم القدرة الربانية فقلت له يا غلام من أين لك هذا فقال يا سيدى لك عندى فى كل يوم مثل هذا بشرط انك لا تطلبنى فى الليل فقلت له نعم فكان يجيء كل ليلة ويأتى بعد صلاة الصبح بذلك الدرهم المكتوب قال فمكث على ذلك مدة من الزمان فبينما أنا جالس بين الناس اذ مات فى بعض أصحابى وقال يا ابن زيد أما غلامك هذا فانه نباش

لو أعطيتني ورنها اذهب بالم آخذه الا برضا أي فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاي فانطلق الفتى بالبقرة الى السوق فأتى الملك فقال له الملك استأمرت والدتك قال الفتى نعم أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها فقال له الملك اني أعطيتك اثني عشر دينارا على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فأخبرها بذلك فقالت ان ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرني أن أبيع هذه البقرة أم لا ففعل الفتى ذلك فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل ولا تبيعيها الا بملء مسكها دنانير فامسكا البقرة وقد رالله على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي وما سمتها قال موسى انه يعني الله يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر أي لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف بين السنين فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها وتعجبهم من حسنها وصفائها لان العين تسر وتولع بالنظر الى الشيء الحسن وقال علي بن أبي طالب من لبس نعلا صفراء قل همه لان الله تعالى يقول صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أسائبة أم عاملة ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لولم يستثنوا لما قبلت منهم الى آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث مسلمة بريئة من العيوب لا شية فيها قال عطاء لا عيب فيها وقال قتادة لا بياض فيها أصلا وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف معظم لونها قال فلما قال لهم موسى هذا قالوا الآن جئت بالحق أي بالوصف الثابت التام البين فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها الا عند الفتى البار بأمه فاشتروها منه بل مسكها ذهبا وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلاء ثمنها وقال القرطبي وما كادوا يذبحونها لاجتماع أوصافها وذلك قوله تعالى واذ قتلتم نفسا يعني عاميل وهذه الآية أول القصة فادارأتم فيها أي فاختلفتم فيها والله مخرج أي مظهر ما كنتم تكتمون أي تخفون فقلنا اضربوه يعني القتيل ببعضها أي ببعض البقرة واختلفوا في هذا البعض ما هو قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل وقال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل وهذا أولى الاقاويل لان المراد من احياء القتيل كلامه واللسان آلة وقال سعيد بن جبير بعجب ذنبها قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لان عجب الذنب أساس البدن الذي ركب عليه الخلق وهو أول ما يخلق الله وآخر ما يبلى وقال مجاهد بفخذها وقال عكرمة والكلبي بلحمها الايمن وقال السدي بالبضعة التي بين كتفيها وقيل باذنيها ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه قال الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى كما أحيا عاميل بعد موته وريكم آياته دلائل قدرته وشواهد حكمته لعلكم تعقلون قالوا فلما كان من أمر عاميل ما كان أوحى الله تعالى الى موسى أن يتوجه الى الارض المقدسة ببني اسرائيل لينظر الى كل قتيل يوجد بين قريتين أو محلتين فيأخذ أقرب القريتين اليه ويلزمهم الدية فان علموا قاتله سلموه الى أهله وان لم يعلموا تخيروا خمسين رجلا من شيوخهم وصلحائهم ثم ليأخذوا بقرة محولية يذبحونها بيعان وادي سيحه لهم ثم تضع الخمسون رجلا أيديهم عليها ثم ليحلفوا بالله العظيم رب السموات والارض الله بني اسرائيل واسحق ويعقوب واسمعيل انا ما قتلناه ولا علمنا له قاتلا فاذا حلفوا برئوا من دمه وأدوا ديته الى أوليائه فلم يزل موسى يقضي بالقسامة بينهم الى أن مات وكذا بنو اسرائيل حتى جاء الاسلام فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسامة والله أعلم

(باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك)

قال الله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار الآية (أنبأنا) محمد ابن عبد الله بن حمدويه باسناده عن وهب بن منبه قال أوحى الله الى موسى أن يتخذ مسجدا لجماعتهم وبيت قدس للتوراة

عنه الملائكة ثم رفع رأسه فجاءه الشيطان وقال له امض لوجهك فان ربك يستجيب لك ولو لم يرد ذلك لما رجعت عنك الملائكة ولما خلوا سبيلك فركب أثانه وخلى الله سبيلها فانطلقت به حتى أشرفت على جبل حسان فجعل لا يدعو عليهم بشئ من الشر الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه آتدري ما تصنع يا بلعام انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا أمر لا أملك منه شيأ قد غلبني الله عليه فانطلق لسانه فوقع على صدره فعلم ما حل به فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسامر لكم وأحتال فجاءوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى العسكر يعرضن فيه ويشترين وأمروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم لو زنى رجل منهم كفيتموهم فلما دخلت النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كبشا بنت صور بارجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن سالوم من سبط شمعون بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فقام اليها وأخذ بيدها فجاء بها حتى أجلسها بين يدي موسى وقال اني سائلك أن تتول هذه حرام عليك فقال أجل هي حرام عليك لا تقربها قال والله لا أطيعك في هذا ثم انه دخل بها قبته فواقعها فارسل الله الطاعون على بني اسرائيل في الوقت وكان فحاص ابن عيزار بن هرون صاحب موسى رجلا قد أعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري ابن سالوم ما صنع فجاء والطاعون يحوس في بني اسرائيل فانتبر الحربة فاخذ حربته وكانت حديدا كلها ثم دخل عليهما القبة وهما مضاجعان فانتظمهما في حربته ثم خرج بهما رافعهما بيده الى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة على ليته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون عنهم فحسب من هلك من بني اسرائيل من الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة الى أن قتل فحاص فوجدوه قد أهلك منهم سبعين ألف نفس في ساعة واحدة فمن هنالك يعطي بنو اسرائيل لبنيه من كل ذبيحة ذبحوها الخاصرة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذها بذراعه واسناده اياها الى لحيته والبكر من كل أموالهم لانه كان بكر العيزار بن هرون فبين بلعام أنزل الله تعالى وانزل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية (قال مقاتل) ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى والاقتلناك فقال انه من أهل ديني ولا أدعو عليهم فبعث شيطانه فلما رأى ذلك خرج على أتان له تبدو عليه فلما عاين عسكرهم قام بها الاتان ووقفت فضربها فقالت له لم تضربني وأنا مأمورة فلا تظلمني وهذه نار أمامي تمنعني أن أمشي فرجع فاخبر الملك فقال له لتدعون عليه والا لاقتلنك فدعا على موسى بالاسم الاعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرائيل في التيه بدعائه فقال موسى يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه قال بدعاء بلعام فقال موسى يا رب كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه أن تنزع منه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله مما كان به ونزعه منه فذهبت المعرفة فقربت حمامة فباضت على رأسه فنزل الله تعالى هذه الآية (وقال آخرون) هو نبي من بني اسرائيل يقال له بلعام أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت فتعلل وتركهم على ما هم عليه (وقال) عبد الله بن عمرو زيد بن أسلم وأبو روق أنزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي كانت قصته أنه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكان تصديق أهل الكتاب له فلما وجم من بقتلى بدر فسألهم عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه فلما مات أمية أتت أخته فارعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة أخيها فقالت بينما هو واقد اذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى قال وعى قال أزكا قال زكا قال فسألته عن ذلك فقال خير أريبي ثم فطرت عينه ثم غشي عليه فلما أفاق قال

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر امره الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي * في فلال الجبال ارعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا طيبيه من شعرك سألتك بالله ان تنشدي شعرا خبيثا فانشدته

خر لوجهه تعالى قال وكان خلف باب الدار بحر عظيم فانطلق به الباب فقال يا سيدي خذ هذا فإني وأنت مأجوران شاء الله تعالى واذا بالبحر صار ذهبا فدهش ثم سمى ذلك وأمر عند ذلك أصحابي لا تقصوا عليهم ما رأيتم فطرى الغلام الباب فخرجت اليه ابنتي الصغيرة وقالت ياعبد السوء أين والدي أنت قتلته من أجل نبش القبور ثم لطمته على عينه لطمة فقلعتها فلما رجعت الى المنزل وجدت الغلام على تلك الحالة فعلمت ان ذلك فعل ابنتي الصغيرة فقطعت يديها ثم أخذت في الاعتذار اليه فاخذ الغلام يشمه بيده ويشمها كلما أومى بها الى السماء فاذا هي أحسن ما كانت ثم أخذ يدها فوضعها على عينها فاذا هي كما كانت فلما رأيت ذلك منه قلت له هذا لباس الملوك لا لباس القبور ثم ذهبت العلام من بقي فرأته على فراشه ولم أدر أين ذهب رضي الله تعالى عنه (وعن علي رضي الله تعالى عنه) أنه قال ركبت في مركب ستة من الصحابة وهي جانحة من التيار فثارت علينا ريح شديدة حتى طرحتنا الى جزيرة من جزائر البحر فاذا رجل فيها يعبد صنما فلما رأيناه قلنا له يا رجل ماذا تعبد فاومأ الى الصنم فقلت له ان الهك هذا لمصنوع يأكل ويشرب ويحدث ويموت فقال ويلك فما تعبد فقلت نعبد الله الذي في السماء عرشه في الارض بطشه في البحار سبيله في الجنة رحمته في النار عذابه في القبور قضاؤه في الارحام تصويره في الاصلاب تقديره في الاجساد تدبيره في الاحياء والاموات قضاؤه وقدرته تقديره

من السموات والارض وقال عكرمة والسدى هي أريحا وقال الكلبي هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقال الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وقال قتادة هي الشام كله

(فصل في فضل الشام وأهله) قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع اذ قال طوبى لاهل الشام قيل يارسول الله ولم ذلك قال ان ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم عن عبد الله بن حوالة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله لا يزال هذا الامر فيكم حتى يفتح لكم الله أرض فارس والروم وأرض حمير وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن فقلت يارسول الله اختر لي ان أدركني ذلك فقال أختار لك الشام فانها صفوة الله تعالى من بلاده واليها يجتبي صفوته من عباده يا أهل الاسلام عليكم بالشام فان صفوة الله من الارض الشام وان الله تعالى قد تكفل لي بالشام وأهله وقال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قسم الله الخير عشرة أجزاء فجعل منه تسعة أجزاء في الشام و واحدا في العراق وقسم الشر عشرة أجزاء فجعل منه تسعة في العراق و واحدا بالشام ودخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبي صلى الله عليه وسلم ونزل حمص تسعمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا وقال الكلبي صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فذلك قوله تعالى ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال ابن اسحق وهبها الله لكم مساكن وقال السدي أمركم أن تدخلوها

(ذكر قصة بلعام بن باعوراء)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية واختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو بلعام بن باعوراء بن باعر بن أيدين مارث بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهي مدينة الجبارين وسميت بلقاء لان ملكها رجل يقال له بالق بن صافوراء وكانت قصة بلعام على ماذكره ابن عباس وابن اسحق والسدي والكلبي وغيرهم أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام الى بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني اسرائيل وانا قوم لنا وبنو عم لك وجيران لك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاقدم الينا وأشر علينا في هذا الرجل العدو الذي قد أرهقنا فادع الله أن يرد عنا موسى وقومه فقال لهم بلعام ويلكم هذا نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف ادعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم وانى ان فعلت ذلك ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى قال لهم اصبروا حتى أستأمر ربي وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فتأمر في الدعاء عليهم في المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه اني قد آمرت ربي في الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أؤامر ثانيا فأمر فلم يجب فقال قد آمرت فلم يجب لي شيأ فقالوا والوكره ربك أن تدعو عليهم لنهالك كما فعل في المرة الاولى فلم يزالوا يرفقون به و يناشدونه و يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فقالوا لبعضهم اهدوا اليه فقال انهم أهدوا اليه هدية فقبلها وقال ان بلعام ابن باعوراء لما أبى أن يدعو على موسى وقومه اجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيأ الى امرأته وقالوا انها فقيرة وانه يصغى الى رأيها فانطلق عشرة من عظمائهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب ولؤلؤ ورقاقا فاهدوها لها فاقبلت على صاحبها وألحت عليه حتى قالت له ارجع الى ربك فاسأله أن يأذن لك في مؤازرتهم والدعاء على عدوهم فلم تزل به حتى استجاب فلم يجب اليه بشيء فقالت له انه قد حبرك في الدعاء عليهم ولو لم يأذن لك لنهالك قالوا فركب أتانا له متوجها الى جبل يطلع على عسكر بني اسرائيل يقال له حسبان وكانت مراكب العباد الاولين الا من فاسار عليها غير بعيد حتى ربضت به فنزل عنها وضربها حتى أذلقها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا أذلقها أذن الله تعالى لها في الكلام فجعلت عليه فقالت له ويحك يا بلعام أين تذهب ألا ترى أن الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا أتذهب الى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلما سمع ذلك خر ساجدا فلم يزل باكيا متضرعا حتى غابت

كل باب أشار اليه وأنا أنظر اليه فتبعته ومضيت خلفه حتى بلغ أرضا فلاة فنزع ثيابه ولبس صوفا وصلى الى الفجر فلما

ع من صلاته رفع سه نحو السماء وقال سيدي الكبير هات رة سيدي الصغير قع عليه من السماء رهم فأخذه فتحيرت أمره ودهشت من الله فقمت وتوضأت صليت واستغفرت الله سالى عما كان مني ويت عنقه ثم طلبته لم أجده فانصرفت زينا متحيرا وما كنت عرف ذلك الارض بينما أنا متحير اذا فارس قد أقبل على رس أشهب فقال يا عبد ما سبب جلوسك هنا فأخبرته بقصتي قال لا تعترض أتدري م بينك وبين بلدك لت الله أعلم فقال يرة سنتين للفارس عد المسرع فدهشت ن ذلك فقال لا تبرح ي هذا المكان حتى ي غلاما قال عبد واحد فمكثت يومي أن جن الليل فما قت الا وقد أقبل عه سفرة عليها من الطعام فقال لي سيدي كل ولا تعد لمثلها كنا فلما فرغنا قال سيدي الكبير هات رة سيدي الصغير ذا بدرهمين سقطا في ره فاعطانيهما ثم قام لي الى الفجر ثم أخذ بيدي وخطا بي خطوات يسيرة فاذا بي على باب مدينة فقال يا سيدي أنت في هذه المدينة فقلت لعم أنت منه

يحتجز السحاب و يشرب منه الماء و يتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفسه الهاشم بأكله
(و يروى) انه أتى نوحا في أيام الطوفان فقال له احملني معك في سفينتك فقال له اذهب يا عدو الله فانى لم أومر بك
فطبق الماء الارض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى
وكان لموسى عسكر فرمض في فرسخ فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها
ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطير فجعلت تنقر عما قبرها حتى قورت الصخرة وانثقبت فوقعت
في عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فأقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز الى فوق
عشرة أذرع فأصاب منه الكعب وهو مصروع في الارض فقتله قالوا فأقبل جماعة كثيرة ومعهم اطناجر
فجهدوا حتى حزوا رأسه فلما قتل وقع على نيل مصر فسرسنة قالوا وكانت أمه عنق هي احدى بنات آدم من صلبه
و يقال انها كانت أول من بغى على وجه الارض وكان كل أصبع من أصابعها طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين
في كل أصبع ظفران حادان مثل المنجلين وكان موضع ركبتها غربة من الارض وما بعث بعث الله اليها اسودا
كالفيلة وذئابا وثورا كالابل ونسورا كالحمر وسلطهم عليها فقتلوها وأكلوها (قالوا) فلما قيم عوج يعني
أصحاب موسى وكان على رأسه حزمة حطب أخذ الاثني عشر نقيبا وجعلهم في حزمته وانطلق بهم الى امرأته وقال
لها انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال لاطبخنهم برجلي فقالت له
امرأته لا تفعل بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا فافعل ذلك وخلى سبيلهم فجعلوا يتعرفون أسواقهم
وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة نفر بينهم في خشبة و يدخل في شفرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة أنفس
أو أربعة فلما خرجت النقباء قال بعضهم لبعض يا قوم ان كان أخبرتم بني اسرائيل خبر القوم فشلوا وارتدوا عن
نبي الله ولكن اكتموا شأنكم واخبروا موسى وهرون فيريان رأيهم فيهم فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك
ثم انهم انصرفوا الى موسى وجاؤا بحبة من عنبهم وشفرة من قشور رمانهم وأخبروه بما رأوا وأمروه ان انتخبا نكثوا
العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم واخبروهم بما رأوا من حالهم الا رجلين منهم وفيا بما
قالا وهما يوشع بن نون بن افرائيم فتى موسى وكالب بن يوفنا ختن موسى على أخته مريم بنت عمران فلما سمع
القوم ذلك من البواسيس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا نموت في هذه البرية
ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا أموالنا فنصيبها لهم ويجعل الرجل منهم يقول لاصحابه تعالوا نجعل
علينا رئيسا ونصرف الى مصر فذلك قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين الآية قال قتادة
كان لهم أجسام وخلق عجيب ليس لغيرهم مثله وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون
قال موسى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم فان الله سيفتحها عليكم وان الذي أنجاكم من آل فرعون
وفلق لكم البحر هو الذي يباغتهم و يناظركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه أمره وهموا بالانصراف
الى مصر فخر يوشع بن نون وكالب بن يوفنا الى القوم وهما اللذان أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة في قوله
تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة ادخلوا عليهم الباب يعني باب مدينة
الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده فلما رأيناهم وبحثنا عنهم فكانت أجسامهم عظيمة قوية
وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فاراد بنو اسرائيل أن يرجموهما بالحجارة
وعصوهما وقالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وروى أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صدعن البيت اني ذاهب بالهدى فناحروه عند البيت
فاستشار أصحابه في ذلك فقال المقداد بن الاسود الكندي انا والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب
أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معك مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك وبين يديك
ولو نهضت بحر الحضناه ولو تسنمت جبلا لاعنا ناه ولو ذهبت بنا الى برك الغماد يعني مدينة بالحبشة لجالدنا
ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثابرون معه على ذلك فأشرق لذلك وجه النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
لان أكون صاحب هذا المشهد أحب الي من الدنيا وما فيها (قالوا) فلما فعلت بنو اسرائيل ما فعلت من معصيتهم

وفيها قبة عظيمة وفي القبة سرير وعلى ذلك السرير جارية حسناء لم أر أحسن منها وهي تقول بالله الا ما علتم به فقد اشتد شوقي اليه فاستيقظت من منامي فوجدت الرجل قد فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه فغسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته فلما استقرت رأيته في المنام في تلك القبة على السرير والجارية بجانبه وهما يقرآن هذه الآية قال هذا فليعمل العاملون رضي الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم آمين

(ومنهم عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه) أنه قال بينما أنا أسير في نواحي الشام اذ وقعت عيني على روضة خضراء وفيها ماء يصلي تحت شجرة فتلك فتقدمت الى الموضع عليه فلم يرد علي السلام فسلمت عليه ثانيا فأومأ برأسه في صلاته وكتب بأصبعه في الارض هذه الشعر منع اللسان من الكلام لانه كهف البلاء وباب الآفات فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا لا تنسه واحمده في الحالات قال ذو النون فبكيت

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شيء أعلى منك مجدا وأمجد
مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة وأنشدته حتى أتت على آخرها ثم انها أنشدته قصيدته التي يقول فيها

عند ذي العرش يعرضون عليه * يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم تأتيه وهو رب رحيم * انه كان وعده مأتيا
يوم تأتيه مثل ما قال فردا * لم يذر فيه راشدا وغويا
أسعيد سعادة انا أرجو * أم مهان بما كسبت شقيا
رب ان تعف فالمعافاة ظني * أو تعاقب فلم تعاقب بريا
ان أؤاخذ بما اجترمت فاني * معترف ألفى من العذاب فريا

فقال صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فانزل الله تعالى فيه واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية وقال سعيد بن المسيب نزلت في أبي عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست عليها ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا فطريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل الى المنافقين اعدوا القوة والسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر وآتي بجند لنخرج محمدا واصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني انتظارا لمجيئه فمات في الشام طريدا وحيدا فريدا ومنهم من قال انها نزلت في البرسوس وكان رجلا قد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة ولد منها ولدا فقالت له اجعل لي منها واحدة فقال للشهادة دعوة فما تريدين قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل فدعا فجعلت أجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت أمنا كلبة تباح حتى ان الناس يعيرونهم بها فادع الله أن يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فصارت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها

(باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم حين بعثهم اياهم الى أرض كنعان يجوسوا له ولقومه)

قال الله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الآية وذلك أن الله تعالى وعد موسى أن يورثه وقومه الارض المقدسة وهي الشام وكان يسكنها العمالقة وهم الجبارون وهم العماليق ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ووعده الله أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني اسرائيل فلما استقرت بني اسرائيل الدار بمصر أمرهم الله بالمسير الى اريحاء من أرض الشام وهي الارض المقدسة فقال يا موسى اني قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصركم عليهم فخذ من قومك اثني عشر رجلا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به فاختار موسى من كل سبط نقيبا وأمر عليهم وهذه أسماؤهم من سبط روبيل شموع بن زكور ومن سبط شمعون شوقط بن حوري ومن سبط يوذا كالب ابن يوفنا ومن سبط جاد جابذ بن يوسف ومن سبط رابون حدي بن سوري ومن سبط أشير شاور بن ملكيل ومن سبط يقالي حي بن وقسي ومن سبط دان حلي بن وكيل بن خل ومن سبط لاوي خولا بن ملكا ومن سبط يوسف افرائيم ومن سبط افرائيم يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن سبط منشا حي بن موسى ومن سبط بنيامين ناطم بن زقون ثم انه سار ببني اسرائيل قاصدا أريحاء فبعث موسى اليها هؤلاء النقباء يتجسسون الاخبار له ويعلمون حالها واحوال أهلها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق

(فصل في ذكر جمل من أخبار عوج بن عنق وأحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشر بن ألف ذراع وثلثمائة وثلاثين ذراعا بالذراع الاول وكان عوج

ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فخبؤوا لغد فدود وفسد ما ادخروا وقطع الله عنهم ذلك قال تعالى وما ظلمونا أي أضرونا بالمعصية وعصيان النعمة الا مر ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستحقاقهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم الا مؤنة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعة في العقبى (أخبرنا) شعيب ابن محمد قال أخبرنا مكي بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن الازهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا عوف عن عبد الله بن جلاس بن عمير عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ولم يتبث الطعام ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها وعنها انهم عطشوا في التيه فقالوا يا موسى من أين لنا شرب فاستسقى لهم موسى فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك الحجر واختلف العلماء فيه فقال وهب كان موسى يقرع لهم أقرب حجر في أرض الجارة فيفجر منه عيون لكل سبط منهم عين وكانوا اثني عشر سبطا ثم نسيل كل عين في جدول السبط الذي هي لسقيهم فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرعن الجارة بالعصا ولكن كلموها تطعكم لعلهم يعتبرون وكان يفعل ذلك فقالوا كيف بنا اذا ذهبنا الى الرمل والى الارض التي ليس فيها جارة فامر موسى ان يحمل معه حجرا فحيثما نزل ألقاه وقال آخرون كان حجرا مخصوصا بعينه والدليل عليه قوله تعالى الحجر فادخل الالف واللام للتعريف والتخصيص كقولك رأيت الرجل ثم اختلفوا في ذلك الحجر ما هو فقال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا مثل رأس الرجل أمر ان يحمله فكان يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء أخرجه وضربه بعصاه فيتفجر عيونا كما ذكرنا فقالوا أبو روق كان الحجر من الكدان وكان فيه اثنا عشر وجها أي حفرة تنبع من كل حفرة عين ماء عذب فيأخذونه فاذا ارتحلوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان كل يوم يسقي ستمائة ألف من جميع الاجناس وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل فمر الحجر بثوبه فلما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال يا موسى ان الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية وهو ما أخبرناه الحسن بن أحمد الحلبي باسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمع في أثره موسى يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتى نظر بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من باس قال فقام الحجر بعد ما نظر البه بنو اسرائيل فاخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله ان بالحجر لستة أو سبعة قال عبد العزيز السكاني كان موسى ضرب الحجر اثنتي عشرة ضربة فكان بالحجر في كل موضع ضربة مثل ثدي المرأة ثم ينفجر بالانهار المطردة ذلك قوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا (ومنها) أنهم قالوا لموسى في التيه من أين لنا اللباس فلا يبلى ثيابهم التي عليهم حتى لا تزيد على الايام وصغروا الاجسام الا عند فراغة ولا تخلق ولا تبلى وتنمو على صبيانهم كما تنمو وفكثوا على ذلك زمانا طويلا والله أعلم

(باب فتح اريحا ونزول بني اسرائيل الشام)

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم انما فتح اريحا موسى ويوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى اليهم بمن بقي من بني اسرائيل في التيه ولم يمت في التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين الذين كانوا بها فدخلها موسى ببني اسرائيل فقام فيها ما شاء الله ان يقيم ثم قبضه الله تعالى ولم يعلم أحد قبره من الناس وهذا أولى الاقاويل بالصدق وأقربها الى الحق لاجماع العلماء باخبار الانبياء عن عوج بن عنق قوله موسى وقال آخرون ما قاتل الجبارين الا يوشع بن نون ولم يسر اليهم الا بعد موت موسى وهلاك من كان أبى المسير اليها وقالوا مات موسى وهرون عليهما السلام في التيه

(قصة وفاة هرون عليه السلام)

قال السدي أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام اني متوفي هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق

والعنبر والقرنفل ومنبع بريقها أساجع لباب ولو دعي بكلام مهابت لاجاب ولو بدا معصمها للشمس لاظلمت وكسفت ولو بدا جبينها في الظلمات لانارت وأشرقت ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتعطرت وتزخرفت نشأت بين رياض المسك والعنبر وقضبان الياقوت والمرجان وقصرت في خيام النعيم وغذيت بماء التسنيم لا تخلف عهدها ولا تبدل وداها فلما سمعت ذلك حق برفع الثمن من جارية تلك هذه فقال الملك يا أحمد ابن التي وصفت فلت الموجود القرن القريب فقال الطلب في كل زمن فقال ما فعيتها يرحمك الله قلت البسير المبذول لنيل الغايات المأمول وعنوان تفريج الضائق فقال لك فنصلي ركعتين فتناولهما ثم قال لك وان تدع ما عاملك فتؤثر ما عملك وان ترفع عن الطريق حجرا وقذرا وان تسلم أذاك بقلة الباقة وان ترفع همتك عن دار الغرور والغفلة فتعين في الدنيا بعز القناعة وتأتي الى الموقف آمنا غدا وتنزل في الجنة دار النعيم فتجاور المولى الكريم خالدا فقال الملك يا جارية

 أسمعت ما قال شيخنا هذا فقال لا نعم قال أصدق أم كذب فقالت بل صدق وتصدق فقال صدقت ولاها فانت حرة لوجه الله

نبيهم ومخالفتهم أمر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي العاصين وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على باب قبة موسى وأوحى الله تعالى إلى موسى إلى متى يعصيني هذا الشعب وإلى متى لا يصدقون بهذه الآيات لأهلكنهم جميعا ولأجعلن لك شعبا أقوى وأكثر منهم فقال موسى إلهي لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد لقالت الأمم الذين سمعوا ذلك إنما قتل هذا الشعب من أجل أنه لم يستطع أن يدخلهم الأرض المقدسة فقتلهم في البرية وإنك طويل صبور كثيرة نعمتك وأنت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء على الأبناء وأبناء الأبناء فاغفر لهم ولأنوثتهم فقال الله تعالى لموسى إني قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم حلفت بعزتي لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدي يوشع بن نون وكالب ولأتيهنهم في هذه البرية أربعين سنة فكان كل يوم من الأيام التي تجسسوا فيها سنة وكانت أربعين يوما وليأتيهنهم حتفهم في هذه القفار وأبناؤهم الذين لم يعصوني ولم يعملوا الشر ولا الشر فإنهم يدخلون الأرض المقدسة فذلك قوله تعالى فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض متحيرين فلا تأس على القوم الفاسقين فلبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ وكانوا ستمائة ألف مقاتل وكانوا كل يوم يسيرون جادين حتى إذا هم أمسوا فإذا هم بالموضع الذي منه ارتحلوا وسئموا الموضع الذي هم فيه فارتحلوا وباتت أوائل النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر وكل من دخل التيه من جاوز عشرين سنة مات في تلك المدة غير يوشع ابن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل أحد أربعاء من قال أنا لن ندخلها أبدا فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة ونشأت النواشئ من ذراريهم ساروا إلى حرب الجبارين وفتح الله لهم

(باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها على بني إسرائيل في التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام)

قال الله تعالى يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم الآية كقوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها والعد لا يقع على الواحد التي أنعمت عليكم أي على أجدادكم وأسلافكم وذلك أن الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأنزل عليهم التوراة فيها بيان كل شيء تحتاجون إليه وأعطاهم ما أعطاهم في التيه وذلك أنهم قالوا لموسى أهلكتنا وأخرجتنا من العمران والبنيان إلى مفازة لا ظل فيها ولا كن فأنزل الله تعالى عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل أرق وأطيب وأبرد منه فاظلتهم وكانت تسير بسيرهم إذا سار وتنزل عليهم من فوقهم إذا نزلوا وذلك قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام يعني في التيه تقيكم حر الشمس ومنها أنه جعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن ضوء للقمر فقالوا هذا الظل والنور قد حصل فأين الطعام فأنزل الله عليهم المن واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شيء كالصمغ يقع على الأشجار وطعمه كالشهد وقال الضحاك هو البرشيء يعتبز وقال وهب هو الخبز الرقاق وقال السدي كان عسلا يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه وقال عكرمة هو شيء أنزله الله عليهم مثل الرب الغليظ وقال الزجاجي المن ما من الله به مما لا تعب فيه ولا نصب وقال النبي صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الأشجار مثل الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع الله ربك لنا يطعمنا اللحم فدعا موسى فأنزل الله عليهم السلوى واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر الناس هو طائر يشبه السمانى وقال أبو العالية ومقاتل هو طير أحمر بعثه الله عليهم فاصطاد به السماء في عرض ميل قدر رمح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تطر عليهم ذلك وقيل إنه كان طيرا مثل فراخ الحمام طعمه كطعم السمين قد تعط ريشه وزغبه وكانت الريح تأتي به إليهم فيصيدون وهو في معسكرهم وقيل إنه كان يأتيهم فيسترسل إليهم فيأخذونه بأيديهم وقال عكرمة هو طير يكون بالهند أكبر من العصفور وقال المؤرج هو العسل بلغة كنانة قال شاعرهم

وقاسمها بالله جهدا لأنتم * ألذ من السلوى إذا ما نشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى وكان أحدهم يأخذ ما يكفيه يومه وليلته فإذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد

على ربه فقال موسى ان هذا العبد ان الله بمنزلة عظيمة ما رأيت كاليوم أحسن منه منظرا فقالت الملائكة يا موسى في الله أتحسب أن يكون لأحد مثل هذا فأوحى الله اليهم اضطجع فمه ووجهه الى ربك ثم تنفس أسفل فمن تنفسه نزل فاضطجع ويده ثم توجه الى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم صوت الملائكة عليه بالاراب وقيل انه أتاه ملك الموت بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه (وروى) أن يوشع بن نون رآه بعد موته في المنام فقال له كيف وجدت الموت يا نبي الله قال كشاة تسلخ وهي في اسلاخها (وروى) أن موسى لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفي الله موسى بن عمران فمن الذي يطمع في البقاء وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة عشرون منها في ملك افريدون ومائة سنة في ملك منوجهر (قال الامام اذر جمها الى مصر حرب ارحا وحبر الفتح)* قال فلما انقضت أربعون سنة ومات موسى بعث الله يوشع بن نون نبيا فأخبرهم أنه نبي الله وأن الله قد أمره بقتال الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه بهم اسرائيل الى أريحا وهي على ثلاثة فراسخ من بيت المقدس وكان بها يومئذ ستة آلاف مقاتل فلما كان في الشهر السابع نفخوا في القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وجعلوا يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عدو الرجل يعسر بونهم الا يقطعونهم ما وكان القتال يوم الجمعة وبقي منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت فخشي يوشع أن يجز وه فقال اللهم اردد الشمس علي أوانه قال للشمس انك في طاعة الله وأنا في طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر ان يتم حتى ينتقم من أعداء الله قبل غروب الشمس فرد الله الشمس عليه فزيد له في النهار ساعة واحدة حتى قتلهم أجمعين (أخبرنا) أحمد بن عبد الله بن محمد الاصفهاني بأسناده عن عروة بن عبد الله قال دخلت على فاطمة بنت علي رضوان الله عليه فرأيت في عنقها خرزا وأبيت في بيتها سكينين غليظتين وهي عجوز كبيرة فقلت لها ما هذا فقالت له يكره للمرأة أن تتشبه بالرجل ثم حدثتني ان أسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها ان عليا رضي الله عنه كان مع نبي الله وقد أوحى الله اليه فقاله بثوبه ولم ينزل كذلك حتى أدبر الشمس تقول غابت أو أراد أن تغيب ثم ان نبي الله سري عنه فقال أسلبت يا علي قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اردد على الشمس فرجعت حتى بلغت نصف المسجد وقال ثم أوسع ملوك الارامنة وكانوا خمسة فارسل بعضهم الى بعض فجمعوا كلهم على يوشع وموسى فهزمت جنود ارائيل الملوك حتى أهبطوهم الى ثنية حوران ورماهم الله بالجلد البرد فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو اسرائيل بالسيف وهرب الملوك الخمسة واختفوا في غار فأمر بهم يوشع فاخرجوهم وسلبهم ثم أراهم مصارعهم في ذلك الغار وتتبع ملوك الشام فاستباح نعمهم أجمعين ولا يزال يغلب عليا حتى غلب على بيع أرض الشام وهو الشام كله لبني اسرائيل وفرق عساكره في نواحيها ثم جمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله تعالى الى يوشع ان فيها غلولا فأمرهم ان يبايعوه فبايعوه فالصقت يد رجل به فقال له هلم ما عندك فأتاه برأس ثور من ذهب فوضعه مع الغنيمة فجاءت النار فأكلتها وكانت الغلول والقربان من أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الأنبياء فقال للقوم لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما آخر وبنى بيتا ولم يرفع سقوفه ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها فغزا فدنا من القوم صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه قال ثم جمع الغنيمة فجاءت النار لتأكلها فأبت فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة منكم رجل فبايعوه فالصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول أنتم فلتم قال فأخرجوا لي رأس بقرة من ذهب فألقوه في الغنيمة وهي بالصعيد فجاءت النار فأكلتها قال النبي صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لأحد قبلنا وذلك ان الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا قال ثم أمرهم الله أن يدخلوا اريحا سجدا مستغفرين خاضعين رؤسهم وذلك قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وكان لهم سبعة أبواب مجدا أي مخضعين متواضعين وقولوا حطة أي حط عنا خطايانا قال وهب انهم أذنبوا بأذنابهم وكان توبتهم اذا أذنبوا دخول أريحاء فلما فسقوا من التيه أحب الله ان يستنقذهم من الخطيئة قال ابن

بالدر والياقوت مرصعا بالجوهر ترابه الزعفران ملاطه المسك أفيح من قصر لهذا لا يخرب ولا يبيد ولا يبغيه بأس قال له الجليل كن فكان فقال له الشاب يا سيدي فأين الالية التي تحدث فقال ثم قال جعفر فبات مالك مفكرا في الشاب فلما كان وقت السحر دعا الله تعالى فأكثر من دعائه فلما أصبحنا غدونا اليه فاذا بالشاب جالس فلما رآنا مالك بن دينار قال ما تقول بالامس فقال له مالك ثم قال نعم فأحضر المال وقال أحضروا وقرطاسا فكتب مالك بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وهب مالك بن دينار لفلان بن فلان انى وهبت له على الله قصرا بدل قصرك بصفته كله وصفه والزيادة على الله تعالى والله كريم الشيخ هذا المال قصر في الجنة أصغر من قصرك في ظل ظليل بجنب العرش الجليل ثم طوى الكتاب ودفعه الى الشاب وحمل المال من عنده فأمسى مالك حتى لم يبق معه شئ قوت يوم واحد وما أتى على الشاب أربعون يوما حتى وجد عنده مال

كثيرا موضوعا في بيته عند رأسه فعجب مالك فاذا في ظهر مكتوب ما لا عهد هذه واقعة من الله الذي

موسى وهرون نحو ذلك الجبل واذا هما بشجرة لم ير مثلها وبيت مبني وفيه سرير عليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك أعجبه وقال يا موسى اني أحب أن أنام على هذا السرير فقال نم عليه فقال اني أخاف ان يأتي رب هذا البيت فيغضب علي قال له موسى لا تخف أنا أكفيك رب هذا البيت فنم فقال يا موسى نم معي فان جاء رب هذا البيت غضب علينا جميعا فنام موسى وأخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض روح ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما رجع موسى الى بني اسرائيل وليس معه هرون قالوا قتل موسى هرون وحسده على حبنا اياه فقال موسى ويحكم ان هرون أخي ووزيري فكيف أقتله فلما أكثروا عليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وقال عمرو بن ميمون مات موسى وهرون في التيه ومات هرون قبل موسى وكانا خرجا في التيه الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا أين هرون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته لحبنا اياه وكان محببا في بني اسرائيل فتضرع موسى الى ربه وشكا الى ربه ما لقي من بني اسرائيل فاوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فاني باعثه حتى يخبرهم انه مات موتا ولم تقتله فانطلق بهم الى قبر هرون فنادا يا هرون فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له أنا قتلتك قال لا والله ولكني مت فعاد وانصرفوا والله أعلم

(ذكر وفاة موسى عليه السلام)

قال ابن اسحق كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كره أراد الله أن يحبب اليه الموت ويكره اليه الحياة وكان يوشع بن نون يغدو اليه ويروح فيقول له موسى يا نبي الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله اليك حتى تسكون أنت الذي تبتدئني به وتذكره ولا يذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت قال الاستاذ باسناده حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول وذكر من كرامة موسى عليه السلام انه ضاق بني اسرائيل ذرعا لما كثروا عليه فبعث الله اليه ألف نبي يكونون أعوانا له فلما مال الناس اليهم وجد موسى في نفسه غيرة فلما تم الله لكرامته في يوم واحد واختلفوا في صفة موت موسى عليه السلام حدثنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون باسناده عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت فعقأها فال فرجع ملك الموت الى الله عز وجل فقال يا رب انك أرسلتني الى عبد لا يريد الموت وفقأ عيني فرد الله عليه عينه وقال ارجع الى عبدي وقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما واريت يدك من شعره فانك تعيش بعدد كل شعرة من ذلك سنة قال ثم ماذا قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال يا رب فأدنني من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت عنده لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول سمعت أبا محمد الشرقي يقول سمعت محمد بن يحيى يقول قد صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يرد ها الا كل مبتدع ضال (وفي حديث آخر) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان يأتي الناس عيانا حتى أتى موسى ليقبض نفسه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خطبة (قال السدي) في خبر ذكره عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا بينما موسى عليه السلام يمشي وفتاه يوشع بن نون اذ أبصر ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن أنها الساعة فقال يا قوم أظن أنها الساعة واني ملتزم بموسى نبي الله فانسل من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبي الله فقال والله ما قتلته ولكن انسل مني فلم يصدقوه وأرادوا قتله فقال لهم اذا لم تصدقوني فاخرجوني ثلاثة أيام فدعا الله فأتى كل رجل ممن كان يحبه سمع آت في المنام وأخبره ان يوشع لم يقتل موسى وانما قد رفعناه الينا فتركوه قال وهب بن منبه خرج موسى ليقضي حاجة فرأى رهطا من الملائكة فعرفهم فاقبل اليهم حتى وقف عليهم فاذا هم يحفرون قبرا لم ير شيأ قط أحسن منه ولم ير مثله قط في الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد صالح كريم

ثلاثة آلاف، وقال ابن عباس ووهب كانوا أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف وقال أبو روق عشرة آلاف وقال أبو الليث ثلاثين ألفا وقال السدي بضعا وثلاثين ألفا وقال ابن جريج أربعين ألفا وقال عطاء بن أبي رباح مبعين ألفا قال وأتى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وصيرتها عظاما وتفتتت أوصالهم فرعليهم حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا متعجبا فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل أتريد ان أريك كيف أحيي الموتى قال نعم يا رب فأحياهم الله جميعا هذا قول السدي وجماعة من المفسرين وقال مقاتل والكلبي بل كانوا قوما حزقيل فلما أصابهم ذلك بكى حزقيل وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فأوشكت أحييت هؤلاء فيعمرون بلادك ويعبدونك قال الله تعالى أوتحب ان أفعل ذلك قال نعم يا رب قال الله تعالى قد جعلت حياتهم اليك فقال لهم حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم وقالوا يا ليتنا قد متنا حين سمعنا صائحا يصيح فيه فأوحى الله الى حزقيل ان قومك قد ضجوا من البلاء وتجوعوا الموت وهو الموت أيظنون اني لا أقدر أبعثهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا فان فيها أقواما ماتوا فاتاهم فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل قم فنادهم وكانت أجسادهم وعظامهم قد تفرقت ومزقتها الطير والسباع فنادى حزقيل أيتها العظام ان الله يأمرك ان تعودي وتكتسي اللحم فاكتست جميعا اللحم وبعد اللحم جلودا وما عصبا وعرقا فكانت أجسادا فنادى أيتها الارواح ان الله تعالى يأمرك ان تعودي الى أجسادك فقاموا جميعا وعليهم ثيابهم التي ماتوا فيها وكبروا تكبيرة واحدة (وروى) منصور بن المعتمر عن مجاهد انهم قالوا حين أحيوا سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا الى قومهم وتناسلوا بعد ما أحياهم الله وعاشوا دهرا يعرفون انهم كانوا موتى سمنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد ريحا مثل الكفن حتى ماتوا الا آجالهم التي كتب الله لهم * قال ابن عباس فانه ليوجد في ذلك السبط من اليهود ثلاث الريح فمات فدعا الله تعالى فردهم الى الموت وتصيرهم في العظام فاماتهم الله عز وجل ثم ردهم الى بقية آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم قد جاءت ماعشوا بعدوتهم فلما أحياهم الله تعالى أمرهم بالجهاد فقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم

(باب في قصة الياس عليه السلام)

قال الله تعالى وان الياس لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحق والعلماء من أصحاب الاخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله الذي عهد اليهم في التوراة حتى نصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم الياس نبيا وهو الياس بن ينحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وانما كان الانبياء يبعثون من بني يعقوب اليهم بتجديد ما نسوا وضيعوا من أحكام التوراة وبني اسرائيل يومئذ تفرقوا في أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح أرض الشام وملكها بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم فلما فعل بها ما فعل ونزلوها وهم سبط الياس فبعث الله تعالى اليهم نبيا وعلم يونع فملك يقال له لابب فقتل وأخذ الملك منه وبنو اسرائيل على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وكان له أربعة وجوه وقال ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل الا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يلتفتون اليه ولا يجيبونه الى ذلك الا ما كان من أمر ملك الذي كان يعبد البعل فانه آمن به وصدقه وكان الياس يقوم أمره ويسدده ويرشده وكان الملك اذا جد جاء أمر يقال له أزيل وكان يستخلفه على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها فكانت تبرز بين الناس كما يبرز وجها وتركب كما تركب وتجلس كما يجلس في مجلس القضاء وتقضي بين الناس وكانت قاله للانبياء وكان لها كتاب بل مؤمن حكيم بكتم ايمانه وكان قد شاد من بين يديها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها نبية ولم يكن على وجه الارض أفشى منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعين ملكا من ملوك بني اسرائيل وقتلتهم كلهم

ذلك ثم يأمر فيه من يشمر له

وكان له مستشرف عال يقعد فيه يشرف على الناس وله أبواب مشرعة الى دهاليزه وقد ضرب قبة من عاج مطلية بالذهب والذهب وهو على سرير عليه غلالة من قصب وعلى رأسه عمامة مكللة باللآلئ وهو في تلك الهيئة نماذج مجلسا وهو قد أوقف على رأسه أعوانه والعلمان في مجلس خارج القبة يحيى براهم فاذا اشتهى سماع القيان نقلس نحو الستارة واذا أراد سكوتهم أومأ بيده نحو الستارة وهذا كان دأبه الى أن يذهب الليل فتخرج الندماء وينام مع من شاء فاذا أصبح اشتغل بالنظر الى اللاعبين بالشطرنج وغيره لا يذكر بين يديه موت ولا غم ولا مرض ولا حزن ولا غم ولا هم الا ذاك اليوم والمرود والفؤاد لما تقوت بنو آدم من أنواع الطيب والشهوات وما يكون فيها وانه سيموت ويترك ذلك فيخلو به ساعة من النهار فيتفكر في ذلك ويبكي حتى تبتل لحيته من الدموع ثم يقوم فيتوضأ ثم يدخل الى مجلسه الذي كان فيه قاعدا الى جهة القبلة فيصلي ركعتين ثم يقوم فيلبس ثيابه

عباس حطة قول لا اله الا الله سميت بذلك لانها تحط الذنوب تغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين احسانا فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وذلك انهم دخلوا متزحفين على استاههم وقالوا هطا سمقاثا يعني حنطة حمراء استخفافا بأمر الله تعالى فأنزل الله تعالى على الذين ظلموا رجزا من السماء أي عذابا من السماء بما كانوا يفسقون وذلك ان الله تعالى أرسل عليهم طاعونا وظلمة فهلك منهم سبعون ألفا في ساعة واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم قالوا فلما استقرت بنو اسرائيل بالشام وصفت لهم توفي الله نبيه يوشع ودفن في جبل ارنايم وكان عمره مائة وعشرين سنة وتدبير أمر بني اسرائيل بعد موت موسى سبعا وعشرين سنة

(مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بامور بني اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام)

قالت العلماء باخبار الماضين وأمور الامم السالفين لما مضت الوفاة ليوشع بن نون استخلف على بني اسرائيل كالب بن يوفنا ختن موسى عليه السلام وهو أحد الرجلين اللذين أنعم الله عليهما قال الله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما فأحسن الخلافة حتى قبضه الله عز وجل واستخلف على بني اسرائيل ابنه يوسافوس وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء وكانوا يفتتنون به وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون اليه ويقولون له يا أيها العبد الصالح جئنا لنسلم عليك وهو يستحيي ان يردهم فلما أكثروا خاف الفتنة فسأل الله ان يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فأصابه الجدري فصار مجذورا ما قليلا فلبث فيهم مائة وأربعين سنة ثم قبضه الله اليه والله أعلم

(ذكر خبر حزقيل عليه السلام)

قالت العلماء باخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالبا وابنه بعث الله تعالى حزقيل الى بني اسرائيل نبيا وهو حزقيل بن بوري ويلقب بابن العجوز وانما لقب بابن العجوز لان أمه سألت الله تعالى الولد وهي عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها وهو الذي أحيا الله تعالى به القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته في قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية (قال أكثر) المفسرين كانت قرية بقال لها داوردان قريبة قبسل واسط وقع بها الطاعون ففرج منها طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون ورجعوا سالمين فقال الذين بقوا ان أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن الى الارض التي لا وباء فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة والحياة اذا هم بالملائكة من أسفل الوادي وآخر من اعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا جميعا (عن) محمد بن زكريا قال سمعت الاصمعي يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حماره ومعه مولاه وخلفه عبد حبشي يسوق الحمار فطلق العبد يرتجز ويقول

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذي منعة ضطار * قد أصبح الله أمام الساري

فرجع الرجل لما سمع من قوله بعياله (وروى) عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك ومقاتل والكلبي انما فر هؤلاء من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا لملكهم ان في الارض التي نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها فارسل الله عليهم الموت فلما رأوا ان الموت قد كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصيتهم عبادك فأروهم آية في أنفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموتهم موتة رجل واحد فأتى عليهم ثلاثة أيام حتى انفجروا وارموا وحتت أجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا في مبلغ عددهم فقال عطاء الخراساني كانوا

وفرشت فيه حتى نجا الماء وهو كافر بالله يعبد غيره فذلك الذي أغضبه عليك قال لا جرم كيف لي ان أقتله في يوم هو وأنا مشغول عن طلبه بجميع ابني وليس لالياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصده فلما مضى ابني تفرغت لطلبه ولم يكن لي هم ولا شغل غيره حتى آتله وأريح الهي منه وأريه قال ثم انه بعث الاربعمائة نبي ليشفعوا الى الآلهة التي بالشأم ويسألوها أن تشفع الى صنم الملك ليشفي ابنه فانطلقوا الى الاصنام وكلموها فمنع الله عز وجل الشيطان الولوج في الاصنام ولم تكلمهم فرجعوا الى الملك وأخبروه بذلك فقال الملك وكيف لي أن أقتل الياس في هذا اليوم قال نخرج أربعمائة حتى اذا كانوا بجبال الجبل الذي فيه الياس أوحى الله اليه أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلمهم وقال له لا تخف فاني سأصرف عنك شرهم وألقي الرعب في قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم ان الله أرسلني اليكم والى من وراءكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوها صاحبكم ارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك ألست تعلم بالاعجب اني أنا الله لا اله الا أنا الله بني اسرائيل الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فلا يحملنك جهالتك وقلة عقلك على أن تشرك بي وتطلب الشفاء لابنك من غيري من لا يملكون لانفسهم شيأ الا ما شئت وان آليت باسمي لاغيظنك في ابنك ولامينه من فوره هذا حتى تعلم أن احدا لا يملك له شيأ دوني فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملئوا منه رعبا فلما صاروا الى الملك وصلوا اليه قالوا له ما قال لهم الياس وأخبروه بان الياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد تشعث رحله وتمعط شعره ويبس جلده وعليه جبة من سعر وعباءة قد تدلايا على صدره بخلال فاستوقفنا فلما وقف بنا صار معناقد تذلف له قلوبنا الرعب والهيبة فقطعت ألسنتنا فمن في هذا العدد الكثير وهو واحد فلم نقدر أن نكلمه ونراجعه ولا أعيننا منه حتى رجعنا اليك لنخبرك بما قال لنا فقال له الملك ما منعكم ان تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتوني به وأنتم تعلمون انه طالبي وعدوي فقالوا له قد أخبرناك بالذي منعنا منه ومن كلامه والبطش به فقال لا جرم اذا ما أنطيق الياس الا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه من ذوي القوة والبأس وعهد اليهم عهدا وأمرهم بالاحتيال عليه وأن يعاهدوه بأنهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليلتهم ذلك ويعتزموا عليه من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى اذا نزلوا الجبل الذي فيه الياس عليه السلام ثم انهم تفرقوا فيه وهم ينادون يا علي أسواتهم ويقولون يا نبي الله ابرز لنا واشرف علينا نفسك فانا قد آمنا بك وصدقناك بما كلا لا جرم وكذلك جميع قومنا معترفون بذلك ويقرون على السلام ويقولون قد باعتنا رسل الناس وعرضوا انفسهم وآمنا بك واجبناك الى ما دعوتنا اليه فهلم الينا فانا نحبك ونحب رسولك ونؤمن بما أظهرت لنا وأحكمت بيننا فلما نقادا الى ما أمرتنا وانتهى عما نهاهم يتمالؤن ليس يسعدان تختلف عنا بعدا عنا بالوطأة فنثار وثار جميع لينا وكل هذا كان مكرا منهم وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم وقع في قلوبهم ونافق الله وأشهر من سلاحه ان هو لم يظهروا لهم ولم يجبهم بعد الذي سمع منهم فلما صمم على البروز اليهم دجع الى نفسه وقال لو أني دعوت الله تعالى فسألته ان يعلمني ما في نفوسهم ويطلعني على حقيقة أمرهم وكان ذلك الهاما من الله تعالى وتوفيقا له فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما يقولون فاذن لي في البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وابلهم عرفهم جميعا فلما سلم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فصرخوا أجمعين قال وبلغ الاعجب فوقه الخبر فلم يرتدع عن ضغير السوء لاحتمال ثانيا في أمر الياس فقيض له مئة أخرى من كل عدد أولئك وأقوى منهم وأمكن في الحيلة والرأي فاقبلوا حتى راعوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يا نبي الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله ورسوله انا سنا كالذين أتوك قبلنا أولئك فرقة نافقوا وخالفوا فصاروا الى الملك ليمكر وابك من غير رأينا ولا علمنا ولو علمنا بهم قتلناهم والآن قد كفاك الله أمرهم وأهلكهم برجفتهم وانتقم لنا وأنت منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله بدعوته الاولى فامطر عليهم نارا فاحرقوا جميعا عن آخرهم كل ذلك وابن الملك في البلاء الشديد من وجعه كما وعده الله تعالى على لسان نبيه الياس لا يقضي عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه فلما سمع الملك بهلاك أصحابه انيا ازداد غيظا الى غيظه وأراد أن يخرج في طلب الياس بنفسه الا انه شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحو

صفوفة وأكوابه موضوعة وخمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة في ظلال وعيون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ورأى نار ان الجرمين في عذابه جهنم الدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر يوم المجرم ولن يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وما جمعوا وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى في جهنم جهنم وعذاب شديد ومقت من رب العالمين وما هم منها بخارجين قال فقام الهاشمي من مجلسه وعانق الشاب وبكى على نفسه وقال يا ابا عبد الله انهض بنا الى بعض دارك وقعد بنا مع جميع الشباب بفنائك على شبابه وينذب به هذا الشاب نفسه الى أن أصبح وقد عاهد الله تعالى أن لا يعود الى معصية أبدا فلما أصبح أطهر توبته وأمر بالقضية والذهب والجواهر وأنواع الملابس فباعها كلها وتصدق بها وقطع الاجور على نفسه ورد الضياع المقتطعة وباع ضياعه وعبيده جواريه وأعتق من أشباه العتق وتصدق بجميع ماله كله ولبس الصوف الخشن وأكل الشعير بعد التنعم بالخبز الملأ كل والشرب لزم

بالاغتيال وكانت معمرة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بني اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنينة يعيش منها ويتجمل على عياله منها ويزينها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويتيلان فيها حينا وكان للاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكي وامرأته أربيل تحسده على ذلك للاجل تلك الجنينة وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنينة من حسنها ويقولون ما أحرى ان تكون هذه الجنينة للاهل هذا القصر ويتعجبون من أمر الملك وامرأته كيف لم يغصباها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكي في ان تقتله وتأخذ جنينته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتنمت امرأته أربيل ان تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكي في ان تقتله وتأخذ جنينته وهو غافل عما تريد به مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجمعت أربيل جماعة من الناس وأمرتهم ان يشهدوا على مزدكي بالزور انه سب الاجب الملك فاجابوها الى ما سألتهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم في ذلك الزمان على من سب الملك القتل ان قامت البينة فاحضرت مزدكي وقالت له بالغنا عنك انك شتمت الملك واغتبته فانكر مزدكي ذلك فاقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فامرت بقتله فقتل وأخذت جنينته غصبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح فلما قدم الملك من السفر أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت خيرا ولا وفقت ولا أرانا نحل بعدها أبدا وانا كنا عن جنينته لاغنياء وقد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا وتحرم بنا منذ زمان طويل فاحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فقبحت بنا الجوار وما حملك على اجتراء تلك عليه الا سفهك وسوء رأيك ولو قلت تفكرك في العواقب فقالت انما غضبت لك وحكمت بحكمك فقال لها ما كان بسع حلمك وعظيم خطرك العفو عن رجل واحد فخففي من جواره فقالت قد كان ما كان فبعث الله تعالى الياس عليه السلام الى الاجب وقومه وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب عليهم لوليمين قتلوه بين أظهرهم ظلما وفدا آل على أنفسهما ان لم يتوبا من صنعهما ويردا الجنينة على ورثة مزدكي والا يهلكهما يعني الاجب وامرأته في جوف الجنينة أشر ما يكون بسفك دمهما ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما من لحومهما ولا يعتمان بها الا قليلا قال فاتاه الياس وأخبر الملك بما أوحى الله اليه في أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا وسمى ملوكا منهم عبدوا الاوثان الاعلى مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ويتمتعون ولكن ما ينقص من دنياهم ولا من أمرهم الذي تزعم أنه باطل شيء وما أرى لكم علينا من فضل قال ثم هم تعذيب الياس وقتله قال فلما سمع الياس ذلك وأحس بالشر فشه وخرج عنه ملحق بشواهق الجبال وعاد الملك الى عبادة بعل فاوحى الياس الى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارا فيه فقال انه بقي فيه سبع سنين شريدا وحيدا فريدا خائفا يأوي الى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون أخباره ويجتهدون في أخذه والله تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه البلاء فلما تمت له سبع سنين أذن الله تعالى في اظهاره عليهم وشفائه غيظه منهم فامر ض الله تعالى ابن الملك الاجب وكان أحب أولاده اليه وأعزهم عليه وأشهرهم به فاشتد نفاذ حتى يئس منه فدعا صنمه بعلا وكانوا قد فتنوا ببعل فعظموه وحتى انهم سموا مدينتهم به فقالوا لها بعلبك وجعلوا له أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أمناءه وجعل الشيطان يدخل في جوف الصنم فيكلمهم بانواع الكلام والاربعمائة يصغون باذانهم الى ما يقول الشيطان ويوسوس لهم شر يعقمن الضلال فيكتبونها للناس ويعملون بها ويسمونها الانباء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب الملك أن يشفعوا له الى بعل ويطلبوا اليه لابنه الشفاء والعافية فدعوهم فلم يجبهم ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج في جوفه ولا الكلام وهم مجتهدون في التضرع اليه والمريض لا يزداد بذلك الا ألما وجهدا فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب أيها الملك ان في ناحية الشأم آلهة أخرى وهي في العظم مثل الهك فابعث اليها الانباء يشفعون لك اليها فلعلها أن تشفع لك الى بعل فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لكان قد أجابك وشفى مرض ابنك فقال لا جهد لاحي شيء غضب علي وأنا أطيعه وأطلب رضاه ولم أسخطه ساعة قط قالوا من أجل انك لم تقتل الياس

بطوفون فاذا هم بشاب
نحيف الجسم مصفر
اللون قد لصق بطنه
بظهره وعليه طمران
لا يتواري بشعرهما
حافي القدمين ذابل
الشفتين قائم في المسجد
يناجي ربه عز وجل
قال فاخرجوه من
المسجد وانطلقوا به
حتى أوقفوه بين يديه
فنظر اليه وقال من هذا
فقال صاحب النغمة
التي سمعتها فقال أين
صاحبوه قالوا في المسجد
نائما يصلي ويقرأ فقال
لها الشاب ما كنت
قرأ قال كلام الله تعالى
ال فاسمعني تلك النغمة
قال أعوذ بالله من
الشيطان الرجيم بسم
الله الرحمن الرحيم ان
الابرار لفي نعيم على
الارائك ينظرون تعرف
في وجوههم نضرة
النعيم يسقون من
رحيق مختوم ختامه
مسك وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون ومزاجه
من تسنيم عينا يشرب
بها المقربون ثم قال أيها
الغرور انها خلاف
علمك وستشرفك انها
دار مفروشة بطاناتها
من استبرق على رفرف
خضر وعبقري حسان
شرفه ولي الله تعالى
بها على جنتين فيهما
فاكهة ورمان فيهما
خيرات حسان تجريان فيهما
عينان نضاختان فيهما
من كل فاكهة زوجان لا مقطوعة ولا ممنوعة في عيشة راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر وفرش

تميتني وتحقني يا ربي فإني قد سألت بني اسرائيل وملوني وأبغضتهم فيك وأبغضني وأوحى الله اليه يا الياس ما هذا اليوم الذي أعمري منك الارض وأهلها اوانا اقوامها وملاحها بل وأشباهك ولكن ساني أعمالك قال الياس فان لم تمتني يا الهي فاعملني ناري من بني اسرائيل فاوحى الله تعالى اليه فأي شيء تريد أن أعطيك يا الياس قال تمكنني من خزائن السماء سبع سنين فلا شيء عليهم بحابة الا بدعوتي ولا أمطر عليهم سبع سنين قطرة الا بشفاعتي فانهم لا يذلهم الا ذلك قال الله تعالى يا الياس أنا أرحم بعبادي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فاربع سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين ولكنني أعطيك تارك منهم ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ولا أنشر عليهم سحابة الا بدعوتك ولا أنزل عليهم قطرة الا بشفاعتك قال الياس فبأي شيء أعيش قال أسخر لك جيشا من الطير تنقل اليك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشي والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مختف من قومه بموضع ينساق له فيه الرزق وياتيه حيثما كان وقد عرف ذلك قومه فكانوا اذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فيطلبونه ويلقى منهم أهل ذلك المكان شرا فقال ابن عباس أصاب بني اسرائيل القحط ثلاث سنين متواليات فمر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل فما عنده شيء من الدقيق والزيت فدعا لهم ما بالبركة وسمها فبارك الله في ذلك حتى ملأت جرابها دقيقا وملأت خوابيها زيتا فلما رأى بنو اسرائيل ذلك عندها قالوا لها من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه وقالوا لها ذاك الياس ثم انهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم الى الجبال والله أعلم

(قصة اليسع عليه السلام)

ثم ان الياس أتى الى بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن يسمى اليسع بن أخطوب وكان به ضرفاتونه وأخفت أمره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد أسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس عليه السلام انك قد أهلكت كثيرا من الخلق عمن لم يعصني سوى بني اسرائيل من البهائم والدواب والهوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بني اسرائيل فيزعمون والله أعلم ان الياس قال رب دعني أكون الذي أدعو لهم بأتيهم بالفرج عما هم فيه من البلاء الذي أصابهم لعلهم يرجعون عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل وقال لهم ويلكم انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والدواب والطير والشجر والنبات بحبس المطر عنكم خطايا كم وانكم على باطل وغرور فان كنتم تحبون ان تعلموا أن أمسناكم التي تدعونها من دون الله ان تغني عنكم شيأ فاخرجوا باصنامكم هذه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل وغرور وفتزعتم عنها ودعوت الله تعالى لكم أن يفرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا ومعهم أوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياس ومعه اليسع عليهما السلام بالفرج عما هم فيه وان يسقوا فرجعت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون اليها فاقبلت نحوهم وطبقت عليهم الافق ثم أرسل الله عليهم المطر فاغاثهم وأصابت بلادهم فقال فشكوا الى الياس هدم الجدران وعدم البذور قالوا ليست لنا حبوب فاوحى الله تعالى اليه ان يامرهم بان يبذروا الملح في الارض ففعلوا فانبت الله لهم منه الحبوب وأمرهم أن يبذروا الرمل فانبت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالتهم وأقاموا على أشبه شيء كانوا عليه فلما رأى الياس ذلك دعا به أن يريحه منهم فقيل له انتظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا وكذا فاذا جاءك شيء فاركبه ولا تهم به فخرج الياس ومعه اليسع بن اخطوب حتى اذا كانا بالموضع الذي أمر بالخروج اليه أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ماتامرني به فتشدف اليه كساء من الجو الاعلى فكان ذلك علامة على استخلافه اياه على بني اسرائيل وذهب الياس فكان ذلك آخر

أعين بن نائل عن قدامة ابن عبد الله العامري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرمي على جمل وهو يخطب وهو يسير وهو يسير طرد ولا ضرب وكان مشورا ضعيفا سطره فتواضع في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك تكبرك وخير لك قال فبكى هرون الرشيد حتى تساقطت دموعه على الارض ثم قال زدنا يا بهلول فانشد

فهب ذا ان ملكت الارض طرا
ودان الخلق جمعا فكان ماذا
أليس ترى مقيلك جوف قبر
ويعفون التراب عليك هذا

قال فبكى هرون ثم قال أحسنت يا بهلول هل غير ذلك فقال نعم يا أمير المؤمنين رجل أتاه الله مالا عن حلال فانفق منه على عياله وعفف به عياله كتبه الله تعالى في ديوان الابرار فقال أحسنت يا بهلول سمع الياس ثم قال اردد البقرة على من أخذتها منه فلما جاءني بيع افقال يا بهلول ان كان عليك دين قضيناه فقال يا أمير المؤمنين لا يقضي دين بدين أردد اللحق الى أهله واقض دين نفسك بنفسك قال يا بهلول

الياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس اليه فينزل معه وأظهر للكاتب انه لا يريد بالياس سوأ ولا مكروها وانما أظهر له ذلك لما اطلع عليه من ايمانه وكان الملك مع اطلاعه على ايمانه مغضيا عنه لما هو عليه من الكفاية والامانة والحكمة وسداد الرأى والبصارة بالامور فلما وجههم نحوه أرسل معه فئة من أصحابه وعهد اليهم دون الكاتب أن يوثقوا الياس ويأتوه به ان أراد التخلف عنهم وان جاء معهم آمنا بالكاتب ووانقا بمكانته لم يوحشوه ولم يروعوه ثم انه أظهر للكاتب الانابة فقال له انه قد آن لى أن أتوب وانفذ فقد اصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذى فيه انى وقد عرفت ان ذلك بدعوة الياس ولست آمن أن يدعو على وعلى جميع قومى فهلك بدعوته فكن رسولا اليه وأخبره أنا قد تبنا وأنبنا وانه لا يصطفانى توبتنا وما نريد من رضاربنا وخلع أصنامنا الا أن يكون الياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضى ربنا قال ثم انه أمر قومه أن يعتزلوا الاصنام وقال له اخبر الياس بانا قد خلعنا آلهتنا التى كنا نعبد وقد أهملنا أمسها حتى ينزل الينا فيكون هو الذى يحرقها هو بيده فكها وكان ذلك كله مكرا من الملك قال فانطلق الكاتب والفئة معه حتى علوا الجبل الذى فيه الياس فناداه الكاتب فعرف الياس صوته فثاقت نفسه اليه وأنس به وكان مشتاقا الى لقائه فاوحى الله تعالى الى الياس عليه السلام ان ابرز الى أنيسك الصالح فالقه وجدد منه العهد فبرز اليه وصافحه وسلم عليه وقال له ما الخبر فقال له المؤمن انه قد بعثنى اليك هذا الجبار الطاغى وقومه وقص عليه ما قال له وقال له انى لخائف ان رجعت اليه ولست معى أن يقتلنى فأمرنى بما شئت ان أفعله وأنتهى اليه ان شئت انطلقت اليك وكنت معك وتركته وان شئت جاهدته معك وان شئت أرسلتنى اليه بما تحب فابلغه رسالتك وان شئت دعوت ربك يجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا قال فاوحى الله تعالى الى الياس ان كل ما جاء لك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وان لا جب ان أخبرته رسلى انك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اليه فانه يتهمه ويعرف أنه قد داهن فى أمرك ولم يأمن أن يقتله فانطلق معه فان انطلاقك معه عذر وبراءة عندى لا جب وانى سأشغله عنك وأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فاذا مات هو فارجع أنت ولا تقم عنده قال فانطلق الياس معهم حتى قدموا على لا جب فلما دخلوا عليه شد الله على ابنه الوجع وأخذ الموت يكظمه فشغل الله بذلك لا جب وأصحابه عن الياس ورجع الياس سالما الى مكانه فلما مات ابن لا جب وفرغوا من أمره وفرغ جزعه انتبه لا لياس وسأل عنه الكاتب المؤمن الذى جاءه فقال له ليس لى به علم وذلك أنه قد شغلنى عنه موت ابنى فلم أكن أحسب لك الا قد استوثقت منه فطرق عند لا جب وتركه كما كان به من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس من المكث فى الجبل والمقام به واشتاق الى العمران والناس فنزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامرأة من بنى اسرائيل وهى أم يونس بن متى ذى النون فاستخفى عندها ستة أشهر ويونس ابنها يومئذ مولود رضيع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها قال ثم ان الياس عليه السلام سئم ضيق البيوت بعد تعوده فى الجبال ودوحها فأحب اللحوق بالجبال فعاد الى مكانه فى الجبال فجزع أم يونس لفراقه وأوحشها فقده ثم لم يلبث الا قليلا حتى مات ابنها يونس بعين فطمته فعظمت مصيبتها به فخرجت فى طلب الياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته فسلمت عليه وقالت له انى فقدت بعد لك بنى وعظمت به مصيبتى واشتد افتقده بلائى وليس لى ولد غيره فارحمنى وادع ربك تعالى أن يحيى لى ابنى ويجبر مصيبتى فانى قد تركته معجى لم أدفنه وقد أخفيت مكانه فقال لها الياس عليه السلام ليس هذا مما أمرت به وانما أنا عبد مأمور أعمل بما أمرنى ربى به ولم يأمرنى بهذا فجزعت المرأة وتضرعت فعطف الله قلب الياس عليها فقال لها ومتى مات ابنك فقالت منذ سبعة أيام فانطلق الياس عليه السلام معها وساروا سبعة أيام حتى أتى الى منزلها فوجد ابنها يونس ميتا منذ أربعة عشر يوما فتوضأ الياس وصلى ودعا فاحيا الله يونس بن متى فلما عاش وجلس وثب الياس وانصرف وتركه وعاد الى موضعه قال فلما طال عمى بنى قومه ضاق الياس بذلك ذرعا وأجهده البلاء فاوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو خائف مذعور يجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى أنت فيه ألست أمينى على وحيى وحجتى فى أرضى وصفوتى من خلقى فاسألنى أعطك فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال الياس عليه السلام

أنجبت قوم اذا عرفوا الملك قاعدة يقولون نحن نعلمك سحرك واذا قمت بعدوني قال فانطلق فاذا رجعت فاتني وفاته القافلة فراح وأقبل وجعل ينظره فلا يراه فشق عليه الناس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أقوم فانه قد شق علي عدم النوم فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له أحد فلما أعياه انتظر فاذا كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت واذا به يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان ألم آمرك أن لا تأذن لاحد علي فقال أما من قبلي فما أتى فانظر من قبل من أتى فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الشيخ معه في البيت فقال له أتنام واخصومهم ببابك فعرفه فقال له يا عدو الله ما أجرأك على هذه الافعال فقال له انك أعييتني في كل شيء أردت بل نفسك معك ما تريد لا غضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به

(أخبرنا) ابن فنجويه قال حدثنا عمر بن المفضل عن أبي هاشم أخبرنا ابن الفضل قال أخبرنا الاعمش عن عبد الله ابن عبيد الله الداري عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لم أسمعه الا مرة أو مرتين لم أسمعه منه أكثر من سبع مرات يقول كان في بني اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فاعطاها ستين دينارا على أن تعلمه نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت فقال لها ما يبكيك قالت من هذا الفعل فاني ما فعلته قط فقال لها أكرهتك قالت لا ولكن حملتني عليه الحاجة فقال لها اذهبي فهي لك ثم انه قال والله لا أعصي الله بعدها فمات أبو الناس من ليلته فقيل مات ذو الكفل فوجدوا على باب داره مكتوبا ان الله تعالى قد غفر لذي الكفل * وقال أبو موسى الاشعري ان ذا الكفل لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عليه الثناء وقيل هو الياس وقيل هو زكريا والله أعلم بالصواب

* (مجلس في قصة عيلي وشمويل وهو اسمعيل بالعبرانية وقصة التابوت وخبر طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على أبواب كثيرة) *

قال الله تعالى ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل الآية

* (فصل في سياق الآية ومقدمة القصة) * قال وهب بن منبه لما تاب الله تعالى البسع بعد الياس عليهما السلام واستخلفه على بني اسرائيل وكان فيهم ما شاء الله أن يكون ثم قبضه الله تعالى اليه وخلف فيهم الخلوف فعتت فيهم الخطايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابرا عن كابر فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت ويجعلون بينهم الا هزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد ارث لهم في أرضهم فكان أحدهم فيما يذكرون يجمع التراب على صخرة ثم يبذر فيه الحب فتخرج الله له ما يأكله منه وعياله ويكون لاحدهم الزيتونة فيعصر منها ما يأكله وعياله سنة فلما كثرت أحداثهم وعصوا ذا نوبهم وتركوا ما عهد الله اليهم سلط الله عليهم العمالقة وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين وكان جالوت الملك فيهم فظهر على بني اسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسر وا من أبنائهم وكهلهم أربعمائة وأربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توارثهم ويقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتعادون أحيانا في غيهم وضلالتهم فسلط الله تعالى عليهم من ينتقم لهم منهم ليرجعوا الى التوبة أحيانا ويكفيهم الله شر من بقي عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكا ورد عليهم توارثهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون الى آل أمر بني اسرائيل في بعضها الى الساسة منهم وفي بعضها الى غيرهم ممن يقهرهم ويثلث عليهم الى أن ثبت الملك فيهم وورجعت النبوة اليهم بشمويل النبي عليه السلام أربعمائة سنة وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة رجل يقال له ايلاف وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلي الكاهن كان حبرهم وصاحب قربانهم وكانوا ينتهون الى رأيه فلما مضى من وقت قيامه بامرهم مدة بعث الله شمويل نبيا

* (القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم) *

قال وهب بن منبه كان لابي شمويل امرأتان احداهما يقال لها عوزا عاقرا لم تلد له ولدا وهي أم شمويل والاخرى قد

لعفريت آخر غاص في هذا البحر واثنى عشر فغاص العفريت ورجع بعد ساعتين وقال مثل ما قاله الاول فتعجب سليمان عليه السلام من ذلك فقال العفريت يا نبي الله غصت مثل ما غاصت الاولى مرتين فلم أجد شيئا فقال سليمان عليه السلام لآصف بن برخيا ووزرائه امض في هذا البحر واثنى عشر فيه فقال فغاص آصف في البحر ساعة وأتاه بقبضة عظيمة من الكافور الابيض له أربعة أبواب باب من الدر وباب من الياقوت وباب من الجوهر وباب من الزبرجد والابواب كلها مفتحة ولم يدخل فيها قطرة من الماء وهي في مكان عميق فوضعها بين يدي سليمان عليه السلام فنظر فيها فاذا في وسطها شاب جميل حسن الشباب نظيف الاثواب قائم يصلي فاغتسل سليمان عليه السلام وقال ما أنزلك الى قاع هذا البحر فقال يا نبي الله أحدثت بقصتي قال نعم فقال كان لي أب مقعد ووالدة عمياء فأقمت في خدمتهما سبعين سنة فلما حضرت وفاة والدتي قالت عند موتها اللهم أطل حياة ولدي في طاعتك واسأل وفاتي قال فعند موتها اللهم اجعل مثواه في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل

النهديه ورفع الله الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش وكان انسانا ملكيا سماويا أرضيا وسلط الله تعالى على لاجب الملك وامرأته وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لا يشعرون به حتى رهقهم فقتل لاجب الملك وامرأته في بستان من دكى فلم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى بفضله اليسع عليه السلام وبعثه نبيا ورسولا الى بني اسرائيل وأوحى الله تعالى اليه وأيده بمثل ما أيد به عبده الياس فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وينتهون الى رأيه وأمره وحكم الله تعالى فيهم قائم الى أن فارقهم اليسع (أخبرنا) أبو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن أبي داود قال ان الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام (وأخبرني) ابن فنحويه عن رجل من أهل عسقلان انه كان يمشي بالاردن عند نصف النهار فرأى رجلا فقال يا عبد الله من أنت فقال أنا الياس قال فوقعت على رعدة شديدة فقلت له ادع الله لي أن يرفع عني ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل عنك قال فدعا لي بثمان دعوات وهن يا بر يا رحيم يا حنان يا منان يا حي يا قيوم ودعوتين بالسريانية لم أفهمهما وقيل هما ياهيا شراهيا فرفع الله عني ما كنت أجد ووضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين يدي فقلت له أرأيت اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى الي قال فقلت له فكم من الانبياء اليوم أحياء قال أربعة اثنان في الارض واثنان في السماء أما اللذان في السماء فعيسى وادريس عليهما السلام وأما اللذان في الارض فالياس والخضر عليهما السلام قلت كم الابدال قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عريش مصر الى شاطئ الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلدان كلما أذهب الله واحدا منهم بداه آخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يمطرون قلت فالخضر أين يكون قال في جزائر البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت أين قال بالموسم قلت فما يكون حديثكما قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره قال وكان ذلك حين حرى بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال قلت فما تقول في مروان ابن الحكم قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول والشاهد في النار قلت فاني قد شهدت ولم أطعن برمح ولا رميت بسهم ولم أضرب بسيف وأنا أستغفر الله من ذلك المقام ان أعود الى مثله أبدا قال أحسنت فهكذا فكن قال فبينما أنا واياه قاعدان اذ وضع بين يديه رغيفان أشد بياضا من الثلج فأكلت أنا وهو رغيفا وبعض الآخر ثم رفعت وأبى وقد رفع باقي الرغيف الآخر فما رأيت أحدا وضعه ولا رأيت أحدا رفعه قال وله ناقة ترعى في وادي الاردن فرفع رأسه اليها فلما دعاها جاءت وبركت بين يديه فركبها فقلت له اني أريد أن أصحبك قال انك لا تقدر على صحبتي قال فقلت له اني خال لا زوجة لي ولا عيال قال تزوج وايالك والنساء الاربع الناشزة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج ما بدا لك من النساء قال فقلت اني أحب أن ألقاك قال اذا رأيتني فقد لقيتني اني أعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان فجالت بيني وبينه شعيرة فوالله ما أدري كيف ذهب وهذا آخر القصة

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

قال الله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين قال مجاهد لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يتكفل لي بثلاث استخلفته يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام اليه رجل شاب تزدريه العيون فقال أنا فردده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الثاني فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال أنا أعمل ذلك فاستخلفه قال فلما رأى ابليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فاعياهم فقال دعوني واياه فاتاه في صورة شيخ كبير فقير حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رجعت فاني آخذ لك بحقك فانطلق ورواح الى مجلسه فلما جلس جعل ينظر ليرى الشيخ فلم يره وقام يتتبعه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا فقال أنا الشيخ المظلوم ففتح له وقال ألم أقل لك اذا قعدت فأتني فقال انهم

الرشيد حاجا وحلف أن لا يحج الا ماشيا الى مكة فعرض له من جوف العراق الى اليمن لبود من فراء فاستند يوما الى ميل وكان قد تعب من المشي فبينما هو كذلك اذا بسعدون المجنون قد عارضه في الطريق وأنشد يقول

حب الدنيا واتيكا
أليس الموت يأتيكا
فما تصنع بذي الدنيا
وظل الميل يكفيكا
ألا يا طالب الدنيا
دع الدنيا الشانيكا
كما أضحكك الدهر
كذلك الدهر يبكيكا

قال فشهق هرون الرشيد شهقة وأغشي عليه حتى فاته ثلاث صلوات فلما أفاق طلب سعدون فلم يجده رحمة الله تعالى عليهم أجمعين ونفعنا بهم وبركاتهم آمين * (وحكي) عن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام انه قال) * بينما أنا جالس على سرير ملكي شاكرا لله تعالى ما أولاني من النعم اذ أوحى الي أن اخرج الى ساحل البحر الغسلاني ترجما من خلق الله تعالى قال سليمان عليه السلام فخرجت ومشى معي من الانس والجن والوحوش والطير وما أشبه ذلك فلما وصلت الى الساحل فاذا عنده شيخ لا أعرفه

عشر سنين فلما نالهم الذل والهوان والقتل والسبي من عدوهم بشؤم معصيتهم سألوا نبيهم شمويل أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله وانما كان قوام أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملك واطاعة الملك لنبيه وكان الملك هو الذي يسير بالجيوش ويقاتل العدو وكان النبي منهم هو الذي يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من عند الله تعالى (قال وهب بن منبه) بعث الله شمويل نبيا فلبث في أحسن ما شاء الله ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فسألوا شمويل عليه السلام أن يبعث لهم ملكا بذلك قوله تعالى ألم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله يعني شمويل وهو بالعبرانية اسمعيل بن بالي بن علقمة بن ماجد بن عموصا بن النهرس صون بن علقمة صاحب عموصا بن عزريا وقال مجاهد هو شمويل بن هلقانا ولم ينسبه أكثر من ذلك وقال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم هل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا الآية فلما أخذ شمويل عليهم الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا

(ذكر قصة الملك طالوت واتيان التابوت وما يتعلق به)

قال الله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال المفسرون ان شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا فانى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم ثم انهم قاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثله وكان طالوت يطول لها واسمه بالسريانية شاول بن يشر بن أفيل بن ساروين نحورت بن أفيح بن أنيس بن بقاءين بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان رجلا دباغا يعمل الادم (قال وهب بن منبه) كان يدبغ الجلود وكرمتا والسدي يقولان كان سقاء يستقي على حمار له من النيل فضل حماره فخرج في طلبه قال وهب بن منبه بل ضاعت حمر لابي طالوت فأرسله وغلاما له يطلبانها فمر بيت شمويل عليه السلام فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه في أمر الحمر لعل الله أن يرشدنا ويعمونا فيخبر فقال له نعم فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له شيئا من أمر الحمر اذ نش الدهن في القرن فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال له شمويل فرسر أسك الى فدهنه بدهن القدس ثم انه قال له أنت ملك بني اسرائيل وقد أمرني ربي أن أملك عليهم فقال طالوت أنا فقال نعم قال أوما علمت ان سبطي أدنى أسباط بني اسرائيل قال بلى قال أوما علمت ان بيتي أدنى بيوت بني اسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال يا أبت الحمر جمعها وردها أبوك الحمر فكان كذلك ثم ان شمويل قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قال مجاهد أمير على الجيش فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وانما المال والملك لاناس كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة وكان سبط النبوة قد انقرض الا وهي بن يعقوب وهم موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا اذا نسبوا عظما من العظام كانوا ينكرون النسبة على ظهر العار بزعمهم فلما رأوا غضب الله عليهم ونزع النبوة والملك منهم قالوا لهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا أنكروا ذلك لانه كان من ذلك السبط فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ومع ذلك انه فقير لم يؤت سعة من المال فقال لهم شمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم بالحرب والجسم يعني بالطول في قوة وسعة القوة وانما سمي طالوت لطوله ولذلك كان يطوف الناس برأسه ومنكبيه وقال ابن عباس بالجمال وكان طالوت أجمل رجل في بني اسرائيل وأعلمهم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم قالوا فما آية ذلك قال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت الآية

(قصة التابوت وصفته وابتداء أمره الى انتهائه)

قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار ان الله تعالى أهبط تابوتا على آدم عليه السلام من الجنة فيه صور الانبياء من ذريته من أولاده الى محمد صلى الله عليه وسلم فتوارثه أولاده بعد موته حتى وصل الى يعقوب عليه السلام فكان في بيته فلما ذهب يعقوب الى مصر وجد أولاده قد عبدوا الاصنام فأخذ التابوت فدفنه في موضع من الارض فلما قدم ابنه يوسف مصر وجد أولاد أولاده قد عبدوا الاصنام فأخذ التابوت فدفنه في موضع من الارض فلما قدم ابنه لاوي مصر وجد أولاد أولاده قد عبدوا الاصنام فأخذ التابوت فدفنه في موضع من الارض فلما قدم ابنه قاهث مصر وجد أولاد أولاده قد عبدوا الاصنام فأخذ التابوت فدفنه في موضع من الارض فلما قدم ابنه عمران مصر وجد أولاد أولاده قد عبدوا الاصنام فأخذ التابوت فدفنه في موضع من الارض فلما قدم ابنه موسى مصر وجد أولاد أولاده قد عبدوا الاصنام فأخذ التابوت فدفنه في موضع من الارض فلما قدم ابنه يوشع

فاجاب الله دعاءهما شهر بعث يوما من الايام أريد النزهة فمشت الى ساحل هذا البحر فنظرت الى هذه القبة وهو مفتوح على ساحل البحر فدخلتها لانظر ما فيها فاحتملها ملك من الملائكة وأنزلها في قاع هذا البحر كما ترى يا نبي الله فقال سليمان في أي زمان كان قال في زمان ابراهيم عليه السلام فحسب سليمان عليه السلام التاريخ فوجده ألفي سنة وأربعمائة سنة وهو شاب لم يشب فتعجب سليمان عليه السلام من ذلك وقال له فما طعامك وشرابك في هذا البحر فقال يا نبي الله ياتيني طائر أخضر كل يوم في منقاره شيء أصفر مثل رأس الانسان فاكله فأجد فيه طعم كل نعيم في دار الدنيا فيذهب عني الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والوحشة فقال سليمان أتحب ان تكون معنا أو ترجع الى موضعك فقال ردني الى موضعي يا نبي الله فقال سليمان ردها آصف الى مكانه فرده الى مكانه فقال سليمان انظروا كيف استجاب الله تعالى دعاءه والديه فاحذروا عقوقي والديكم يرحمكم الله ثم مضى سليمان عليه السلام متعجبا من ذلك والله أعلم (وحكى عن الشيخ عبد العزيز الدريني رضي الله تعالى عنه انه قال) كنت سائحا في

ولد له عشرة أولاد قال وكان لبني اسرائيل عيد من أعيادهم أقاموا فيه شرائعه وقربوا القرابين فحضر أبو شمويل وامرأته وأولاده العشرة ذلك العيد فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيبا وكان لام الاولاد عشرة أنصباء وللعجوز نصيب واحد فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغي فقالت أم الاولاد للعجوز الحمد لله الذي كثرني بولدي وقالت قوجعت العجوز وجوما شديدا فلما كان عند السحر عمدت الى منعبدها فقالت لهم بعلمكم وعملكم كانت مة لصاحبتي واستطالت علي بنعمائكم التي أنعمتها عليها وأنت ابتدأتم بالنعمة والاحسان فارحموا ضعفي وارزقوني ولدا تقر به عيني واجعلوا لي ذخرا في معادي من ولدك يعبدك ولا يكفر بك ويطيعك ولا يجحدك فاذا رحمت ضعفي ومسكنتي وأجبت دعوتي فاجعل لي علامة أعرف بها قبول دعائي فلما أصبحت حاضت وكانت قبل ذلك قد يئست من الحيض فجعله الله علامة لما سألته فألم بها زوجها فحملت وكتمت أمرها واقى بنو اسرائيل في ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم فكانوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبيا يشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه وكان صبا النبوة قد هلك ولم يبق منه الا تلك المرأة الحبلى فلما علموا بحملها تعجبوا من أمرها وقالوا ما حملت هذه الا بنبي لان اليهوديات لا يحملن الا بالانبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت باسحق وابشاع امرأة زكريا حملت بيحيى عليه السلام فاخذوها وحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فحملت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها ولدا ذكرا فولدت غلاما وسمته شمويل تقول سمع الله دعائي فلما شب الغلام أسلمته ليتعلم التوراة فكفله عيلي وتبناه فلما بلغ الغلام الوقت الذي يبعثه الله فيه نبيا أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ عيلي الكاهن وكان لا يامن عليه أحدا فدعاه جبريل بلهن الشيخ يا شمويل فقام الغلام فزعا مسرعا الى الشيخ وقال يا أبتاه أدعوتني فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه جبريل ثانيا فانتبه الغلام وقال أدعوتني يا أبتاه قال الشيخ ما شأنك قال أما دعوتني قال لا فقال شمويل فاني سمعت صوتا في البيت وليس فيه غيرنا فقال له الشيخ ارجع فنم فرجع وصل فلما ان دعيت باسمك فاجب وقل لبيك انا طوعك فامرني بما شئت أفعل ما تامرني به ففعل ذلك الغلام فنودي ثالثة فقال لبيك أنا طوعك فامرني بامرك أفعل ما تامرني به فظهر له جبريل عليه السلام فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله سبحانه عز وجل قد بعثك فيهم نبيا وان الله قد ذرأك يوم ذرأك للنبوة ورحم وحدة أمك ذلك اليوم الذي تاهت عليها ضرتها فيه فلا أحد اليوم أشد منها عضدا ولا ملاذا فانطلق الى عيلي فقل له انك كنت خليفة الله على عباده ودينه فقمت زمانا بامرها كل بكتابه محافظا على حدوده فلما امتدت مدتك ودنى عفلمك وذهبت قوتك وفني عمرك وقرب أجلك وصرت أقرب ما يكون الى الله تعالى ولم تزل فقيرا اليه عطلت الحدود وجرت بين الحدود وعملت بالرشا والمصانعات وأضعفت حكم الحق حتى عز الباطل وأهله وذل الحق وحزبه وظهر المنكر وخفي المعروف وفشا الكذب وقل الصدق وما كان الله ليهدك على هذا ولا عليها استخلفك فبئسما خلفت به عملك والله لا يحب الخائنين بلغه هذه الرسالة وقم بعده بالخلافة فلما بلغه شمويل هذه الرسالة فزع وجزع وكان السبب فيما عاتب الله عبده عيلي ووبخه عليه انه كان له ابنان شابان فاحدثا شيأ في القربان لم يكن فيه وذلك انه كان من سواط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلابين فلما أخرجا كان الكاهن الذي كان يسوط فعمل ابناه كلا لب فاوحى الله الى شمويل أن انطلق الى عيلي فقل له منعك حب الولد أن تزجرابنيك أن يحدثا في قرباني وأن يعصياني فلا تزعن الكهانة منك ومن وليك ولا هلكنك واياهما فاخبر شمويل عيليا ففزع فزعا شديدا وسار اليهم عدوهم ومن حولهم فامر عيلي ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو ففعلا وأخرجا معهما التابوت فلما تاهبوا للقتال جعل عيلي يتوقع ماذا صنع القوم فجاء موجل وهو قاعد على كرسيه فاخبره بان الناس قد انهزموا وان ابنيك قد قتلا قال فما فعل بالتابوت قال ذهب به العدو قال فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات فلما بلغ ملكهم ايلاف الخبر أن التابوت قد سلب وان عيليا قد مات قام في الملمات الامير والوزير وأخذ التابوت مريح أمر بني اسرائيل واختل واجترأ عليهم عدوهم فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وذلك بعد ما دبر شمويل أمرهم

عشر

ما هذا من أصحابي فانتبهت الى قبر في بعض البراري كتبت أعرف صاحبه وكان من أولياء الله تعالى

اليهم فوضع الصغير ذلك بينهم ثم نادوا للشيخ أبي بكر الشبلي فدفع قسمهم عن ذلك فاخبره الصغير بقصة ذلك النصراني فقال لهم الشبلي أترضون أن نأكل طعامكم نصراني بغير ثمن كما نأكله فقالوا وما كافأته قال ان تدعوا له بالاسلام قبل ان تأكلوا طعامه قال فدعوا له بالاسلام وهو يسمع فلما رأى النصراني امساكهم عن الطعام مع حاجتهم له ترك الطاقة وقام الزنار ودخل اليهم وقال يا شبلي اسدد يدك فاني أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وحسن اسلامه وصار من أصحاب الشبلي ومن أصحاب الشبلي رضي الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم آمين

(وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم) قال رأيت سيدي عبد الرحيم العيني رضي الله تعالى عنه وهو يسعى بين الاولياء كساعي البريد فقلت له ما تفعل هنا فقال أنا مأمور بتبليغ هذه الرقعة الى أبي سعيد وقال أين تريد فقلت لهم اني أريد أن أسير معكم أين تسيرون فقال أحدهم انك لا تقدر على المسير الى الموضع الذي نقصده فانه لا يصل اليه الا من بلغ عمره أربعين سنة فقال لا أخذ همك على الله عز وجل فسرت معهم والارض تطوى من تحتنا طيا والحسي يقول للعشاق هيا فلم نزل نسير حتى انتهينا الى مدينة مبنية بالذهب والفضة وأحجارها ياقوت وأنهارها اللؤلؤ فقال قد رأيتها

فقال لهم شمويل ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت (وكانت قصة) ذلك التابوت أن القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها اردون وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد واذا الصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا من الغد وقد قطعت يد الصنم ورجلاه وأصبح ما في تحت التابوت فاصبحت الاصنام كلها منكسة فاخرجوه من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان اله بني اسرائيل لا يقوم له شيء فاخرجوه من مدينتكم قال فاخرجوه الى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك القرية فارا بيت الرجل صحيحا فيقرضه الفأر فيصبح ميتا وقد أكلت ما في جوفه فاخرجوه منها الى الصحراء ودفنوه في مجرى لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والقولنج فاخرجوه ووضعوه في بيت فمكث فيهم عشر سنين وسبعة أشهر لا يدنو أحد منه الا احترق وأصابهم في المدينة الا فأر والعاهات وفي مواشيهم الموت وفي نسائهم الطاعون فتحيروا وكانت عند هم امرأة من نساء بني اسرائيل من أولاد الانبياء فقالت انكم لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم عاقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران وكل الله بهما أربعين من الملائكة يسوقونهما فلم يمر التابوت بارض الا كانت مقدسة فاقبلا حتى وقفا على أرض فيها حصاد لبني اسرائيل وكسر يرثهما وقطع حبالهما ووضع التابوت فيها ورجع الثوران الى أرضهما فلما نظر بنو اسرائيل الى التابوت عندهم كبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة أي تسوقه الملائكة (وقال ابن عباس) جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليهم حتى وضعته في دار طالوت فاقروا بملكه قال الله تعالى ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل القيامة والله أعلم

(باب في قصة شمويل حين أوحى الله اليه أن يأمر طالوت بالمسير الى فتال جالوت مع بني اسرائيل وصفة تمام الابتلاء)

قال الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر الآية قال فلما أوحى الله الى شمويل عليه السلام أن يأمر طالوت بالمسير الى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه الا كبير اهرمه أو مريض لم يرشه أو ضعيف لضره أو معذور لعذره وذلك أنهم لما رأوا التابوت قالوا قد أتانا التابوت وهو النصر لا شك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي فيما أرى لا يخرج معي رجل بنى بامرأة ولم يفرغ منه ولا صاحب جارية قد استعملها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بامرأة ولم يدخل بها ولا يتبعني الا الشاب الناشط الفارغ فاجتمع لطالوت ألفا على شرطه فسرحهم وكان في رشيد فشكوا العام بينهم وبين عدوهم وقالوا ان الماء لا يعلنا فادع الله تعالى أن يجري لنا نهرا فقال لهم طالوت يا مر شمويل عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر ليرى طاعتكم وهو أعلم بكم وهو بينكم وبين الاردن وبين فلسطين عذب شاهد فمن شرب منه فليس من أهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه لم يشربه فانه مني ثم استثنى فقال الا من اغترف غرفة بيده وهو قول الله تعالى فمن فتح الغين أراد المرة الواحدة فشربوا منه الا قليلا منهم (قال) السدي كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوزه معه الا مؤمن قال وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فمن اغترف غرفة بيده كما أمر الله تعالى قوي قلبه وصح ورجع ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا منها الفوا أمر الله تعالى واسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شاطئ النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعني الذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون أي يعلمون ويوقنون أنهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الآية وهم قاصدين الجهاد

فيه صور الانبياء من أولاده وفيه بيوت بعدد الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوتة حمراء واذا هو قائم يصلي وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من أمته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن يساره الفاروق وعلى جبهته مكتوب قوي من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم ومن ورائه ذو النورين آخذ بحجزته مكتوب على جبهته بارمن البررة ومن بين يديه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوب على جبهته هذا أخو وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله وحوله عمومته وأخلفاؤه والنقباء والكبكبة الخضراء أنصار الله وأنصار رسوله نور وحوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا وكان التابوت نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذي يتخذ منه الامشاط مموه بالذهب وكان عند آدم عليه السلام الى أن مات ثم عند شيث الى أن مات ثم توارثه أولاد آدم الى أن بلغ الى ابراهيم عليه السلام فلما مات كان عند اسمعيل لانه أكبر ولده فلما مات اسمعيل كان عند ولده قيذار فنازعه فيه ولد اسحق وقالوا له ان النبوة صرفت عنكم وليس لكم الا هذا النور الواحد يعني نور محمد صلى الله عليه وسلم فاعطانا التابوت فكان عندنا عليهم ويقول انه وصية أبي ولا أعطيه لاحد من العالمين قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فعسر عليه فتحه فناداه منادمن السماء مهلا يا قيذار فليس لك الى فتح هذا التابوت سبيل انه وصية نبي ولا يفتحه الا نبي فادفعه الى ابن عمك يعقوب اسرائيل الله لفضل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما قرب قيذار صر التابوت صرة سمعها يعقوب عليه السلام فقال لبنيه أقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا نحوه فقام يعقوب وأولاده جميعا فلما نظر يعقوب الى قيذار سعى اليه باكيا وقال يا قيذار مالي أرى لونك متغيرا وقوتك ضعيفة أرهقك عدو أم أتيت بمعصية بعد أبيك اسمعيل قال ما أرهقني عدو ولا أتيت معصية ولكن أثقل ظهري نور محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك تغير لوني وضعف ركني قال يعقوب أفي بنات اسحق قال لا ولكن في العربية بطرهمية وهي العامرية فقال يعقوب بخ بخ شرف لمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليخرجه الا في العربيات الطاهرات يا قيذار وأنا مبشرك ببشارة قال وما هي قال اعلم ان العامرية قد ولدت لك البارحة غلاما قال قيذار وما علمك يا ابن عمي وأنت بارض الشام وهي بارض الحرم قال يعقوب قد علمت ذلك لاني رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نور القمر المدور بين السماء والارض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت ان ذلك من أجل محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان قيذار دفع التابوت الى ابن عمه يعقوب ورجع الى أهله فوجدها قد ولدت غلاما فسماه علاوفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وكان التابوت في بني اسرائيل الى أن وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان عنده الى أن مات ثم تداولته أنبياء بني اسرائيل الى وقت شمويل عليه السلام فوصل الى شمويل وقد تكامل أمر التابوت بما فيه وكان فيه مما ذكر الله في كتابه فيه سكينة من ربكم (واختلفوا في السكينة) ما هي فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهها السكينة ريح خجوج هفافة لها رأس ووجهها كوجه الانسان وقال مجاهد لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه عن بعض علماء بني اسرائيل في السكينة رأس هيرة كانت اذا صرخت في التابوت صرخة أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح (وروى) السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال هي ملائكة من ذهب الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء (وروى) بكار بن عبد الرحمن عن وهب بن منبه هي روح من الله تتكلم اذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وبقية ما ترك آل موسى وآل هرون (قال المفسرون) فيه عصا موسى ورضاض الالواح وذلك ان موسى لما ألقى الالواح تكسرت فرفع بعضها وجمع ما بقي فجعله في التابوت وكان فيه أيضا لوحان من التوراة وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل ونعلا موسى وعمامة هرون وعصاه قالوا وكان التابوت عند بني اسرائيل اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال أقاموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوهم اياه وذلك في أيام عيلي الكاهن الذي مر بشمويل وقد مضت القصة فيه وكان جالوت يوم سبى قومه التابوت صغيرا فلما ذهب التابوت اختل أمر بني اسرائيل الى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوه الآية على ملكه

ياقوم ان الله تعالى قد أباح الطيب للعباد فقال تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه فانظروا الى أصدقكم قصة فلعل خروج عيسى أن يأتيكم بشيء من القوت قال فاختاروا رجلا فقيرا منهم فخرج ومشى في شوارع بغداد فلم يفتح الله عليه بشيء فاخذه الجوع وأعياه العطش فجلس عند دكان طبيب نصراني عليه من الناس جمع كثير وهو يعطي لكل منهم دواء فنظر النصراني الى الفقير وقال ما بال ما علمك فكره الفقير أن يشكو الجوع الى النصراني ثم مد يده اليه ليجسها فلما جسها النصراني قال أنا أعرف علتك هذه وعندي دواؤها ثم التفت الى غلامه وقال له امض الى السوق واتني برطل بطيخ ورطل شوى ورطل حلاوى فمضى الغلام الى السوق وأتاه بذلك فقال خذ هذا دواء علتك فقال الفقير للنصراني ان كنت صادقا في حكمتك فهذه العلة بأربعين رجلا مثلي فقال النصراني لغلامه امض الى السوق مسرعا واتني باربعين رطلا من ذلك فمضى الغلام الى السوق وأتى بذلك جميعه على حمال فقال النصراني اذهب بذلك الى أصحابك فذهب الفقير والحمال معه

فتحها النصراني بعد اختبار صدق ذلك الفقير فلما دخل الفقير الى أصحابه بالدواء وقف النصراني خلف طاقة ينظر فقال

بالجر قال نعم أنت أشر من الكلب قال لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود بسم الله ويتسم الله لحمك بين السباع وطير السماء وأخذ حجرا منها وقال بسم الله الله ابراهيم ووضعه في مقلاعه وأخذ حجرا ثانيا وقال بسم الله الله اسحق ووضعه في مقلاعه ثم أخرج ثالثا وقال بسم الله الله يعقوب ووضعه في مقلاعه قال مصارب الاحجار الثلاث كلها جبرا واحدا وأدار المقلاع ورمى به فسخر الله الريح حتى أصاب الجبر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا ويقال انه من بعد ما خرج من قفاه تكسر ونفتت باذن الله تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم أحد الا وقد أصابته منه قطعة ومثل ذلك صار كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين حثا الحثوة من التراب فانهزم الجيش وخر جالوت قتيلا وأسرع داود عليه السلام اليه فحز رأسه وانتزع من يده مغفره وأقبل برأسه يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى مدينتهم سالمين غانمين بحمد الله رب العالمين

(ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه الى داود عليه السلام بعد قتل جالوت)

قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعلم في أنه سهم فجاء داود الى طالوت وقال له انجز لي ما وعدتني وأعطني امرأتي فقال له طالوت أتريد ابنتي بغير صداق بل صداق ابنتي وشاتم بها فقال داود لطالوت ما شرطت على صداقا ولي لي شيء فحكم في الصداق بما تريد وأمرني مهرها وعلي الاداء والوفاء له به فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل لا تفعل وأنجز له ما وعدته فلما رأى طالوت ميل بني اسرائيل الى داود وأحسن ثناءهم عليه وقال لا حاجة لابنتي في المال ولا أكلفك الا طريق أنتصر على جيوش وقد جبنا لنا أعداءنا من المشركين فانطلق فجاهدهم فاذا قتلت منهم مائتي رجل وجدتني برؤسهم زوجتك لابنتي فانتهم داود عليه السلام وجعل كلما قتل رجلا احتز رأسه وتلثمه في نحيط حتى نظم رؤسهم ثم جاء بهم الى طالوت وألقاهم بين يديه وقال له ادفع الي امرأتي فزوجه امرأته وأجرى له ما كان لها فقال الناس الى داود عليه السلام وأحبه بنو اسرائيل وأكثر وامن ذكره فوجد طالوت من ذلك في نفسه فأراد قتله (قال وهب بن منبه) كانت الانبياء والملوك يومئذ يكونون على العصي ويغزون في أطراف العصي أو جيوشا صغيرا وكان داود عليه السلام بالسافي ناحية البيت فدخل طالوت فرماه بالعصابة التي كان يصيد بها الأسد فرماه داود بذلك الحجر من رميه وأصاب نفسه من غير أن يبرح من مكانه فارتكزت العكازة في الجدار فقال له داود أردت قتلي قال طالوت لا بل أردت أن أقف على تباث عند الملمات وربط جأشك للاقران فقال له داود عليه السلام أطلقتني على ما قدرته قال نعم ولكن لا طلاقك فرعت قال معاذ الله ان أحلف بالله ولا أحلف به ولا يدفع الشر الا هو ثم ان داود انتزعها من الجدار ودهرها هرة منكرة وقال له اثبت لي كاثبت لك فاثبت طالوت بالوعد فقال له أنشدك الله وبحرمة المصاهرة التي بيني وبينك وما كان هذا القول من داود عن مسألة طالوت ولكن كان مقال تخويف وتحذير فقال داود لطالوت ان الله قد كتب في التوراة جزاء السيئة بمثلها واحدها والبادي أظلم فقال طالوت أذلا قول قول هابيل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين فقال داود اني قد عفوت عنك لو جه الله تعالى وليث طالوت زمانا يريد قتل داود عليه السلام فعزم على أن يأتيه ويقتله في داره فاضجع بذلك بنت طالوت زوجة داود أخبرها رجل يقال له ذو السنين وقال له أود أن أقول القول الليلة قال ومن يمنعني قالت أبي قال وهل أجرمت جرما قالت حدثني من لا أكذب ولا أتهم بأس أن تغتاله الليلة حتى تقتله فلما رأى ذلك منها قال لها لا أستطيع خروجا ولكن ائتيني برفق من خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على السرير ووجهه ودخل شغب السرير قال فدخل طالوت نصف الليل وأراد أن يقتل داود فلم يجده فقال لابنته أين بعلك فقالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف فسالها لدم فلما وجد ريح الخمر قال رحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت مخافي أن لا يعطني حتى يدرك ثاره مني ثم انه استتر بحجابه ورحاسه وأغلق دونه الابواب قال فاتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنا الحجاب وفتح الله له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند

هذا اليوم وهو يوم العيد فقلت له لا تفعل ذلك فان الله تعالى قد رخص لنا في الترك والله سبحانه

نفاحك قال فتساقط على من التفاح شيء كثير فضحكت وقالت من عندك هذا قلت

نفسي والله عند ذلك وما كنت أعرفه ان أنتهي من آثار الاولياء رضي الله عنهم ونفعنا بهم في الدارين ومدنا من مددهم وأنفاسهم الطاهرة آمين *(وحكى عن الشيخ أبي الربيع المالقي عفا الله عنه)* انه قال سمعت بامرأة من المتعبدات الصالحات في بعض القرى اشتهر أمرها وكان من دأبنا ان لا نزور امرأة حتى تستأذن الحاجب الى زيارتها لان طالبا على أكرامنا فنزلنا القرية التي هي بها فاذكر والدان بعضنا شاة فاشترينا واحدة جيدة لم يوجد ثم مثلها فذبحناها وطبخناها وهيأنا لها طعاما من هذه الشاة فلما أكلنا قال لها بعضنا ما أذكرك انا ذبحنا شاة فاشترينا واحدة جيدة لم يوجد ثم مثلها فذبحناها وهيأنا لها طعاما من هذه الشاة فقالت لنا الشاة فقلنا لها في ذلك القدير ثم شربنا وعدنا لبيتنا وسألنا الحاجب فلما رأينا دلك سألنا المرأة عن قصتها فقالت لنا نعم أخبركم بها وذلك انه كان لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن عندنا غيرها فقال لي زوجي وكان رجلا صالحا امضي بنا حتى نذبح هذه الشاة في

وأكلا من ثمرها ثم أخذت مني ثلاث تفاحات فلم يحفوني من أخذها فسألتهم عند الانصراف عن هذه المدينة لواهلها مدينة الاولياء فاذا أراد الاولياء النزهة ظهرت لهم تلك المدينة أينما كانوا فاذا دخل فيها أحد قبل الاربعين غيرك قال فلما رجعنا وجدنا في خلدنا مكة أعطيت الدامغاني تفاحة فقذفها فلامني أصحابي وقالوا اردد ما أعطيت الى مكانه فكنت كلما جعت أكلت من تلك التفاحة وهي لا تتغير فرجعت الى أهلي وقد بقي منها تفاحة واحدة غير التي ادخرتها لنفسي فعانقتني أختي وقالت أين الذي اتحفتنا به من سفرك فقلت لها وما الذي اتحفكم به وأنا بعيد عن الدنيا وعن الراحة فقيرا لحال فقالت أختي فاين التفاحة فقلت وأي تفاحة فقالت يا مسكين والله لقد أدخلوني تلك المدينة وأنا بنت عشرين سنة وأما أنت فلم تزرها الا بعد أن طردوك وأنا والله جذبت اليها جذبة وخطوت اليها خطوة قال فتعجبت من كلامها وقلت يا أختي ان البدل الكبير منهم قال لي لم يدخلها أحد قبل الاربعين غيرك قالت قم يا أختي من المريدين وأما المرادون فيدخلونها ولا يرضون بها ومتى شئت أن تريكها فقلت فقالت فقامت فالمدينة حضرة فوالله لقد أنت تلك المدينة فنظرت اليها فقلت يا هذه قالت يا أخي

(باب في ذكر امر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله)

قال الله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا الى قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون والمخبرون بالفاظ مختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ابنا أبو داود وهم ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وأسقرهم فأتى ان يوم اباه فقال يا أبتاه انفذت بعقلاعي هذه شيأ الا أصبته وصرعته فقال أبشر يا بني فان الله قد جعل رزقك في ذوائبك يعني في مقلاعك ثم أتاه يوما آخر فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فرأيت أسدا وابضا فركبته وقبضت باذنيه فلم يهمني فقبضت على مكيه ففطرتهما برأسه وعنقه الى لبته بيدي من غير سكين ولا ضرب بحديد وتراهما هنالك مقتولا فقال له أبوه أبشر يا بني فان هذا خير أعطاكه الله ثم أتاه يوما آخر وقال يا أبتاه اني لامشي بين الجبال فاسمع فايقن جبل الاسمع مني قال أبشر يا بني فان هذا خير أعطاكه الله وسيكون لك شأن عظيم قال فلما وصلت غزاة بني اسرائيل مع طالوت الى عسكر جالوت أرسل جالوت الى طالوت أن ابرز الي أو أبرز الى من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته مملكتي فهاب الناس قتال جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى في ذلك فأتي بقرن فيه دهن القدس وشبه تنور من حديد وقيل له ان الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا الشور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت أشداء بني اسرائيل وأقوياءهم فجربهم فلم يوافق منهم أحدا فاوحى الله الى شمويل عليه السلام ان في ولد ايشا من يقتل جالوت واني أريد أن أجعله خليفة في الارض من بعدك أعلمه فجعل الخطاب وهو راعي الغنم فقال لايشا يعرض عليك بنيه واحدا واحدا فدعا ايشا وقال له اعرض علي بنيك فأخرج له اثني عشر ولدا أمثال السواري وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلم ير شيأ ويقول الله تعالى الجسيم ارجع فيردده على التنور فاوحى الله تعالى اليه انا لا ننظر الى الرجال على صورهم ولكنا ننظرهم على صلاح همهم وقلوبهم فقال لايشا هل بقي لك ولد غيرهم قال لا قال شمويل رب قد زعم انه ليس له ولد غيرهم فقال كذب فقال شمويل يا ايشا ان ربي كذبك قال صدق الله يا نبي الله ان لي ابنا صغيرا يقال له داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته وخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا وكان داود عليه السلام قصيرا سقيما مصفرا أزرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج اليه فوجد الوادي قد مال بالماء بينه وبين الزريبة التي كان يتروح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين يعبر بهما السيل ولا يتعوض بهما الماء فلما رآه شمويل قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو أرحم بالناس فدعاه فوضع القرن على رأسه فغاص وابتلعه في التنور فلأه فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري حكمك في مملكتي قال نعم قال فهل لقيت من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم أنا راعي الغنم فيجيء الاسد والنمر والذئب ليأخذ شيأ فاقوم اليه وأقبضه وافتح فيه عنها وأخرقهما الى قفاه فلما سمع طالوت منه ذلك رده الى عسكره فرد داود عليه السلام في الطريق بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هرون الذي قتل به ملك كذا وكذا ووضعه في مخلاته ثم مر بحجر آخر فناداه يا داود احملني فاني حجر موسى عليه السلام الذي قتل به ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت وقد نجاك الله تعالى فوضعه في مخلاته فلما تصافوا للقتال برز جالوت وسأل المبارزة فانتدب له داود وكان طالوت أعطاه فرسا ودرعا وسلاحا فركب الفرس ولبس السلاح وسار قليلا فوجد في نفسه زهوا فانصرف وعاد سريعا الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء حتى وقف على الملك فقال له ما شأنك فقال له داود ان الله تعالى ان لم ينصرني فما يغني عني هذا السلاح شيأ فدعني أقاتل كما أريد فقال له طالوت افعل ما تريد فأخذ داود عليه السلام مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزنها ثلثمائة رطل حديدا وكان له فرس أبلق مثله في الشدة والقوة وعظم الخلق فلما برز جالوت الى داود ألقى الله تعالى في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز الي قال نعم وكان جالوت راكبا على فرس أبلق وعليه السلاح التام فقال له يا بني تأتيني بالحجر بالمقلاع كما يؤتى الكلاب

اسرائيل الى داود فاعملوا منزلة طالوت وملكوه على أنفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون الا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة الآية

(باب في ذكر نسبه)

هو داود بن ايشا بن عوفيذ بن بوعز بن سلمون بن يخشون بن عيذوب بن رم بن حصرون بن بارص بن يهوذا ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين

(باب في ذكر صفته وحليته)

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع العينين عن وكان داود عليه السلام أزرق العينين أشعر الوجه في الساعدين سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية قيم الحدود حسن الصوت والخلق طاهر القلب نقي

(باب في ذكر ما منّ الله تعالى به على نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامات حين أعطاه الله النبوة والملك)

(فمنها) انه أنزل عليه الزبور بالعبرانية مائة وخمسين سورة في خمسين منها ذكر ما يكون من بختنصر وأهل بابل وفي خمسين منها ذكر ما يكون من الروم من أهل ايرون وفي خمسين منها موعظة وحكم ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى وآتينا داود زبورا (ومنها) الصوت الطيب والنغمة الطيبة الذي بنغمة الترجيع والالحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحنا بحيث يعرف الخوارج صوته فيتبعه المغني عليه وكان اذا قرأ الزبور يزال البرية فيقوم وتقوم معه الملائكة بني اسرائيل خلفه وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنو الوحوش والسباع ويؤخذ بأعناقها وتتلاقى الطير وتضجيه ويركد الماء الجاري ويسكن الريح وما سمعت المزامير والبرابط والصنوج الاعلى صوته ولذلك ان ابليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لطائفة ألا تروني ما دهاكم فقالوا لا مر ما جاءك فقال انه لا يصرف الناس عن داود الا ما يفتنه و يحاسده في مثل حاله فهيؤا المزامير والعيدان والاوتار والملاهي على أجناس أصوات داود فسمعها الناس فلزموا الها فاقتتلوا فيما بينهم فيقال ان داود عليه السلام كان اذا قرأ الزبور بسبعة ألوف من الذئب لا يقف له الماء ولا تصفي له الوحوش ولا البهائم ولا الطير وكما كانت قبلها وتنسى نفسه فقال الهي ما هذا فأوحى الله تعالى اليه ذلك أن الطائفة وهذه وسوسة الحسية يا داود ان الخليقة هي التي غيرت صوتك وحالك فقال الهي أوليس فيخزائنك قال بلى ولكن ارتفعت الحالة التي بيني وبينك من الود والقرب فان تدركها أبدا (أخبرنا) أبو سعيد بن أحمد بن حدون عن وهب بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خفف الله على داود القرآن فكان يأمر بدابته فتسرج فكان يقرأ القرآن قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل الا من عمل يده قال الامام اذا أراد أن يقرأ الزبور وبالاسناد أخبرنا أبو بكر البوزقي عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود فقلت أما والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا (وأخبرنا أبو بكر) قال أخبرنا أبو العباس بالاسناد عن البراء بن عازب قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من صوت آل داود (ومنها) تسخير الجبال والطير له يسبحن معه اذا سبح كما قال الله تعالى وألنا له الحديد وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ويقال ان داود عليه السلام كان اذا قال الجبال سبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه ليلة من الليالي لا عبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد مثلها فصعد الجبل فلما كان في جوف الليل داخلته وسوسة فأوحى الله تعالى الى الجبال ان آنسي داود فاصطكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الاصوات فهبط عليه جبريل عليه السلام وأخذ بعنقه حتى انتهى به الى البحر فوكزه برجله فانفرج له البحر فانتهى به الى الارض فوكزها برجله فانفجرت له الارض فانتهى به الى يعمل ذلك وهذا من صدقهم مع مولاهم رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم في الدنيا والآخرة ومدنا من مددهم آمين (وحكى عن مالك بن دينار

السقطي تلميذ وكانت امرأة صالحة وكان لها ولد عند المعلم فبعثته المعلم يوما الى الدجلة فنزل الصبي في الماء فغرق فأتى المعلم على نفسه وأتى الى السري السقطي فأخبره بذلك فأغشي عليه فقال قوموا بنا الى أمه وكان معهم الجنيد فتكلم السري السقطي مع أم الصبي في علم الصبر وعلم الرضا فقالت المرأة يا أستاذي وأي شيء نريد بذلك فقال لها السري ان ولدك قد غرق فقالت ان الله عز وجل لم يفعل ذلك ثم قالت قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا الى النهر فقالت المرأة أين غرق ولدي فقال المعلم هو ذا في هذا الماء بيده ابني شهيدا بإذن الله تعالى فلما أن أتاه فدخلت واحتضنت بيدها ولدها تعالى منزلها يا أستاذ السري الى أي شيء هذا فقال الجنيد أول ان هذه المرأة صابرة لله عز وجل راضية بما فعل الله عز وجل بها من كان هكذا حكم من كان مع الله عز وجل عليه فاهرا لا تعجب حادثة حتى يعلم بها فاما كان دأبها ذلك لم تكن حادثة الا علمت فانكر ذلك وقالت ان ربي لم

رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرفها فقال رحم الله داود هو خير مني ظفرت به فتصدق قتله وظفر بي فكف عني لو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه فلما كانت الليلة المقابلة أتاه داود ثانيا وأعمى الله عنه أعين الحجاب فدخل وهو نائم على فراشه فأخذ ابريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب به وقطع شعرات من لحيته وشيأ من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وشدد في طلبه فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب ذات يوم فوجد داود عليه السلام يمشي في البرية فقال طالوت في نفسه اليوم أقتل داود أنا راكب وهو ماش وكان داود اذا فر لم يدرك فركض طالوت في أثره واشتد داود في الجري فدخل غارا فأوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان ههنا لخرق بيت العنكبوت فتركه ومضى فلما مضى خرج داود من الغار وانطلق الى الجبل مع المتعبدين فجعل يتعبد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود الا قتله فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر في بني اسرائيل على عالم يطيق قتله الا قتله ولم يكن يحارب جيشا الا هزمه حتى أتى بأس أة تعلم الاسم الاعظم فأمر بخبازه بقتلها فرحمها الخباز وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ووضع الله في قلب طالوت التوبة فندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي وينادي أنشدك الله عبدا يعلم لي توبة الا أخبرني بها فلما كثر عليهم بكاؤه ناداه منادمن القبور يا طالوت أما ترضى انك قتلتنا أحياء حتى تؤذينا أمواتا فازداد حزنا وبكاء فرحمه الخباز فقال له مالك أيها الملك فقال هل تعلم لي في الارض عالما أسأله هل لي من توبة فقال له الخباز أيها الملك هل تدري ما مثلك قال لا قال ما مثلك الا كمثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا في هذه القرية ديكا الا ذبحتموه فلما أراد أن ينام قال لاصحابه اذا صاح الديك فايقظوا حتى ندبح فقيل له وهل تركت ديكا يسمع صوته وأنت هل تركت عالما في الارض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال أرأيت ان دللتك على عالم لعلك تقتله قال لا فتوثق منه الخباز بالايمان فأخبره ان المرأة العالمة عنده فقال له انطلق بنا اليها أسألها هل لي من توبة وكانت تعلم الاسم الاعظم وكان انما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها فنبت رجالهم وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال له الخباز انها ان رأتك فزعت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال ألست أعظم الناس عليك منة أنجيتك من القتل وأوثقتك عندي قالت بلى قال لي اليك حاجة هذا طالوت يسألك هل له من توبة فلما سمعت بذكر عشي عليها من الفرق فلما أفاقت قال لها انه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل له من توبة قالت لا والله ماله من توبة ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا الى قبره فلما وصلوا اليه صلت عنده ركعتين ثم انها نادت يا صاحب القبر فخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن رأسه فلما نظر الى الثلاثة المرأة والخباز والملك فقال لهم أقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال له شمويل ما فعلت يا طالوت بعدي قال لم أدع شيأ من الشر الا فعلته وقد جئت أطلب التوبة قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة الا أن تخلي من ملكك وتخرج أنت وولدك تجاهد في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم ائذن لقاتل حتى تقتل آخرهم ثم رجع شمويل عليه السلام الى القبر فسقط ميتا ورجع طالوت أحزن ما يكون وخاف أن لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهبت أشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم أرأيتم لو دفعت الى النار أكنتم تقتدونني قالوا نعم نفتدك بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فاعرض علينا ما قلت فذكر لهم القصة فقالوا وانك لمقتول بعدنا قال نعم قالوا لا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت فتجهز بأولاده الى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بعدهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله الى داود يبشره بقوله له قد قتلت عدوك فقال داود ما كنت بالذي تحيا بعده فضرب عنقه

(مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها)

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الآية قالت العلماء باخبار الانبياء لما استشهد طالوت أتى بنو

الهنا فبينما نحن كذلك اذ استضافنا ضيف في ذلك اليوم ولم يكن عندنا ما نقري به هذا الضيف فاحتجنا فاحتلبت له يا رجل هذا ضيف وقد أمرنا باكرامه فذبحت الشاة واذبحها فقال نخاف ان تبكي عليها صغارنا فقلت له خذها واخرج بها من البيت واذبحها وراء الجدار فأخذها ومضى فلما رأت دمها قفزت من أعلى الجدار ونزلت الينا فحسبت انها قد انفلتت منه فخرجت لانظرها فاذا هو يسلخها فقلت له يا رجل رأيت عجبا وذكرت له قصة هذه الشاة التي نزلت من أعلى الجدار فقال الرجل لعل الله تعالى أبدلنا خيرا منها فكان كذلك فكانت تلك الشاة تحلب لنا وهذه تحلب لنا وعسلا وهذا كله ببركة اكرام الضيف قال فتعجبنا من ذلك ثم قالت يا أولادي ان شوهتنا هذه ترعى في قلوب المريدين فاذا طابت قلوبهم طاب لبنها واذا تغيرت قلوبهم تغير لبنها فطيبوا قلوبكم (قلت) وقد عنت بذلك نفسها وزوجها ولكن أطلقت لفظا ظاهره العموم مع ارادة التخصيص سترا وتحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم اذ بطيب القلوب يحصل كل طيب يحبوب من الانوار والاسرار ولذة العيش عندنا مثل القفار والمعنى في ذلك انها طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب

وهو يبكي ويقول ان الحبيب الذي يخشى منفلتني * وعلى سلامته في الحل والحرم والله لو علموا وعلى عشقه

البطش فيروى انه ما فر ولا انهزم من عدو له قط (ومنها) الانة الحديد له وكان سبب ذلك ما روى في الاخبار ان داود عليه السلام اسلم ابنى اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليكم هذا أي الرجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فيفعل هو كذلك يوما من الايام اذ فيض الله له ملكا في صوره الآدميين فلما رآه تقدم اليه داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خلة فيه فقرع داود ذلك فقال ما هي يا عبد الله قال ان داود يأكل و يطعم عياله من بيت المال فقال فتبا لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فيتفرق منه ويطعم عياله فألان الله الحديد فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير ادخال نار ولا ضرب بحديد وعلمه الله تعالى صنعة الدروع وكان يقتدر في اليوم على عمل درعين وأول من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فأتى فيقال انه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف درهم فيأكل و يطعم عياله و يتصدق منها على الفقراء والمساكين وذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقوله تعالى وألنا له الحديد أن اعمل سابغات أي دروعا كوامل واعمل في السرد أي لا تجعل المسامير دقاقا فتعلق ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى استغنى عن ذلك مالا

(وروى) أن لقمان الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من ذلك ولم يدر ما هو فأراد أن يسأله فسكت حتى فرغ داود من نسج الدرع فقام ولبسه وقال نعم الشيء هذا للرجل المحارب فعلم لقمان ما يراد به فقال الصمت حكمة وقليل فاعله

* (باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلي بالخطيئة وما يتصل بذلك) *

قال الله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم الآيات اختلف العلماء باخبار الانبياء في سبب امتحان الله تعالى نبيه داود عليه السلام بما امتحنه الله به من الخطيئة فقال قوم كان سبب ذلك انه تمنى يوما من الايام على ربه تعالى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وسأله أن يبتليه بمثل الذي كان يبتلهم و يعطيه من الفضل مثل الذي أعطاهم (فروى) السدي الكبير وغيره قال حدثني بعض أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضي فيه بين الناس و يوما يخلو فيه لنسائه و يوما لعبادة ربه وصوامعه الكتب وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق و يعقوب عليهم السلام فيقول يا رب أرى الخير قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأوحى الله تعالى اليه انهم ابتلوا بلايا فصبروا واعطوا فشكروا وعفوا فاستغفروا وعلم ابليس لعنه الله ما أعطى داود عليه السلام بكاء الدهر وذلك بأنه رأى له مواقيت لا يأتي فيها الناس و يبتلي بالحزن والبكاء فيها فذهب ليصيبه بشيء من ذلك فقال داود عليه السلام يا رب ابتلني كما ابتليتهم وأعطني كما أعطيتهم فأوحى الله تعالى اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس على نفسك في ذلك اليوم الذي وعده الله فيه دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي و يقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان متمثلا له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه فمد يده ليأخذها (وفي بعض الروايات) ليدفعها الى ابن له صغير فلما أهوى اليها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فقام اليها ليأخذها فتنحت فطارت فوقعت في كوة فذهب لياخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فبصر بها من بعيد فاذا هي عند عين على شط بركة تغتسل هناك وكان لها امرأة من أحسن نساء زمانها فجن داود من حسنها وجمالها التفاتة بصره نظر داود عليه السلام فقرت عينها فغطى بدنها كله وعاد بذلك الجانب فسأل عنها فقيل له هي ساريخ بنت شائع امرأة أوريا بن حنان وزوجها في غزاة البلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته أيوب صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا الى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع الى وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعث به فتح له فكتب اليه داود بذلك فكتب اليه داود أن ابعث أوريا الى موضع كذا وكان رئيسها أشد من به بأسا فبعثه فقتل في المرة الثانية فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهي أم سليمان

عليه السلام وقال آخرون انما سبب امتحانه أن نفسه حدثته انه يطيق قطع يوم بغير مقارفة فسيئة وعن الحسن

تعالى عنه * (وحكي عن البهلول رضي الله عنه انه قال) * بينما أنا في يوم من الايام ماز في شوارع البصرة فاذا بصبيان يلعبون بالاوز وابو

فامت على رأسه فاقبل عن القدم

ما ذكي لا ثاني في مراده ولو عاينت عينه الذي عاينته لم تكل

يطوف بالبيت قوم لهم سيارة لله طافوا الا عناهم عن الحرم

تعنى الحبيب بنفسي يوم عيدهم والناس حولي بين الثلة والعنم

للناس حولي بين الى سكنه تهدي الاضاحي وأهدي مهجتي ودمي

ثم قال اللهم ان الناس ذبحوا وتقربوا بالبدنة بضحاياهم وهديهم وليس لي شيء أتقرب به اليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه واذا بقائل يقول هذا حبيب الله مات شوقا الى الله قال الله تعالى بلى وعزتي وجلالي لا يأتيني محب الا قربته وأدنيته بالمقرب ثم بنى تلك الليلة مفكرا في أمره فرأيته في المنام وعليه ثياب من السندس والاستبرق فقلت له ما فعل الله بك فقال فعل بي كما فعل بالشهداء يوم بدر فهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بحبة الملك العزيز الجبار قال فتجهت منه رضي الله

الحوت فوكزه برجله فانتهى به الى الصخرة فوكز الصخرة برجله فانفلقت فخرج منها دودة تنش فقال له جبريل ان ربك يسمع نشيش هذه الدودة في هذا الموضع (قوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق) قال المفسرون يعني صلاة الضحى وصلاة الاوابين بين العشاءين قال ابن عباس وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر (ومنها) أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هي الاصابة في الامور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعنى علم الحكم والنظر في القضاء كان لا يتتعتع في القضاء بين الناس وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر (أخبرنا) أبو عبد الله قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطي داود عليه السلام ما أخبرنا أبو حفص عن الاعمش عن أبي صالح عن كعب الاحبار في قوله وفصل الخطاب قال الشهود والايمان عن الشعبي قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطي داود أما بعد قال الاستاذ الامام وحيا الله تعالى وهو أول من قالها (ومنها) السلسلة التي أعطاها الله تعالى له ليعرف المحق من المبطل في المحاكمة اليه (وهو ما روى) الضحاك عن ابن عباس قال ان الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالجوزة والثلاث ورأسها عند محراب داود عليه السلام حيث يتحاكم الناس اليه وكانت قوائمها قوائم الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مقدار الجوهر ومدبرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في السماء حادث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحادث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكان علامة دخول قومه في الدين أن يمسوها بايديهم ثم يسجدون باكفهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون اليها فمن اعتدى على صاحبه أو أنكر ماله من حق أتى السلسلة فمن كان صادقا تعلقت يده الى السلسلة فيأخذها ومن كان كاذبا ظالما يناها فكانت فيهم الى أن ظهر فيهم المنكر والخديعة قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاءه يسترد ها أنكرها فافتحا كما الى السلسلة فعلم الرجل الذي كانت عنده الجوهرة أن يده لا تنال السلسلة فعمد الى عكازة له فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر معه غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة ان لي عندك ودعة فقال خصمه ما أعرف لك وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده ثم قبل للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة الزم أنت عكازتي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم ان كنت تعلم ان هذه الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب مني السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وتحكروا فيها فاصطحوا وقد رفع الله تلك السلسلة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا اشتبه عليه الامر بين الخصمين اللذين يتحاكمان اليه يقول ما أحوجكما الى سلسلة بني اسرائيل كانت تأخذ بحق الظالم فتقره الى الحق جزا (ومنها) القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد يعني القوة في العبادة انه أواب أي تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوما ويفطر يوما يصوم النهار ويقوم الليل ويأمر بذلك من الليل الا وفيها من آل داود قائم يصلي ولا يوم من الايام الا وفيه منهم صائم (ومنها) قوة الملك كما قال الله تعالى وشددنا ملكه أي قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالتشديد (وقال ابن عباس) كان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل قال السدي كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل (أخبرنا) عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل تعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام فقال المتعدى ان هذا قد غصبني بقرتي فسأل داود الرجل عن ذلك فجحد وسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده فأوحى الله تعالى له في منامه أن يقتل الرجل الذي تعدى فقال هذا مرؤ با فأوحى الله تعالى اليه مرة ثانية أن يقتله فأرسل داود الى الرجل فقال له ان الله تعالى قد أوحى الي أن أقتلك فقال له الرجل تقتلني بغير ذنب ولا بينة فقال داود نعم والله لا أنفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل علي حتى أخبرك اني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت قد قتلت ولد هذا فقتلته فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه ويقال كان داود اذا جلس للحكم كان على يمينه ألف رجل من الانبياء وعن يساره ألف رجل من الاحبار (ومنها) شدة

سلمت عليه فرد علي السلام فقلت أجبها لشاب من اين انت قال من عنده فقلت والى اين قال اليه فقلت وأين الزاد والراحلة فقال عليه فقلت له ان الطريق لا تقطع الا بالمأكل والمشرب فهل معك شئ قال نعم قد تزودت عند خروجي من بلدي خمسة أحرف فقلت ما هي فقال قوله تعالى كهيعص فقلت ما معنى كهيعص فقال اما قوله كاف فهو الكافي وأما الهاء فهو الهادي وأما الياء فهو الذي يؤوي وأما العين فهو العالم وأما الصاد فهو الصادق فمن صحب كافيا وهاديا ومؤويا وعالما وصادقا فلا يضيع ولا يخشى ولا يحتاج الى الزاد والراحلة قال مالك فلما سمعت هذا الكلام تركت نصيبي لا بسمله فابى أن يقبله وقال ياشيخ لعسرى خبر من ثياب الغسني حلالها حساب وحرامها عقاب فكان ذا جن الليل يرفع رأسه نحو السماء ويقول يا من لا تنفعه طاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما لا ينقصك واغفر لي ما لا يضرك فلما أصبح الناس ولبوا قلت لبيك لا تلبي فقال ياشيخ

فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله وقال بعضهم كان ذنب داود أن أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غلب في نزاله خطبها داود فتزوجت منه فلا لذلك أوريا فشاء الله أن عاتبه الله على ذلك حتى لم يترك هذه الواحدة تلك الاولى وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه وما يصدق ما ذكرناه ما نقل عن المفسرين المتقدمين مما أخبرنا به عقيل بن محمد الفقيه المغاوري عن ذكريا عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظر الى المرأة قطع على بني اسرائيل بعثا وأوصى صاحب البعث اذا حضر العدو فقدم فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملكان ليقصا عليه قصته فنظن داود وحدة فمكث أربعين ليلة ساجدا يبكي حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الارض جبهته وهو يقول في سجوده زل داود زلة هي أبعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلائق من بعده فأتاه جبريل عليه السلام بعد أربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود وهل علمت ان الله قادر على أن يغفر الهم الذي هممت به وقد عرف ان الله عدل لا يحيف فكيف بفلان يعني أوريا اذا جاء يوم القيامة فقال يا رب دمي الذي عند داود قال جبريل ما سألت ربك من ذلك ولئن شئت لافعلن قال نعم فرجع جبريل عليه السلام وعند داود فكشحها فاه الله ثم نزل فقال مد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال الله تعالى قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فاقول ان لك في الجنة مائة حوراء وثمانين قصرا من در مجوف أخبرنا ابن فضويه باسناده عن كعب الاحبار وعن وهب بن منبه قالوا جميعا ان داود عليه السلام لما دخل على الملكين وقضى على نفسه تولى فاذا هو برجلين ماثلين بين يديه وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود أنما فتناه فخر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لا بد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو يناديه تعالى ويسأله التوبة وكان يقول في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلائق بما شاء سبحان خالق النور سبحان خالق الليل بين التراب الهي خطيئتي وبين عدوي ابليس فلم أتنبه لما نزل بي قدني سبحان خالق النور الهي تركت الشكوى على ولدها اذ فقدته وبكى داود على خطيئته سبحان خالق النور يغسل الذنوب فذهب دموعه وروسخوا ما تحته لازمن لي لا تنبهني سبحان خالق النور الهي لم أتعظ بما وعظت به غيري سبحان خالق النور الهي أستحي أن أكون لئيم كالاب الرحيم والاخ الرحيم كالوالد العطوف فتب علي عبدك سبحان خالق النور الهي خلقتني وفي سابق علمك كنت ما أنا صائر اليه سبحان خالق النور الهي الويل لداود اذا كشفت عنه الغطاء فقال هذا داود ما بال سبحان خالق النور الهي بأعين أنظار الملك يوم القيامة وأعين أنظار الخلائق من طرفه تحق سبحان خالق النور الهي بأي قدم أقوم أمام الملك يوم تزل أقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب سبحان خالق النور الهي من هول ذلك اليوم وكنت أعرفها يا معلم المؤمنين فتب علي واغفر خطيئتي لازمتني سبحان خالق النور الهي أمطرت السماء ولم تمطر حولي وأعشبت الارض ولم تعشب حولي بخطيئتي سبحان خالق النور الهي أنا الذي لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي أنا الذي لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جبارك ثم سبحان خالق النور الهي كنت نسترا خاطئين بخطاياهم وأنت شاهد حيث كانوا سبحان خالق النور الهي رق العظم وجمدت العينان من خشاف الحزين على جسدي سبحان خالق النور الهي الطير تسبح لك وأنا العبد الخاطئ الضعيف الذي لم أرع وسيلتك سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب ولا عاصم له بذلك سبحان خالق النور الهي أنا المستغيث وأنت المغيث فمن يدعو المغيث الا المستغيث سبحان خالق النور الهي أسألك بأبي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن تعطيني سؤلي سبحان خالق النور اللهم يا حنان اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهوائي فانك أرحم الراحمين سبحان خالق النور الهي اني أعوذ بك من دعوة

والصرف الغلام من بيته
يا ي فلما أفقت نظرت
الى الدار فلم أر الصبي
منهم فسألتهم من يكون
ذلك الصبي فقالوا لا
ما تعرفه فقلت لا تقولوا
هذا من أولاد الحسين
ابن علي بن أبي طالب
رضوان الله تعالى عليهم
أجمعين ونحن لهم سبي
وبأنفسهم الطاهرة
* (وحكي عن حبابة
الجهني رضي الله تعالى
عنها انه قال) * كان لي
زوج حسن الخلق كنت
أشتهيها لسوء خلقها
فقالت لي يوما من
الايام اذا لم يقم علي
فلا تدخل الينا ولا ربنا
وجهك فقال لها ربما من
عندها الى بابها مهموما
مغموما فضرب أذنه
الى العمد ثم أتيت الى
البيت فخلا من يبوتوا
فقول القائل من شرها
فلما دخلت البيت طار
على وقالت أخزاك الله
التي أن يجمع أصلها
ان الذي أ أرى
كريم واستحيي أن
استقبل في الاسرة قال
فكنت معها على
ذلك الحال أياما وأنا أذهب
الى بابها وأرجع فلما طال علينا
الحال قامت علي وقالت
اطلب أخرجتك مني أو
أخرج نفسي فلم أجد

أخبرنا شعيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر أربعة أجزاء يوما للنساء ويوما للعبادة ربه ويوما لقضاء حوائج المسلمين ويوما لبني اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه يسألهم ويسألونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو يقرأ اذ هو بحمامة من ذهب فيها كل شئ حسن قد وقعت بين يديه فاهوى اليها ليأخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله في الارض جللت جسدها بشعرها فزاده ذلك اعجابا بها وكان قد بعث زوجها في بعض جيوشه فكتب اليه أن سر الى مكان كذا وكذا مكانا اذا وصل اليه قتل ولم يرجع ففعل فأصيب فخطبها داود وتزوجها وقال بعضهم في سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن ابن محمد ان داود عليه السلام قال لبني اسرائيل حين ملك والله لا عدلن فيكم ولم يستثن فابتلي (وقال أبو بكر) ابن محمد بن عمر الوراق كان سبب ذلك ان داود عليه السلام كان كثير العبادة فاعجب بعمله فقال هل في الارض أحد يعمل عملي فأتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول أعجبت بعبادتك والعجب يأكل العبادة فلما أعجبت ثانيا وكانك الى نفسك فقال داود يارب كاني الى نفسي سنة فقال انها لكثير قال فشهرا قال فانه لكثير قال فاسبوعا فقال انه لكثير قال فيوما فقال انه لكثير قال فساعة قال فشأنك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه فبينما هو في نسكه وعبادته اذ وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة ما كان قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله تعالى ملكين في صورة رجلين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهم اطراس أن يدخلا عليه فتسوروا المحراب وهو يصلي فاشرف الاوهما بين يديه بالثنايا فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أي ولا تجر ولا تفرط واهدنا الى سواء الصراط ارشدنا الى وسط الطريق المستقيم ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيرا تورى عن النساء وتكني عنها بالعقاب كالظباء والنعاج والبقر وهو كثير فاش في أشعارهم فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال الضحاك أعطنيها وتحول لي عنها واجعلها كفلي أي نصيبي وعزني في الخطاب قال الضحاك يقول ان تكلم كان أفصح مني وان حارب كان أبطش مني فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه (قال السدي) باسناده ان أحدهما قال ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة قال داود للآخر ما تقول قال ان لي تسعا وتسعين نعجة وله نعجة واحدة فاريد أن آخذها منه وأكمل تعاجي مائة قال وهو كاره قال نعم قال اذا لا ندعك وان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا يعني طرف الانف وأصل الجبهة فقال الرجل يا داود أنت أحق بضرب هذا مني حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاوريا الا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية لا أن داود حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر قالوا ثم ان داود نظر فلم ير أحدا فعرف ما قد وقع فيه فذلك قوله تعالى وظن داود انما فتناه أي ابتليناه وقال سعيد بن جبير انما كانت فتنة داود بالنظر قال الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يتعمد داود عليه السلام النظر الى المرأة ولكنه أعاد النظر اليها فصارت عليه بالا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وعليك الاخيرة فهذه أقاويل السلف الصالحين من أهل التفسير في قصة داود عليه السلام (وقد روى) الحرث الاعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال من حدث بحديث داود عليه السلام على ما رويه القصاص معتقدا صحته جلدته حدين حد عظيم ما ارتكب وجلبل ما اجترأ عليه يعني ما اكتسب من الوزر والاثم يرمي من قصر رفع الله محله وأرسله من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين (وقال القائلون) بتنزيه المرسلين في هذه القصة ان لاذنب انما كان تمنى أن تكون له امرأة أوريا حلالا وحدث نفسه بذلك فاتفق له غزوة فارسل أوريا فقدمه امام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع له كما كان يجزع على غيره من جنده اذا هلك وافق قتله مراده ثم تزوج امرأته

اداب صبي ينظر اليهم وهو يبكي فقلت في نفسي هذا الصبي يبكي تحسرا على ما في أيدي هؤلاء الصبيان ولا شئ معه
تقدمت اليه وقلت له
اولدي ما يبكيك
شتري لك من ذلك
ما تلعب به مع الصبيان
قال فرفع الصبي رأسه
وقال يا قليل العقل
ما للعب خلقنا فقلت له
اولدي فلماذا خلقنا
قال للعلم والعبادة فقلت
ن أين لك هذا يا بارك الله
يك فقال من قوله تعالى
حسبتم أنما خلقناكم
عبثا وانكم الينا
ترجعون قال البهلول
تعجبت من كلام الصبي
لي صغر سنه فقلت له
اولدي أرك حكيما
عظني فانشد يقول
مرا
ري الدنيا تجهز بانطلاق
شمرة على قدم وساق
لا الدنيا بباقية لحي
لاحي على الدنيا بباقي
أن الموت والحدثان
ما
لي نفس الصبي فرسا
باق
بالمغرور بالدنيا وبيدا
باشد لنفسك بالوثاق
ثم رمق بطرفه الى
سماء وأشار اليها بكفه
دموعه تجري على
لبوه فمشى عليه
فمت رأسه الى حجري
سجيت الثراب عن
جهه فلما أفاق قلت له
ي ما نزل بك وأنت
ي صغير ولم يكن
لذنب فقال ليلي عني يا بهلول فاني رأيت أمي توقد النار في صغار الحطب فقلت لها لم لا توقدين النار في الكبار

لاودية من بكائهم ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته بالبكاء وتبكي معه الحيتان ودواب البحر والطير والسباع فاذا أمسى وجميع فاذا كان يوم فرحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فلم يبق بحضرته من يساعده قال فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيستدل له ثلاثون عرشا من مسرج حشوها الليف يجلس عليها وتجيء الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وعليهم السروج وفي أيديهم العصي ثم يجلسون على تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء والنوح فيرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه ويتبع داود فيها مثل الفرخ يضاربه فيجيء ابنه سليمان عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع كفه ثم يمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر لي ما ترى فلو عدل بكاء داود ودموعه ببكاء أهل الارض ودموعهم لعدلها (أخبرنا) ابن فتحويه عن عثمان بن أبي عاتكة أنه قال كان من دعاء داود عليه السلام يا رب الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الي روحي الهي أنين أطباء عبادك ليداووني فكلامهم علي لا يداويني وقال صلى الله عليه وسلم لم يحد الدمع في وجه داود مثل نهر الماء في الارض (أخبرنا) ابن فتحويه عن الحسن بن عبد الله القرشي قال لما أصاب داود الخطيئة فزع الى العبادة فانقطع راهبا في غار جبل فناداه بصوت عال على رجله فلما أكثر عليه الصوت قال الراهب من هذا الذي ينادني قال أنا داود نبي الله قال صاحب القصور الحسنة الحصينة والخيول السومة والنساء والشهوات التي نالت الجنة جئت قال أنت قال داود فمن أنت قال أنا راهب راغب منزوي منزرب قال فمن أين تأكل ومن يطعمك قال الله عز وجل قال داود فما تريد بذلك قال فقال داود بل ارق الى الفلة فاذا هو بيت مبني فقال له هذا أبيت هذا أبيت قال نعم قال وما هذا قال ذلك قصبة مكتوب فيها لوح من نحاس عند رأسه نقر داود الكتاب فاذا فيه أنا فلان بن فلان ملك الملوك عشت ألف عام وبنيت ألف قصر وألف مدينة وهزمت ألف عسكر وتزوجت ألف امرأة وافتضضت ألف بكر فبينما أنا في ملكي اذا أتاني ملك الموت فاشفى وأخبرني بما كتب في هذا التراب فراعني والدود جيراني قال فخر داود عليه السلام مغشيا عليه وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يعبدون داود عليه السلام فيظنون أنه مريض وما به الا الاشفاق والخوف من الله تعالى (قال وهب بن منبه) لما تاب الله على داود كان يبدأ اذا دعا فيه بغفر للخاطئين قبل نفسه ويقول اللهم اغفر للخاطئين فحسبك أن تغفر لداود ومعهم (وعن قتادة) عن الحسن قال كان داود يعد خطيئته ثلاثين سنة ثلاثين ليلة ثلاثين يوما ثم يقول اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور ولا يشرب شرابا الا وهو ممزوج بدموع عينيه وكان يجعل شعير الشعير اليابس في قصعته ولا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل هذا كله وكان داود عليه السلام قبل خطيئته ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان نام الدهر كله وقام الليل كله (وقال وهب) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه قال يارب أغفرت لي قال نعم قال فكيف لي أن لا أنساها قال فاستغفر منها لي وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله عز وجل خطيئته في يده اليمنى فهو يرفع رأسه مادام حيا ولا يرفع رأسه الا الآخرين اذا ذكر رحمة الله تعالى تراخت (وعن أبي عبد الله الجبلي) قال مازال داود بعد الخطيئة رأسه الى السماء ما رفعها حتى مات صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

(باب ذكر خبر ورد عن داود على أي يوم كان من أمسهما)

لو وجد غيره من أهل الكتاب ان داود عليه السلام لم يزل قائما بالملك بعد طالوت الى أن كان من أمسه وأمس ساعة أو ويا ما كان فلما وقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنو اسرائيل واستضعفوه واجتمع أهل بيت من بني اسرائيل وذهبوا الى ابن لداود من ابنة طالوت يقال له شالوم ويسمى ايشار فقالوا له قد كبر أبوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت حقوق الناس وضعف أمر الملك فلم يزالوا به حتى بايعوه وخلعوا داود وعصوه فلما رأى ذلك داود خرج من بين أظهرهم مع ابن أخ له يقال له نوأب ويوعل في الجبال

بشويه من صوف من ورق ثيابه فشغل بعمله فرأى رجلا يمشي نحوه من خلف فجلس منفردا عن الناس فقال في

تظرت شيأ فلم يفتح علي بشيء فخرجت من المسجد عند المغرب وجلست في السوق على (١٦٩) وكان صديقا لي وكان تجارا فلما رأى

البواب معي قال لي منذ هذا التجار في جوارنا لم نتسحب ولم نشتر منه شيأ قال فانصرفت منكسرا من النشارة في البواب وذهبت الى البيت فأخذت من شعرها ما وجدت البواب في البيت ورجعت مسرعا الى صلاة العشاء ثم جلست في المسجد حتى مضى نحو ثلث الليل خوفا منها ثم جئت الى البيت وانظر من وراء الباب فوجدتها قد خبزت خبزا رائعة معروجة فجعلت من ذلك وقلت من أين أتاهم هذا الدقيق ثم حملته وأنا متعجب ثم قلت من أين لكم هذا الدقيق فقالوا من الدقيق الذي في البواب ثم قال لي زوجي حسن هذا اليوم لا تشتر لنا الا منه لانه دقيق طيب قال فحمدت الله تعالى على لطفه بي وكرمه وفضله *(وحدثني شقيق البلخي رضي الله تعالى عنه قال) خرجت حاجا الى بيت الله الحرام سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية فبينما أنا أتفرج الى الناس وزينتهم وكثرتهم اذ تفرقت الناس في من أحسن الناس وجها وهو متوشح

لا تستجاب وصلاة لا تقبل وذنب لا يغفر وعذاب لا يفتر سبحان خالق النور الهي اني أعوذ بك وبنور وجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق النور الهي فررت الى من ذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تحملني من القانطين ولا تخزني يوم يبعثون سبحان خالق النور الهي فرغ الحزن وفرغت الدموع وتناثر الدود من ركبتي وخطيئتي ألزم لي من جلدي سبحان خالق النور فالوا فاتاه النداء اجائع أنت فنطعمك أوظمآن أنت فنسقيك أومظلوم أنت فننصرك ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء فصاح صيحة وهاج منها ما حوله ثم نادى يارب الذنب الذي أصبته فنودي ياداود ارفع رأسك فقد غفرت لك فلم يرفع رأسه حتى أتاه جبريل عليه السلام فرفعه قال وهب بن منبه ان داود عليه السلام أتاه نداء أني قد غفرت لك فقال يارب كيف وأنت لا تظلم أحدا فقال اذهب الى قبر أوريا فحاله وأنا أسمعه عند ذلك فتحلل منه قال فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد لبس المسوح فجلس عند قبره ثم ناداه ياأوريا فقال لبيك من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ماجاء بك يانبي الله قال جئت أتحلل مما كان مني اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة وأنت في سهل فاوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي الا بالحق ألا أعلمته انك تزوجت امرأته قال فانطلق داود اليه فناداه ياأوريا فاجابه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي قال أنا داود قال مانبي الله ماحاجتك ألبس قد عفوت عنك قال نعم لكن أنا ما فعلت بك ذلك الا لامكان امرأتك واني قد تزوجتها قال فسكت أوريا ولم يجبه فدعاه فلم يجبه فقام عند قبره ووضع التراب على رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له اذا نصبت الموازين القسط ليوم القيامة سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له حين يؤخذ برقبته ثم يدفع الى المظلوم سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين تقرب الزبانية مع الظالمين الى النار سبحان خالق النور فقال فاتاه النداء من السماء ياداود قد غفرت لك ذنبك ورحمتك ورثيت لطول مكائك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف أن تعفو عني وصاحبي لم يعف عني قال ياداود وان لم يعف أولم يعف فأنا أعطيه يوم القيامة مالم ترعيناه ولم تسمع أذناه فأقول له قد رضيت عبدي فيقول يارب من أين هذا ولم يبلغه عملي فأقول هذا عوض من أجل عبدي داود فأسوهبك منه فهبك لي فقال داود يارب الآن فقد غفرت لي ذلك قال قوله عز وجل فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وروى أبو معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا في قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ان أول من يشرب الكأس يوم القيامة داود عليه السلام

(أخبرنا) أبو الحسين بن محمد بن عبدان ثنا محمد بن علي أخبرنا بكر بن أحمد بن سهل أخبرنا عمر بن محمد الشرقي قال النضر السكري قال حدثنا أبو سعيد عبد الله الزفي قال حدثنا محمد بن المنكدر عن محمد بن عبد الرحمن بن عوف حدثني أبو سعيد الخدري قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله اني رأيت الليلة في منامي كأني تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة ص فلما بلغت الشجرة الى السجدة سجدت فسمعتها تقول في سجودها اللهم اكتب لي بها أجرا واحطط عني بها وزرا وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت سجدت أنت ياأبا سعيد قال قلت لا يارسول الله فقال أنت أحق بالسجدة من الشجرة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل قول الشجرة

(قال وهب بن منبه) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترقأ له دمعة الا ولانهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعني أربعة أيام فجعل يوما للقضاء بين الناس ويوما لنسائه ويوما يسيح في الفيافي والجبال والقفار والسواحل ويوما يخلو في داره وفيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي فيرفع صوته كالمزامير ويبكي فيبكي معه الشجر والمدر والطير والوحش حتى يسيل من دموعه مثل الانهار ثم يجيء الى الجبال فيرفع صوته كالمزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل

فزوجني فوجدته مسرورة فتعجبت من ذلك فلما دخلت البيت أتتني وجيء وقالت ان الذي استأجرك بعث الينا ما تبعث الكرماء الى الفقراء وقال رسوله الذي جاءكم بهذا قولي لطبيب يجد في العمل فان مستأجره لا يؤخر الاجرة بخلا ولا عدما فقرت عيناه وطابت نفسا ثم ذهبت الى بيت آخر في الدار وأحضرت منه أكياسا مملوءة دنانير فذهبا أحمر قال طبيب فجلست عند ذلك وقلت لها أتدرين من بعث الينا ذلك فقالت الذي استأجرك قلت لها والله هذه الاجرة من كريم بيده خزائن السموات والارض قال فلما سمعت ذلك تغيرت لونها وارتعدت وثابت الى الله تعالى مما كان منها وأقسمت أن لا تعود الى ذلك أبدا رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بهم أجمعين

*(وبه عن عطاء بن الازرق رضي الله تعالى عنه أنه قال) دفعت الى زوجتي درهمين لاشتري بهما دقيقا ولم يكن عندنا شيء نقتاته به في ذلك اليوم فخرجت الى السوق لشراء الدقيق فرأيت عجوزا كفيفة في السوق تبكي فقلت له ما يبكيك فقال ياسيدي ان مولاي دفع الي درهمين لاشتري له بهما شيأ فسقط من يدي وأخاف أن أرجع له خائبا فيضربني قال

عطاء فجئت جليسه ودفعت له الدرهمين فأخذهما ومضى الى حاجته ثم توجهت الى المسجد فصليت أول الى وقت الغروب الاوبة

فتمايز ترفيا فنجا الا الذين نجوا وهلك سائرهم ثم خرجوا الى المدينة وهاموا على وجوههم مقدار ثلاثة أيام ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا وكذلك لم يبق قوم مسخوا أكثر من ثلاثة أيام ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ثم بعث الله عليهم ريحا وصرصرا فاحتملتهم في البحر فاذا كان يوم القيامة أعادهم الله تعالى الى صورهم البشرية فيدخلهم النار (وروى) أبو نصر عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أهلك الله وما ولا قرنا ولا أمة بعذاب من السماء بعد ما أنزل التوراة على وجه الارض غير أهل القرية التي كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قردة ألم تسمع قول الله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية

(باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث)

قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (قال ابن عباس وقتادة) كان الحرث زرعا وقال ابن مسعود وشريح كان الحرث كرما فتدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا فافسدته والنفش بالليل والهمل بالنهار وهما جميعا الرعي بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شئ قال ابن عباس وقتادة ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيأ فقال له داود اذهب فان الغنم لك فاعطاه رقاب الغنم بالحرث فمر على سليمان فقال لهما كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فاخبرا بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع في القضاء بينهما فقال كنت أدفع الغنم الى صاحب الحرث سنة فيكون له نسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع الى أهله ويأخذ صاحب الغنم غنمه (وقال) ابن مسعود وشريح ان راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم دخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فاكلت العنقود وأفسدت الكرم فصار صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لانه لم يكن بين ثمن الاغنام وثمن الكرم تفاوت قال فمر ابن سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال لهما بما قضى بينكما داود فقصا عليه القصة فقال سليمان غير هذا ارفق بالفريقين فعاد الى داود فاخبره بذلك فدعا سليمان وقال له بحق البنوة والابوة الا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الكرم لينتفع بنسلها وصوفها ومنافعها ويعمل الراعي في اصلاح الكرم الى أن يعود كهيئته ثم يسلمه صاحبه ويرد الاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء ما قضيت به وحكم بذلك فذلك قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال الحسن كان الحكم ما قضى به سليمان ولم ينقض الله داود في حكمه قال الاستاذ وهذا يدل على ان كل مجتهد مصيب

(باب في سبب اختلاف داود وابنه سليمان عليهما السلام وذكر ما جرى بينهما من الخلاف)

قال أبو هريرة رضي الله عنه أنزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام خوطب فيه بخواتيم سورة الحشر ثلاث عشرة مسئلة فاوحى الله تعالى الى الملائكة ان سليمان كان عن أمر ربهما لخلفين من بعده فقال داود يا رب ما قدر ما داود عليه السلام سبعين سنة وسليمان ابنه أربعين سنة وأبلس سليمان بن أبيهم وقال يا نبي الله تعالى أنزل علي كتابا من السماء فيه مسائل وأمرني ان أسألك عنها فان أنت خبرتها فانت نبي فقال له سليمان ليسأل نبي الله عما بدا له وما توفيقي الا بالله قال داود يا بني ما أقرب الاشياء وما أبعدها وما أنس الاشياء وما أوحشها وما أحسن الاشياء وما أقبحها وما أقل الاشياء وما أكثرها وما القائمان وما الساعيان وما المتباغضان وما الامر الذي اذا ركبه الرجل حمد آخره وما الامر الذي اذا ركبه الرجل ذم آخره فقال سليمان عليه السلام أما أقرب الاشياء فالآخرة وأما أبعد الاشياء فما فات من الدنيا وأما أنس الاشياء فجسد فيه روح وأما أوحش الاشياء فجسد لا روح فيه وأما أحسن الاشياء فالايمان بعد الكفر وأما أقبح الاشياء فالكفر بعد الايمان وأما أقل الاشياء فالبقين وأما أكثر الاشياء فالشك وأما القائمان فالسماء والارض وأما الساعيان فالشمس والقمر وأما المشتركان فالليل والنهار وأما المتباغضان فالموت والحياة وأما الامر الذي اذا ركبه الرجل حمد آخره فطلب عند الغضب وأما الامر الذي اذا ركبه الرجل ذم آخره فالحدة عند العتب قال فضحكوا وانخاتم فاذا جواب المسائل ونفعنا بهم في الدنيا والآخرة آمين (وحكى عن أبي عبد الله الجوهري رضي الله تعالى عنه) أنه قال كنت سنة من السنين في عرفات فلما حسن

في الركوة وبحركه ويشربه قال فاستيقظ فاقبلت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يا أخي أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك فقال يا شقيق كم ترى نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فاحسن ظنك بربك ثم ناولني الركوة فشربت منها فاذا هو سويق وسكر فوالله ما شربت ألذ منه ولا أطيب رائحة فشبعت وروبت وأقمت أياما لم أشته طعاما ولا شرابا ثم مضيت ثم أردت دخول مكة فرأيت شابا في الليالي وهو في جنب قبة الشراب وهو قائم يصلي يخشع ويأنن ويبكي فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما رأى الفجر جلس في محله يسبح الله تعالى ثم قام يصلي صلاة الصبح فلما سلم من الصلاة طاف بالبيت سبعا ثم توجه نحو الباب فاذا الصاحبة وهو الوجه على خلافه ما رأيته في الطريق وذاهبا الى الذي من حوله وهم يعاونونه عليه فقلت لبعض من كان بالقرب منه من هذا الفتى فقال هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم

فاشار قومه على ابنه أن يقتل أباه فلما بلغ ذلك داود أرسل اليهود فيقتلوه وقال له قل له هل سمعت بابن قتل أباه فقال له الابن وهل سمعت أنت بنبي أذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول ان كان الله تعالى قد أذن لك في هلاكه فلا تباشره أنت فانه لا يحمل في الآخرة حد وثمة فقبل منه ذلك فكف عن قتل أبيه داود وبقي ابنه ملكا سنتين فلما تاب الله على داود صارت الناس تأتيه فهرب ابنه فهزم ووجه في طلبه قائدا من قواده وأوصاه أن يتوفى حتفه ويتلطف في أسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فربض تحتها وكان الغلام ذا جمة فتعلق غصن من أغصانها بشعره فبقي معلقا به فلحقه القائد فقتله فحالف الصلاة على داود عليه السلام فحزن عليه داود حزنا شديدا وتسخر للقائد وكان له بأس شديد في ملاقاة العدو فكره داود أن يقتله فتركه لا جل مجاهدة العدو فلما حضر داود الموت أوصى ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله سليمان فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحي الى أن قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع الى قومه سبعين

(باب في قصة أصحاب السبت)

قال الله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت الآية (قال) ابن عباس وهب بن منبه ان قوما من بني اسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال لها أيلة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وأمرهم أن يتفرغوا للعبادة ذلك اليوم وذلك في زمان داود عليه السلام فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك وبخرج من الماء خراطيمهن حتى لا يرى الماء من كثرتهن حتى اذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقر البحر لا يرى منهن الا القليل فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم الآية (سمعت أبا القاسم) قال سمعت أبي يقول سئل الحسن بن الفضيل هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال نعم في قصة داود عليه السلام وأهل ايلة اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال فعمد رجال منهم فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا اليها من الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا تطيق الخروج منها لبعد عمقها وقلة الماء فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الحبال والشصوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد قال وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كثيرا وفي غير يوم السبت لا يأتيهم صوت واحد فاخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشبة في الساحل ثم تركه في الماء الى يوم الاحد فاخذه فشواه فوجد جاره ريح الحوت فقال له يا فلان اني أجد في بيتك ريح الحوت فانكره فاطلع الجار في تنوره فاذا هو في بيته فقال له اني أرى الله سيعذبك فلما رأى العذاب لم يأخذه أخذ في السبت الآخر حوتين فلما رأوا العذاب لا ينزل عليهم أخذوا وطبخوا وأكلوا وباعوا فاثروا وكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة فمسخت قلوبهم وتجبروا وتجرؤا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد أحل لنا وانما حرم ذلك على آبائنا لانهم قتلوا أنبياءهم فلما فعلوا ذلك صار أهل تلك القرية وكانوا نحوا من سبعين ألفا ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهكوا الحرمة فكان الذين نهوا اثني عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول النصيحة قال الناهون والله لنخرجن من القرية ولا نساكنكم في قرية واحدة ثم قسموا القرية بينهم بجدار وكانوا على ذلك سنين فلعنهم الله على لسان داود عليه السلام وغضب عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطؤا تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميعهم قد مسخوا قردة فذلك قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أي شديد بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أي صاغرين نظيره قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود يعني عصاة أهل ايلة وعيسى بن مريم يعني كفار أصحاب المائدة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قالوا فلما دخلوا عليهم ورأوا أنهم قد مسخوا عرفت القردة أنسباءهم من الانس ولم تعرف الانس أنسباءهم من القردة فجعل القرد يأتي نسيبه من الانس فيشم ثيابه ويبكي فيقول له الرجل ألم ننهكم فيقول القرد برأسه نعم قال قتادة صارت الشباب قردة والشيوخ

واذا ولیت أمور قوم مدة * فاعلم بانك عنهم معزول

وقال أهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه كما ذكر أربعين سنة وقد مضى في قصة آدم وما وهب لداود من عمر عليهما السلام *(مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما تعلق به)*

قال الله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب وقال تعالى ووهبنا لداود سليمان وقال تعالى ورث سليمان داود يعني نبوته وحكمته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا (وقال مقاتل) كان سليمان عليه السلام أعظم ملكا من أبيه داود وأقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تعبدا من ابنه سليمان وكان سليمان حين أتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكه ما بين الشام إلى اصطخر وقيل الله ملك الأرض كلها (وروى) مجاهد عن ابن عباس قال ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين وأما الكافران فالضحاك ونمرود بن كنعان وبختنصر

(باب في صفة سليمان عليه السلام)

(قال وهب بن منبه وكعب الأحبار) كان سليمان أبيض جسيما وسيما جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب البياض وكان شاهما متواضعا يخالط المساكين ويجالسهم ويقول مسكين بأس مسكينا وكان أبوه في أيام ملكه يشاوره في كثير من أموره مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه صلى الله على نبينا وعليه وسلم

(باب فيما خصه الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك)

قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال الله تعالى اخبارا عنه رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فأباح الله له ما وهب له ولم يكن لغيره من أحد من خلقه قبله ولا بعده منها تسخير الله الريح كما قال عز وجل فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب أي أراد بلغة حمير (قال) محمد بن اسحق وغيره من أهل الأخبار كان سليمان عليه السلام يغزو بلا غزا عليه بكاديقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك في ناحية من الأرض إلا أتاه حتى يدله ويقهره وكان إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب والآلة الحربية كلها حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت تلك الخشب فحملتها حتى إذا استقلت بأمر الرخاء قرن به شهرا في غدوته وشهرا في روحته إلى حيث أراد كما قال تعالى ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن اسحق ذكر لي أنه لما نزل سليمان أرض اصطخر فوجد فيها كنابا مكتوبا باسم بعض أصحاب سليمان اما من الجن أو من الانس ممن نزلها وبناها وعمرها بعد ما بادت فدرست من اصطخر فقلناها وتحولوا إلى اليمن فأعانهم الله تعالى في إحدى النوبتين الشام فلما كان فيما بلغني ثم يعسكر الريح الرخاء وهي به الجنود أراد وأنعم الله عليه بالريح فكان يغدو شهرا ويروح شهرا وأسخر له عين القطر فأجريت له ثلاثة أيام كما كانت تجري قبل ذلك وألان له الحديد وسخر له الجن والشياطين فكان منهم من يعمل له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وسخر له الطير فكان يعلم منطق كل طير منها وسخر له الريح تحمله وجنوده فتسير به شهرا في الغداة إلى حيث يريد ويسير شهرا في الرواح إلى حيث يريد وأسال له عين القطر فكانت تجري له كما كانت تجري قبل ذلك ثلاثة أيام وألان له الحديد فكان يعمل له ما يشاء من الدروع وغيرها

سواه على ما نزل من السماء فقال القسيسون والرهبان لا نرضى حتى نسأله عن مسئلة فان أخبرها فهو الخليفة من بعدك فقال سليمان عليه السلام سلوني وما توفيقي الا بالله فقالوا له ما الشيء الذي اذا صلح صلح كل شيء من الانسان واذا فسد فسد كل شيء من الانسان فقال هو القلب فقام داود فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ان الله تعالى يأمرني أن أستخلف عليكم سليمان قال فغضبت بنو اسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف علينا وفينا من هو أفضل منه وأعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء أسباط بني اسرائيل وقال لهم انه قد بقي مقالتكم فارووني عصيكم فاي عصى أثمرت فان صاحبها لي من هذا الامر بعدي قالوا قد رضينا فجاؤا بعصيهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم أدخلت بيتا وأغلق عليها الباب وحرسه رؤس أسباط بني اسرائيل فلما أصبح صلى بهم الغداة ثم أقبل ففتح الباب فاخرج عصيهم كما هي وأما عصا سليمان فقد أورقت وأثمرت قالوا فسلموا الامر في ذلك لداود عليه السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وجعل سليمان خلفه ثم سار به في بني اسرائيل فقال ان هذا خليفتي عليكم من بعدي

(قال وهب بن منبه) لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال يا بني اياك والهزل فان نفهه ذليل وهيج العداوة بين الاخوان واياك والغضب فان الغضب يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فانهما يغلبان كل شيء واياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء فان ذلك يورث سوء الظن بالناس وان كانوا برآء واقطع طمعك عن الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر واياك ومايعتذر منه من القول والفعل وعود نفسك واسانك الصدق والزم الاحسان فان استطعت أن يكون يومك خيرا من أمسك فافعل وصل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء ولا تردد على عالم ولا تمار في الدين واذا غضبت فالصق نفسك بالارض وتحول من مكانك وارج رحمة الله فانها وسعت كل شيء (قالوا) ثم ان سليمان بعد ان استخلف أخفى أمره وتزيح بامرأة واستتر عن الناس وأقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم بابي أنت وأمي ما أكمل خصالك وأطيب رائحتك ولا أعلم لك خصلة أكرهها الا أنك في مؤنة أبي فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله لرجوت ان لا يخيبك الله فقال سليمان اني ما عملت عملا قط ولا أحسنه ثم انه دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شيء فرجع فاخبرها فقالت غدا يكون ان شاء الله فلما كان اليوم الثاني مضى حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا هو بصياد فقال له هل لك ان أعينك وتعطيني شيأ قال نعم قال فاعانه فلما فرغ أعطاه السمكتين فاخذهما وحمد الله تعالى ثم انه شق بطن احداهما فاذا هو بخاتم في بطنها فاخذه وصيره في ثوبه وحمد الله عز وجل وأخذ السمكتين وباعهما الى منزله ففرحت امرأته بذلك فاخرج الخاتم وليسه في أصبعه فعكفت عليه الطير والريح ووقع عليهم ساء الملك ثم لم يلبث أيوما ان مات فلما مات حمل المرأة وأباها الى اصطخر والله أعلم

(باب في ذكر وفاة داود عليه السلام)

(قال الشيخ أبو يزيد) سمعت الشيخ أبا عمرو الفارابي يروي ان داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على وردة في العبادة فاغلقت ذات ليلة الابواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلا قائما في وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فان صاحبها رجل غيور ونفذ حذرك فقال لها أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير اذنهم قال فلما سمع داود ذلك وكان في المحراب واقفا يصلي فزع واضطرب وقال لها على به فاتاه فقال له داود ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير اذن فقال له أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير اذن فقال له اذا فانت ملك الموت قال نعم قال أجئت داعيا أم ناعيا قال بل ناعيا فقال داود عليه السلام فهلا أرسلت الي قبل ذلك وآذنتني لاستعد للموت فقال كم أرسلت اليك فلم تتنبه قال ومن كانت رسلك التي أرسلت الي قال يا داود أن أبوك ايشا وأن أمك أن أخوك وأن جارك أن فهارمتك أن فلان وفلان فقال ما تو اكلهم فقال أما علمت انهم رسلي اليك وان النوبة تبلغك (قال) الاستاذ رضي الله عنه وفي هذا المعنى قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يزال المرء ينعى أخاه حتى يكونه وقد يرجو الرجاء فيحول الموت دونه وقد تمثل به بعض الشعراء فقال

واذا حملت الى القبور جنازة * فاعلم بانك بعدها محمول

واذا

ليل ثم قرأيت ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه كم وقف على هذا الجبل في هذه السنين الخوالج قال سبعمائة

لف نفس فلم يقبل الله
هالى منهم غير ستة
أنفس فهممت أن
لطم وجهي وأنوح
على نفسي فقال له ما فعل
لله ببقية الجميع قال نظر
الله اليهم حتى لا يخيب
سعيهم فوهب لكل
واحد من الستة مائة
ألف فسفر الله بستة
أنفس سبعمائة ألف
نفس وذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم قال
عبد الله فحدث الله
تعالى وزال ما كان عندي
(وحكى عن الشيخ أبي
لفوارس شاه بن الشجاع
الكرماني عفا الله عنه)
أنه قال خرجت يوما
للصيد والنزهة وكنت
يومئذ ملك كرمان
فلمحت نظري في صيد
رأيته وسرت في طلبه
حتى وقعت في برية مقفرة
ولم يكن عندي من
عسكري أحد فبينما
أنا كذلك اذا بشاب
جميل الخلقة راكب على
سبع وحوله سباع كثيرة
فلما رأتني السباع
انبعثت الى فزجرها
لشاب فتأخرت عني فسلم
علي وقال يا شاه ما هذه
لغفلة عن الله تعالى
شتغلت بدنيا لا تعن أخرا
ربلذتك عن خدمة
سولا لك انما أعطاك
الدنيا لتستعين بها على خدمته فيما ذرعة الى الاشتغال عنه فلما سمعت ذلك منه طاش عقلي ودهشت في نفسي فبينما هو

الابدلة له قال قد فعلت ذلك قالت فانتقي حل (وصفها قتادة وادي النمل) قال الله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون أي يحبس أولهم على آخرهم حتى إذا أتوا على وادي النمل الآية قال الشعبي وكعب وغيرهما من أهل الكتاب ان سليمان عليه السلام كان اذا ركب حمل أهله وحشمه وتخته وكتابه في سريره الذي هيئ له وعدا تخذ فيه مطابخ وخبازين يعمل فيها نانيرا لجديد وقدورا عظاما يسع كل قدر عشرين الجزور وقد اتخذ فيه بيادين للدواب امامه فيلقح الملائكة وبخترا لجان وتجري الدواب بين يديه بين السماء والارض والريح تجري بهم فساروا من اصطخر الى اليمن وتوغل في البادية نسأل عن مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يبعث في آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ثم أتى أرض الطوم فرأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله فجاور البيت فلما جاوزه سليمان بنى البيت فأوحى الله تعالى الى البيت ما يبكيك فقال يا رب هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا على فلم يجلوا بي ولم يزوروني ولم يذكروك بحضرتي وهذه الاصنام تعبد دونك قال فاوحى الله تعالى الى البيلا سلا فاني سوف املأ ولك وجوهها حجارة وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك في آخر الزمان نبيا هو أحب الانبياء الى وأجعل فيك عبادا من خلقي يعبدونني وافرض على عبادي فريضة يزفون بها اليك زفيف النسور الى أوكارها وهم يحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها واطهر لك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم أمر الله سليمان عليه السلام ان ينزل عليه ويصلي فيه ويقرب عنده قربانا ففعل ذلك قال فذبح عند الكعبة ثمانية آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضر من اشراف قومه ان هذا البيت مخرج منه نبي عربي يصلي النصر على جميع من ناواه ويكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب منه والبعيد عنه سواء لا ناله في الله لومة لائم فطوبى لمن أدرك دعوته قالوا فكم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال فقربت بنون ثم وجه يا نبي الله قالوا نعم (قال) ثم ان سليمان مضى حتى أتى على وادي السدر وادي الطائف فاتى على وادي النمل فقال لهدهد ما شيء أراك تتكاوس وكانت مثل الدب العظيم وقال الشعبي كانت ذات جناحين واختلفوا في اسمها فقال سعيد بن المسيب باسناده عن الضحاك قال كان اسم نملة سليمان طاخية وقيل خرخ فنادى سليمان وأنت سليمان في موكبه ما أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وكان لا يتكلم أحد من خلق الا عتلته الريح والنمل في وادي سليمان قال مقاتل فسمع سليمان كلام نملة من ثلاثة أميال فيما بينه وبينها فقال لها وما يدريك أن الله يعذبني وقومي بذنبك ولا يعلم به أحد فقالت له أما سمعت قول الله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فقال لها ما أراك الا صادقة فارجعي الى مكانك فرجعت وقال لها ما اسمك قالت اسمي طاخية وقيل خرخ فنادى سليمان أيتها النملة ادخلي مسكنك لا يحطمنك سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فسمع النمل ما أراد سليمان فدخلت مساكنها

كلام الطير حتى النمل كما قال تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية (قال ابن قتيبة) باسناده عن كعب الاحبار قال صاح وشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا فقال انه يقول للدواللاموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبين فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وصاح الطيطوا فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كل حي ميت وكل جديد بال قال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وملء أرضه وصاح قمري فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان الحي الذي لا يموت أبدا وصاح غراب فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يلعن العشار بن والحداة تقول كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه والبازي يقول سبحان ربي الاعلى وبعده والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والعصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان (وأخبرنا ابن مهدون) باسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وباسناده عن صالح المري عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح يقول اذكروا الله يا غافلين (وروى) عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم السلام أنه قال اذا صاح النسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت فان آخرك الموت واذا صاح العقاب قال في البعد عن الناس أنس واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغضي آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين وعد الضالين كما عدها القارئ (وقال فرقد السنجي) مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ورسوله أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلي الدنيا العفا (وأخبرنا) أبو عبد الله بن حامد باسناده عن ابن مسعود عن أبيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فقررنا بشجرة فيها فرخا حمامة فأخذناهما فجاءت الحمامة وشكت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من فجع هذه الحمامة بفرخيها فقلنا نحن فقال ردوهما الى موضعهما (وروى) ان قنبرة باضت في طريق سليمان عليه السلام فقال الذكر للانثى ألم أنهك أن تبيضي في طريق سليمان الملك وركب البيا لطيطوا بيضا فقالت الانثى وعلى ان نبي الله أرحم بنا من ذلك فسمع سليمان قولهما فبعث اليهما جنيا حين أراد أن يركب وقال ايجعل بيضهما تحت رجليه وبالله أن تصيبه بشيء فلما سار سليمان في موكبه وجاوزهما قالت الانثى ألم أقل لك ان نبي الله أرحم بنا من ذلك فقال الذكر للانثى عندي للملك هدية قالت وما عندك قال عندي جرادة ادخرتها لولدي فقالت الانثى عندي تمرة ادخرتها لولدي قال فاخذ التمرة والجرادة ثم طار حتى وقفا بين يدي سليمان وهو على سريره في مجلسه فوضعاهما بين يديه وسجدا له فدعا لهما ومسح يده على رؤسهما فيروى ان هذه القنبرة التي على رأس القنبر من مسح سليمان عليه السلام اياهما (وقال وسار سليمان بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان الله العظيم ما أعظم ما أوتي آل داود فتبسم سليمان من قولها وفسروا الجنود ثم قال ألا أنبئكم بخبر هو أعجب من هذه النملة قالوا بلى قال تقول اتقوا الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الغضب والرضا (وروى) ان سليمان عليه السلام خرج يوما يستسقي ومعه الانس والجن فرأى نملة عرجاء مشرة جناحيها رافعة يديها وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك لا غنى لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا فقال سليمان لمن معه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم (وحكى) ان نملة دبت على سليمان فحملها ورمى بها فوقعت النملة فقالت ما هذه الصولة وما هذا البطش أما علمت اني أمة من أمم أنت عبده فمشى على سليمان فلما أفاق قال ائتوني بها فاتوا بها فسألها فقالت له جلدي رقيق وبدني ضعيف وأخذتني ورميتني فقال لها سليمان اجعليني في حل فاني لم أقصد ذلك فقالت بشرط أن لا تنظر الى الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق في شهواتك وضحكك ولا تستعين أحد بجاهك

الا

الناس وجها وأتم خلقا فما زعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذي قتل أبي وسبي دولتي وأخاف ان طلعت عليه ان يؤدي اليه الطير فيدله علي فقالت الجارية والرياح تجري الغلام ساعة فقالت يا جارية ما يمكنك قال على وحدتك في مثل هذا الموضع الذي لا أنس فيه ولا أحد وان مثلك في الدنيا عدد الشعر والدر وكلهم في قاصير الذهب والفضة والعيش الهني والرغد واللذة الحسنة مع الازواج يتعانقون ويتنعمون ويتلذون الا ولادمثل خلقك وخلقي أرأيت ان هاجت الريح فأزعجتك من وكرك من عندك ان تقعي في البحر وان وقعت في البحر فمن ذا الذي يخرجك قال فقزعت الجارية من قوله قالت وكيف لي أن أكون معي انسي مثلك يحدثني بمثل حديثك ويحفظني مما ذكرت فقال لها الغلام أولا تعلمين ان الله تعالى سخر لسليمان بن داود الريح والطير هو الذي رحلك وساقني الليلة لا كون لك الفا وصاحبا وأنيسا وانى لمن أولاد الملوك فقالت الجارية وكيف تصبر لي وأصبر اليك وان العنقاء هذه تروح وتجيء وتحضنني الى صدرها بين جناحيها قال لها الغلام تكبرين عن جزعك ويحسن بك ان تكوني على العنقاء ليلتك هذه فاذا جاءت الليلة قالت لك ما تحبين وما تريدين وما شأنك فاخبريها بوجدك بي في نهارك ثم انظري ما يكون من ردها عليك فاخبريني بذلك فعلمت وان العنقاء رحمت الجارية وحدثتها باكية حزينة فقالت لها يا ابنة مالك فقالت الوحدة والوحشة قالت وانى لمشفقة على نفسي من ذلك فقالت لها يا ابنة لا تخافي ولا تحزني فاني أستأمر سليمان عليه السلام ان آتي يوما ويوما لا آتيه فذكر ذلك له فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها فقال لها أوتصبرين على ذلك لا ولكني سأتحرز من دوابي هذه ومرساها وأقرر بطنه وأخرج ما فيه وأطيبه بطيبي وأدخل أنا في جوفه وألقيه على رأس سفينتي هذه فاذا جاءت العنقاء تقولين لها أري عجبا أوري نفقة ملقاة على كوثل هذه السفينة فاحتملتها وحملتها الى فكاكها مني في وكري فانظر اليها وآنس بها كان أحب الي من كونك عندي نهارا واما كان عن أخبار سليمان وأخبار المسلمين فلما رجعت العنقاء وجدتهم على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل اليه في استئذانها اياه في المقام يوما والعود يوما فقالت لها يا بنية ان نبي الله قد اشتغل عني اليوم بالحكمين الآدميين فلم أصل اليه فقالت لها اني لا أريد ان تتخلفي عنهم فلما كان أخبار سليمان وأخبار المسلمين وانى أرى بحبا في البحر أري شيأ مر تفعا ما هو فقالت لها العنقاء هذه سفينة قوم سافروا كثيرين في البحر فقالت فما الذي أراه على رأس هذه السفينة قالت تلك دابة يقال لها الهوهاو قالت فاصعدي اليها لاستأنس بهم وانظر اليها فانتصب العنقاء فاختطفت الفرس وكان الغلام في بطنها فطارت به الى عشها فقالت الجارية يا أماه ما أحسنه وضحكت فعرف العنقاء بذلك وقالت يا بنية لو علمت لكنت أتيتك به هذا منذ حين ثم انها طارت الى فوق حتى سمعت سليمان نبي الله يقرأ على الناس فلما سمعته وقفت فوقه ثم ألقت الغلام من بطنها فوقع على رأس سليمان فخر ساجدا وفرح كل واحد منهما بصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه الخبر بما جرى عليها من قبل الريح وان العنقاء احتملته وكان مجلس سليمان يومئذ مجلس الطير وحكمهم فلما سمع سليمان عليه السلام الطير في مرتبته ودعا بصرفاء الطير وأمرها ان لا تتابع طير الا عشرة الى عشرة فتجمع اليه جميع الطيور ثم أمر صرفاء الطير ان يثيروا قبائل الجن من سكان البحار وسكان البراثر والهواء والفلوات والقفار والامصار ان يأتوا اليه وأمر الشياطين فاحضرت كذلك وكذلك الانس كهيئتهم ثم كل دابة بدأ على وجه الارض فاشتد الهدهد وقال أتشهدهم انهم يشهدون بالله أن نبي الله قد أتمهم أمر عظيم فاول سهم وخرج في تقديم الطير سهم الهدهد وكانت الطير لا تتقدم الا بالسهام وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الهدهد أمة تلي على زوجها وكان قد عدها وقال ما قال يا بني الله انه سفدني سفدا اذا احتفلت بيضي وأخرجت ولدي بعد ذبحه فقال سليمان للذكر ما تقول فقال يا نبي الله انهم لا يمتنع من الطير وهي تحوم البراري فلا أدري هل هو مني أو من غيري قال فامر سليمان بولدها حتى به فوجد الشبه وأيسدا فالحقه بالذكر ثم قال لها لا تمكنيه من السفاد حتى تشهدي عليه بذلك الطير بالصراخ فانه لا يجد لها بعدها أبدا الى يوم القيامة فهي اذا سفدها ذكرها صاحت وقالت باطير اسفد فاشهدوا معاشر الطيور اشهدوا ثم خرج سهم العنقاء فتقدمت اليه فقال لها سليمان ما قولك في القدر فقالت يا نبي الله لي من القوة والاستطاعة ما أدفع به الشر وأفعل الخير فقال لها سليمان فاين الشرط الذي كان بيني وبينك زعمت انك تفرقين بقوتك واستطاعتك

منازل الحب في قلبي معلمة * وان تطاول تعليم الوصل منزلها
وكيف أتركها والقلب يتبعها * حبا بين كان قبل الموت ينزلها

قال ابن قتيبة فتركتها ومضيت وازداد قلبي تولها ووقع شعرها في قلبي موقعا واخذني قول العتابي

ذكرت قولها الايام اذ كرت * مسنة قلب والحبيب وصدقت في الدمع الذي ذكر به وسيرت على منازلها الاحباب وهو لازمة على ما هي فيه من شدة الحال وبعد الدار وتفرق الفراق فسبحان من وهب العباد بكاء السرور

* (وحدث عن ابراهيم الخواص رضي الله تعالى عنه قال) * توجهت من السنبل الى بيت الله الحرام وزاره النبي صلى الله عليه وسلم فبينما أنا أمشي اذ عارضني عارض في طريق يقتضي الحاد والخطر وهو من الطريق الجادة فاخذت طريق غير الطريق التي كنت ماشيا فيها فسرت أمشي ثلاثة أيام بلياليها ما تناولت على ذكر طعام ولا شراب ولا حاجة مطلقا ثم انتهيت الى بريه تحضرا

فيها من كل الثمر الرطب واليابس ورأيت في وسطها عينا نبعة فلما رأيتها قلت هذه عين تكون هي التي

وما اسمهما واسم أبيهما فقال لي اسمهما كذا وكذا واسم أبيهما كذا وكذا فقالت العنقاء يا نبي الله أنا أبطال القدر وأفرق بينهما فقال لها سليمان انك لا تقدرين على ذلك قالت بلى فاشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة فرت العنقاء وكانت في كبر الجبل عظما ووجهها وجه انسان ويداها يدا انسان ورجلاها رجلا انسان وثيابها ثيابا مرأة وأما بعدها كذلك فطارت في الهواء حتى أشرفت على الدنيا فأبصرت كل دار وما فيها وكل انسان وأبصرت الجارية وهي في مهدها وقد أجلسوها فاختلست الجارية من المهد وطارت بها حتى انتهت الى جبل شاهق في السماء في جوف البحر وسط جزيرة وفي الجزيرة شجرة عالية لا ينالها طائر الا بجهد طير انه ولها أغصان عظيمة تزيد على ألف غصن كل غصن كأعظم ما يكون من شجر الارض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرا في وسط الشجرة بعيدا واسعا مضيا وطيا وأرضعتها وحضنتها الجارية تحت جناحها وصارت تأتيها بانواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل ولا تخبر أحدا بشأنها كي يتم أمرها وهي تتردد الى سليمان وتروح الى وكرها فلم سليمان بذلك ولم يبده لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكا من ملوك الدنيا وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطلبه فصار لا يقر ليلا ولا نهارا وكان أبوه ملكا عظيما فلما رأى الملك ولده لا يهنأ بالصيد نزح عنه حتى نال منه مثلا طويلا وأمر أعظم أصحابه كل صيد البر وفاوته ومقاذاته قد نال منه فلو ركبت البحر فنال من صيده فانه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون من وزرائه نعم ما رأيت وهو أكثر شيء من خلق الله صيدا وعجائب فأمر الغلمان بتجهيز ما يحتاجون اليه وهيأ السفن وجعل يأخذ من كل شيء ملكه وأخذ من الوزراء والندماء والمشيرين والغلمان والجواري والطباخين والخبازين والدواب والبزاة والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون اليه مما يريده ويشتهيه من الملاهي وركب السفن ومر في البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شيأ غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فأرسل الله تعالى على سفينته ريحا خفيفة فضربتها وساقتها حتى قربت من جزيرة العنقاء والجارية وهي مسيرة خمسين سنة في منتهى خمسين ليلة كل ليلة مسيرة سنة ثم ركبت سفينته باذن الله تعالى وأصبح الغلام فرأى سفينته راكدة فاخرج رأسه من ناحية ونظر فاذا هو بجبل شاهق في وسط جزيرة في البحر في لون الزعفران طويل لا يدري أين منتهاها ولا عرضها واذا هو بشجرة خضراء في رأس الجبل ملتفة كثيرة الاغصان والاوراق ورقها في عرض آذان الفيلة تفوح بريح الافحوان ليس لها ثمر بيضاء الساق فقال لاصحابه اني أرى عجبا أرى جبلا شاهقا في وسط جزيرة لم أر مثله ولا مثل طوله ولا عرضه وأرى شجرة فيها كل حسن قد أعجبني منظرها ثم انه حول سفينته وجاء بها الى الجزيرة التي فيها الجبل وأرساها عند ها وقال لاصحابه أقيموا ههنا حتى أمضي وأبصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذي في وسطها هل عمارة أو أثر آدمي في تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة هو ورفقته ودار وا في الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبروا آدميا قبله ثم انه صعد الى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهي جارية ولم تعرف ما هي لانها أخذت صغيرة ولم تر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها أحد تسأله عن ذلك فبينما هي متفكرة في أمر السفينة اذا حس حديث الآدميين فاخرجت رأسها من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت في أصل الشجرة فاذا بالغلام ورفقته فتعجبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وان الغلام لما بلغ أصل الشجرة نظر يمينا وشمالا وبقي متعجبا من عظم تلك الشجرة ورفعها في السماء وصار ينظر الى أغصانها وكانت الجارية قد أخرجت رأسها تنظر الى السفينة فانت منها التفاتة الى أصل الشجرة فوقعت عينها في عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجبا من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح أجنية أنت أم انسية قالت لا والله أنا من خيار الانس فمن أنت فافهمني نفسك فقالت لا أدري ما تقول وما أنت الا اني أرى وجهك وجه انسان وكلامك كلامي واني لا أعرف شيأ غير العنقاء وهي أمي التي ربتني وحضنتني وهي تأتيني كل ليلة وتسميني بنتها فقال لها الغلام وأين العنقاء فقالت هي في نوبتها فقال الغلام ومن نوبتها قالت تغدو كل يوم الى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده الى الليل ثم تجيئني وتحدثني بكل ما يحكم به سليمان وانه الملك عظيم على ما نصفه لي أمي العنقاء من ملكه وانها تخبرني انه أعسر

الناص

أخرجك من وطنك فقال سمعت قوله تعالى وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فقلت له ما معنى الانابة وما معنى التسليم وما معنى العذاب فقال الانابة أن يرجع الى ما تحب اليه ولم يذكر التسليم في الاصل ولعله أراد أن العبد يسلم نفسه لله تعالى ويعلم انه أولى به ثم قال والعذاب وصاح صيحة عظيمة ومات رحمه الله عليه فواريناه بالتراب وعدنا قبره رضي الله تعالى عنه قال ابراهيم فتحببت عماوصفوه لي فدرت الى قبره فوجدت عنده باقة نرجس كأنها ربطها عظيمة ومكتوب على ورقة منها هذا حبيب الله فتيل العصبة وعلى ورقة أخرى صفة الانابة قال ابراهيم فتركت لهم ما هو مكتوب على النرجس وفسرته لهم فوقع لهم الطرب فلما أفاقوا الوافد وعدنا جواب مسائلنا فوقع القوم على ما الثبوت الامر به من أجله لي يسجد عائشة رضي الله تعالى عنها فوجدت وطائي بانسة فرجعت فمكثت معي سنة كاملة لم تتغير فلما كان بعد مدة يسيرة فقدتها فتأسفت عليها أسفا شديدا ورجعت باكيا حزينا * (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى

الى العراق أن يبنوا له قصرا فبنوها بالصفائح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفي ذلك يقول الشاعر

واذكر سليمان اذ قال الملبك له * قم في البرية فاحددها عن الفند
وجيش ابليس اني قد أمرت لهم * بنائه قدس بالاجار والعمد

قال ووجدت هذه الابيات منقورة في صخرة بأرض كسكر أنشأها بعض أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام

ونحن ولا حول سوى حول ربنا * نروح الى الاوطان من أرض قدس
اذا نحن رحنا كان أمر رواحنا * مسيرة شهر والغدو لآخر
أناس سرى والله طوع نفوسهم * لنصرة دين للمسيح المطهر
لهم في معالي الدين فضل ورأفة * وان نسبوا يوما الى خير معشر
متى ركبوا الريح الملبة أسرعت * مبادرة عصن شهورها لم تقصر
تظلهم طير مصفوفا عليهم * متى رفرفت من فوقهم لم تأخر

* (رجعنا الى القصة) * وقال قوم من العلماء معنى قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق مسحها في سبيل الله وكوى سوقها بميسم الصدقة وقال الزهري مسح سوقها وأعناقها من الغبار قال وهي رواية الواقدي عن ابن عباس قال قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم ان الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان وصلى العصر في وقتها (حدثنا) أبو عبد الله عقيل الانصاري باسناده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله تعالى أن يخلق الخيل قال للريح الجنوب اني خالق منك خلقا أجعله عز الاولياء ومذلة الاعداء وجمالا لاهل طاعتي فقالت الريح الهي وسيدي وموليا في مطيعة تقبض منها قبضة فخلق فرسا وقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم تجري على ظهرك وجعلت على جنبك جناحين بلا جناح فأنت للطلب وأنت للهرب وسأجعل على ظهرك رجالا يسبحون بحمدي ويكبرون فتسمى اذا سبحوا وتزهى اذا هللوا وتكبري اذا كبروا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من تسبيحة وتحميدة وتكبيرة تكبرها صاحبها فتسمع الا أجيبت بمثلها قال فلما سمعت الملائكة صفير النار وخلقته قالوا ربنا لمن خلقت هذا قال خلقته لعدو لك ولعدو ما فقالوا الله لهم خيلا بلقا أعناقها كأعناق الجن فلما أرسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه عليها سهل فقيل له بوركت من دابة اذ بوركت لاذل الله المشركين وأذل بك أعناقهم وملأ بك آذانهم وأرعب بك قلوبهم فلما عرض الله تعالى على آدم من كل شئ قال له اختر من خلقي ما شئت فاختار الفرس فقال له اخترت عزك وعز ولدك الى الابد خلدا وباقيا ما بقوا وركني على ظهرك وعلى ظهر ولدك الى يوم القيامة وجعلت خلقا أحب الي من ملك ومنهم (ومنها) قوله تعالى وأسلنا له عين القطر أذبنا له عين النحاس أسيلت ثلاثة أيام كعين الماء وكان بأرض اليمن وانما يتم الماء اليوم وأخرجه الله تعالى لسليمان عليه السلام (ومنها) تسخير الله تعالى له الجن والانس والطير والوحوش والشياطين يعملون له ما يشاء كما قال تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير وذلك ان الله تعالى وكل بكل جسم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته فعلم ذلك الشياطين فأمروا أحدثوه لها الحمامات والطواحين والقوارير والصابون وأشباهه ثم غيبوا واختفوا والله هو الملك والقوة لا بنا بن خالتين وقصر شيرين وعملوا له الغيضة كما قال الله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية وقال تعالى الشياطين كل بناء وغواص وكانوا يغوصون في البحار ويستخرجون أنواع اللآلئ والدر والمرجان وسائر جواهر البحرية وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرذ وانواع الجواهر الثمينة من المعادن وهم أول من عمل ذلك

(حديث القبة) * قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله اذ نظر الى عظام أمواج البحر فدعته نفسه ان يعلم ما في قعر البحر فأمر الريح فسكنت من تحته ثم قعد على كرسي ملكه ثم دعا رأس العواصين فقال له اختر لي من أصحابك ما تريد جعل فاختار

مائة قال) * رأيت في منامي كأن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم الى ظاهر المقبرة فاذا هم يلتفتون شبه الاذوي ما هو فتعجبت من

الانابة وما معنى التسليم وما معنى العذاب فقال الانابة أن يرجع الى ما تحب اليه ولم يذكر التسليم في الاصل ولعله أراد أن العبد يسلم نفسه لله تعالى ويعلم انه أولى به ثم قال والعذاب

بين الجارية والغلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله أكبر فاتبني بهم الساعة واطلق شهودلا علم صدق قولك ثم أصر عريف الطير أن يكون معها لا يفارقها حتى تاتي بهم افترت العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت الجارية اذا قربت منها العنقاء تسمع حفيف أجنحتها فيبادر الغلام ويدخل جوف الفرس فلما رأتهم البنت قالت لها كالفزعة ان لك شأنا اذ رجعت من ساعتك قالت لها اى امرى ان لى شأنا ها هذا سليمان قد أمر باحضارك الساعة لامر كان بيني وبينه في أمرك واني لارجو نصرتي اليوم فيك قالت لها كيف نحملني قالت على ظهري قالت وهل أستقر على ظهرك واني أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزل فاسقط وأهلك قالت في منقاري قالت فكيف أصبر في منقارك قالت لها كيف أصنع ولا بد لي من احضارك عند سليمان وهذا عريف الطير معي وقد دعا بكفيائي البومة فقالت لها أدخلي في جوف هذا الفرس ثم ترفعينه على ظهرك أو في منقارك فلا أرى شيأ ولا أسقط ولا أفزع من شيء قالت أصبت قال فدخلت جوف الفرس واجتمعت مع الغلام وحملت العنقاء الفرس في منقارها وطارت حتى وضعت الفرس بين يدي سليمان عليه السلام فقالت يانبي الله هي الآن في جوف الفرس فابن الغلام فتبسم سليمان طويلا ثم قال لها أتؤمنين بقضاء الله وقدره وانه لا حيلة لاحد في دفع قضائه وقدره وعلمه السابق الكائن من خير وشر فقالت أومن بالله وأقول ان المشيئة الى العباد والقوة فمن شاء فليفعل خيرا أو شرا قال سليمان كذبت ما جعل الله من المشيئة للعباد شيأ ولكن من شاء الله أن يكون سعيدا كان سعيدا ومن شاء أن يكون كافرا كان كافرا ولا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا بفعل ولا بعلم وان الغلام الذي قد ولد بالمغرب مع الجارية التي ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن في مكان واحد على سطح وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت العنقاء لا تقل يانبي الله هذا فان الجارية معي في جوف هذا الفرس فقال سليمان الله أكبر أين البومة المتكفلة بالعنقاء قالت ها أنا يانبي الله قال سليمان أنت على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق أخرجهما على قضائه ومشيئته قال فامر البومة فدخلت جوف الفرس وأخرجتهما جميعا من جوف الفرس فاما العنقاء ففزعت وذهبت وطارت في السماء فاخذت نحو المغرب واختفت في بحر من بحاره وآمنت بالقدر وحلفت لا تنظر في وجه طير أبدا استحياء منه وأما البومة فانها لزمت الآجام والجبال وقالت اما بالنهار فلا أخرج لي ولا سبيل الى المعاش فهي اذا خرجت نهارا وبخثها الطير واجتمعت عليها وقالت لها يا قذرية فهي تخضع لهذا وهذا ما كان من شأن العنقاء والبومة في القضاء والقدر والله أعلم بالغيب (ومنها) تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخيل الجياد العراب التي أخرجها له من البحر في قول أكثر أهل الاثر قال الله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد والصافنات الخيل القائمات على ثلاث قوائم وقد اقامت الاخرى على طرف الحافر من يد أو رجل والجياد السراع قال الحسن بلغني انها كانت عشرين خرجت من البحر لها أجنحة وقال الكلبي غزا سليمان أهل نصيبين فأصاب منهم ألف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس وكان أبو أصابهم من العمالقة قالوا فصلى سليمان صلاة الظهر وقعد على كرسيه فعرض عليه منها ستمائة فاشتغل بحسنها وكثرتها والاعجاب بها حتى غابت الشمس وفاتته صلاة العصر ولم يعلم أحد بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها علي فردوها عليه فعرقبها وعقرها بالسيف وقربها الى الله تعالى وبقي منها مائة فرس فما في أيدي الناس من الخيل العراب فهي من نسل تلك المائة (وقال كعب) كانت الافراس أربعة عشر فأمر بضرب أعناقها وسوقها بالسيف وقتلها فسلب الله ملكه أربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل بقتلها قال الحسن فلما عقر الخيل لاجل الله تعالى أبدله الله تعالى مكانها خيرا منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره رخاء كيف يشاء غدوها شهر ورواحها شهر وكان يغدو من ايلياء فيقيل في اصطخر ثم يروح منها فيبيت ببابل (ويروى) ان سليمان سار من أرض العراق غاديا فقال بعد ينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ تحمله الريح وتظله الطير بجنوده وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متظللا بلاد الترك ثم جاوزها الى أرض الصين ثم عطف عنه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض الهند ثم خرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزهما حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما ثم غدا منها فقال بكسكر ثم رجع الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان قد أمر الشياطين قبل خروجه من الشام

الى

عناقيدها من الياقوت الاحمر بحيث ينال عرائش الكروم والنخل الكرسي قالوا وكان سليمان اذا أراد صعوده ووضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي درجة بما ديه ودوران الرحى المسرعة وتنشر ثلاث النسور والعقاب وليس أحد يفتحها ويبسط الاسد ان أيديهما ويضربان الارض باذنابهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعدها سليمان فاذا استوى باعلاه أخذ النسران الدان على الثمانين المسك والعنبر يفتتانهما عليه ثم تتناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة فتفتحها لسليمان فيقرؤها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء قال وتجلس عظماء بني اسرائيل على كراسي الذهب والفضة المرصعة بالجواهر وهي ألف كرسي على يمينه وتجيء عظماء الجن فيجلسون على كراسي الفضة من يساره وهي ألف كرسي محفين به جميعا ثم تظلهم الطير وتقدم الناس اليه للقضاء فاذا دعا بالبينات وتقدمت الشهود ولا قامة الشهادات دار الكرسي بجميع ما فيه وما حوله دوران الرحا المسرعة قال وهب بن منبه والذي نفسي بيده ذلك الكرسي قال بلبسلان من ذهب وذلك الكرسي عمله له صخرا لجني قالوا فاذا دار الكرسي بسط النسران أجنحتهما وضربا بأذنابهما الارض ونشرا أجنحتهما ففزع منه الشهود ويداخلهم من ذلك رعب شديد فلا يشهدون الا بالحق فهذا شأن كرسي سليمان عليه السلام وعجائبه كان فيه فلما توفي سليمان عليه السلام بعث بختنصر فاتخذ ذلك الكرسي وحمله الى انطاكية فاراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بحوله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الاسد ان يديه الى فضربا ساقه ضربة شديدة فدقهما ورمانه على بختنصر فلم يزل يعرج ويتوجع منها حتى مات وبقي الكرسي بانطاكية حتى نزاهم ملك من الملوك يسمى كداش بن سداس فهزم خليفة بختنصر وردّ الكرسي الى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستيلاء به فوضع تحت الصخرة فغاب فلم يعرف أين هو ولا يدري أي هو والله أعلم

(ومنها) بيت المقدس

*(صفة بنيانه وبدء أمره) قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قيل بالمياه والاشجار والثمار وقيل ان كل نبي بعث يخرج من تحت أصل الصخرة التي ببيت المقدس يعني من السماء الرابعة ثم ينصرف في الارض وذلك قوله تعالى باركنا فيها للعالمين (وروى) سالم بن معدان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وذلك النخلة على نهر من أنهار الجنة على ذلك النهر أسية بأبوابهم ومريم ابنة عمران رضي الله عنهما يغتسلان في أصل النخلة الى يوم القيامة * وأما بناء بيت المقدس وسببه بناؤه على ما ذكره أهل السير هو ان الله تعالى بارك في نسل ابراهيم حتى بعثهم في الكثرة بحيث لا يحصون فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بارين ولسلمان وهم يزدادون كل يوم كثرة فاحب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بني اسرائيل كم هم فامر بعدهم وبعث الى عرفاء قبائله وأمرهم أن يرفعوا اليه ما يبلغ من عددهم فكانوا يعدون زمانا من الشهر حتى فرغوا فصعد الله جبريل عليه السلام وأوحى اليه يا داود قد علمت اني وعدت أبالك ابراهيم يوم أمرته بذبح ولده بيده وأنا أمرك أن تعد بني اسرائيل فتعلم عددهم فاردت أن تعلم عددهم انه لا يحصى عددهم غيري واني قد أمسكت لابتلينهم ببلية يقل منها عددهم ويذهب عنك اعجابك بهم وبكثرتهم فاختاروا اما أن أبتليكم بالجوع والقحط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام فجمع داود بني اسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى اليه وخيرهم فيه فقالوا له أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا فاختار لنا فاختار الجوع لاعسر لنا عليه وتسلط العدو أمر فاضح فان كان ولا بد فالموت لانه بيده لا بيد غيره فامرهم داود أن يتجهز والللموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الاكفان وبرزوا الى صعيد بيت المقدس قبل وباء المسجد بالاوراح والاهلين وأمرهم أن يضجوا الى الله تعالى ويتضرعوا اليه لعله أن يرحمهم فارسل الله اليهم الطاعون فاهلك منهم في يوم وليلة الوفا كثيرة لا يدري عددهم ولم يمر غوا من دمهم الا بعد موتهم بشهر فلما أصبحوا في اليوم الثاني خرّ داود على السلام

يتزوج بنت وتكتمه وقد تخلف له الحزن والبكاء والتحيير اذ ليس له من يتذكره قال صالح فسألته عن منزل والدته أين هو فوصفه لي فرجع

(وأما) أصحاب الرجعان فهم الصادقون (وأما) أصحاب العدل فهم أصحاب التوبة (وأما) أصحاب البكاء فهم المذنبون قال فاتبعته من يومي مفكرا فيهم رحمة الله تعالى عليهم أجمعين وجمعنا المسلمين آمين بجاه سيد المرسلين (وحكي عن صالح المري رضي الله تعالى عنه أنه قال) أصبت ليلة بيتا الى الصبح فسرت على مقبرة فجلست عند قبر هناك فعاتبني اليوم فقلت في أي بيت في مناخي كان أهل القبور قد تزوجوا من قبورهم وقعدوا معها يتحدثون واذا بشاب قد خرج من القبر وعليه ثياب دنسة بالدم بجانبيه القبر وهو يصيح ويقول معي معي وما جرى بيننا شيء ثم لم يلبث الا يسيرا حتى أقبلت الملائكة يجرونه بالسلاسل فاقبلت أنظر اليه حتى غاب عن بصري فاقبل رجل واحد من القبور فاستقبل واحدا منهم فلبثا ساعة من الليل الا الملك وخرجا فاقبرا الشاب فاقتربت منه وقلت له يا عبد الله ما الذي أرى بنا وما هذه الاطباق فقال هذه صدقات الاحياء وعاؤهم لموتاهم فانتبهم كالجبال جمعة يوم فيها ثم يبكي بكاء شديدا وكأن له والدة قد اشتاقت عنه بالدنيا

له مائة رجل فقال اختر لى من المائة ثلاثين فاختار له ثلاثين فقال اختر لى من الثلاثين عشرة فاختار له عشرة فقال اختر لى من العشرة ثلاثة فاختار له ثلاثة فقال لواحد منهم غض حتى ننظر الى قعر البحر وتأتينى بالخبر فقال له سمعا وطاعة لك يا نبى الله فغاص البحر وأبعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذى رأيت قال يا نبى الله ما رأيت الا أرضا وحيتانا غير انى رأيت ملكا عظيما قال لى اين تريد فقلت له ان نبى الله سليمان أرسلنى انظر له قعر هذا البحر فقال ارجع اليه فاقرأ عليه منى السلام وقل له ان قومار كبوا هذا البحر منذ أربعين عاما فاعاب عليهم مركبهم فرجوا يصلحونه فسقط من أحدهم قدوم فهو يتجلجل فى البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع اليه وأخبره بالخبر فتعجب نبى الله سليمان عليه السلام من ذلك ولها عما كان قصد قال فبينما هو على شاطئ البحر اذ رأى نبعة من زجاج تضربها الامواج فى لجة البحر فعارضها وقال للغواصين غوصوا فى اثرها فغاصوا فاخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل البحر انفتح لها بابان بصراعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب أبيض من اللبن وكان رأسه تقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدى سليمان فقال له سليمان يافتى من اين أنت أمن الانس قال بل من الانس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك ما أرى فقال يا نبى الله كانت لى والدة وكنت من أبر الناس بها أطعمها وأسقيها بيدى ولا أترك شيأ من صنائع البر الا صنعته بها فلما حضرتها الوفاة سألتها ان تدعو لى فرفعت رأسها الى السماء وقالت يارب قد عرفت بر ولدى بى فارزقه العبادة فى موضع لا يكون لابليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفنتها فرجت يوما الى ساحل البحر فاذا أنا بهذه القبة فدعتنى نفسى أن أدخلها فلما دخلتها انطبقت على أبوابها وتراخرت الامواج بها وكان هذا آخر عهدى يا نبى الله فقال له سليمان فمن اين مطعمك ومشربك فقال يا نبى الله اذا كان الليل جاءنى طائر أبيض فى منقاره شئ أبيض فيدفعه الى فآكله فهو يقيتنى من الطعام والشراب فقال له سليمان فمن أين تعرف الليل والنهار وأنت فى ظلمة هذا البحر قال يا نبى الله فى القبة خيطان خيط أبيض وخيط اسود فاذا رأيت الخيط الابيض ازداد علمت انها النهار واذا رأيت الخيط الاسود ازداد علمت انه الليل فقال له سليمان هل لك فى صحبتنا رغبة قال لا يا نبى الله ان تشأ تأذن لى ان اعود الى قبتى فاذن له فانطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتراخرت به الامواج فكان آخر العهد به (ومنها) قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب يقال انها الحياض كانت تسع الجفنة الواحدة طعام ألف رجل فيجتمعون عليها يأكلون بين يديه وقدور راسيات ثابتات لا تزول بسع القدر الواحد عشر جزر

(فصل مدينة سليمان عليه السلام التى كان يسافر بها فى الهواء)

(ومما) عمله له مدينة من قوارير بعشرة آلاف ذراع فى عشرة آلاف ذراع فيها ألف سقف ما بين كل سقفين عشرة أذرع فى كل سقف جميع ما يحتاج اليه من المساكن والقباب والمرافق أسفله أغلظ من الحديد وأعلاها أرق من الماء يرى من داخلها ما وراء ظهرها من صفائه ونقائه والشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى السقف الاعلى قبة بيضاء عليها علم أبيض يستضئ به فى الليل الداجى العسكر كله يتلألأ شعاعه مد البصر وبها من الاركان ألف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه وأولياءه علوا وسفلا تحملها الريح الى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرا يأكل ويشرب وينام ويفتح بها وفى أسفلها مرابط واصطبلات واوارى واواخى لخيله ودوابه (ومما) عمله له كرسى ملكه

(صفة كرسى سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب يروى ان نبى الله سليمان عليه السلام أمر الشياطين باتخاذ كرسى يقعد عليه للقضاء وأمر أن يعمل بديعا مهولا بحيث لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وهم ثقال فعملوا له كرسيا من أنياب الفيلة وفصوصه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع نخلات من الذهب ثمارهن الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الاخريين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسى أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الاخضر وقد عقدوا على النخلات أشجارا كرما من الذهب الاحمر واتخذوا

الرجل حيث توهم أن الجرة تحابس البغلة ومررت أيضا برجل آخر وهو يباس عندا سكاف يستعمله في اصلاح خف له فسمعته يشرط عليه ان يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين ونسي نزول ملك الموت اليه من قبله فضحكت من قلة عقله وجهله ومررت بجوز تتكهن وتخبر الناس بما لا يعلمون من أمور السماء وقد كنت عهدتها بيلا دفن في موضع فراشها ذهبا كثيرا في الدهر والحال فرأيتها تموت جوعا وتحت رأسها ذهب كثير وهي لا تعلم بحاله ثم تخبر الناس بامر السماء فضحكت منها ومررت برجل في بعض المدن وقد كان به داء فيما قيل فاكل البصل فبرأ من دائه فصار يطيب الناس وكان لا يأتيه أحد يسأله عن علة الا أمره بأكل البصل وانه لا أعرفني حتى ان ضرره بصل الى الدماغ فضحكت منه ومررت في بعض الاسواق فرأيت الثوم وهو أذل الادوية يكال كيلا ورأيت الفلفل وهو من السموم القاتلة يوزن وزنا فضحكت ومررت بناس قد جلسوا ينتظرون الى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة فمل منهم قوم فقاموا وجاء آخرون فجلسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم وأنخطأت الذين كانوا من قبل ونشيت الذين جاؤا فضحكت تعجبا من القضاء والقدر فقال له سليمان هل علمت من كثرة نتجاربك وجولانك في البحار شيأ يخفى لي هذه الجواهر فتلين ويسهل نحتها وثقبها فقال لا يا نبي الله اعرف حجرا أبيض كالبلور يقال له السامور غير اني لا أعرف معدنه الذي هو فيه وليس في الطير شيء أميل ولا أهدى من العقاب فاس بفراخه أن تحمل في صندوق من تلك الجواهر فانه يأتي بذلك الحجر فضرب به الصندوق حتى يتقبه ليصل الى أولاده قال فامر سليمان بفراخ العقاب ان تضم في صندوق من حجر منها ويحاول له فغيب عن افراخه فمر سريعا وجاء بآخر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل الى فراخه وبعد سليمان ان مع العقاب نفرا من الجن حتى أتوه منه بصندوق ما علم ان فيه الكفاية واستعمل ذلك في أدوات الصناع فسهل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجر يستعمل في نقش الخواتيم وثقب الجواهر الى اليوم وهو عين عزيز قال وقد بقي سليمان المعبد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده من الملح الصافي وسقفه بألواح الجواهر الثمينة وحصن سقفه وحيطانه بالاترج واليواقيت وأنواع الجواهر وبسط أرضه بالواح الفيروز يتلألأ كوجد يومئذ في الارض بيت أحسن ولا أنور من ذلك المعبد وكان يضيء في الليل كالقمر في ليلة البدر فلما فرغ منه جمع العلماء من بني اسرائيل وأعلمهم انه بناه لله تعالى وكل شيء منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا لم تتخذ في الارض مثله أعظم عندهم من ذلك اليوم ولا أطعمة أكثر منه فذبح فيه من البقر والغنم ألف جزور ومن البقر ستة وعشرين ألفا ومن الغنم أربعة آلاف شاة * قالوا ومن عجائب ما اتخذ سليمان ببيت المقدس انه بنى بناء طين حائله بالرخام الابيض وسقفه فكان اذا دخله البارا ستبان خياله في ذلك الحائط أبيض واذا دخله الفاجر استبان خياله في ذلك الحائط أسود فارتاع من ذلك كثير من الناس عن الجور وراغبة ونصب في زاوية المسجد الأيمن وكان من سهام أولاد الانبياء لم يضره منها شيء ومن سهام من غيرهم اثرة تبدو فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس مر ببكر بانا على الصخرة ثم قال اللهم أنت وهبت لي هذا الملك فاجعلني خليفتك على أرضك وأكرمتني به من جعل ان أكون شيأ وأنت الحمد اللهم اني أسألك ان تدخل هذا المسجد كل الا أن لا يدخله أحد يريد فيه ركعتين خلصا فيهما الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ولا يبيت له مذنب الا بات عليه ولا مائت الا أثنى عليه ولا مظلوم الا نصره الله بالجذب الا نصب بنواحيه واذا أجبت دعوتي وأعطيتني طلبتي فاجعل علامة ان تقبل قربان فقال فنزلت نار من السماء فاحرقت ما بين الخافقين ثم اقتحمتها حتى فاجعل القربان وسعد به الى السماء وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام الى ان غزا بختنصر بني اسرائيل فخرب بيت المقدس والذي حاليفيه وكدسه التراب ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والآنية الى أرض بابل وكان بيت المقدس نوابا الى ان بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه باسره والله أعلم

(باب في قصة بلقيس ما كان من سبأ والهدهد وما يتصل به)

قال الله تعالى وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين الآية قال العلماء باخبار القدماء ان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فتجهز

الاشجعان فقال عليك السلام يا ذا النون ما الذي أوصلك الى مرتبة أنبرته خوفي المسئلة من الانام فاشتغل بحاسبة نفسه عن التلفظ بالكلام قال ذو النون فقلت له أوصني قال أوصيك بتقوى الله تعالى في السر والعلانية فان من أحب الله خوفه الله من كل شيء ويخلصه من كل هول ويؤمنه يوم القيامة من الفزع الاكبر ثم قال يا ذا النون اعلم ان الله تعالى يحب أن يتعرض عباده لنفحات رحمته في كل وقت ويدعوهم الى مرضاته ويحثهم على طاعته ويقربهم من قربه ويباهي بهم ملائكته المقربين ويتحبب اليهم بنعمه وهم معرضون عنه غافلون عما خلقوا له ولا يزيدهم قربه منهم الا بعدا ولا يزيدهم تحببه اليهم الا تباعدا كأن الحق تعالى له الحجة عليهم والعذر لديهم ثم أنشد يقول

قد كان لي دمع غادر
وكان لي جفن غادر
وكان لي جسم بلابله
وكان لي قلب جاء به
وكان لي بدن ناظر
أرى به الاقوام حتى
عن جلال أعيش بين
وحيدا
لوحشة تسهيل الموت أطلقه
ثم قال يا طالب الله تعالى
سيدي زم فالقني
ولساوفقهم ويقيني قال
ذو النون فقلت سيدي

يعني بوصية أنتفع بها فقال عليك بتقوى الله في السر والعلانية فان من أحب الله خوفه قال الله فان له ومايتبعه فقه على أولياء الله ثم ذاك

ساجد الله تعالى يومئ الى الله تعالى ويقول يارب أنا آكل الخل الحامض وبنو اسرائيل يضرسون يعني أذنبت وبنو اسرائيل يعاقبون فما كان من شيء فتى أنزله واعف عن بني اسرائيل فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه السلام الملائكة سالين سيوفهم فغمدوها وارتقوا في سلم من ذهب في صخرة بيت المقدس الى السماء فقال داود لبني اسرائيل ان الله تعالى قد من عليكم ورحمكم فحمدوا له شكرا قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم ان تتخذوا في هذا الصعيد الذي رحمكم الله فيه مسجدا لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذاكرا لله تعالى فاجتهدوا في بنائه فلما أرادوا أن يبتدئوا بالبناء جاء رجل صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف اخلاصهم في بنائهم فقال لبني اسرائيل ان لي فيه موضعا أنا محتاج اليه ولا يحل لكم ان تحجبوني عن حق فقالوا ياهذا ما من أحد من بني اسرائيل الا وله في هذا الصعيد حق مثل حقك فلا تكن أنت أبخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال أنا أعرف حقي وأنتم لا تعرفون حقكم فقالوا له ما نرضى ونطيب نفسا لك والا أخذناه منك كرها فقال لهم أتحتكمون هذا في حكم الله وحكم داود قال فرفع خبره الى داود عليه السلام فقال ارضوه فقالوا يكون أخذه منه بأي الله قال خذوه بعمامة شاة فقال الرجل زدني يانبي الله قال داود خذوه بعمامة بقرة قال زدني قال بعمامة بعير قال زدني يانبي الله فانما تشتريه لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال داود حيث قلت هذا فاحتكم أعطكه قال تشتريه بعمائتك مثله زيتونا ونخلا وعنبا قال نعم فقال الرجل أنت تشتريه لله تعالى فلا تحتل قال سل ما شئت قال أنت أكرم على الله مني ولكن ابن لي حوله جدارا مشرفا ثم تملؤه ذهبا وان شئت ورقا قال داود هذا هين فالتفت الرجل الى بني اسرائيل وقال لهم هذا هو التائب الخالص ثم قال لداود يانبي الله لا يعذر الله لي ذنبا واحدا أحب الي من كل شيء وهبت لي ولكني كنت اختبركم فجدوا في بناء بيت المقدس وكان ذلك فيما قيل لاحدى عشرة سنة مضت من ملك داود وكان داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك أخيار بني اسرائيل حتى رفعوه قامة وعجز وافأوحى الله تعالى اليه ان هذا بيت مقدس والمرء رجل سفاك الدماء واست ببانيه ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء وأقضي اتمامه على يديه ويكون صيته وذكره وأجره لك باقيا فصار فيه زمانا الى أن توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان فأمره الله تعالى باتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الاعمال ونخس كل ملائكة بعمل يصلح لها وأرسل الجن والشياطين في تحصيل على الرخام والبلور والابيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ربضا لكل ربض منها سبعة من الاسباط وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقا فريق منهم يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق يغوصون في البحور يستخرجون أنواع الدر وفريق يقطعون أنواع الرخام وفريق يغوصون على الجواهر وفريق يأتون بالمسك والعنبر وأنواع الطيب من أماكنها فاتى بشيء من ذلك لا يحصيه الا الله تعالى ثم انه أحضر الصناع وأمرهم بحت تلك الحجارة وتضييدها ألواحا واصلاح تلك الجواهر ونقشها فكانوا يدقونها فتصوت بصوت شديد الصلابة فكره سليمان تلك الاصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا يانبي الله ليس في الجن أكثر تجربا ولا أكثر علما من صخر العفريت فأرسل اليه من يأتيك به فطبع سليمان بخاتمه طابعا وكان يطبع الشياطين بالنحاس ولسائر الجن بالحديد وكان اذا طبع بخاتمه لم يمتنع ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه أحد من جن ولا شيطان الا انقاد اليه باذن الله تعالى فأرسل الطابع مع عشرة من الجن فأتوه به وهو في بعض جزائر البحر فأروه الطابع فلما نظر اليه كاد أن يصعق خوفا فاقبل صعر عامع الرسل حتى دخل على سليمان فسأل سليمان رسله عما أحدث العفريت في طريقه فقالوا يانبي الله انه كان يتعبث في بعض الاحايين من الناس فقال له سليمان ما رضيت بتمردك على وتركك المجيء الى طاعتي حتى صرت تسخر من الناس فقال يانبي الله انى لست أسخر منهم غير ان ضحكي كان تعجبا مما كنت أسمع وأرى في طريقي فقال له سليمان وماذاك قال مررت على شاطئ فوجدت رجلا ومعه بغلة يريد أن يستقي بها فسقى البغلة وملأ الجرة ثم أراد أن يقضي حاجته فشد البغلة باذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحكت من حق

سليمان يده الى رأسه فجذبها وقال أين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه (أخبرني الحسين) بن محمد الثقفي باسناده عن عكرمة قال انما صرف سليمان عن ذبح الهدهد بره بوالديه ثم سأله الذي أبطأ عني قال الهدهد ما أخبرتك به أحطت بما لم تحط به أي علمت ما لم تعلم به وجئتك من سبأ بنبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش بلقيس بنت الشرخ وهو الهذهاذ وقيل هي بلعمة بنت شراحيل بن ذي جدن بن الشرخ بن الحرث بن قيس بن صيفي ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبو بلقيس الذي يسمى الشرخ ويلقب بالهذهاذ ملكا عظيم الشان وكان ملك أرض اليمن كلها وكان يقول الملوك الاطراف ليس أحد منكم كفؤا لي وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر وكانت الانس اذ ذاك تزوج الجان وتتخذ الجاهم وولدت له بلعمة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وتصديق هذا ما أخبرنا به ابن ميمونة باسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان أحد أبوي لقيس جنيا قالوا فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف ولدا غيرها ملكوها في الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها فاطاعها قوم وعصاها آخرون فاختار واعلى أو جلا فملكوهم وافترقوا فرقتين كل فرقة منهم اسنوات على طرف من أرض اليمن ثم ان هذا الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يديد الى حرم رعيته يغير بهن فاراد أصحابه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأى بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فارسلت اليه وعرضت نفسها عليه فاجابها الى ذلك وقال ما منعني أن أبتدئك بذلك الا الياس منك فقالت لا أرغب عنك فانك كفؤ كريم فاجمع رجال قومي واخطبني اليهم فجمعهم وخطبها اليهم فقالوا الا نراها تفعل هذا فقال اعاصي التي ابتدأتني وانا أحب أن تسمعوا قولها وتشاهدوا عليها فلما بلغوها وذكروا لها ذلك قالت نعم اني أصبت الولد ولم أصبه منذ كنت أرغب عن هذا الامر فقدرت بذلك فزوجوها منه فلما زفت عليه خرجت في ناس كثير من شهدها وسقتهما حتى غيبت منازله ودورهم فلما جاءه سقاها الخمر حتى سكر ثم حز رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما أصبح الناس ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوبا على باب داره علموا ان تلك الملكة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها أنت أسقم ملوك الملائمن تميل فقالت لولا العار والنار لقتلتكم ولكن رأيته قد عرف ما فعلت بي فاختر تني للملك بعده فملكوها وانثنت أمور الملك وروى ابن ميمونة باسناده عن الحسن بن علي عن أبي بكر الذكوان بلقيس بنت عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة فالوا فما بال بلقيس اتخذت عرشا عرشا

﴿صفة القصر الذي بنته بلقيس﴾

قال الشعبي وروي ان بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فجعل الجن يتسارعون اليه ومن تمام ما وكل الله سليمان ان ثلثمائة شيطان ذكرا قاموا بين يديه فضبطت على كل ذكر منهم بقمقم ووكل بكل قمقم عشرة أذرع ثم جعلت فيه اسفاط مملوءة بالواح الرخام وأمرهم ان يبنوا الى جنب الرصاص حتى يبلغ كل واحد ثم بنت فوق ذلك قصرا من ذهب وفضة مرصعة بالدر والياقوت وجعلت في أعلى بابه ذلك القصر تمثالا على هيئة بلقيس

للمسير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش مايبلغ عسكره مائة فرسخ وأمر الريح الرخاء فحملتهم فساروا فوق الحرم أقام به ماشاء الله أن يقيم وقرب القربان وقضى المناسك وبشر أهله بخروج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنه سيد الانبياء وخاتم النبيين وان ذلك مثبت في زبورهم ثم أحب أن يسير الى أرض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن يوم بجم سهيل فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا بيضاء حسنة تزهو بخضرتها فاحب النزول بها فصلى وتغدى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله على الماء وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى أحدكم الماء في الزجاجة فينقر الارض فيعرف موضع الماء وعمقه ثم تحيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الاهاب فيستخرجون الماء قال سعيد بن جبير لابن عباس هذا الحديث قال له نافع بن الازرق كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يبصر الفخ اذا علق له بقدر أصبع من تراب قال ويحك اذا جاء القدر عمي البصر (وروى) قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كم عن قتل الهدهد فانه كان دليل سليمان على الماء فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده ثم ان الهدهد لما جاء قال وجئتك من سبأ بنبأ يقين الى وجدت امرأة تملكهم الآية وذلك انه لما نزل سليمان قال الهدهد في نفسه ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع الى نحو السماء ونظر الى طول الارض وعرضها ونظر يمنا وشمالا فرأى بستان بلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيها فاذا هو بهدهد اليمن فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عنبر فقال عنبر ليعفور من أين أقبلت والى أين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام فقال له الهدهد ومن سليمان بن داود قال ملك الجن والانس والشياطين والوحوش والرياح فمن أين أنت قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة قال فما اسمها قال يقال لها بلقيس وان لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانهم ساملكة اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل والقيل هو القائد بلغة أهل اليمن فهل أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال فاني أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء فقال له الهدهد اليماني ان صاحبك ليسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه حتى أتى بلقيس ونظر ملكها وما رجع الى سليمان الا وقت صلاة العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد وذلك انه نزل على غير ماء فسأل الانس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا ماء فسأل الجن والشياطين فقالوا لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعده (قال ابن عباس) في بعض الروايات عنه وقعت قطعة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف العلير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى موضع فغضب عند ذلك سليمان وقال لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه واختلف العلماء في العذاب الشديد ما هو فقال أكثر المفسرين كان عذابه أن ينتف ريشه ويدعه في بيت النمل فتلدغه وقال الضحاك لأنتفنه ولأشدن وجليه ولأشمسنه وقال مقاتل لأطلينه بالقطران ولأشمسنه وقيل لأودعنه القفص وقيل لأفرقن بينه وبين الفه وقيل لامنعنه من خدمتي أو ليأتيني بسلطان مبين أي بحجة واضحة (وروى) عكرمة عن ابن عباس قال كل سلطان في القرآن حجة قال ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال له علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم فنظر يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد أن العقاب يريده بسوء ناشده الله وقال له بحق الذي قواك وأقدرك علي لا ترحمني ولا تتعرض لي بسوء قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك ثكلتك أمك ان نبي الله سليمان قد حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاهما النسر والطير كله وقالوا له أين غبت في يومك هذا فقد توعدك نبي الله سليمان وأخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى انه قال أو ليأتيني بسلطان مبين فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأومى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما

بين يديه وسلم بعضهم على بعض وهم ثلاثمائة وستون وأجلسهم حوله ثم قال له يا شيخ ادع الله تعالى

ابن ميمونة أيضا باسناده عن ثابت البناني في قوله تعالى وإني مرسلة إليهم بهدية قال أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فوهوا له الأرض بالذهب ثم أمر به فألقي في الطريق في كل مكان فلما جاؤا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان قالوا قد بنا نحمل شيأ نراه ههنا ما بنا لا يانفت إليه فصغر في أعينهم ما جاؤا به وقيل كانت أربع لبنات من ذهب (وقال وهب) بن منبه وغيره من أهل الكتب عمدت بلقيس الى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام فألبست الجواري لباس الغلمان الاقبية والمناطق وألبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقا من ذهب وفي آذانهم أقراطا وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر نواشيها من الديباج الملون وبعثت إليه أيضا خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وأرسلت إليه أيضا بالمسك والعنبر والعود والالنجوج وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزع خرزة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشرافه وهو يقال له المنذر ابن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب رأي وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت في الكتاب ان كنت نبيا فميز بين الوصائف والوصفاء وأخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها وانقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل خيطا في الخرزة ثم أمرت بالغلمان فقالت لهم اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم انها قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك فلا يهولك صغره فانا أعز منه وان رأيته بوجه بشاش الطلعة فاعلم انه نبي مرسل فتفهم كلامه مورد الجواب فانطلق الرسل بالهدايا فلما رأى الهدهد ذلك أقبل مسرعا الى سليمان وأخبره بالخبر كله فأمر سليمان الجن أن يصنعوا له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم أمرهم أن يبسطوا له من موضعه الذي هو فيه الى تسع فراسخ صفا واحدا لبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان سبعة أسوار من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم أمرهم أن يبسطوا له

فاجتمع خلق كثير فأقامهم فوقف عن يمين الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا خلف الانس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما أقبل القوم ورأوا ما بين الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم ير أعينهم مثلها ترددت على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا (وفي بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وأمرهم أن يمروا في طريقهم على تلك اللبنات التي معهم فلما رأت الرسل موضع اللبنات مالت كل الأرض ممرت منافذ أن تمر موهم بذلك فصاروا بما معهم في ذلك المكان قال فلما جاؤا الى الميدان ورأوا الشياطين تنظر اليهم وتنظر بعضها الى بعض رموا بما معهم فصار اليهم يجوز وادلا خوف عليكم قال فكانوا يمرون على الدواب كالدوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام فنظر اليهم سليمان نظرا شديدا فوجده طلق وقال ما وراءكم فأخبروه وئيس القوم بما جاؤا به وأعطوه كتاب الملكة فما نظر اليه وقرأه قال لهم أين الحقة التي بعثتم بها فأخرجوها فجاء جبريل عليه السلام فأخبره في الحقة قال ان في بادرة غير مثقوبة بلا ثقب وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال له الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الخرزة فقال سليمان عليه السلام من لي بثقبها فسأل الانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا له أرسل الى الارضة فأرسل اليها فلما أتت أخذت شعرة في فيها ودخلت في الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان حاجتك قالت أن تصيري رزقي في الشجر قال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله

أرحم الراحمين (وحكى عن مالك بن دينار رضي الله عنه أنه قال) امتلأ الغيث عناسنة من السنين فخرجنا الى الصحراء نسأل الله تعالى أن

ابن بقية ما شئت هي أن تكون لا

عند الله جاء قال فتبسم

الشيخ وقال يا هدهد

أتريد أن أسأل الله لك

وهو لاي فقال نعم فقال

توبوا الى الله تعالى قال

فتوضؤا بالتوبة فتابوا

الى الله تعالى ثم تقدم

الشيخ وصلى ركعتين

فنفضن فلما سلم أخذ

بيده من يمينه وعن

شماله ويسط يديه الى

السماء وأسبل دموعه على

خديه وجعل يدعو

بدعوات لم يسمع أحسن

منها قال فما أتم دعاءه

حتى تهللت السماء

بالسحاب وأرعدت

بالبرق وأمطرت كأفواه

القرب قال فخر سرير

الرشيد بذلك واجتمع

اليه نحو من مائة

وأهل مملكته جميعا يهنئونه

ويبشرونه بذلك فقال

للذين على بالرسل

الصالح فلما وقف بين

يديه قال له يا

سيدي رأيت في المنام

الماء والطين لله رب

العالمين فقال لي الباب

ما بال أبيكم يرفع رأسه

فقلت له من عادته اذا

جاء الله عز وجل لا يرفع

رأسه الا بعد ثلاثة أيام

قال فاشتد بكاء الرشيد

بذلك وقبل وقال اللهم اني

أسألك وأتوسل اليك

بحرمة الصالحين عندك

أن تتم بنا لهم وان تفيض

علينا من بركاتهم في

الدارين وجميع المسلمين

فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحالت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها اذا طلعت واذا غربت (قال) فلما قال ذلك الهدهد لسليمان قال له سليمان سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاستخرجوا الركايا وهي الآبار التي لم تطو ببطن كل واد فروى الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فأن لا تعلوا علي وائتوني مسلمين قال ابن جريج وغيره لم يزد سليمان على ما قص الله تعالى في كتابه شيأ وكان أبلغ الناس في كتابه وأقله املاء وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جملا ولا يطيلون كتابا ولا يكثرون قالوا فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم وكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون أي يردون من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب وأتى بلقيس وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاث أيام فوالها في قصرها وقد غلقت الابواب وكانت اذا وقدت غلقت الابواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت الى فراشها فاتاها الهدهد وهي نائمة مستقبلة على ظهرها فالقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة وقال مقاتل جعل الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت المرأة رأسها فالقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة تعني طاقة مستقبلة للشمس تطلع الشمس فيها حين تطلع فاذا انظرت اليها جعلت لها غذاءها الهدهد الى تلك الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظرها فرمى الصحيفة في وجهها قالوا فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عربية من قوم تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت ختامه ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي أرسل هذا الكتاب هو أعظم ملكا منها وقالت ان ملكا تكون رسله الطير لملك عظيم فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد ثم انها جاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل منهم مائة ألف مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب فاذا أحزنها أمر أسفرت عن وجهها فلما جاؤا وأخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس اني ألقي الي كتاب كريم أي شريف لشرف صاحبه وقال الضحاك سمته كريما لانه كان مختوما وبدليل ما أخبرني به أبو حامد الوراق باسناده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم الكتاب ختمه وقيل سمته كريما لانه مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم فذلك قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا علي وائتوني مسلمين ثم قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري وأشيروا علي فيما عرض لي ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون أي تحضرون فقالوا مجيبين لها نحن أولو قوة وأولو بأس شديد عند الحرب والامر اليك فانظري ماذا تامرين نجدك لامرك طائعين فقالت لهم لبلقيس حين عرفوا أنفسهم للحرب ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي أهانوا أشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الامر فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون أنشدني أبو القاسم الجنيد في هذا المعنى قال أنشدني أبي في معناه

ان الملوك بلاء حيثما حلوا * فلا يكن لك في أكنافهم نزل * ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا
جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا * وان مدحتهم غالوا لتخدعهم * واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على أبوابهم ذل

قال الله تعالى مخبرا عنها وانى مرسلة اليهم بهدية وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد سامت الملأ من قومها وجربت الامور وساستها فلما رأت الهدهد أقبل نحوها علمت أنه رسول ملك فقالت لقومها انى مرسلة اليهم بهدية وقومه بهدية أصانعه عن ملكي وأختبر بها أملك أم نبي فان يك ملكا قبل الهدية وانصرف وان يك نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا أن نتبعه على دينه ثم انها أهدت اليه وصفاء ووصائف قال ابن عباس ألبستهم لباسا واحدا حتى لا يكون يعرف الذكر من الانثى وقال مجاهد ألبست الغلمان لباس الجواري وألبست الجواري لباس الغلمان واختلفوا في عددهم فقال الكلبي عشرة جوار وعشر غلمان وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد مائتا غلام ومائتا جارية وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وأرسلت اليه أيضا صفائح الذهب واختلفوا في كيفيتها وعددها (أخبرنا)

سليمان آتاه الله علما وفقها قال له عالم من بني اسرائيل أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فقال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت فلما رأى سليمان العرش مستقرا عنده تحولا اليمن مأرب الى الشام في قدر ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه أي لم ينفع بذلك الا نفسه حيث استوجب شكره لتمام النعمة عليه ودوامها الان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم الافضال ممن يكفر نعمته فقال سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها أي زيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه انظر أتهتدي الى عرشها فتعرفه أم تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون اليه أراد أن يختبر عقلها وانما فعل سليمان على ذلك ما ذكره وهب بن منبه وجماعة من كعب وغيرهما من أهل العلم أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فيستولدها فتفشي اليه أسرار الجن فلا يتمكنون من تسخير سليمان وذريته من بعده فأرادوا أن يزهدوه فيها فاساؤا الثناء عليها وقالوا له ان في عقلها شيأ وان رجليها كافر حمار فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتكبير عرشها ويتأمل الى قدميها بناء الصرح فلما جاءت بلقيس قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو فلم تشبهه به وكانت قد تركته خلفها في بيت مغلق سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها فلم تتغير بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها (قال الحسين) بن الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم ولو قالوا لها هذا عرشك لقالت نعم فقال سليمان أوتينا العلم بآيات الله وتحقيقها ما تقدم من قبلها أي من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين لله تعالى هذا قول مجاهد وغيره وقال بعضهم هو من قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت قد عرفت هذا وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه السلام بالآيات المتقدمة من قبلها أي من قبل هذه الآية وكنا مسلمين أي منقادين لأمر الله مطيعين لامره من قبل أن جئتنا فلما رأت سليمان عليه السلام قيل لها ادخلي الصرح وذلك أن سليمان لما أقبلت بلقيس تريده أمر الشيطان فبنوا له صرحا أي قصرا من زجاج كله الماء يجاء أجود وأحسن شيء عملته الجن وأبدع فيه الصنعة ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وحفت عليه الطير والجن والانس وأمر بناء الصرح لان الشياطين قال بعضهم لبعض ندخر الله لسليمان ما نعذب به بلقيس ما لكم سبيل بتكلمها فتلعنها فلا تنطق من العبودية والسخرة أبدا فلما رادوا أن يزهدوه فيها قالوا ان رجليها حمار وقوائم شعر الساقين كالانسان لان أمها كانت جنية فلما رأى سليمان أن لا سبيل الى الظفر بها بوجه من الوجوه أمر ببناء الصرح (وقال وهب بن منبه) الماء الذي في الصرح لم يجعل عليها ليهابها بذلك كما ذكرنا وهي تتوهم بها السهو فتكشف عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فاذا هي أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها ونادا ه انه صرح ممرد من قوارير ولم ير بدا فلما علمت قالت له يا سليمان اني أريد أن أسألك عن شيء قال لي سل عما شئت فقالت أسألك عن ماء ورى ليس من الارض ولا من السماء وكان سليمان اذا سئل عن شيء لا يعلم سأل عنه الانس فان كان عندهم علم ذلك والا سأل الجن فان علموا والا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا مما أهون ذلك أتمر الخيل أن تجري ثم املأ الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرف الخبر فقالت صدقت ثم قالت أخبرني عن كون ولدك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجدا وعفق فقامت عنه وتفرقت جنوده فاتى جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما شأنك قال يا جبريل ربي أعلم بما قالت قال فان الله يأمرك أن تعود الى سريرك فترسل الهدايا الى من حضر هامن جنوده وجنودها فتسألهم عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال لهم عما ذا سألتني قالت عن ماء ورى ليس من أرض ولا من سماء فاجبت قال ومن أي شيء سألتني أيضا قالت سألتك عن شيء لا هو أسأل الجن فقالوا لم تسأل قولا وانما سألتهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال الهدهد والهدية والرسل والعرش والصرح فاجابت وقالت رب اني ظلمت نفسي

بالغلام قائم يصلي فلما نظرت اليه قالت هو هذا ورب الكعبة فقال الناس وما تصنع بهذا الغلام يا مالك وهو غلام مشؤوم هكر فقال ما مالك وما شؤمه وهكر فقال الخياط خذه وأرضني فيه قال مالك فأخذته بعشرة دينارا فقال الخياط يا مالك هذا الثمن كثير في هذا العبد فقال يا مالك والله انه قليل في ثمنه وانى راغب فيه ثم أخذته بيده وقلت له يا سيدي يا غلام فقال مبون قال قلت له من هذا قال الخياط قلت له ما اسمك قال الغلام يا مولاي ما تصنع بي فقلت له لا خدمة فقال والله لا أخدم أحدا من المخلوقين وانما خدمتي لله رب العالمين فاغتممت على شراء الغلام المشؤوم قال مالك فمكثت على ذلك ما رأيته سألت بالامس في المسجد الغريب الذي بالصرا فعال مالك انظر وجه الغلام متى سمعت ذلك قلنا انه صعد كان مريما من النزل قال يا مولاي تأذن لي أن أصلي في هذا المسجد ركعتين فقلت له نعم فتوضأ وصلى ركعتين وجلست على باب المسجد أنتظره فلما سرح من صلاته قال اللهي وسيدي ومولاي كانت المعاملة بيني وبينك سرا والآن قد علم بها المخلوقون فاقبضني الليلة الساعة ثم شهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه قال مالك فدخلت البيت فوجدته

فاخذت الدودة غبيطا في فمها وعادت الثقب نفر جت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت أن تصير رزقي في الفواكه قال لها ذلك ثم انه ميز بين الجواري والغلمان بان أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تاخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله في اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام يأخذه من الاناء بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على ساعد حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كلها وقال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون لانكم أهل المفاخرة والمكاثرة في الدنيا ولا تعرفون غير ذلك وليست الدنيا من حاجتي لان الله تعالى قد مكنني منها وأعطاني ما لم يعط أحدا من العالمين فيها ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى أكرمني بالنبوة والحكمة ثم انه قال للمنذر بن عمر وأمير القوم ارجع اليهم بالهدية فلنا تيهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ان لم يأتوني مسلمين قالوا فلما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وأخبروها قالت والله ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم ان بلقيس أمرت بعرشها فجعل في سبع أبيات بعضها داخل بعض في آخر قصر من قصورها ثم أغلقت دونه الابواب و وكلت به حراسا يحفظونه ثم انها قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسر بملكي فلا تخلص اليه أحدا ولا يراه حتى آتيك ثم انها أمرت منادیا ينادي في أهل مملكتها اليوم تذهم بالرحيل ثم نهضت الى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل قال ابن عباس وكان سليمان عليه السلام رجلا مهيبا لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يا رسول الله قال وقد نزلت منا بهذا المكان قالوا نعم قال ابن عباس وكان ما بين الكوفة والبصرة قدر فرسخ فاقبل سليمان على جنوده وقال أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين أي طائعين خاضعين واختلف العلماء في السبب الذي لاجله أمر سليمان باحضار العرش فقال أكثرهم لان سليمان علم انها اذا أسلمت حرم عليه مالها فاراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها (وقال قتادة) لانه أعجبه صفتها وصفة الهدهد فاراد أن يراها قبل أن يراها وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها قال عفريت من الجن وهو المارد القوي أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك أي مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضي فيه الى نصف النهار واختلفوا في اسمه فقال وهب انه كودي وقال شعيب انه كوذان وفي انه قوي أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر فقال سليمان أريد أسرع من هذا فقال الذي عنده علم من الكتاب الآية واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام وقال آخرون ملك من الملائكة أيد الله به نبيه عليه السلام وقال آخرون بل كان رجلا من بني آدم ثم اختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعيا بن فلكيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى (أخبرنا) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال ان آصف قال لسليمان حين صلى ودعا الله تعالى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمين فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون الارض خدا حتى انخرقت الارض بالسرير فنبع بين يدي سليمان واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف بن برخيا عند الاتيان بالعرش (فروى) عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن الاسم الاعظم الذي دعا به آصف بن برخيا يا حي يا قيوم وروى عن الزهري قال دعا الذي عنده علم من الكتاب بالهنا واله كل شيء الها واحد الاله الا أنت ائتني بعرشها وقال مجاهد يا ذا الجلال والاكرام (حدثنا) ابن ميمونة باسناده عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح وكان في جزيرة من جزائر البحر فرج ذلك اليوم ينظر من مساكن الارض وهل يعبد الله أولا يعبد فوجد سليمان فدعا باسم من أسماء الله تعالى فاذا هو بالعرش قد حمل فأتى به سليمان عليه السلام من قبل أن يرتد اليه طرفه * وباسناده عن مجاهد قال حدثنا سهيل بن حرب قال زعم ابن أبي برة ان اسم الذي عنده علم من الكتاب اسطوم وقال قتادة اسمه ملخا وقال محمد بن المنكدر انما هو

دعائنا ولم يزد النهار
الا ضوءا ولا الشمس الا حرا
قل الناس وعطشوا الى
سوانيهم حتى صرت أنا
ورفيقي في الصحراء فجلسنا
بمسجد خرب هناك فبينما
نحن جلوس اذ أقبل
علينا غلام أسود عليه
خرقتان قديمتان تساوي
فيهما درهمين فدخل
المسجد وصلى ركعتين
فلما سلم قال الهي
وسيدي ومولاي لم ردت
عبادك وفقراءك وعيالك
أفرغ ما عندك أم نفدت
خزائنك ثم قال بحبك
لي الا ما سقيتهم الغيث
قال مالك فوالله ما فرغ
من دعائه حتى تحجبت
السماء بالسحاب وأرعدت
بالبرق واسبلت مطرا
كافواه الدرب قال مالك
فقلت والله ان هذا
لعظيم الجاه عند الله
تعالى ثم قام وخرج من
المسجد فتبعناه ونحن
نخوض في الماء للركب
فما زال يمشي ونحن نتبعه
من بعيد حتى دخل بيت
رجل نخاس كنا نعرفه
فلما دخل البيت انصرفنا
الى بيوتنا وقد اشتغلت
بحبه فلما أصبح الصبح
بعثت الى النخاس لشراء
الغلام فلما أتى سلم
علي وقال ما تريد يا مالك
فقلت أريد غلاما أعتقه
فقال النخاس وأي غلام
هو وقلت عندي مائة غلام قال مالك فتحيرت في نفسي حيرة شديدة اذ لم أكن أعرف للغلام اسما فقلت اعرض علي الغلمان

فقال تكفل بي المحبوب قال ابراهيم فقلت له يا غلام أما تخاف من بعد السفر وطول المشقة فانشد يقول شعرا من ذا الذي يرجو وفاء من خليله
الى الحبيب وقد قضت امانا
الم أخلفني والشوق أرعى
وصلات في حب الله انسانا
فان أجوع عد ذكر الله يشبعني
ولا أكسون بعبد الله عريانا
وان ضعفت فوجدي في محبته
يحملني
الى الجواز ومن أهوى سواسانا
قال ابراهيم فتعجبت من كلامه على صغر سنه ثم قلت له بالله عليك أيها الغلام ما طريقك فقال أيها العبد الصالح ما طريقك فقلت أنا عبد ضعيف أريد بيت الله الحرام فقال أنا عبد ضعيف أريد بيت الله الحرام ثم قال لي أتحب أن تكون معي فقلت له نعم فقال أولانا بالله الذي جمعنا على كثير من عباده الذين هم على وجهه وحلاوة معرفته وحلاوة محبته وحلاوة الشوق الى لقائه أن لا يفرق بيننا الا وقاطرة رأسه الى وقال يا ابراهيم ان المنقطع عن مولاه الحبيب والواصل من أنعم عليه الطائفة بمحبوبه هل أن ينقطع عن الباب يا ابراهيم فقلت له نعم سألتك بالله أن تدعو لي ان أطلع من سبقني من أحبابي قال فنظر الى السماء وقال ثقتي فانك اني سنقص النوم فاستقظت الا وأنا وسط المحراب ورفيقي يقول لي انه نذر أن لا ينام

باب سليمان أي ساعة أراد دخول بيته دخل حاضرا أم غائبا فانا به فقال يا نبي الله كبر سني ورق عظمي ونفد عمري وقد سمعان الذهاب مني وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثني عليهم بما علي فيهم واعلم الناس بعض ما يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فهم له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضلهم الله حتى انتهى الى سليمان فقال له ما كان أحكمك في صغرك وأورعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك من كل ما يكره في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى ام لا عصا فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فلما أتاه قال له يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنيت عليهم خيرا في كل أزمانهم وعلى كل حال من أمورهم فلما ذكرتني أثنيت علي بخير في صغري وسكتت عما سوى ذلك من أمري في كبري فما الذي أحدثت في آخر عمري فقال له ان غير الله يعبد في دارك أربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري قال نعم في دارك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت انك ما قلت ما قلت الا عن شيء تعلمه ثم ان سليمان جمع الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة ولائذ بها ثم انه أمر بثياب الطهر وأتى بها وهي ثياب لا تغزل الا بكر ولا تعلم بها امرأة قد اقترفت دما فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد فنثر عليه ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وفعل فيه شبابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره ويقول فيما يقول ربما كان ينبغي لآل داود أن يعبدوا غيرك وأن يشركوا في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع الى داره وكانت له ولدة يقال لها أمينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد قضاء حاجة أو أراد أن يأتي امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يضع خاتمه الا وهو متطهر لان خاتمه كان به ملكه وتسخير أنا بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملكه في ماء فوضعه يوما من الايام عندها كما كان يضعه عند دخول مذهبه فاتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخر فاتخذته سليمان لانهم لم يذكروه شيئا فقال لها أين خاتمي فناولته اياه فلبسه ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين فقربهم سليمان فاتاه الخبر بما صنع صخر في داره وفي خاتمه من ماله ونسائه وما كان معهود اله عند نفسه من ذلك فعرف أنه قد فتن فقال لآصف ما يقول الناس في فقال يقولون ان سليمان قد فتن في نسائه وفي خاتمه وهو يطلب التوبة من ذلك فقال سليمان لآصف كذبت لم يكن سليمان ليفتن في نسائه ولا في خاتمه وأنت تعلم ذلك فقال له آصف فما تأمرني أن أصنع فقال له سليمان اذهب فاطلبه حيث ما كان فاني لا أراه الا شيطانا فاتاه آصف فلم يجده فسار في الناس يومه ذلك يطلبه فلم يجده فلما كان من الغد أتى سليمان فجلس على كرسيه فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين وأقبل الناس يختصمون اليه فجعل يقضي بينهم فلما انقضى قضاؤه طار الخاتم من يده فوقع على البحر فرأته امرأة من بنات الحوت فابتلعته فوقع في بطنها فاصطادت تلك الحوتة فحملت الى سليمان فصارت له فلما شق بطنها وجد الخاتم في جوفها فاخذه فجعله في يده ووقع ساجدا فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين وأقبل على الناس وعلم ان الذي دخل عليه ما أحدث في داره من عبادة الوثن فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ثم أمر الشياطين وقال ائتوني بصخر المارد فعلته في الحديد وجعلته في صندوق من حديد وأمر برماد فنثر عليه ثم أمر الشياطين فحملوه على أعناقها حتى أتوا به البحر الذي وجد فيه الخاتم فقال ائتوني بأحمق الشياطين فاتوه بشيطان فقال له أتعرف هذا البحر قال نعم قال فكم تظن أن فيه من الحيتان قال لا أدري غير أني أظن أن فيه حيتانا كثيرة فقال له سليمان

بالكفر وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (واختلف العلماء) في أمرها بعد الاسلام فقال أكثرهم لما أسلمت بلقيس أراد سليمان أن يتزوجها فلما هم بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقها وقال ما أقبح هذا فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة ما لي موسى حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا الاندرى ثم سأل الشياطين فتذكروا عليه وقالوا الاندرى فلما ألح عليهم قالوا نحن نحتال لك عليه حتى يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام (قال ابن عباس) انه أول يوم رؤيت فيه النورة فاستكمها سليمان عليه السلام *(أخبرني) *ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من اتخذ الحمامات سليمان عليه السلام فلما التصق ظهره بالجدار قال أوّاه من عذاب الله تعالى فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فنقلوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وغمدان وبيذون ثم ان سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام ثم يكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام (وروى) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال سليمان لبلقيس لما أسلمت وفرغ من أمرها اختاري يا سلامن وملك حتى أزوجك اياه قالت وهل لي بنكح الرجال يا نبي الله وقد كان لي في ملكي وقومي من السلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذاك ولا ينبغي لك أن تحزني ما أسل الله لك قالت زوجني ان كان ولا بد من تبع الاكبر ملك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن وسلطانها وجهاذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة أمير جن اليمن فقال له اعمل لذي تبع ما استعملت فيه قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام قال فلما حال الحول وبلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان نبي الله قد مات فارفعوا أيديكم قال فعمدت الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالمسند يعني خط الحيرية نحن بنينا سلحين وأتقين وبنينا مراح ومراح وفنقون وهندة وهنيدة ودلوم وهذا الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين الذي تبع ولولا صارخ بها لم يرفعوا أيديهم فانطلقوا وفرقوا انقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام والله أعلم

(باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أباز وجته الجرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه)

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وروى محمد بن اسحق عن بعض العلماء أن سليمان أتى برأس في جزيرة من جزائر البحر رجلا يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر فرج الى تلك المدينة فحملته الريح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده من انس والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها وأصاب فيما أصاب بنتا للملك الذي يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلمت على يديه فهي الظاهر على خيفة منه وقلة ثقة بها حبا شديدا لم يحبب أحدا من نسائه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولم يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ فقالت اني أذكر أبي وأذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه فيحزنني ذلك فقال لها سليمان قد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك الله الى الاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين يصورونه لي في داري التي أنا فيها أراه بكرة وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزني ويسلبني عن بعض ما أجد في نفسي فأمر سليمان الشياطين أن عملوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيأ ففعلوا لها حتى نقلت الى أبيها بعينه الا أنه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبسها ثم انها كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه في ولائدها فتسجد له ويسجدن له معها كما كانت تصنع معه في ملكه وتروح اليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحا ما بلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن

يفعلان في صوبه فقأ سفت عليه

عظم الله أجرنا وأجرك

في ميمون ثم أعطاني

أحدهما كفنا جديدا

يفوح منه رائحة المسك

قال مالك فغسلناه وكفناه

وصلينا عليه ودفناه رحمة

الله تعالى عليه وعلى

جميع المسلمين (وحكى

عن بعضهم رضي الله عنه

انه قال) *حججت سنة

من السنين الى بيت الله

الحرام وزيارة النبي

عليه الصلاة والسلام

وكانت سنة كثيرة الحر

فلما كانت ذات ليلة

مرت قليلا فلما استيقظت

اذا بي قد انقطعت عن

ركب وصرت وحدي

في البرية ولم أدر كيف

اصنع فبينما أنا كذلك

اذ لاح لي شخص امامي

فأسرعت نحوه فاذا هو

غلام لا نبات بعارضيه

كأنه القمر المنير أو

الشمس الضاحية وهو

يمشي ويتختر كأنه في

بحبوحة داره فتقدمت

اليه وسلمت عليه فقال

له عليك السلام يا ابراهيم

فتعجبت منه ثم قلت

في سبحان الله من أين

عرفتني ولم ترني قبل

ذلك اليوم فقال

لي اسهلت منذ عرفت

الله قطعت منذ وصلت

الى ابراهيم فقلت له

من الذي أوصلك الى هذه

البرية في مثل هذه

السنة الكثيرة الحر

فقال يا ابراهيم ما أنست

بالله ولا رافقت أحدا غيره واني لم أنقطع اليه بالكلية عمن له بالربوبية قال ابراهيم فقلت له من أين المأكول والمشروب

باب

نخبره فعلم سليمان ذلك فامر السحاب ان تأخذ ابنه وأمر الريح فحملته وغدا ابنه في السحاب فامن مضره الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين ومات الولد فالقي على كرسيه وهو الجسد الذي قصه الله علينا بقوله وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب والله تعالى أعلم

(باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية قال أهل التاريخ لبث سليمان في ملكه بعد ان رده الله تعالى عليه تسعة أيام والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها الى حيث أحب قال فقال يوما لهم ابليس وهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم قالوا ما الناطاقة لمن نحن فيه فقال ابليس تذهبون فتحملون الحجارة وترجعون فراغا لا تحملون شيأ قالوا نعم قال فانتم في راحة قال فابانت الريح ذلك فامرهم ان يحملوا ذاهبين وراجعين فجاءهم ابليس فقال كيف أنتم فشكوا اليه وأخبروه انهم يحملون ذاهبين وراجعين فقال لهم ابليس أتنامون بالليل قالوا نعم قال فانتم في راحة قال فابانت الريح ذلك سليمان فامرهم أن يعملوا بالليل والنهار فتزيا لهم ابليس فشكوا اليه انهم يعملون بالليل والنهار وانهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم قالوا لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشاء فعله قالوا نعم قال فتوقعوا الفرج وقد بلغ الامر منتهاه فلم يلبثوا الا قليلا وقدمات سليمان عليه السلام (قال) ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يتعبد في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه مدخله في المرة التي مات فيها وكان بدء أمره في ذلك انه لم يكن يوما يسمع فيه الا نبت له بيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لاي شئ أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت نبتت لغرس كتب على غرسها في مكان كذا وكذا وان كانت لدواء كتب على الدواء كذا وكذا فبينما هو يصلي يوما اذ رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك فالت الخروبة قال ولاي شئ نبتت قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان بن داود ما كان الله تعالى ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها ونوسها في الماء ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما يكون في غد ثم ان سليمان دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات وبقي على تلك الحالة ولم يعلم به من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون ويخافون ان يخرج فيعاقبهم (وقال) عبد الرحمن بن زيد قال سليمان لملك الموت اذا أمرت بي فاعلمني قال فاتاه فقال يا سليمان قد أمرت بك وقد بقي لك من عمرك يوما فدعا الشياطين فبنوا له صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه (وفي رواية أخرى) أن سليمان عليه السلام قال ذات يوم لاصحابه ان الله تعالى آتاني من الملك ما ترون وما أمسى على يوم في ملكي صافيه من الكدر وقد أحببت أن يكون لي يوم واحد يصفو لي الى الليل ولا أغتم فيه ولكن ذلك اليوم نادر فلما كان من الغد دخل قصر الله وأمر بابوابه فاغلقت وأبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الاخبار اليه فلا يسمع شيأ يسوءه ثم أخذ العصا بيده ووقف في محرابه واتكأ عليها يناجي ربه عز وجل فبينما هو كذلك اذ نظر شابا حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من باب القصر فقال له السلام عليك يا سليمان فقال وعليك السلام فكيف دخلت على هذا القصر بغير اذني وقد منعت من دخوله اما منعت البواب والحراس أما هبتني حين دخلت قصري بغير اذني فقال أنا الذي لا تهيبني ما حجب ولا يمنعني البواب ولا أذنك ولا أبالي ولا أقبل منهم الرشا وما كنت لادخل هذا القصر بغير اذن فقال له سليمان فمن أذن لك في دخوله فقال له رب قال فارتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت فقال له أنت ملك الموت قال نعم قال فهم جئت قال لاقبض روحك قال يا ملك الموت هذا يوم أردت أن يصفو لي ولا أسمع فيه ما يسوءني فقال يا سليمان انك أردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا يغمك فيه شئ وذلك يوم لم يخلق في الدنيا فارض بقضاء ربك فانه لامر دله قال فاقبض كما أمرت فقبض ملك الموت رأسه وهو متكئ على عصاه فالوا وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه وصلاة أينما كان وكان المحراب

 فتعجبت من ذلك وقلت له ما الذي أتى بك الى هذه البرية وهي مقفرة فقال يا أبا اسحق قد دنت وفاتي وقد سألت الله

أنت عبدي حقا ولا أحجبك عن كل ما تريد فقلت سيدي أريد أن تشفعني في القرن الذي أنا فيه فقال الله عز وجل قد شفعتك فيه قال ابراهيم ثم صحبني فاستفدت حسن مناجاته فسر بها سرورا فلما أصبحت قضيت ما كان علي من فرائض الحج ولم يفتر قلبي عن ذكر الغلام وسرت في جملة الحاج والناس يقولون يا ابراهيم ازعجت الناس من بلدك راحلتان قال ولم تزل راحلته الطيبة تفوح من يد ابراهيم حتى مات * (وحكي عن ابراهيم الخواص رحمه الله تعالى) * أنه قال كنت سائرا في طريق مكة على الوحدة فلحقني عسس العابرين فكنت أمشي يوما والمشي حتى أدركني الساعة التي تحت لذلك فاشتد بي الاعياء الوضوء وعز فقد الماء وكانت البرية مقفرة فتيممت وتلوت هذا وهو قولي يا أبا اسحق فتوضأ منه فاذا هو شاب حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فناولني الابريق فصليت عليه وقعدت على السلام هو بعد ته منا رسا على الارض وليس فيه حركة وعند رأسه ويمينه خلقة الالوان

الشياطين حتى أتت به فجعلت صخرة فدخل فيها ثم سد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر فهذا حديث وهب بن منبه * (وقال السدي) * في سبب ذلك كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه وآمنهن عنده وكان اذا أراد أن يأتي حاجته أو دخل مذهبه نزع الخاتم ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الايام وقالت له ان أخي بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله فاعطاها خاتمه ودخل المخرج فجاء الشيطان في صورته فقال لها هات الخاتم فاعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بعده فسألها ان تعطيه خاتمه فقالت له ألم تأخذه قال لا فخرج من مكانه تائبا ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فانكر الناس حكمه واجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فذكروا لهن ما أنكروا فقلن ونحن قد أنكرنا هذا فان كان سليمان قد ذهب عقله وأساء أحكامه فليس لنا صبر على ذلك وبكى النساء عند ذلك قال فاقبلوا يعشون حتى أتوه وأحدقوا به وأخذوا بحجزاتهم ثم انهم نشروا التوراة فقرؤها فلما قرؤا التوراة طار من بين أيديهم حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه الحوت قال وأقبل سليمان على حالته التي كان فيها حتى انتهى الى صيادين الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم وقال اني سليمان ابن داود فقام اليه بعضهم فضربه بعصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا له بئسما صنعت حيث ضربته فقال انه زعم انه سليمان بن داود فاعطوه سمكتين عن ضربه عنهم فلم يشفه ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام الى شاطئ البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه في بطن احداهما فاخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه وبها وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرفه القوم فجاؤا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال ما أؤاخذكم على عدوانكم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا ما كان لا بد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر ان يأتوا بالشيطان الذي أخذ خاتمه فاتي به فجعله في صندوق من حديد ثم أطبقه وأقفل عليه بقفل وختمه بخاتمه ثم أمر به فالقي في البحر وهو فيه كذلك الى الساعة (وفي بعض الروايات) ان سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاخذه سليمان وأعاده عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت في يده أيقن بالفتنة فقال آصف لسليمان انك مفتون بذنبك والخاتم لا يقوم لك أربعة عشر يوما فقر الى الله تائبا من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير في عملك وأهل بيوتك بسيرك الى أن يتوب الله عليك ويرد لك ملكك فقر سليمان هاربا الى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وان الجسد الذي قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب هو آصف كاتب سليمان وكان عنده علم من الكتاب فاقام آصف في ملك سليمان وعماله يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعة عشر يوما الى أن رجع سليمان الى منزله تائبا الى الله تعالى ورد الله عليه ملكه فاقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت * (وقيل) * سبب ذلك ما أخبرنا شعيب بن محمد الجعلي باسناده عن سعيد بن المسيب ان سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام فاوحى الله اليه أن يا سليمان احتجبت عن عبادي ثلاثة أيام فلم تنظر في أمورهم ولم تنصف مظلوما من ظالم وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه كما رويناه وقال في آخره قال علي كرم الله وجهه لما ذكرت ذلك للحسن فقال ما كان الله تعالى ليسلط على نسائه ونعوذ بالله أن يسلط الشيطان على نساء أنبيائه بالمباشرة وكيف يعتقد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى أنبياءه عن مثل هذا القبيح وهذا القول أصح الاقوال وأليق بأنبياء الله تعالى وأقرب الى التقوى (وقال) بعض المفسرين كان سبب فتنة سليمان أنه امر ان لا يتزوج امرأة الا من بني اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك (وقيل) ان سليمان عليه السلام لما أصاب بنت الملك صيدون أحبها وعرض عليها الاسلام فامتنعت فخوفها سليمان فقالت له ان أكرهتني على الاسلام قتلت نفسي فخاف سليمان ان تقتل نفسها فتزوج بها مشركة فكانت تعبد صنما لها من ياقوتة أربعين صباحا في تخيبته من سليمان الى أن أسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوما (وقال الشعبي) في سبب زوال ذلك ولد لسليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة فسبيلنا ان نقتل ولده أو

قعلقت بالاستار والقبر
زرته
وأنت بعافي القلب والسر
أعلم
أتيت اليه ماشيا غير
راكب
واني على سفري محب
متيم
هو يقتل طفلا حيث
لا أعرف الهوى
فلا تعذلوني انني متعلم
وان كان قد عانت اليه
منيتي
لعلي بوصل منك أحظى
وأغنم
قال ابراهيم ثم أرخى عينيه
وخر ساجدا فاتيت اليه
وحركته فاذا هو قد مات
رحمة الله تعالى عليه
فتأسفت لذلك ومضيت
الى رجل لا تخذله منه
كفنا واستعنت برفيقي
حتى يساعدني على
تجهيزه فاتينا اليه فلم نجده
فتعجبت من ذلك وسألت
عنه من الحجاج فلم يخبرني
به أحد فعرفت أنه
مستور عن أعين الناس
وما رآه أحد غيري
فرجعت الى مكاني ولم
أفتر عن ذكره فلما جن
الليل غلبت فرأيته في المنام
وهو في موكب عظيم
وعليه نور ساطع وعليه
من الحلي والحلل ما يعجز
عن وصفه الواصفون
قال ابراهيم فقلت له
ألست صاحبي بالامس
فقال نعم فقلت له والله لقد
طلبتك لاغسلك وأكفنك فلم أجدك فقال يا ابراهيم ان الذي أخرجني وجعله شوقي وحبي أهلي غيرني هو الذي كفنني وما تحته

الا بعد ليلة وقد طلعت على الشمس فنظرت الموضع الشاب فلم أجد له أثرا فتعجبت من ذلك ومشيت في دخلت مكة فلما قضيت

ألف راية وأقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس وقد هابهم الناس وتفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث فأخبره بأنه كيف يفعل الله بناء بعد ونا سنحاريب وجنوده فقال النبي لم يأته وحي فبينما هم كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى شعياء عليه السلام أن ائت ملك بني إسرائيل وأمره أن يوصي إلى بنيه ويستخلف على ما كتمن يشاء من أهل بيته وعشيرته فأتى شعياء عليه السلام فقال إن الله تعالى أوحى إلي أن آمرك أن توصي بوصيتك وتستخلف من شئت على ما كتمن أهل بيتك فالتفت الملك فلما قال ذلك شعياء عليه السلام أقبل على الله تعالى وصلى ودعا وبكى وقال في دعائه وهو يبكي ويتضرع إلى الله تعالى قلب خاشع وظن سادي اللهم رب الأرباب وإله الآلهة القدوس المقدس يا رحيم يا رؤف يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني يا نبي وفعلي وحسن قضائي في بني إسرائيل وذلك كله كان منذ أنت أعلم به مني سري وعلانيتي ثم إن الله استجاب دعاءه ورحمه وكان عبد الملك قد أوحى الله تعالى إلى شعياء أمره أن يعود عليه الملك أن يرد قد استجاب له ورحمه وقبل منه وقد أخر أجله خمس عشرة سنة وأعطاه الله من عدة سنجاريب ملك بابل وجنوده فأتى شعياء النبي وأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الإسهال وخر ساجدا لله تعالى وقال يا إلهي وإله آبائي الملك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتجيب دعوة المضطر إذا دعاك أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى إلى شعياء أن قل للملك حزقيا إن الله يأمرك أن تأمر عبدا من عبيده فيأتيه بعصاك التين فيجعله على قرحته فشفي ففعل ذلك فبرأ فقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لي علما على ما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعياء قل له إني كفيتك عدوك هذا وأميتك ميتة وإنهم سيجيئون موتى كلهم الاسنجاريب ونفسة نفر من كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ على باب المدينة قاتل بني إسرائيل قد كذلك الله عدوك فاخرج فإن سنجاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك الذي سنجاريب ولم يجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب هو ومن معه في عسكر من كبرائه في مهارة أقدامهم بخيلهم فلحقوهم في الجوامع ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل فلما رآهم شكر الله تعالى وحمده على ما صنع بهم ثم قال ياسنجاريب كيف نرى فعل ربنا بكم ألم يستأصلكم بعدوه وعدوته وعدونا وأنتم تعاونون فقال له سنجاريب بعد أن أتاني خبر ربكم ونصرته إياكم من قبل أن أخرج من بلادي فلم أعلم بذا ولم يلقني في الشقوة والإذلال على ما وصفت أو عقاب ما غزوتكم ولكن الشقوة غلبت علي وعلى من معي قال فعال صدقتنا أيها الله ورب العالمين الذي كنا نأتيكم بما شاء لنا من ذلك ومن معك لكرامتك عليه ولكن إنما أتيناك ومن معك لتزدادوا انتقاما في الدنيا وعذابا في الآخرة وتخسروا من وراءكم فما رأيتم من فعل ربنا بكم وبمن معكم ولنا ومن معنا أهون علينا من دم قرادة قتلت * ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أن يجيء بقذافة فقذفه فوقع بهم إلى أن وطئ بهم سبعين ميلا حول بيت المقدس وإلى ما يليه وكان يطعمهم كل يوم رغيفين من شعير لكل رجل منهم وقال لهم ما لي لا أراكم يا بني إسرائيل القتلى خيرا مما تفعل بنا فافعل ما أردت فأمر بهم الملك إلى سجن القتل فأوحى الله إلى شعياء أن قل للملك حزقيا سنجاريب ومن معه لينذر وا من وراءهم وليكرموا ليحملوا إلى بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك فعمل فخرج سنجاريب ومن معه لينذر وا من وراءهم حتى قدموا بابل فأقدموا بهم سنجاريب فالتفت إليهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك قد كنا نخبرك عما لنا نخبرهم وخبرنا هم والله لنعلم ولا نعلمنا وهي أمة لا يستطيعها أحد وكان في أمر سنجاريب عما نوه فرواه ثم كلهم الله إياه فكر فوبه ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف من بعده بنتصر وكان ابن امرأة وكان بنتصر يعمل كما يعمل جده ويقضي قضاءه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى ملك بني إسرائيل صديقة فرح أمر بني إسرائيل وتنافسوا في الملك حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغي والفساد وبهم شعياء فيهم لا يرجعون اليوم ولا يعلمون قوله فلما علوا ذلك قال الله تعالى لشعياء عليه السلام قم في قومك يوح على لسانك فلما قام النبي أطاف الله لسانه بالوحي فقال يا سماء اسمعي ويا أرض اصغي فإن الله أراد أن يقضي شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته

والصبيان يرجونه بالحجارة وقد أدموا وجهه وشجوا رأسه فزجرتهم عنه وهم يقولون دعنا نقتله فإنه كافر فقلت وما الذي بين لكم من كفره

حتى توجهت إلى بلاد الشام فاستقبلني نساء عابدون من قعدات وفي أوائلهن امرأة عليها ملابس رقيقة وثوب من شعر وبيدها مكوك وهي لا تفتر عن ذكر الله تعالى فتأملتها فإذا رأيت أشبه بالشاب مهيبا فقلت يا أبا فلان في استطاعتك أن تحدثني عن أحوالك فبكى بكاء شديدا وبكيت معه ثم سكت هنيهة ثم قال لها الشاب وما كان عندهن الرياحين فلما سمعت قوله أعطيته ثلاث أشمهم رائحة أو أعيدهم عهدا قال أشم ما قد ناخ الشيم ثم سقط إلى الأرض ميتة فاحتملوه إلى أهلها وقالوا يرحمك الله خيرا يا أبا إسحق القدارة فما كانت دعوة إبراهيم ولي أحد في مدينة شمشاط إلا مات قبل صاحبه بثلاثة أيام أو سبعة أيام عند دخولها الليل فلما رأيتم في وجوهنا الخير فاستبشروا والشاب بأيدينا وهما يقرآن هذه الآية لمثل هذا فليعمل العاملون * (وحدث) عن الشيخ أبي بكر الشبلي رضي الله تعالى عنه * أنه قال مررت بمجنون في بعض الأيام

بابان باب بين يديه و باب خلفه فقال بعض الشياطين لصاحبه ان كنت جليدا فادخل من الباب الذي بين يديه واخرج من الباب الذي خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان في المحراب الا استرق فرد ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فوقف بالباب فلم يحترق فنظر الى سليمان وقد سقط ميتا ففر يح فاخبر الناس أن سليمان قد مات فقعدوا عليه فاخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا بالحبشة قد أكلتها الارضة فلما علموا منذ كم مات ووضعوا الارضة على العصا فأكلت منها ليلة وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه و ينظرون اليه ويحسبون أنه حي ولا يستطيعون أن يخرجوا من الباب حتى يخرج الناس لطول صلاته قبل ذلك (وفي رواية ابن مسعود) فكثوا يأكلون له بعد موته حولا كاملا فمن ثم علم الناس أن الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلو أنهم علموا الغيب علموا موت سليمان ولم يلبثوا في العناء والعذاب سنة يعملون له ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام لاتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الماء لسقيناك أعذب الشراب ولكنا نقبل اليك المسير الطين شكرا لك فالذي يكون في جوف الخشب فهو ما تأتيه الشياطين والشياطين تسكن اليها فذلك قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته الآية (قال أهل التاريخ) كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها أربعون سنة وذلك أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه * ثم ملك من بعد سليمان ابن له يقال له رحبعم وكان عدا سخظلمه فنبأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم قبض وكان ملكه بسبع عشرة سنة * ثم ملكهم بعده ابنه آفيا بن رحبعم وكان ملكه ثلاثا وستين سنة * ثم ملك بعده ابنه أصا بن آفيا وكان رجلا صالحا وكان أصر يعتريه عرق النسا فطمع فيه الملوك لضعفه وافترض ملوك بني اسرائيل فغزاهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهند في جمع كثير وقبيلة كثيرة فبعث الله عليهم الملائكة فهزمتهم فقصدوا البحر حتى اذا ركبوا جميعا بعث الله عليهم الرياح والامواج فضربت سفنهم بعضها في بعض فتكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه واضطربت الامواج حتى ألقت أثقالهم وأموالهم وسلبهم الى ساحل بني اسرائيل ونودوا أن خذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا له من الشاكرين ثم لم تزل تعزوهم الملوك ملك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فيهلكهم الله تعالى الى أن ظهر فيهم العلم والسداد وفشت فيهم المعاصي وعبد بعض ملوك بني اسرائيل الاصنام من دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر

(مجلس في قصة بختنصر وخبر شعياء وأرمياء ودانيال وعزير عليهم وعلى الانبياء السلام وما يتصل به)

قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب الى قوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

(قصة شعياء عليه السلام)

قال محمد بن اسحق وغيره من أهل السير والاخبار كان مما أنزل الله تعالى على موسى خبر بني اسرائيل من احداثهم وما هم فاعلون بعده كما قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله حصيرا فكانت بنو اسرائيل يركبون الاحداث والذنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تعطفا عليهم واحسانا اليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما أخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله تعالى اذا ملكا من الملوك بعث له نبيا يسدده و يرشده ويكون واسطة فيما بينه و بين الله تعالى فيما يحدث من أمورهم ولا ينزل عليهم كتابا واما يأمرهم أن يأمروهم بأحكام التوراة والنهي عن المعاصي والمنكرات والدعاء الى ما تركوا من الطاعات فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى شعياء بن أمصياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعياء هو الذي بشر ببيت المقدس حين شكا اليه الخراب فقال أبشر فانه يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه فيهم عظمت فيهم الاحداث الردية وشعياء معه فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل فنزل هو وجنوده في ستمائة ألف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة شديدة فجاء اليه شعياء فقال يا ملك بني اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل هو وجنوده في ستمائة

أن يحضر عندي واحد من أوليائه فبينا أنا هنا فقال يا أخي أنا كنت عند أهلي في عزة وسرور وتقطر على السفر واشتهيت الغربة فخرجت من مدينة شمشاط أريد الحج فوقعت في هذه البقعة منذ شهرين وقد حضرت الوفاة قال ابراهيم فقلت له ألك والدان فقال نعم ولي أخت صالحة فقلت له هل اشتقت اليهم أو خطر ببالك بهم فقال لا الا اليوم فاني أحببت ان أشم منهم رائحة أو اجدد بهم عهدا قال ابراهيم فاجتمعت اليه وحوش كثيرة وأتوه بهذه الرياحين فبكيت وبكوا معي وصرت متحيرا في أمره متفكرا في حاله ووقع حب الشاب في قلبي وانجذب اليه سري فبينما أنا كذلك اذ أقبلت حية عظيمة وفي فمها باقة نرجس لم أر أحسن منها ولا أزكى من رائحتها فوضعتها عند رأسه وقالت بلسان فصيح يا ابراهيم اعدل عن ولي الله تعالى فان الله تعالى يغير على أوليائه قال أبو اهيم فلما سمعت منها ذلك عدلت عنه فلما أفاق وجدت الشاب قد فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه فقلت انا لله وانا اليه راجعون ما هذه الاعجوبة العظيمة كيف أصنع في تجهيزه قال فأرسل الله على النوم فنمت فما أفقت الا

على أو بستر جمال ولبس سها أحد فقالت والله لا مضين مع هؤلاء وأكونن خادمهم لما قال الآخر فتبعتهم لما أتوا
على نفسي وجعلت له أجلا مؤجلا لا بد له واقع فان صدقوا فيما يقولون من علم الغيب فليخبروني متى أنفذ وفي
أي زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أقضي فاني مناظره
على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه الحكمة التي أبرم
بها أمر ذلك القضاء ان كانوا صادقين فاني قضيت يوم خلقت السموات والارض بان أجعل النبوة في الاحرار
وأجعل الملك في الرعاء واجعل العز في الاذلال والقوة في الضعفاء والغنى في الفقر والثروة في الاملاء والمدائن في
الفلوات والآجام في المفاوز والثرى في الغيطان والعلم في الجهلة والحكم في الاميين فسلهم من هذا ومن النبي
بهذا وعلى يدمن أنشئه ومن أعوان هذا الامر وأنصاره فاني باعث لذلك نبيا أميا لا أعمى من العميان ولا ضال
من الضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال بالخنا أسدده بكل جميل واهب
له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد
الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد الفقر
وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به قلوبا مختلفة واهواء متشتة وأمما متفرقة فمن أجل أمة من خير أمة أخرجت للناس
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآياتي وتوحيدي يصلون قياما وقعودا وركوعا وسجودا ويقاتلون في
سبيل الله صفوفا وزحوفا يخرجون من ديارهم وأموالهم يبتغون رضواني الله الهم سيماهم التكبير والتحميد والتسبيح
والتمجيد والتوحيد في مساجدهم ومضاجعهم ومقيلهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون ويصلون على
رؤس الاشراف ويطهرون الى الوجوه والاطراف يعقدون الثياب في الانصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم في
صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبيهم شعياه
من مقالته غدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها فادركه الشيطان فاخذ هدبة من
ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوه وهو في وسطها والله أعلم

(قصة أرميا عليه السلام)

فاستخلف الله على بني اسرائيل بعد قتلهم شعياء رجلا منهم يقال له ناشئة بن آموص وبعث الله اليهم الخضر نبيا
ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى واسم الخضر أرميا من خلف بن كالان وكان من سبط هرون بن عمران والخامس
الخضر لانه سمي على فروة بيضاء فقام عنها وهي تزهر خضراء فقال الله تعالى لارميا مسيرته الى بني اسرائيل
بالوحي من قبل أن أخلقك اخترتك ومن قبل أن أصور لك في بطن أمك قدستك ومن قبل أن أخرجك من بطن
أمك طهرتك ومن قبل أن تبلغ السعي نبأتك ولامر عظيم أكرمك وهو ملك نبي وعرفهم احداثهم وعاداتهم
الى قال أرميا اني صغير ان لم تقوني عاجز ان لم تنصرني فقال الله تعالى أنا ألهمك فقام أرميا فيهم خطيبا ولم يدر
ما يقول فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال لهم في
آخرها ان الله قال فاني أحلف بعزتي وجلالي ان لم يتم والاقيدن لهم فتنة يترك فيها الحليم ولا يطمأن عليها جبارا
قاسيا ألبسه الهوينا وأنزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى الى أرميا عليه
السلام اني مهلك بني اسرائيل ببابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع أرميا بذلك وعلم
وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرع أرميا وبكائه ناداه يا أرميا أشق علي مما أوحيت اليك
قال نعم يا رب أهلكني قبل ان أرى في بني اسرائيل ما لا أسر به فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أهلك أحدا من بني
اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح أرميا بذلك وطابت نفسه وقال والذي بعثك موسى بالحق
لا أرضى بهلاك بني اسرائيل ثم أتى الملك فاخبره بذلك وكان ما كان صالحا فطرح واستبشر وقال ان بعذنجار بنا
فبذنوب كثيرة وان برمنافر بعثه ثم انهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا فيها الا معصية وعنادا في الشر
وذلك حين اقترب هلاكهم ونزل وحي ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فاذا الله عليهم بفتنة فرج في
سمائة الفارسية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل فتنصر سائرا الى الملك أتى الملك الخبر فقال الملك لارميا

بني اسرائيل أعجلهم لم يترك سيئة الا ارتكبوها ولا معصية الا سعى اليها وطلبها قد بارزوه بالمعاصي والآثام فصل له ألم عظيم منذ ثلاثة أيام فلما كان

الى البيعة فقالت لهم يا قوم أين ولي هذه البيعة حتى يصلي عليها فقالوا يا شيخ كلنا في الاحرى سواء ليس فينا أحد يصلي فقال ذو النون فتعجبت من ذلك عجبا شديدا ثم تقدمت وصليت عليه وواريته في لحده وواريته بالتراب فلما هموا بالانصراف قلت لهم ما شان هذا الميت أشهروني به فقالوا لا نعلم غير ان امرأة كثيرة تأتيه فتصلي عليه وهي لا تعلم بنا فبينما نحن في الطريق اذ أقبلت امرأة بيدها سبط من الخير والسلال وهي باكية العين حزينة القلب وهي ما وقفت على القبر كشفت وجهها وشمرت بثوبها وشمرت وصعدت به الى السماء وهي تتضرع وتبكي بصوت رفيع ساعة ثم سقطت الى الارض ميتة فاعلمنا ثم أفاقت بعد ذلك فرجعنا فقال ذو النون فقلت لها أنشدك بالذي خبرك هذا الشاب المتوفى وبعث البكاء فقالت من أنت يرحمك الله فقلت أنا ذو النون فقالت والله لولا انك من أحباء الصالحين ما أخبرتك بخبره ثم قالت يا أخي ان هذا الشاب وليدي وقرة عيني وكان ناشئا بشباب

واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاردها وجمع ضالها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فنطحت كباشها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أجاءهم الخير أم الشر وان البعير يذكر وطنه فينتابه وان الحمار يذكر الآري الذي يشبع عليه فيراجعه وان الثور يذكر المرتع الذي يسرح فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير اني ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل لهم كيف ترون في أرض كانت خرابا موات فابتنيت خرابا زمانا طويلا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأجرى نهرا وأنبت عليها غرسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا رأي حفيظا قويا أمينا فانتظرها فلما أطلعت جناها طلعها خروبا فقال بئست الارض هذه نرى أن يهدم جدرها وقصرها ويغيض ماءنهرها ويعرف غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة موات لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار ذمتي وان القصر شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبي والغراس هم وان الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وانى قضيت عليهم قضاء هم على أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم فرهم يتقربوا الى بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكله ولكن يتقربون الي بالتقوى والكف عن ذبح النفس التي حرمتها فأديمهم مخضوبة منها وبنانهم مترملة بدمائها ويشيدون لي البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها ويجصصون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها فاي حاجة لي الى تشييد البيوت وليست أسكنها وأي حاجة لي الى تزويق المساجد وليست أدخلها وانما أمرت برفعها لاذكر فيها واسبح ولتكن معلما ان أراد أن يصلي فيها يقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها ولو كان الله يقدر أن يفتق قلوبنا لفقهها فانا عائد الى عودين يابسين ثم أنبتهما وهم في أجمع ما يكون فقل للعودين ان الله يأمركما أن تكونا عودا واحدا فلما قال لهما ذلك اختلطا فصارا عودا واحدا فقال الله تعالى قل لهم اني قدرت على أن أؤلف بين العودين اليابسين فكيف لا أقدر على الفتهم ان شئت أم كيف لا أقدر على أن أفقه قلوبهم وأنا الذي صورتهم يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا وان دعونا بمثل جنين الجمال وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأنظر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين أذان يدي قلت كيف وبداي مبسوطتان بالخير أنطق كيف أشاء فمتاعهم الخزائن عندي لا يفتحها غيري أم يقولون رحمتي ضاقت فكيف ورحمتي وسعت كل شيء انما يترا حم المتراحمون بفضلي أم يقولون البخل يعتريني أولست أكرم الاكرمين وأنا الفتاح بالخيرات ألست أجود من أعطى وأكرم من سئل ولو أن هؤلاء القوم نظروا لانفسهم بالحكمة التي تورث في قلوبهم فتدبروها ولم يشتروا بها الدنيا لابصروا وتيقنوا أن أنفسهم هي أعدى العداة لهم فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم طاغية تركن الى من يحاربني وينتهك محارمي أم كيف أزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم وانما أجزي عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاء وانما هو قول بألسنتهم والعقل من ذلك بعيد انما أستجيب قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاي رضا المسكين وأن رحمتي للمساكين وقربي الضعفاء وأنصر المظلوم ونصري للمغصوب وعالوا الغائب وأذودا الى الفقير واليتيم والارملة والمسكين حقه ولو كان ينبغي لي أن أكلم البشر اذا كلمتهم وكلفت أذاهم وكنت فور أبصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم وأعمرت أركانهم وكنت قوة أيديهم وأرجلهم وكنت ألسنتهم الا أنهم يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انها أقاويل منقولة وأحاديث متوارثة وتآليف فيما يؤلف السحرة والكهنة وزعموا أن لو يشاؤا أن يأتوا بحديث مثله لفعلوا وأن يطلعوا على علم الغيب بما توحي اليهم الشياطين اذا ظلموا وكلهم يستخفي بالذي يقول ويسرهم يعلمون اني أعلم شيبة السموات والارض وأعلم ما يبدون وما يكتمون واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء بينته

ذو النون المصري رضي الله تعالى عنه أنه قال صمت يوما في بعض الاسفار فأصابتني مجاعة

جنازة وليس معهم أحد يشيع الجنازة فسألت عن ذلك فقيل هذا رجل كان من كبار
وملكت بيت المقدس أتعطيني ما أطلبه فجعل يتبعه ويقول له أتستهزئ بي ولا عنه أن تعطيني ما سألته الا لانه يرى أنه يستهزئ به قال فبكى الاسرائيلي وقال قد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك الا لانك تعلم أن الله تعالى يريد أن يخلف ضياعه فكتب له كتابا وضرب الدهر ضرباته فقال يوما لصحبه وهو ملك بابل لو أنا أرسلنا طائفة إلى الشام قالوا ما عسى أن نرى لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلانا فبعث رجلا وأعطاه مائة ألف فريح بختنصر في مفازة فلم يرجع الا بأيام قليلة في مفازته فلما قدم الى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أهل الارض فرسانا ورجالا فاستكبر ذلك في عينه فلم يسأل ولم يسألهم عن شيء وكان بختنصر دخل الشام ولم يزل يجلس مجالس أهل الشام ويسألهم ويقول لهم ما منعكم أن تغزوا بابل فلو غزوتموها لغلبتم منها شيئا كثيرا فقالوا انا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى انتقدت الى أهل الشام وعرف سرائرهم ثم ان الطليعة رجعوا فأخبروا ملكهم بما رأوا وكان بختنصر رجع معهم فجعل يقول لفراش الملك لو دعاني الملك لاخبرته غير الخبر الذي أخبره فلان وفلان فرفع ذلك الى الملك فدعا صاحبه الطليعة فقال ان فلانا الما رأى أكثر أهل الارض كبرا وعلوا وجلدا كبر ذلك في عينه ولم يسألهم عن شيء فلم أدع مجلسا بالشام الا جلست فيه اسأل أهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال سعيد بن جبير قال صاحب الطليعة لبختنصر فنحتني للثمانمائة ألف دينار وترجع عما قلت فقال له لو أعطيتني بيت مال بابل ما رجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضرباته فقال الملك لو بعثنا جيشا خيل الى الشام فان وجدوا مستغاثا غاثوا والا أمسكوا ما قدروا عليه فقالوا ما نرى ذلك قال فمن ترون قالوا فلانا قال بل الرجل الذي أخبرني عما أخبرني به دعا بختنصر فبعثه ثم انتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم فانطلقوا فجاسوا خلال الديار فسبوا ما شاء الله تعالى ولم يخبروا ولم يقتلوا ومات صحبون الملك فقالوا استخلفوا علينا كما قالوا على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فانهم في فرسانكم فاسهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه فقسمه بين الناس فقولوا ما رأينا أحدا أحق بالملك منه وهو في القصة الاولى فلكوه على أنفسهم (وقال السدي) باسناده ان رجلا من بني اسرائيل رأى في المنام ان خراب بيت المقدس وهلاك بني اسرائيل على يد غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يدعون فتقصوا فوجدوا ذلك فاقبل يسأل عنه حتى نزل في بيت أمه وكان قد ذهب يخطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فقالت هاتم فدخل بالحزمة البيت فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بهم طعاما وشرابا فاشترى بدرهم طعاما وبدرهم شرابا وبدرهم بزاد فجاء بها فأكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك واليوم الثالث فعل كذلك ثم قال له الاسرائيلي اني أحب ان تكتب لي أمانا اذا أنت ملكت يوما من الدهر فقال بختنصر أتستهزئ قال لا أستهزئ منك ولكن ما علي ان تجعل عندي لك يدا فكتمته أمه فقالت ما علينا ان كان والا لم نقتل شيئا فكتب له أمانا فقال اري أين جئتك والناس يسألوني بيني وبينك فاجعل لي علامة تعرفني بها حال ترفع بي فقال على قصبة فاعرف فلتم فكتب له أمانا وأعطاه اياه ثم انه لبني اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا عليهما السلام ويدني مجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع أمرا دونه وان الملك هوى أن يتزوج بنت امرأته هذا قول السدي * وقيل كانت بنت أخت امرأته (وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا عليهما السلام في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس وكان فيما نهاهم عنه نكاح بنت الاخت قال وكان الملك ابنة أخت تجمهر يريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة يقضيها له وذكر السدي بإسناده في مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام * (رجعنا الى حديث السدي) * قال فسأل يحيى عن نكاحها فقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فقعدت على يحيى حين نام فأتت بزوج ابنتها فجعلت تسقيه الخمر وتعرض له فلما أخذ من يدها الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسألينني قالت أسألك ان تبعث الى يحيى بن زكريا فتأتيني برأسه في طشت فقال ويحك سليني غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث

سعيدا من سوء ما فضل الله عظيم ورحمته وسعت كل شيء قال ما لك فانتهيت من مناجاتي بما رأيت فسمعت قائلا يقول هذا الكلام شعرا

فسرت معهم حتى صاروا على عدوهم وأزالوه في طلبه وانصرف عنهم من كان معه فمضوا الى طل عدوهم فلما نظروا أنه لا يمكن ذلك نزلوا من السماء فوثبوا قبره ونزل أحدهم الى قبره وقال لصاحبه ما كتبه من أهل النار فاذا هو جارحة سلمت من المعاصي والاوزار فقال له صاحبه يا أخي لا تعجل علينا وانتظره حتى نفتش فقال قد اختبرتم ما فوجدتموه على أحسن ما يكون فاذا هو بالنار الى ركبتيه فقال اختبروه فوجدتموه على أبأنا وخير وارتكاب المحرمات قال فاختبروا يديه فقال اختبروا ما فوجدتموه عملوا أحسن بشمال الا رأيتم والاجمل من الذات والشهوات قال فاختبروا رجليه فقال اختبروا ما فوجدتم ما في سعي الخاسات والامور المذمومات فقال الآخر يا أخي لا تعجل علينا ودعني أنزل اليه فنزل الملك الثاني اليه ومكث عنده ساعة وقال يا أخي فاختبرت قلبه فوجدته مملوأ بالايمان فاكتبه

أنت زعمت أن الله أوحى اليك فقال أرمياء ان الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الاجل وأراد الله هلاكهم بعث الله الى أرمياء ملكا فتمثل له في صورة رجل من بني اسرائيل فقال له يا نبي الله اني استفتيك في أهل رحمي وصلت أرحامهم ولم أزل اليهم محسنا ولا يزيدا كرامي اياهم الا استخفافا بي فانتي فيهم فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير فانصرف الملك فمكث الا أياما ثم أقبل عليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرمياء أوما طهرت أخلاقهم لك بعد قال يا نبي الله والذي بعثك بالحق نبيا ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى أهل رحمه الا قدمتها اليهم وأفضل قال أرمياء عليه السلام ارجع الى أهلك فاحسن اليهم وسل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم فقام الملك فمكث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس باكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لارمياء يا نبي الله اين ما وعدك الله به قال اني بربي لواثق ثم أقبل الملك على أرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يفكر ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه وقال له أنا الذي أتيتك في شأن أهلي مرتين فقال له أرمياء عليه السلام ألم يأن لهم أن ينتهوا من الذي هم فيه فقال له يا نبي الله كل شئ كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واليوم رأيتهم في عمل لا يرضى الله تعالى فقال أرمياء عليه السلام على أي عمل رأيتهم قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فغضبت لذلك وأتيتك لاخبرك واني أسألك بالله الذي بعثك بالحق نبيا الا ما دعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم فقال أرمياء يا ملك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم قال فما خرجت الكلمة من فم أرمياء عليه السلام حتى أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك أرمياء صاح وبكى وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه وقال يا ملك السموات والارض أين ميعادك الذي وعدتني فنودي انه لم يصبهم الذي أصابهم الا بفتيالك ودعائك فاستيقن أرمياء عليه السلام انهم افتياه وان ذلك السائل كان رسول ربه فصار أرمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرفوا الى بابل واحتمل معه سبايا بني اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا ما كان في بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير من بني اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما أراد أن يقسم الغنائم في جنده قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل فعل ذلك فاصاب كل واحد منهم أربعة غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط يساخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوي ابني يعقوب ومن بقي من بني اسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا اقر بالشام ولناسبي وثلثا قتل وذهب بالى بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالغلمان السبعين ألفا وسائر السبايا حتى قدم بهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى التي أنزلها الله على بني اسرائيل باحداثهم وظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد يعني بختنصر وجنوده * (وكان بدء أمر بختنصر) * على ما روى حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال كان رجل من بني اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد بكى وفاضت عيناه وأطبق المصحف ثم انطلق الى المسجد وقال يا رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني اسرائيل على يديه فاري في المنام أنه مسكين ببابل يقال له بختنصر فانطلق عمال واعتقله وكان رجلا موسرا فقيل له أين تريد قال أريد التجارة ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكثر اهاليس فيها أحد غيره فجعل يدعو المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأتيه أحد من مسكين الا أعطاه فقال هل بقي مساكين غيركم قالوا نعم مسكين بطيح آل فلان مريض يقال له بختنصر فقال لغلمانه انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه فقال له ما اسمك قال بختنصر فقال لغلمانه احملوه فنقله اليه ومرضه حتى برئ فكساه وأعطاه نفقة ثم أذن الاسرائيلي في الرحيل فبكى بختنصر فقال الاسرائيلي ما يبكيك فقال أبكي لانك فعلت معي ما فعلت ولا أجد شيأ أجازيك به فقال جزائي شئ يسير قال وما هو قال له ان صرت ملكا

ما رأيت من أن أصلها قائم فان ملكا قائما فسئل وهب بن منبه أكان مؤمنا أم لا فقال وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فى ذلك فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال مات كافرا لانه عرق بين القدس والكتب التى فيه وقتل الانبياء وغضب الله عليه غضبا شديدا فلم يقبل منه يومئذ توبة فالوا فلما عبر دانيال بختنصر رؤياه وأخبره بها أكرمه وأكرم أصحابه وجعل يقبل عليه ويستشيره فى أموره حتى كان أكرم الناس عليه وأعظمهم اليه عنده فحسده الهموس على ذلك فوشى به وبأصحابه الى بختنصر فقالوا له ان دانيال وأصحابه ما يعبدون الهك ولا يأكلون ذبيحتك فدعاهم وسألهم فقالوا أجل ان لنا ربا نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتكم فامر باخذ ودنقد لهم والقوافيه وهم ستة وألقى معهم سبع ضار ليأكلهم ثم قال انطلقوا فكلوا واشربوا فأكلوا وشربوا ثم رجعوا فوجدوهم جلوسا والسبع مقترش ذراعيه بينهم ولم يخدش منهم أحدا ولم ينكهم بشئ ووجدوا معهم رجلا رابعا فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا أما بال هذا السابع وانما كانوا ستة فخرج الهموس السابع وكان ملكا من الملائكة فلطم بختنصر لطمة فصار فى الوحوش والسباع وسخطه الله سبع سنين ثم رده الى صورته ورد عليه ملكه قال السدى فلما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فسدهم الهموس أيضا وشوا بهم ثانية وقالوا لبختنصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم تلك نفسه ان يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم بختنصر طعاما وشرابا فأكلوا وشربوا منه ثم قال للبواب انظر أول من يخرج عليك ليبول فاضربه بالطبرزان فان قال أنا بختنصر فقل له كذبت بختنصر أمرنى فيما بين الله من دانيال وأصحابه البول فكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلا وكان ذلك ليلا فقام يصب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال له أنا بختنصر فقال كذبت ان بختنصر أمرنى ان أقتل كل من يخرج أولا ثم ضربه فقتله * (وأما) * شهد بن اسورق فانه قال فى هلاك بختنصر غير ما قال السدى وذلك انه قال باسناده لما أراد الله هلاك بختنصر قال ان كان فى بنى اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذى خربت وهؤلاء الناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت فقالوا هذا بيت الله تعالى ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذوارى الانبياء فظلموا وتعدوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم قال فاخبر ونى ما الذى يطلع بى الى السماء وأطلع عليها فقال له من قوم أولئك فقد هما لك كافانى قد فرغت من الارض وما فيها فالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال لتفعلن أولا قتلنكم عن آخركم فشكوا الى الله تعالى وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه قدرنه ليريه ضعفه وهو انه بعوضة فدخلت فى منخره ثم سلطت فيه حتى عضت بأم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه فلما عرف الموت الى نفسه من قومه من أهل اذا أنا مت فشقوا بطنى وانظروا ما الذى قتلنى فلما مات شقوا بطنه وأطلعوا البعوضة على دماغه فاذا هى كما وصف لهم نبى الله العباد قدرنه وسلطانه ونبى الله تعالى من كان باق فى يديه من بنى اسرائيل ورجعهم ورددهم الى بلادهم الشام فبنوا فيها وكثروا وكثر واستى كانوا على أحسن ما كانوا عليه يزعمون ان الله أسبى المؤمنين الذين قتلوا وغزوا بهم ثم انهم لما رجعوا الى الشام وجدوا بختنصر قد أحرق التوراة وقتل بهم عهد من الله فرد الله توراتهم ورددها اليهم على لسان عزير وسنذكر القصة فيه ان شاء الله تعالى وكان عمر بختنصر أيام سبعة وعشرين سنة منها ثمانى عشرة سنة يعمر ويخرب بيت المقدس وأربعون يوما فلما مات بختنصر استخلف ابنه بلشاسر وكانت أم بيت المقدس التى تولها بختنصر الى بابل عند وكان نجسها بطوم الخنازير وشرب فيها الخمر وأهمى دانيال فلم يقبل منه فاعتزله دانيال فبينما بلشاسر قاعد ذات يوم اذ بدت له كف مقلقة بغير ساعد فكتبت ثلاثة أحرف بمشهد منه ثم غابت فعجب من ذلك وتحير ولم يدر ما هى فدعا دانيال عليه السلام واعتذر اليه وسأله ان يقرأه ذلك الكتاب ويخبره بتأويله فقال دانيال باسم الله الرحمن الرحيم وزن نقص وعد فانجز وجمع ففرق فقال أما قوله وزن نقص أى وزن عملك فى الميزان فنقص وعد فانجز أى وعد ملكك بانقراب فانجز اليوم وجمع ففرق أى جمع للدول الثلث من ذبلك ملكا عظيما ثم فرق اليوم فلا يجتمع الى يوم القيامة فلم يلبث الا قليلا حتى أهلكه الله تعالى وقسم ملكهم وبقى دانيال عليه السلام بارض بابل الى ان مات بالسوس والله أعلم * (خبر وفاة دانيال عليه السلام) *

الى أهل الاخبار لما فتح الله السوس على يد أبى موسى الاشعرى فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قتل أبو

من هذا الثعبان فقال أيها الشيخ انى ضعيف وهذا أقوى منى ولكن أسرع فى الهرب فاسأل الله تعالى يستخرج من يخلصك منه فنوديت هاربا حتى صعدت على شرف من شرائف القلعة وأشرفت على طبقات النيران والثعبان فى طلبى فكدت أن أسقط فى النار من فزعى منه فصاح صائح من النار يا عزير ارجع الست من أهلها فاطمأن قلبى لذلك ورجعت الى الشيخ فقلت له يا شيخ استغفرت ربك واعتصمت فما أغنيت فأبيت ان تجيرنى من هذا الثعبان فسلم لم تجرنى قال فبهت وقال يا مالك اما بلغك ان ابن آدم ضعيف فسلنى الى هذا الجبل فان فيه دواتم المسلمين عسى أن يكون لك فيها رزق تتسبب به وتعيش من عدوك وهو أقوى منى قال فاستجرت الى الجبل فاذا هو جبل عظيم وفيه كوات مغورة وستور معلقة على كل كوة سبعون ألف ذهب الا وهو مرصع بالياقوت والدر واللؤلؤ والجوهر واذا بملك ينادى ارفعوا الستور وأشرفوا لكى فلعل أن يكون لهذا البائس فيكم وديعة

الى يحيى فانى برأسه فجعلت الرأس تتكلم حتى وضعت بين يديه وهى تقول انم الا تقتل لك قاتلا أسيء الملك واذا دم يحيى يغلى فامر بالتراب فالقى عليه فرقى الدم فوق التراب يغلى فالقى عليه أيضا وارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلى فباغ ذلك بخت نصر بابل فنادى فى الناس وأراد أن يبعث لهم جيشا ويؤمر عليهم رجلا فاتاه بختنصر وكلمه وقال ان الذى أرسلت تلك المرة ضعيف وانى قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها فابعثنى فبعث بختنصر حتى اذا بلغوا ذلك المكان ورأهم أهله تحصنوا فى مدائنهم ولم يلقهم فلما اشتد عليهم المقام وجاع أصحابه أرادوا الرجوع فرجت اليهم عجوز من عجائز بنى اسرائيل وقالت أين أمير الجند فاتى بها اليه فقالت له بلغنى أنك تريد الرجوع عندك قبل أن تفتح هذه المدينة قال نعم قد طال مقامى وجاع أصحابى فلست أستطيع المقام فوق الذى كان منى قالت أرأيتك ان دللتك على فتح المدينة تعطينى ما أسألك وتقتل من أمرك بقتله وتكف عن أمرك بالكف عنه قال لها نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك أربعة اقسام ثم اقسم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم الى السماء ونادوا يا رب انا على من قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام فانهم اذا فعلوا ذلك تساقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به الى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفا حتى سكن فلما سكن الدم قالت له كف يدك فان الله تعالى اذا قتل نبى لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن رضى بقتله وأتاه صاحب الصيحة بصيحته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأسر ان تطرح فيه الجيف وقال من طرح عليه جيفة فله جزيته فى تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من أجل ان بنى اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا فلما خربه بختنصر ذهب بوجوه بنى اسرائيل وسراياهم

(قصة دانيال عليه السلام)

وذهب دانيال وقوم من أولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بختنصر أرض بابل وجد سخاريب قد مات فملك مكانه واستقام له الامر وثبت على ذلك مدة ثم ان بختنصر رأى رؤيا عجيبة فافزعته فسأل عنها السحرة والكهنة فعجزوا عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان فى السجن مع أصحابه وقد أحسن صاحب السجن واعجبه لما رأى من حسن سمته وهدايته فقال دانيال لصاحب السجن انك قد أحسنت الى وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدله على لا عبرها له فجاء السجان واخبر بختنصر بقصة دانيال فقال على به وكان لا يقف بين يديه أحد الا سجد له فاتوا به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ما الذى منعك من السجود لى فقال له ان لى ربا آتانى العلم والحكمة وأمرنى ان لا اسجد الا له فخشيت ان سجدت لغيره ان ينزع منى العلم الذى آتانى ويهلكنى فاعجب به وقال نعم ما فعلت وقد أحسنت حيث وفيت بعهده واجللت علمه ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤيا وهل لك فى تعبيرها قال نعم قال فاخبرنى فاخبره برؤياه التى رآها قبل أن يخبره بها ثم عبرها له وكانت الرؤيا مما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن وهب بن منبه يقول ان بختنصر رأى فى منامه صنما رأسه من ذهب وصدره من فضة وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من خزف ثم رأى حجرا من السماء قد وقع عليه فدقه ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأى شجرة اصلها فى الارض وفرعها فى السماء ثم رأى رجلا بيده فاس وسمع منادا ينادى اضرب جذعها لتفرق الطير من فروعها وتتفرق الدواب والسباع من تحتها واترك أصلها قائما فعبرها له دانيال عليه السلام فقال اما الصنم الذى رأيت رأسه من ذهب فانت الرأس الذهب وانت أفضل الملوك واما الصدر الذى رأيت من فضة فهو ابنك ملك من بعدك وأما البطن الذى رأيت من نحاس فملك يكون بعد ابنك وأما ما رأيت من الفخذ الذى من حديد فتتفرق فرقتان فى فارس تكونان أشد الملوك وأما الفخار فانهم ملكهم يكون دون الحديد وأما الحجر الذى رأيت قد وقع من السماء ورباحتى ملأ ما بين المشرق والمغرب فنبى يبعثه الله فى آخر الزمان فيفرق ملكهم كلهم ويملكه حتى يملأ ما بين المشرق والمغرب وأما الشجرة التى رأيت والطير الذى عليها والسباع والدواب التى تحتها وما أمر بقطعها فيذهب ملكك ويريد الله طائرا سماعظيما فيملك الطير ثم يريد الله ثورا فيملك الدواب ثم يريد الله أسدا فيملك السباع والوحوش وتكون منذ سخط الله على ما ذكرنا سبع سنين فى ذلك كله وقلبك قلب انسان حتى تعلم ان الله له ملك السموات والارض وهو يقدر على الارض ومن عليها وأما

ما

عنه فقالوا هذا دم قربان تقبل منا فلذلك هو يعلو كما تراه وقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فتقبل منا الا هذا قال ما صدقوني انكم قربتم فقالوا له لو كان أول دمائنا المقبل منا لكنه قد انقطعت منا الملوك والانبياء والوحي فلذلك لم يقبل فذبح منهم بنوزازادان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رئيسا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فاصر بسبعة آلاف من بنيهم وأزواجهم فذبحوهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بنوزازادان الدم لا يهدأ قال لهم ويلكم يا بني اسرائيل أصدقوني قبل أن آتيكم واصبروا على امر ربكم فلقد طال ما ملكتم في الارض تفعلون فيها ما شئتم أصدقوني قبل أن لا أترك منكم نافخ نار لا أنثى ولا ذكر الا قتلته فلما رأوا الجد في شدة القتل أصدقوه الخبر وقالوا ان هذا دم نبي منا كان ينهانا عن أمور كثيرة فمن حفظ الله فاوعانا أطاعناه فيها فكان أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه يغلي فقال بنوزازادان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتموني بمثل هذا ينتقم منكم ربكم فلما رأى بنوزازادان انهم صدقوه وخروا سجدا وقالوا لمن حوله اغلقوا أبواب المدينة واقتلوا كل من كان ههنا من جيش كردوس وأبقوا من بقي من بني اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علمت بما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم من أجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل أن لا أبقي أحدا من قومك فهدأ دم يحيى بن زكريا باذن الله تعالى ورفع بنوزازادان عنهم القتل ثم قال آمنت بالذي آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به وأيقنت انه لا رب غيره فاوحى الله تعالى الى رأس من رؤس بقية الانبياء ان بنوزازادان مخزون مصدوق ومخزون بالعبرانية حديث الاعمال ثم ان بنوزازادان قال لبني اسرائيل ان عدو الله كردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى استطيع أن أعصيه فقالوا له افعل ما أمرت به فامرهم فحفروا خندقا ثم أمر باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحوها حتى سال الدم في العسكر وأمر بقتل الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم وكانوا وفوهم فلم يفتن كردوس الا أن ما في الخندق من بني اسرائيل فلما بلغ الدم الى عسكره أرسل الى بنوزازادان ان ارفع عنهم القتل فقد بلغني دماؤهم ثم انه انصرف عنهم الى بابل وقد أفنى بني اسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهي الوقعة الاخيرة التي أنزل الله تعالى فيها قوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين الآيات فكانت الوقعة الاولى لجالوت وجنوده ثم رد الله لهم الكرة وكانت لهم السابقة والرياسة وكانت الوقعة الاخيرة لكردوس وجنوده فلم تقم لهم من بعد ذلك قائمة ولا رابية وانتقل عن الشام ونواحيها الى الروم والى ونانية الى ان تناسل بنو اسرائيل وكثروا وانتشروا بعد ذلك وأحدثوا الاحداث واستحلوا المحارم وبغوا فسلط الله عليهم بلاطوس بن اسناوس فرد بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فلبثوا في أمة من الامم الا وعليهم الصغار والذلة والجزية والخراج الى يومنا هذا ولم يبق بيت المقدس خرابا الى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمره المسلمون بامره والله أعلم

(باب في ذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها)

قال الله تعالى أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها الآية واختلفوا في ذلك المار من كان فقال عكرمة وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدي هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير هو أرميا بن خلقياه وكان من سبط هرون بن عمران وهو الخضر واختاره أبو اسحاق الثعلبي عن علي فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الارض المقدسة وقال السدي هي سلماباد وقال الكلبي هي دير سابا وقيل دير هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب في ذلك ما روى محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان بخت نصر لما وطئ الشام وخرب بيت المقدس وقتل بني اسرائيل وسباهم طار أرميا حتى خالط الوحوش فلما ولى بخت نصر عنهم راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل أقبل ارميا على حماره ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشي ايلياء فلما وقف عليها وعاين خرابها قال اني بحق هذه الله بعد موتها ثم يبعثها بعد خرابها بعد ما أماتها عشرين سنة ثم بعثه الله تعالى عليه الموت فلما مات نزع منه الروح مائة عام ومات حماره وعصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك قبل ان يبعث الله السباع والطير عن جثته فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم

موسى ملكها سابور واستولى على المدينة فغنم مافيها وأخذ أموال سابور وملكها وجعل يدور في الخزائن فيأخذ مافيها حتى أفضى الى خزانة مقفلة وقد ختم على فمها بالرصاص فقال أبو موسى الاشعري لاهل السوس مافي هذه الخزانة فانى أراها مختومة بالرصاص فقالوا له أيها الامير ليس فيها شئ من حاجتك فقال لابد لى ان أعلم مافيها فافتحوا بابها حتى أنظر مافيها فكسروا القفل وفتحوا الباب ودخل أبو موسى الخزانة فنظر فاذا هو بحجر طويل محفور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأكفان منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفة قال فتعجب أبو موسى من طوله وكل من كان معه ثم شبروا أنفه فاذا هو يزيد على شبر فقال أبو موسى لاهل السوس ويحكم من هذا الرجل قالوا ان هذا الرجل كان بالعراق وكان أهل العراق اذا حبس عنهم المطر استسقوا به فيسقون فاصابنا من قحط المطر ما كان بصيب أهل العراق فارسلنا اليهم وسألناهم ان يدفعوه الينا حتى نستسقى به فابوا علينا فرهنا عليه عندهم خمسين رجلا وحملناه الى بلدنا هذا ثم استسقينا به فسقينا فرأينا من الرأى ان لانرده اليهم فلم نزل مقيما عندنا الى ان أدركه الموت فمات فهذه قصته وحاله قال فاقام أبو موسى الاشعرى بالسوس وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخبره بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب فى كتابه أمر ذلك الرجل الميت فلما وصل الكتاب وقرأه عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعا أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ذلك فما وجد عند واحد منهم علمه فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ان هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبي غير مرسل كان فى قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك وجعل على ابن أبى طالب رضى الله عنه يحدث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن قصة دانيال من أولها الى آخرها الى وقت وفاته ثم قال اكتب الى صاحبك وأمره ان يصلى عليه ويدفنه فى موضع لايقدر عليه أهل السوس فكتب عمر الى أبى موسى بذلك فلما قرأ أبو موسى كتاب عمر أمر أهل السوس ان يكفنوا رهم الى موضع آخر ثم أمر بدانيال فكفن بأكفان غير التى كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين ثم أمر بقبر فحفر له فوسط النهر ثم دفنه وأجرى عليه النهر فيقال ان دانيال عليه السلام فى نهر السوس والماء يجرى عليه الى يومنا هذا والله أعلم (قال الاستاذ) رضى الله عنه فهذا الذى ذكرت جميع أمر بختنصر الذى جاء فى التفسير الا ان رواية من يروى ان بختنصر هو الذى غزا بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى غلط عند أهل السير والاخبار والعلماء بأمور الماضين من أهل الكتاب والمسلمين وذلك انهم مجمعون على ان بختنصر انما غزا بنى اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعياء وفى عهد أرميا عليه السلام وهى الوقعة الاولى التى قال الله تعالى فيها فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار الآية يعنى بختنصر وجنوده قالوا ومن عهد أرميا وتخريب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا بمائة واحدى وستون سنة وذلك انهم يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس الى آخر عمارته فى عهد كرش بن خورس بن شير بن أشهيل ببابل من قبل جهرن اسفنديار بن بشتاسف سبعين سنة ثم من بعد عمارته الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس واصطاره ملكها وضمها الى مملكته ثمانية وثمانون سنة ثم من بعد ملكه بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا ثلثمائة وثلاثون سنة وانما الصحيح فى ذلك ماذكره محمد بن اسحق بن يسار قال عمرت بنو اسرائيل بيت المقدس بعد ما عمرت الشام وعاد اليها ملكها بعد اخراب بختنصر اياها وسبيهم منها فجعلوا يحدثون الاحداث بعد مهلك عزير عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء فمن يقتا يكذبون ومن يقتا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من آل داود عليه السلام فمات زكريا وقتل يحيى بسبب نهيه الملك عن نكاح تلك المرأة فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له كردوس فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم أمر رئيسا من رؤس جنوده يقال له بنو رازادان صاحب القتل فقال له انى قد حلفت بالهتهم لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى الا انى لا أجد أحدا أقتله فاسمه ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بنو رازادان دخل بيت المقدس فاقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها ما يغلى فسألهم

ثم رفوا كلكم فقد قرب منه
ت وقالت هذا أبى
لله ثم أشارت بيدها الى
شعبان فولى هاربا
مدت يدها الى فتعلقت
بالغدبتنى وأدخلنى
كاناهى فيه يكل عنه
وصف فحمدت الله
عالى على ذلك فقرأت
نتى قوله تعالى ألم يأن
ذين آمنوا أن تخشع
لوبهم لذكر الله قال
الك فبكيت عند ذلك
نات لها أنتم تعرفون
قرآن فقالت نعم فقلت
ها اشعبرينى عن هذا
لشعبان الذى أراد أن
هلكنى فقالت يا والدى
هذا عمالك السوء قويته
لى نفسك حتى كاد أن
لقيك فى النار فلولا أنك
تكن من أهلها لوقعت
بها فقلت لها ومن هذا
لشيخ الضعيف الذى
ستغثت به فلم يغثنى
قالت هذا عملك الصالح
ضعفته حتى لم يكن له
درة على أن يدفع عنك
بأفقلت لها وما تصنعون
هنا فقالت نحن مقيمون
هنا حتى تقوم الساعة
نظر قدومكم علينا
نشفع لكم قال مالك
انتبهت من منامى فلما
صحت كسرت أوانى
خمرو تبت الى الله تعالى
كان هذا سبب توبتى
الحمد لله على ذلك والله
علم (وحكى عن بعضهم

وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس وأتوا اليه فقال ابنه كانت لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفه فاذا هي بحالها فعرف عند ذلك انه عزير عليه السلام

(باب في ذكر قصة عزير عليه السلام وحاله بعد ما رجع الى قومه)

قال الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله روى عطية العوفي عن ابن عباس قال كان عزير من أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله تعالى انهم قد أضاعوها وعملوا بالاهوا رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فارسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى كان الرجل يمس كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزير فكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قد أمر على اهلهم أن يعبدوا الله تعالى فبعثا الله هو واياهم وابتهل اليه أن يرد اليهما نسخ من صدره فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد اليه الذي كان ذهب من صدره من التوراة فاذن في قومه وقال يا قوم قد أتاني الله التوراة وردها الى فطفق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا وهو يعلمهم التوراة ثم ان التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرفوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتي عزير هذا الا لانه ابن الله (قال السدي) وابن عباس في رواية عمار انما قالت اليهود هذا الان العمالقة ظهروا عليهم فقتلوهم وأخذوا التوراة وهرب علماؤهم الذين بقوا ودفنوا التوراة في اجبال الروحاء فعمدوا الى عزير يبحثون عنه في الجبال والوحوش وجعل يتعبد في رؤس الجبال ولا يخالط الناس ولا ينزل الا يوم عيد وجعل يبكي ويقول يا رب تركت بني اسرائيل بغير علم وجعل يبكي حتى سقطت أشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع فاذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من تلك القبور وهي تبكي وتقول يا مطعماه يا مكسياه فقال لها عزير يا هذه اتقي الله واصبري واحتسبي أما علمت أن الموت سبيل الناس ثم قال لها وما بحملك من كان يطعمك ويكسوك قبل هذا الرجل يعني زوجها الذي كانت تندبه فقالت الله تعالى قال فان الله عز وجل حي لا يموت أبدا قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني اسرائيل قال الله تعالى قالت فلم تبك عليهم وقد علمت أن الموت حق وأن الله حي لا يموت فلما علم عزير انه قد خصم ولي مدبرا فقالت له يا عزير اني لست امرأة ولكني الدنيا أما انه سينبع لك في مصلاك هذا عينين وتنبت شجرة فكل من تلك الشجرة واشرب من ماء تلك العين واغتسل وصل ركعتين فانه سيأتيك شيخ ويسألك عما أعطاك الله منك فلما أصبح نبعت العين في مصلاه ونبتت شجرة فعمل ما أمرته به فاذا شخص قال له اقتني قال ففتح فاه فالقى فيه شيئا كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال له ادخل هذا العين فاغتسل فدخل فاغتسل ثم أتاه فقال قم فصل ولا يرفع قدمه الا زيد في علمه فرجع اليهم وهو من أعلم الناس بالتوراة ثم قال يا بني اسرائيل قد جئتكم بالتوراة قالوا يا عزير لما كنت كذابا قط ربط على كل أصبع له قلما وكتب ما صار بعضها حتى كتب التوراة كلها عن ظهر قلبه فاجابهم التوراة والسنة فلما رجع العلماء سخروا كتبهم التي دفنوها فاذا هو بالتوراة عزير ولد جدوها مثلها فقالوا ما أعطى الله هذا الا لانه ابنه وقال الكلبي ان بختنصر لما ظهر على بني اسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة وكان عزير اذ ذاك غلاما صغيرا فاستصغره فلم يقتله ولم يدر انه قد قرأ التوراة فلما مات مائة سنة ورجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى فيهم عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية فاتاهم عزير وقال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت عزيرا كما تزعم فاملى علينا التوراة فكتبها وقال هذه التوراة ثم ان رجلا قال ان أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في خابية دفنت في كرم فلان في موضع كذا فانطلقوا معه حتى احتفر واوأخرجوا الخابية والتوراة فيها فاخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها آية ولا حرفا فجزموا وقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل واحد منا بعد ما ذهبت من قلوبنا الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله

(مجلس في ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا وغرابسور)

قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين الى قوله حصيدا خامدين * قال هشام

فقالت أنا سيدي حساو كرامة فقال ما ولدي فبقي من عمري ثلاثة أيام وأموت على غير دين الاسلام فاذا أنا مت فشقي في تابوت بثيابي واجعل

يقال له يوشك فقال له ان الله يأمرك ان تنفر بويك وتعمر بيت المقدس وايلياء وأرضه سلما حتى يعود أعمر ما كانا فانتدب الملك ألف قهرمان (١) مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونها وأهلك الله تعالى بختنصر بعوضة دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل ولم يمت منهم جميعا أحد ببابل وردهم الله تعالى الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميتا ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية ان الله يأمرك ان تكتسي لحما وعروقا وجلدا فكان كذلك ثم نادى ان الله يأمرك ان تحيي فقام حماره ينهق باذن الله تعالى وعمر الله ارميا فهو الذي يوجد في الفلوات (أخبرني) ابن فتحويه الحافظ باسناده عن وهب قال ليس في الجنة كلب ولا حمار الا كلب أهل الكهف وحمار أرميا الذي اماته الله مائة عام ثم بعثه * وقال الذين قالوا ان المبارك عزيرا ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قتل أربعين ألف رجل من قراء التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أبا عزير وجده وكان عزير يومئذ غلاما قد قرأ التوراة وتقدم في العلم فاقدم مع سبايا بني اسرائيل الى أرض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف في القرية فلم يرفيها أحدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها لم يشك في البعث ولكن قالها تعجبا ثم ربط حماره بحبل جديد ونام فاماته الله مائة عام ثم بعثه فاتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم وذلك أن الله تعالى أماته ضحى واحياه آخر النهار قبل غيوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال أو بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعني التين وشرابك يعني عصير العنب لم يتسنه يعني لم يتغيرا وانظر الى حمارك قال قوم وذلك ان الله تعالى لم يمت حماره فاحياه الله تعالى رأسه وسائر جسده ميتا ثم قال له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره قائما كهيئته يوم ربط طعامه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرسن في عنقه جديدا لم يتغير وهذا قول الضحاك وقتادة وتقدير الآية على هذا القول وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشزها وقال آخرون أراد به عظام حماره كما قدمناذكره كذلك قوله تعالى ولنجعلك آية للناس أي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال الضحاك هو انه عاد الى قريته وأولاده وأولاد أولاده فوجدهم شيوخا وعجائز وهو أسود الرأس واللحية (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال لما أحيا الله عز يرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فانكره الناس وأنكر منازله فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمته خرج عنهم عزير وهي بنت عشر بن سنة وكانت عرفته وعقلته فلما أصابها الكبر أصابتها الزمانة فقال لها عزير ياهذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير وما رأيت كذا وكذا سنة أحدا يذكر عزيرا وقد نسيه الناس قال فاني أنا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة ولم نسمع له بذكر قال فاني أنا عزير وكان الله قد أماتني مائة سنة ثم بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء فيعافيه الله تعالى ويشفيه فادع الله تعالى أن يرد علي بصري حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك قال فدعا به ومسح بيده على وجهها وعينيها فاستجاب الله له فعوفيت ورد الله عليها بصرها ثم أخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت الى عزير فعرفته فقالت أشهد أنك عزير ثم انها انطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في أفنيتهم ومجالسهم وابن عزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس فنادت هذا عزير وقد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا الى ربه فرد علي بصري وأطلق رجلي

(١) قوله مع كل قهرمان ثلثمائة الف الخ) كذا بالاصل وهو مما لا يمكن عادة كما لا يخفى انتهى مصححه

فاحبه الله فمن عليه بالحكمة وذلك انه كان نائما نصف النهار فجاءه النداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلوى وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني أعلم أنه ان فعل بي أعانني وعصمني فقالت الملائكة يا لقمان قال لان الحاكم بالحق في المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان أصاب فارجو أن يجوز وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن تخير الدنيا على الآخرة فقته الدنيا ولا تبقى له الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطى الحكمة فانتبه فتكلم بها ثم غدى داود بعده فقبلها ولم يشترط عليه اشتراط لقمان فهم بالخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء وأعطي داود الخلافة وابتلي بالبلية والفتنة

(باب في ذكر بعض ما روي من حكم لقمان وهو اعلم المذكور في القرآن)

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم الآيات (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من أهون ثاول على سيده قال فبعثه مولاه مع رفقة له الى بستان له ليأتوه بشيء من ثمره فجاؤا وليس معهم شيء وقد أكلوا الثمرة وأسألوا على لقمان فقال لهم لان ذا الوجهين لا يكون عند الله أمينا فاستغنى وأباهم ما حيا ثم أرسلنا له لقند فعل فعلوا بقثاثوا الفاكهة وجعل لقمان ينقاياها ما ينقي فعرف صدقهم من كذبهم قال قاول ما رؤي من حكمته أنه بينما هو مع مولاه اذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الخلاء ينبع منه الكبد وتربث الباسور وتصعد الحرارة الى الرأس فاجابه هو يناوقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الخش قال ومكر مولاه يوما فاطر أقواما على أن يشربوا ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان ثم قال له اعمل هذا اليوم كذا وكذا قال اخرج كرسيك وأبارينك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال لهم علي أي شيء خاطر تموني قالوا على ماء هذه الحرة فقال لهم لقمان ان لهاموادا فاسبروا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع أن نسبر موادها فقال له ان وكيف يستطيع شربها ولها مواد (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن خالد الربعي قال كان لقمان عبدا اسود نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال ائتني باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فقال له أما كان فيها شيء أطيب من هذا قال لا سكت عنه ثم قال له اذبح لنا شاة فذبح شاة فقال ائتني بأخبث مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فقال له أمرتك ان تاتيني باطيبهما مضغتين فاتيتني باللسان والقلب فقال له انه ليس باطيب منهما اذا طاب ولا أخبث منهما اذا خبث (وأخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن هلال قال قال لقمان الحكيم ليس مال كحسن ولا عقل كتدبير (وأخبرنا) عبد الله باسناده عن أبي هريرة قال مر رجل بلقمان والناس يجتمعون عليه فقال له ألست العبد الاسود الذي كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنيني (أخبرني) الحسين بن محمد عن أبيه قال قال لقمان ضرب الوالد ولده كالمعلم ورد عن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفر فتلقاه غلامه في الطريق فقال له ما فعل أبي قال مات قال الحمد لله ما كنت أمي قال فما فعل أخي قال مات قال اللهم اغفر له قال فما فعلت أختي قال ماتت قال سترت عورتي قال ما فعل أخي قال مات قال اللهم اقطع ظهري (أخبرنا) الحسين بن الحسن بن محمد باسناده عن مسروق قال قيل للقمان أي الناس أشر قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا وقيل لقمان ما أقبح بالجهل قال تعيبه بما في النقص أو على الناقص (وروى) المحاربي عن سفيان الثوري قال قال لقمان لابنه ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ولتكن حشوها ايمانك بالله وشراعها التوكل على الله فلعلك تنجو وما أظنك تنجو يا بني كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم في كل يوم ينقصون يا بني خذ من الدنيا بلغة ولا تدخل فيها دخولا فتضر فيها بآخرتك ولا تركضها فتكون عيالا على الناس وصم صياما يقطع شهوتك ولا تصم صياما يمنعك من الصلاة فان الصلاة عند الله أعظم من الصوم يا بني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء ولا تماري به السفهاء أو تراءي به في المجالس ولا تترك العلم

واخرج بي الى المكان الفلاني بعد تابوتا موضوعا مع تابوت صاحبه وشد التابوت الذي هذا الذي رجع به الى المكان الذي مهما كان يجب علي أن نفعله حتى فاقه [illegible] صاحبه ذلك التابوت فانه كان من الابنا الى فلما كان بعد ثلاثة أيام قال وجعه الى الله بالفسوخ وتعلق بالشهادتين ومات فعلت ما أمرني به وأتيت الى مهما وهذا بعد ميتي يا أخي قال فعلت ذلك التابوت الذي بداوايه وأنشدوا تابوت الشيخ وصاروا يأتون التابوت الى الزاوية وأحضروا الفقراء وفتحوا لهم التابوت وما فيه [illegible] ما يؤكل طبخ فاخرجه [illegible] من التابوت وعرف ثيابه وعلم أنها والفقراء وما علموا أنا ودفناه في الزاوية وكان يوما مشهودا فهذا صديقي يا أخي ثم خرج بجسد ذلك الشاب على وجهه حسن نوفه وهذا ابني فتسأل الله تعالى حسن الخاتمة ونعوذ من مكروه تغيير وعقابه يا فتح حسن على سبيل الهدى

ابن محمد الكلبي وغيره كان بدء نزول العرب أرض العراق واتخاذهم الحيرة والانبار منزلا أن الله تعالى أوحى الى يوحنا بن برخيا بن زيايل بن سنبسل وسنبسل هذا هو أول من اتخذ الطفيل كان من ولد يهوذا بن يعقوب أن ائت بختنصر وأمره أن يغز والعرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ويسا أبلادهم ويقتل مقاتلهم ويستبيح أموالهم لكفرهم بي واتخاذ الآلهة دوني وتكذيبهم أنبيائي ورسلي وذلك بعد قتل أهل حضور وهي بلدة باليمن بعث الله اليهم نبيا فاقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر ببابل فاخبره بما أوحى الله اليه ونص عليه ما أمره به وذلك في زمن معد بن عدنان فاوحى الله تعالى الى يوحنا أني قد سلطت بختنصر على أهل قرية عربية لا ننتقم به منهم فما يلبث بعد بن عدنان الذي من ولده النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه في آخر الزمان واختمه به النبوة وأرفع به من أطاعه فخرج تطوى له الارض حتى سبق بختنصر فلقي عدنان وقد تلقاه فنظر الى معد وهو يومئذ اثنا عشرة سنة فحمله يوحنا على البراق وأردفه خلفه فانتهيا الى أرض نجران من ساعتهما قالوا ووثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتيار فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم دير اعلى نجف وحصنه ثم ضمهم فيه فقيدوا وكل بهم حرسا وحفظة ثم نادى في الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه الطوائف منهم مسالمين مستأمنين فاستشار بختنصر فيهم يوحنا فقال ان خرجوا عنهم البلد من بلادهم قبل نهوضك اليهم ورجوع منهم عما كانوا عليه فاقبل منهم وأحسن اليهم قال فانزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات والتقى بختنصر مع العرب فهزمهم واثخن فيهم بالقتل والاسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان في قومه من العرب وبختنصر بالث عرق فهزمهم ونادى منادمن جوف السماء يا ثارات الانبياء فاخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فقدموا على ذنوبهم ونادوا بالويل فذلك قوله تعالى فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون أي يسرعون هاربين فاخذتهم السيوف وقالت لهم الملائكة لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم الآية فلما عرفوا انه واقع بهم أقروا بالذنوب قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يدعون بها حتى هلكوا فذلك قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ثم رجع بختنصر الى بابل بما جمع من سبايا العرب فالقاهم في الانبار فقيل أنبار العرب وانضم اليه المستأمنون من العرب وخلى بختنصر أهل الدير بعد فراغهم من غزو العرب وابقى الانقسم بلدين فسموا احداهما الانبار والاخرى الحيرة وقالطهم بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا في حياة بختنصر فلما مات بختنصر رجع معد بن عدنان ومعه أنبياء بني اسرائيل حتى أتى مكة فاقام أعلامها وحج الانبياء معه

* (مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه) *

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني العقل والعلم والعمل به والاصابة في الامور واختلفوا في نسبه فقال محمد بن اسحق بن يسار هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام وقال وهب كان ابن أخت أيوب عليه السلام وقال مقاتل كان ابن خالة أيوب وقال الواقدي كان قاضي بني اسرائيل وقال آخرون كان عبدا وقال مجاهد كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين منشقق القدمين وروى الاوزاعي عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل انك أسود فانه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولقمان الحكيم كان اسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر (حدثنا) الامام أبو منصور الخشاوي لفظا باسناده عن سعيد بن المسيب ان لقمان عليه السلام كان عبدا حبشيا نجارا (وأخبرني) ابن فنجويه باسناده عن سعيد بن المسيب ان لقمان عليه السلام كان خياطا واتفق العلماء انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه كان يقول ان لقمان كان نبيا تفرد بهذا القول (حدثنا) أبو منصور الخشاوي عنه باسناده انه قال كان نبيا قال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة (وروى) نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين أحب الله

التابوت في الليل الى أرض كذا يضعونه الى جانب تابوت فخذ التابوت الذي يأتونه به وعديه الى الزاوية وأخرج الرجل الذي فيه وافعل معه ما كان يجب عليك أن تفعله معي فقلت له يا سيدي كيف هذا الحال فقال يا ولدي كان الشيخ في الكتاب مصورا هذا ما جرى في اللوح المحفوظ فلله الامر من قبل ومن بعد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال فلما كان بعد ثلاثة أيام اضطرب الشيخ وتغير لونه واسود وجهه وانحدر الى الشرق وانكب على وجهه فبكيت على ذلك بكاء شديدا وحقق عليه من الحزن ما لا يعلمه الا الله تعالى ثم اني تذكرت وصية الشيخ فوضعته في التابوت فاما جاء الليل خرجت به الى المكان الذي قال لي عليه فكشفت عنه حتى طلعت الشمس فاذا بجماعة قد أتوا ومعهم تابوت فوضعوه الى جانب تابوت الشيخ فتقدم رجل وهم أن يحمل ذلك التابوت فمنعته وقلت له لا سبيل لك اليه حتى تخبرني عن خبر صاحب هذا التابوت فقال الرجل يا فتى أنا خادم هذا الشيخ الذي في هذا التابوت أربعين سنة

فاسأل الله تعالى أن يرزقني الدخول في دينه فاذنت له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد الشام فبينما هو يسير اذا هو برجل على جزيرة من جزائر البحر فاذا هو بحيات كامثال الابل عظما وفي الطول ما شاء الله ومن يقل لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رأينه قلن له أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك فقال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقلن وما اسرائيل قال من ولد آدم فقلن سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل قال فقال لهم بلوقيا أيتها الحيات من أنتن فقلن نحن من حيات جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة قال بلوقيا وما تصنعن ههنا وكيف تعرفن محمدا فقلن ان جهنم تفور وتزفر في كل سنة مرتين فنلقى منها الى ههنا ثم نعود اليها فشدة الحر من جوها في الصيف وشدة البرد من بردها في الشتاء وليس في جهنم درك من درك الا وله باب من أبوابها وله اسراف من سرادقاتها الا وقد كتب الله عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم قال بلوقيا أيتها الحيات هل في جهنم مثلكن أو أكبر منكن فقلن ان في جهنم حيات تدخل احداها أنفها فتخرج من فيها ولا تشعر بها العناة ها قال فسلم بلوقيا عليهن ومضى حتى أتى جزيرة أخرى فاذا هو بحيات كامثال الجزوع والسواري وعلى متن احداهن حية صغيرة كلما مشت اجتمعت الحيات حولها فاذا نفثت سرن تحت الارض بنفثها فقال فلما رأيتها ورأتني قالت أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك فقلت اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فاخبرني أيتها الحية من أنت قالت أنا من وكلنا بالحيات واسمي غلجما ولولا اني موكلة بهن لقتلت بني آدم كلهم في يوم واحد ولكني اذا صفرت صفرة واحدة وسمعن صوتي دخلن تحت الارض ولكن يا بلوقيا ان اتيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام ثم مضى بلوقيا الى بلاد الشام فاتى بيت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عفان الخير فاتاه فسلم عليه فقال له يا بلوقيا ليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته بينكم وبينهم قرون وسنون ثم قال عفان الخير يا بلوقيا أرني موضع الحية التي اسمها غلجما فان قدرت ان أصيدها يموت ان أنال معها ملكا عظيما وتحيا حياة طيبة الى أن يبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فيدخل في دينه فمن حرص بلوقيا على الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم قال أنا أريك المكان فقام عفان وأخذ ما يوناس حديد وحمل معه قدحين من فضة في أحدهما خمر وفي الآخر لبن ثم سارا جميعا حتى انتهيا الى موضع الحية فنظرا باب التابوت وتحيا فاذا هي اليسرى تبغي الرائحة فدخلت التابوت فشربت اللبن واخمرت وتامت فقام عفان وذب الى التابوت دبيبا خفيفا فاغلق عليها باب التابوت وحمله وأخذها وصار اجميعا فلم يمر بشجرة ولا بنبت الا كلمه بما اذن الله تعالى فمرا بشجرة يقال لها القرمل فقالت يا عفان من يأخذني ويقطعني ويبري بمبراة من ذهب ويعلي به قدر ابنه يغوص البحار السبعة فلا تبتل عدماه ولا تغرق فقال عفان اما لك طلبت ثم ان قطع تلك الشجرة فحملها وعبر ماءها واخرج دهنها وجعله في كوز ثم خلى عن الحية فطارت بين السماء والارض وهي تقول يا بني آدم ما أسرأكم على ربكم وان تصلوا الى ما تريدون الا بالفدح فمضيا الجميعا وسار عفان و بلوقيا الى البحر فطارا الى عدماه ثم دخلا في اليم وهو شباك الماء كما كانا شبابا على الارض حتى قطعا البحر الاول ثم الثاني فاذا هما بجبل في وسط البحر ليس بعال ولا ممتد ان نراه كالسلسلة عليه غمام أبيض وفيه كهف وفي الكهف سرير من ذهب وعلى السرير شاب مستلق على قفاه ذو وفرة واضع يده اليمنى على صدره والشمال على بطنه كالنائم وليس بنائم وهو مبتدر على رأسه تنين وخاتمه بالشمال وكان هذا سليمان بن داود عليه السلام وكان ملكه في نامه وكان شاهد من ذهب وفضة من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه أربعة أسطر في كل سطر اسم الله الاعظم وكان عند عفان علم من الكتاب فقال بلوقيا من هذا الميت يا عفان فقال هذا سليمان بن داود نريد أن ناخذ خاتمه وقلنسوته لنكون ملوكا نوجد احياء الى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال بلوقيا أليس قد سأل ربه هبة الملك لا ينبغي لاحد من بعدي فاعطاه اياه على ما سأل ولا ينال ملك سليمان الى يوم القيامة لاحد غيره فقال عفان يا بلوقيا اسكت ان الله معنا ومنا اسم الله الاعظم ولكن أنت يا بلوقيا اقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان من أصبعه فقال التنين ما أحرأك على ربك ان غلبتنا باسماء الله تعالى فنحن نغلبك بقدرة الله تعالى قال فحكاه انفتح التنين ذكر بلوقيا اسم الله تعالى فلم تعمل نفثات التنين فيهما شيأ وداعفان من السرير لينزع الخاتم من أصبعه فاشتغل بلوقيا بالتنين

فلما شغلت عنهما كنت فيه من اللهو واللعب والشهوات واللذات وانساني الشيطان ذلك العهد الذي بيني

نخائف منه يا أخي أكثر من قول لا اله الا الله ففتح عينيه وتنار الى ثم غشي عليه فلما أفاق قلت له يا أخي أكثر من قول لا اله الا الله ففعل كما فعل أولا فقلت له يا أخي أكثر من قول لا اله الا الله وان لم تقلها لا سئلك الله ولا كفنتك ولا صليت عليك ولا دفنتك قال منصور ففتح عينيه وتنظر الي وقال يا أخي يا نصر وكلمة جميل بيني وبينها فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قلت يا أخي فان الله تعالى أقوى العبادة والصيام والبكاء والدعاء فقال كل ذلك كان غير الله تعالى وانا كنت أفعل ذلك لغير الله يا ناصر وسمعتني يقال لي واذكروه كما كنتم اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم لعلكم تشكرون وقلت في نفسي أغلقت الابواب وأرخيت الستور وشربت الخمر وبارزت مسولاي بالمعاصي وقد منعني ذلك الفعل ساعة من الزمان فاصابني مرض أشرفت منه على الموت فقلت لابنتي هذه قاولي بيدي المصحف فاتت به الي فنشرت أول ما وقع بصري عليه سورة يس فقرأت فيها حتى بلغت سورة يس فقرأت الى قوله اللهم بحق هذه السورة الشريفة وبحق ما في هذا المصحف من كلامك القديم وأن تعافيني وتفرج عني وأنا لا أعود الى معصيتك أبدا قال ففرج الله عني وعافاني

زهادة فيه ورغبة في الجهالة يا بني اختر المجالس على عينك فان رأيت قوما يذكرون الله فاجلس اليهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك ويزيدك علما وان تكن مستأهلا يعلمك ولعل الله أن يطلعهم برحمته فتعمك معهم واذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجالس اليهم فانك ان تكن عالما لا ينفعهم علمك وان تكن جاهلا يزيدك جهلا فلعل الله يطلعهم بالعقوبة فتعمك معهم يا بني لا تضع يدك الا عند داعية كما ليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يحب المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم يا بني كن عبد الاشرار ولا تكن خليلا للاشرار يا بني كن أمينا تكن غنيا ولا ترا الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولاتجادلهم فيمنعوك حديثهم والطف بهم في السؤال اذا تركوك ولا تجزهم فيملوك يا بني لا تطلب من الامر مدبرا ولا ترفض منه مقبلا فان ذلك يقل الرأي وبزري بالعقل يا بني ان تأدبت صغيرا انتفعت كبيرا يا بني اذا سافرت فلا تأمن على دابتك فان ذلك سريع في ادبارها وليس ذلك من فعل الحكماء الا أن تكون في محل يمكنك فيه التعهد واذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وسر ثم ابدأ بعلفها قبل نفسك وبالك والسفر في أول الليل وعليك بالتعريس والادلاج من نصف الليل الى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وبرتلك وخيوطك ومخرزك وتزود من الادوية ما تنتفع به أنت ومن معك وكن لاصحابك موافقا موافقا الا في معصية الله يا بني اياك والتقنع فانه بالنهار شهرة وبالليل ريبة يا بني لا تأمن الناس بالبر وتنسى نفسك فتكون مثلك مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه يا بني لا تحقرن من الامور صغارها فان الصغار تصير كبارا يا بني اياك والكذب فانه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك فعند ذلك يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك وشهامتك ولا يسمع منك اذا حدثت ولا تصدق اذا قلت ولا خير في العيش اذا كان هكذا يا بني اياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس عليها مجانب وألزم نفسك التودد في أمورك والصبر على مرارات الاحوال وحسن مع جميع الناس خلقك فان من حسن خلقه وأطهر بشره وبسطه حظي عند الابرار وأحبه الاخيار وجانبه الفجار يا بني لا تعلق نفسك بالهموم ولا تشغل قلبك بالاحزان واياك والطمع وارض بالقضاء وقنع بما قسم الله لك يصف عيشك وتسر نفسك وتستلذ حياتك وان أردت أن يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك عما في أيدي الناس فان ما بلغ الانبياء والصديقون ما بلغوا الا بقطع طمعهم عما في أيدي الناس يا بني ان الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل وقد بقي قليل من قليل القليل يا بني اجعل معروفك في أهله ولا تضعه في غير أهله فتخسر في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة وكن مقتصدا ولا تكن مبذرا ولا تمسك المال تقتيرا ولا تعطه تبذيرا يا بني الزم الحكمة تكرم بها وأعزها تعز بها وسيد أخلاق الحكمة دين الله عز وجل يا بني للعاصد ثلاث علامات يقتاب صاحبه ان غاب ويتملق اذا شهد ويشمت فيه بالمصيبة ثم خير لقمان الحكيم وما وصى لابنه أنعم والله أعلم

(مجلس في قصة بلوقيا)

(أخبرنا) أبو بكر محمد بن عبد الله الخزرقي باسناده عن عبد الله بن سلام الاسرائيلي قال كان في بني اسرائيل رجل يقال له أوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان اماما لبني اسرائيل وكان قد عرف بعث النبي عليه السلام وأمته في التوراة فغبأه وكتم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة أبيه في بني اسرائيل وكان ذلك بعد سليمان فلما مات والده أوشيا وبقي بلوقيا والامامة والقضاء في يده فتش يوما خزائن والده فوجد فيها تابوتا من حديد مقفلا بقفل من حديد فسأل الخزان عن ذلك فقالوا لا ندري فاحتال على القفل حتى فكه فاذا فيه صندوق من خشب الساج ففكه فاذا فيه أوراق فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته مختومة بالمسك فمسكها وقرأها فيها على بني اسرائيل ثم انه قال الويل لك يا أبت من الله فيما كتبت وكتمت من الحق عن بني اسرائيل فرده الى أهله فقال بنو اسرائيل يا بلوقيا لو لا انك امامنا وكبيرنا لنبشنا قبره وأخرجناه منه وأحرقناه بالنار فقال يا قوم لا ضير اغا تبع حظ نفسه وخسر دينه ودنياه فالحقوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بالتوراة قالوا وكانت أم بلوقيا من الاحياء فاستأذنها في الخروج الى بلاد الشام وكانوا يومئذ ببلاد مصر فقالت له وما تصنع بالشام فقال أسأل عن محمد وأمته

وسط النهار وهو مضطجع على الارض وقد تغيرت صورته واسود وجهه وازرقت عيناه وتقلصت شفتاه فقلت له وأنا فاعل

بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمي يوحابيل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار قال فما بال يديك مبسوطتين قال في يدي اليمنى ضوء النهار وفي يدي اليسرى ظلمة الليل ولو سبق النهار الليل اضاءت السموات والارض ولم يكن الليل أبدا ولو سبقت الظلمة النور لاظلمت السموات والارض ولم يكن ضوء أبدا وبين يدي لوح معلق فيه سطران سطر أبيض وسطر أسود فاذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة واذا رأيت السواد يزداد زدت الظلمة واذا رأيت السطر الابيض يزداد زدت النهار واذا انتقص نقصت ظلمة الليل في الشتاء أطول من النهار والنهار أقصر وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر ثم سلم بلوقيا ومضى فاذا هو بملك آخر قائم يده اليمنى في السماء ويده اليسرى في الارض وقدماه تحت الثرى وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل واسرائيل من ولد آدم ثم قال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال ثابايل قال فما بالي أرى يمينك في السماء وشمالك في الماء فقال أحس الريح بيميني والماء بشمالي ولو رفعت شمالي عن الماء لنزحت البحار كلها في ساعة واحدة ولاطمت باذن الله وأغرقت الدنيا ومن عليها ويدي اليمنى في الهواء أحبس الريح عن ولد آدم لان في الصيام بعد الصبي الهائمة ولو أرسلتها انسفت من في السماء ومن في الارض قال فسلم بلوقيا ومضى فاذا هو بأربعة من الملائكة أحدهم رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس النسر والثالث رأسه كرأس الاسد والرابع رأسه كرأس الانسان فاما الملك الذي رأسه كرأس الثور فانه يقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذبها وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعل في قلوب بني آدم لها الرأفة والرحمة كي لا يكيدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن واجعلني من أهل شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس النسر فيقول اللهم ارحم الطير وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس الاسد فيقول اللهم ارحم السباع ولا تعذبها وادفع عنها حر الصيف وبرد الشتاء واجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس الانسان فانه يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم المسلمين ولا تعذبهم وادفع عنهم النار واجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ومضى بلوقيا حتى انتهى الى جبل قاف فاذا هو بملك قائم على جبل قاف وان جبل قاف محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء وذلك قوله تعالى ق والقرآن المجيد فسلم بلوقيا على الملك فقال له الملك من أنت قال أنا بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم فقال له الملك وأين تريد قال خرجت في طلب بني من العرب يقال له محمد ولست أرى أثره ولا أدري بأي بلاد أنا فقال له الملك لا اله الا الله محمد رسول الله قد أمرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمي حزقيائيل قال وما تصنع هنا قال أنا أمين الله على جبل قاف وقد وكل بي مع ثلثمائة وستين ملكا يحملون عروق الارض كلها مشدودة عليه والوتر في كفه قال فاذا أراد الله ان يخسف بقوم أو يزلزل بلدا أو يخسف بعبد أمرني ان أحرك الوتر فاحركه وأوثق عروق الارض فتضيق الدنيا على العباد واذا أراد الله ان يوسع على عباده أمرني ان أرخي الوتر فاوثق عروق الارض فتتسع الدنيا على العباد واذا أراد الله أن يخوف قوما أمرني أن أحرك عروق تلك الارض من أجل ذلك موضع يهتز وموضع لا يهتز وموضع يتزلزل قال بلوقيا أيها الملك هل رأيت خلقا فوقك قال لا قد رأيت خلقا فوقي وهو الكرسي وهو فوق السماء السابعة وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام وبين الماء والعرش خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم ثم قال بلوقيا أيها الملك كم الارضون كم البحار قال الارضون سبع والبحار سبع قال فبهم أين هي قال تحت الارض السابعة فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى حجاب طرفه في السماء وأسفله في الماء عليه باب مقفل وعلى القفل خاتم من نور وعلى الباب ملكان

بعد ان كانت صوامة قوامة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون اللهم انا نعوذ بك من مكرك وغضبك وعقابك يا اكرم الاكرمين يا الله

(وحكي عن منصور بن عمار رضي الله تعالى عنه قال) رأيت شابا في بعض الايام يصلي صلاة طائفين فقلت في نفسي هذا الشاب لعله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له يا شاب ألم تعلم ان في جهنم واديا يقال له لظى نزاعة للشوى تلهو من ادبر وتولى وجمع فاوعى فشوقت شهقة ومرضت علة فما أفاق قال المزين يا منصور رحمك الله فقلت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قال فسر الشاب وبشاشة الله عليه فكشفت عن ثيابه لاغسله فوجدت على صدره مكتوبا بالقلم القادر فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية قال منصور فغسلته

الى نزول جبريل عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة ارتجت الارض والجبال وتزلزلت منها فاختلطت مياه البحر وهاجت واتلاطمت حتى صار كل عذب ما لحا من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط باوقيا على وجهه ونفخ التنين نفخة من بلغه شعلة كانها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفخته فى البحر فما مرت النفخة بشئ الا أحرقته ولا بماء الا صيرته رمادا وأفاق باوقيا الساحر أى العذاب ذكر اسم الله الاعظم فلم ينزله مكروه ثم ترامى جبريل عليه السلام فى صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجرأك على الله فقال له باوقيا من أنت يرحمك الله فقال له أنا جبريل أمين رب العالمين فقال باوقيا يا جبريل انما خرجت حبا لمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه ولم أقصد الخطأ ولم أتعمده قال فبذلك نجوت ثم صعد جبريل عليه السلام الى السماء ومضى باوقيا على قدميه بذلك الدهن فضل الطريق الذى جاء منه واخذ فى طريق أخرى فصار ومضى ستة أشهر ووقع فى السابع فاذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها الورس والزعفران وأشجارها الزيتون والنخل والرمان فقال باوقيا ما أشبه هذا المكان بالجنة على ما وصفت قال فدنا باوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت الشجرة يا خاطئ يا ابن الخاطئ لا تأكل منى شيأ فبئس ما اتجهناه اذا جهناه الشجرة قوم يتراكضون وبايديهم سيوف مسلولة وهم يتناوشون بعضهم بعضا بالضرب والطعن فلما رأوا باوقيا أسلموا به وأحدقوا من ورائه وهموا به سوأ فذكر باوقيا اسم الله فتجمعوا منه وهابوه وأغمدوا سيوفهم وقالوا باجمعهم لا اله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا له من أنت يا عبد الله فقال أنا من بنى آدم فقالوا ما اسمك قال اسمى باوقيا وأنا من بنى اسرائيل فقالوا ما نعرف آدم ولا نعرف اسرائيل فما الذى أوقعك الينا فقال انى خرجت فى طلب نبى يسمى محمدا صلى الله عليه وسلم وانى قد ضللت الطريق الذى أردته ورأيت من الاهوال كذا وكذا فقالوا يا باوقيا نحن من الجن المؤمنين ونحن مع ملائكة الله فى السماء ثم نزلنا الى الارض وقاتلنا كفرة الجن ونحن ههنا مقيمون نغزوهم ونجاهدهم الى يوم القيامة ولسنا نموت الى يوم القيامة وأنت تصير معنا فقال باوقيا للملك الجن وكان اسمه صخرايا صخرايا أخبرنى عن خلق الجن كيف كان قال لما خلق الله تعالى جهنم خلق لها سبعة أبواب وسبعة آلسنة وخلق منها خلقين خلقا فى سمائه سماه جبليت وخلقا فى أرضه سماه تليت فاما جبليت فانه خلق فى صورة أسد وتليت فى صورة ذئب وجعل الاسد ذكرا والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة خمسمائة عام وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب العقرب وذنب الاسد بمنزلة ذنب الحية وأمرهما ان يتخضخضا فى النار انتفاضة فسقط من ذنب الذئب عقرب ومن ذنب الاسد حية فقيلت جهنم وعقاربها من ذلك ثم أمرهما ان يتناكحا فحملت الذئب من الاسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فاوحى الله اليهم ان يزوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا واحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو ابليس وكان اسمه الحرث وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجان يا باوقيا وان ذوابنا لا تثبت مع الانس ولكننى أجعل فرسى وأبرقعه حتى لا يعرف من راكبه واركب عليه على اسم الله تعالى فاذا انتهيت الى أقصى أعمالى على ساحل بحر كذا وكذا فاذا أنت بشيخ وشاب ومشايخ معهما فانك ستلقاهما هناك فادفع الفرس اليهما وامش فى حفظ الله واشدد فركب باوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى اليهم فسلم على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعها اليهما وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغداة وبلغ اليهما نصف النهار فقالا له يا باوقيا منذ كم فارقت الملك قال فارقته من غد وقالا ما أسرع ما جئت قد أتعبت فرسنا فقال باوقيا ما مددت اليه يدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضا قالا بلى ولكن فرسنا أحس بك وبمنزلتك وثقلك فطار ما بين السماء والارض ليريح نفسه منك فكم تراه جاب بك قال نحسب فراسخ أو أكثر قالا بل جاب بك فى هذه المسافة مسيرة مائة وعشرين سنة وكان يطير بك بين السماء والارض حول الدنيا دون قاف وأنت لا تعلم قال فاوا عنه السرج واللجام والبرقع فاذا العرق يقطر وبسيل من كل شعرة منه وله جناحان انقضا وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والاعياء والكلال قال باوقيا هذا والله لعجيب فقالوا عجائب الله لا تنقضى ثم سلم عليهما فمضى فركب اليم فبينما هو يسير اذ رأى ملكا احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه باوقيا فقال له الملك من أنت أيها الخلق المخلوق قال أنا باوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم ثم قال له

بين مولانى فصرت على ذلك مدة من الزمان فوقعت فى مرض آخر أشرفت منه على الموت فامرت أهلى ان يخرجونى الى وسط
ار ثم طلبت المصحف
رأت فيه وقلت اللهم
ق هذا القرآن
مقسم الا ما عافيتنى
فرجعت عنى وأنا لا
عود الى معصية أبدا
ستجاب الله تعالى منى
خرج عنى فعدت الى
كنت فيه حتى وقعت
هذا المرض فامرت
على ان يخرجونى الى
سط الدار كما ترى ثم
ابت المصحف لاقرأ
ه فلم يتبين لى فيه
رف واحدا فعرفت ان
سبحانه وتعالى غضب
ى غضبا شديدا فرفعت
مرى الى السماء وقلت
هى بحرمة هذا
حف الا ما فرجت
ى وعافيتنى وانا لا أعود
بار السموات والارض
بنهما أنا كذلك اذ
مت قائلا يقول ولا
رى شخصه شعرا
ب من الذنوب اذا
ضتنا
جميع الذنوب اذا بريتنا
ما الغفر مسلك انت بالذ
بث ما يكون اذا قوينا
كم من كربة نجا لتنها
م كشف البلاء اذا
نا
فتى هجوم الموت يا ذا
ش على اخلطا يا قد
بتنا
ى فضل ربى بادا لطفا
سك ولا خشيت ولا
بتنا وكم جاهدت ثم نقضت عهدا * وأنت لكل معروف نسيتنا قال منصور بن عمار فقمت من عنده وخرجت وعينى باوقيا

قدميه قال فسلم على باوقيا وسأله عن حاله فقال باوقيا ما الت غيبتي وأريد الرجوع الى أهلي فقال الخضر بيني و بين أهلك مسيرة خمسمائة عام وأنا أريد البها في مسيرة خمسمائة شهر فقال الطائران كان بينك و بينها مسيرة خمسمائة سنة وأنا أريد البها في مسيرة خمسمائة يوم فقال الخضر عليه السلام فانا أريد البها في ساعة واحدة ثم قال غمض عينيك ففعل ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فاذا هو بالبس عند دمشق فسألها عن جانب اليمن فقالت طير أبيض يطير بلسان بين السماء والارض فوضع قدمي ثم ان باوقيا حدث بني اسرائيل بما رأى من العجائب والاعتبار فاثبتوها وكتبوها الى يومنا هذا فهذا ما كان من حديث باوقيا وما رأى من العجائب في البر والبحر والجبال والله أعلم

(مجلس في ذكر قصة ذي القرنين عليه السلام)

قال الله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا

(باب في نسبه ولقبه)

قال أكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيلبش بن بارليوس بن هرمس بن هردوس بن منادون بن روحان بن لعابن ابن يونان بن يافث ويقال نسبه ينتهي الى العيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وزعم بعض القدماء ان الاسكندر هو أشوذار بن داراوذلك ان دارا الاكبر بن بهمن بن اسفنديار بن بستاسف كان تزوج أم الاسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها ملانة وانها حملت الى زوجها دارا الاكبر فوجدته قد ارتحلت كريهة فامر أن يحتال في زوال ذلك منها فاجتمع رأي أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها سندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فاذهب ذلك كثيرا من نتنها ومن عرفها ولم يذهب ذلك كله فانتهت نفسه عنها لبنية نتنها وعافها فرددها على أهلها وقد علقت منه فولدت له في أهلها غلاما فسمته باسمه واسم الشجرة التي غسلت بمائها اسكندروس فهذا أصل اسمه ثم خفف فقيل اسكندر وكني بذي القرنين واختلفوا في سبب تسميته بذلك فقال بعضهم سمي بذلك لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه كان في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم فقيل لانه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس وكان تأويل رؤياه انه طاف المشرق والمغرب وقيل لانه دعا قومه الى التوحيد فضربوه على قرنه الايمن ثم دعاهم الى التوحيد فضربوه على قرنه الايسر وقيل لانه كان له ذؤابتان مستانتان والذؤابة تسمى قرنا وقيل لانه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه وقيل لانه كان افترض في وقته قرنان من الناس وهو حي وقيل لانه كان اذا حارب قاتل بيديه وركابه جميعا وقيل لانه أعطي علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة والله أعلم

(باب في قصة ذكر بدو أمره وسيره واستكماله ذلك)

قال الله تعالى انا مكناله في الارض وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا وقال القوم كلب فيلبش اليوناني أبو الاسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده الاسكندر وقال آخرون ان الاسكندر أشوذار الاصغر وكان أبو هلانة جد الاسكندر لامه ملكا من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت ملوك الروم يؤدون الاتاوة جميعا الى ملوك الفرس وكانت الاتاوة التي كان أبو الاسكندر يؤديها الى ملوك الفرس ستمائة قنطار ذهب فلما ملك الاسكندر وكان رجلا ذا عز عنوة وقوة ملك فغزا ملوك الروم فقهرهم واستباح ملك الروم ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فأنس بذلك من نفسه القوة فأقام بمدينة مصر على دار الاصغر ملك فارس فلما بلغ من عقل ما كان أبوه يحمله اليه من الخراج والاتاوة عن نفسه ومن ملك الروم فكتب اليه ان دارا بن دارا استضاء الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فابابه الاسكندر ان قد بلغت ذلك الصبا بحسنا التي كانت تبعض ذلك البيض وأكلت لها فلما وصل اليه الكتاب غضب عليه وكتب اليه يتوعده بسوء عاقبته فيما امتنع من حمل الخراج اليه و بعث اليه بصولجان وكرة ونفيزي سمسم وأعلمه فيما كتب به اليه أنك صبي وانه ينبغي للصبيان تلعب بالصولجان والكرة التي بعثت بهما اليك ولا تتقلد الملك ولا تتلبس به ولا تسعى والابعثت اليك من يأخذ بلجامك في وناق ولو كانت جنودك بعدد حب السمسم الذي بعثت به اليك فبعث اليه الاسكندر في جواب ذلك اني وقفت على ما كتبت فقد نظرت ما ذكرت في كتابك من ارسال الصولجان والكرة وضممت الكرة الى الصولجان وشبهت الكرة بالارض فاذا أنا محتو على ملكك وأضيفه الى ملكي وأضيف بلادك الى بلادي وانى نظرت الى السمسم الذي بعثته الى

أحدهما رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس الكبش وبدنه كبدن الثور وهما يقولان لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليهما باوقيا فردا عليه السلام وقالا باوقيا أيها الخلق المخلوق ممن أنت وما اسمك قال اسمي باوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم فقالا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أحد عشر اسما ما عرفناها قال كيف تعرفون محمدا وما تعرفون آدم ومحمدا من نسله فقالا هكذا خلقنا وبهذا أمرنا ولم نسمع باسم آدم واسرائيل فقال باوقيا افتحا لي الباب حتى أجوز فقالا لا نحسن فتحه وان الله ملكا في السماء اسمه جبريل عسى أن يقدر على فتحه فدعا باوقيا ربه فأمر الله تعالى جبريل فنزل اليه وفتح له ثم قال يا ابن آدم ما أجرأك على الله ثم جاز باوقيا حتى انتهى الى بحرين بحر ماء وبحر عذب فرأى بينهما حاجزا وفي البحر الماء جبلا من ذهب وفي البحر العذب جبلا من فضة وبينهما ملكان على صورة النمل ومعهما ملائكة على تلك الصور وسلم عليهم باوقيا فردوا عليه السلام وقالوا من أنت فأخبرهم بقصته ثم قال لهم باوقيا من أنتم قالوا نحن أمناء الله على هذين البحرين لا يلتقيان ولا يبغيان فقال لهم باوقيا ما هذا الجبل الأحمر قالوا هذا كنز الله في الارض فكل ذهب يظهر في الارض من هذا الجبل الأحمر وكل ما في الدنيا من ماء عذب أو ملح انما هو من ماء هذين البحرين وماؤها انما يجيء من تحت العرش من قبل أن يخلق الله الملائكة والجبل الأبيض من فضة وهو كنز الله وكل فضة في الدنيا ومعدن من فضة فمن عروق هذا الجبل ثم سلم باوقيا ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم فاذا هو بحيتان كبيرة عظيمة قد اجتمعت وحوت عظيم بقضي بين الحيتان فلما نظر الى باوقيا قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسلم عليه باوقيا ثم قال له من أنت فأخبره بحاله وأنه خرج يطلب النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال له يا باوقيا ان لقيت محمدا فاقرئه مني السلام فقال باوقيا نعم ان شاء الله تعالى ثم انه قال أيتها الحيتان اني بائع عطشان وما هذا البحر ماء وما أجد ما آكل وما أشرب قال فقال الحوت الأعظم يا باوقيا ما أطعمك طعاما اذا أكلته تسير أربعين سنة لا تجوع ولا تعطش ولا تحتاج الى نوم ولا تبول ولا تتغوط فاطعمه ذلك الحوت قرصا أبيض فأكله ومضى حتى بلغ العمران ومن قبل أن يبلغ رأى شابا يجري على الماء كأنه البدر فقال له باوقيا من أنت فقال سل الذي خلقني فسار باوقيا يوما وليلة فاذا هو بآخر يمر على الماء وجهه كضوء القمر فقال له باوقيا من أنت قال سل الذي خلقني فسار باوقيا يوما وليلة فاذا هو بثالث كأنه القمر يلوح في آخر الشمس فقال له باوقيا أنشدك الله الا ما وقفت علي فوقف وقال لباوقيا لماذا تستحلفني قال خشيت أن تفوتني مثل أصحابك الماضين ثم قال له من كان الأول قال اسرافيل صاحب الصور والثاني ميكائيل صاحب المطر وأرزاق العباد والثالث جبريل أمين الله تعالى فقال له باوقيا فماذا تصنعون في هذا اليم قال حية من حيات البحر قد آذت سكانه فدعوا علينا فاستجاب الله دعاءهم وانا أمرنا ان نسوقها الى جهنم ليعذب الله بها الكفار يوم القيامة قال باوقيا كم طولها وكم عرضها قال طولها مسيرة ثلاثين سنة وعرضها مسيرة عشرين سنة فقال باوقيا أيكون في جهنم مثل هذه الحية أو أكبر منها قال نعم ان في جهنم من الحيات ما تدخل هذه الحية في أنف احداهن ولا تشعر بها وتخرج من فيها ولا تشعر بها من عظم خلقها قال فسلم باوقيا ومضى الى جزيرة أخرى فاذا هو بغلام أبيض أمرد بين قبرين فسلم عليه باوقيا وقال له يا شاب من أنت وما اسمك قال اسمي صالح قال فما هذان القبران قال أحدهما قبر أبي والآخر قبر أمي وكانا صالحين فماتا هنا وأنا عند قبريهما حتى أموت فسلم عليه باوقيا ومضى حتى انتهى الى جزيرة فاذا هو بشجرة عليها طائر واقف رأسه من ذهب وعيناه من ياقوت ومنقاره من لؤلؤ وريداه من زعفران وقوائمه من زمرد واذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوي فسلم عليه باوقيا فرد الطائر عليه السلام فقال له باوقيا من أنت أيها الطائر قال أنا من طيور الجنة وان الله تعالى قد بعثني الى آدم بهذه المائدة لما أهبط من الجنة وانى كنت معه حين ابق حواء وأباح الله له الاكل وأنا ههنا من لدن ذلك الوقت فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين عربها يأكل منها وأنا أمين الله عليها الى يوم القيامة فقال باوقيا ولا تتغير ولا تنقص فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص قال باوقيا أفآكل منها قال كل فأكل حاجته ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد فقال معي أبو العباس يأتيني أحيانا قال ومن أبو العباس قال الخضر عليه السلام فلما ذكر الخضر اذا به قد أقبل وعليه ثياب بيض فأعطاه خطوة فاذا بيت الحشيش تحته

لعل الله تعالى فقال فغفر لي وأعطاني (٢١٢) ثوابا مثل ثواب أهل بدر وزاد في على ذلك أضعافا فقلت له لم ذلك فقال لأنهم قتلوا بسيف الكفار

أنا قتلت بحمية العزيز
غفار رضي الله تعالى
نسه ونفعنا والمسلمين
بركاته *(وحكى عن
هم رضي الله تعالى
نه انه قال)* كان في
يم الزمان رجلان
حدهما عابد والآخر
اسق وكانا أخوين
تقيين فكان العابد
تمنى ان يرى ابليس
منه الله في محرابه فتمثل
يوما من الايام وقال له
لان أسند عليك فضيعت
مرك في اتعاب نفسك
وهو أربعون سنة وقد
ى من عمرك مثله
امضى فانطلق الى
هوات نفسك ولذاتها
شرين سنة وتب بعد
لك وعد الى العبادة
لعشرين الاخرى فان
له تعالى غفر رحيم
قال العابد اني لا نزل
ن أخي في أسفل الدار
وافقه على اللهو واللعب
الشهوات واللذات
شرين سنة ثم أتوب بعد
لك واعبد الله تعالى
عشرين الاخرى ولم
عرف أن ذلك مكيدة
ن ابليس لعنه الله تعالى
قال أخوه المسرف على
نفسه قد افنيت عمري
المعاصي فأنى يدخل
الجنة وانا أدخل النار
الله لا قومن ولا صلين
بي أخي وأوافقه على
طاعته والعبادة باقي
عمري لعل الله تعالى أن يغفر لي قال فطلع العاصي على نية التوبة ونزل العابد على نية المعصية فزلقت رجل العابد فوقع

قدميه

شيء وأنفع لك بصرك فتشد كل شيء وأحمى لك قوتك فلا يفوتك شيء وأشد لك عضدك فلا يهم ولا شيء وأشد لك ركبك فلا يفلك شيء وأشد لك قابلك فلا ينزعك شيء وأشد لك يديك فتسطو على كل شيء وأشد لك وطأتك على كل شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما جندا من جنودك يسعيان أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالشر وأراد عليه وهو بالسام لم يعمل وقال لا بد من طاعة الله تعالى ثم أمرهم أن يبنوا له مسجدا وأن يجعلوا طول المسجد أربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع وعرض أساس حائطه أربعة وعشرين ذراعا وطوله في السماء مائة ذراع وأمرهم أن يبنوه فبنوه فلما فرغوا قالوا كيف نصنع قال اذا فرغتم من شأن الحيطان فاكسوها بالتراب حتى يستوي الكنيس مع حائط المسجد فاذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المقتر قدره وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكنيس وجعلتم خشبا من نحاس وقدما من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم تكبرون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعا ومائتي ذراع بين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعا ثم تدعون الساكنين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فمن حمل شيأ فهو له ففعلوا ذلك فلما خرج الساكنين ذلك التراب واستقر السقف عاد عليه واستغنى الساكنين فمكان جندهم أربعين ألفا فجعلهم أربعة أجناد في كل جند عشرة آلاف ثم عرض جنده فبلغ جميعهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جنده دارا ستمائة ألف وهم الساكنين أربعمائة ألف الطلق يوم الامة التي عند مغرب الشمس فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة أي ذات حمأة وهي من قرأ حامية بالف من غير همز فحدثنا سارة (أخبرنا) عبد الله بن سليمان الاصفهاني بإسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبي بن كعب كما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حمئة وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية اذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب في عين حامية فحدثتها بقرؤها الا حبر فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرؤها قال أقرؤها كما قرأتم يا أمير المؤمنين قال ابن عباس فاطلت الجدال معه فقال معاوية لكعب فما عندك يا كعب قال أما العرب بسقاطكم أعلم بما في وأما الشمس فاني أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين وانشد ما تزداد به نبصرا وهو قول تبع

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما * ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي * أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب وثأط حرمد

فقال معاوية ما أطيب يا كعب نفحات الطيب بكلامهم قال فما الثأط قال الحمأة قال وما الحرمد قال الحار وجدها وجلا فقال اكتب ما يقول * فلما بلغ مغرب الشمس وجد عندها معاوية الا عبد الله تعالى وفوقوفا لا يطيقه الا الله تعالى ورأى أمة مختلفة وأهوالا مختلفة وذلك قوله تعالى وجد عندها قوما يعني ناسا لا أرى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب بسوطه ثلاث ضربات فاطلع جبريل من كل مكان حتى بهرهم فلم يكن لهم أحد عليهم بالنور ودعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صدقه وعجل الى الذين تولوا عجلت لهم الظلمة فدخلت في أبوابهم وأبوابهم وأجوافهم ودخلت في بيوتهم ودورهم وعسكرهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فلما خرجوا صاحوا وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا بها صعد بعضهم بعضا حتى فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فهم من أهل المغرب أمم عظيمة يعلمهم جبريل ما شاء الله تعالى بهم يتودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامهم يقودهم وهو يسير بهم ناحية الارض اليمنى وهو يريد الامة التي في قطر الارض اليمن التي يقال لها هاويل وسخر الله له ملكا يسير معه ورأيه وعمله ونظره فلا يخطئ اذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الامم وهي تتبعه حتى اذا انتهى الى جبل أوثاخة هيأ سبعين ألواحا من صفائح مثل النعال فيحملها في ساعة ثم يعمل فيها جميع ما معه من تلك الامم وتلك الجنود واد بلغ الجبار والاثار فدتها ثم يدفع الى كل رجل منهم لوحا فلا يكترث بحمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل فعمل به كما كان صنع في ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الارض اليمنى حتى انتهى الى منسك عند طلوع الشمس وجدها

اللهو واللعب ثم توكها ومضى قال بشر فانت الى الجارية وأخبرتني بذلك فذهبت الى الباب فسمعت ما فاذا بجد الرجل قد مضى وقته

ومن بين يديه سطران وهما ثم الشاغ الذي لا رام
ثمن من طبع تعلم ا الاسلام
اعلم هذا لجاهد اع
ثم موته تساوي الايام
وعمل عكازه مكتوب
هذان السطران
اعمل وانت بني الا
على رجل
واعلم بانك بعد الموت
بعوث
واعلم بالشاهد ت من
عمل
يحصى عليك وما نسي
موروث
قال مالك فقلت له أنت
حكيم وأنت تعمل
فقال سمعت من آبا
يحدثون الباطل ولا
يجدون القلب ثم ولى
ولم أر يرحمه الله تعالى
عنه * (وحكم عن شيخ
الجاهلية رضي الله تعالى
قال) * كنت في الجاهلية
عند ملك من ملوك
وبلغه أن رجلا
من العالمين على باب
فارتاع وقال ا
فقال له الملك ما
اليه وأين الدار أما
الرجل قال يا مالك
صاحب هذه الدار رأى
عبدا فقال له ا لويه
بل حر وقال لها ت
لو كان عبدا لا تعمل
آداب العبودية وترك

كنظارى الى الصولجان والكرة وبعث الى دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه فى الجواب اعما بعثت اليك بذلك لان جنودك مثل ذلك فلما وصل الى دارا من دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وناهب لمحاربة الاسكندر وان الاسكندر أيضا تأهب للقائه ونادى فى عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فالتقيا بناحية خراسان فما بلى الظفر واقتتلا أشد القتال وصارت الدائرة على جند دارا فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثقته وقيل ان أحدهما كان صنيعه فطعناه فاردياه عن مركبه وأرادا بطعنهما اياه الخلوة عند الاسكندر والوسيلة اليه وان الاسكندر نادى ان يؤخذ دارا أسيرا ولا يقتل فاضطرب بشأن دارا فاسرع حتى وقف عليه فرآه يجود بنفسه فنزل اليه وجلس عند رأسه وأخبره أنه لم يهم قط بقتاله وان الذى أصابه لم يكن قط برأيه وانما غدر به نقاته ثم قال له ساني عما بدا لك فاسعفه به فقال له دارا ان لى اليك حاجتين احداهما أن تنتقم لى من الرجلين اللذين فتكا بى وسماهما بلادهما والثانية أن تتزوج ابنتى روشنك فاجابه الى الحاجتين وأمر بصلب الرجلين وأن ينادى عليهما هذا جزاء من اجترأ على ملكه وغش أهل بلده وتزوج ابنته روشنك وكان ملك دارا أربع عشرة سنة فلما قتل اجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق ملك فارس وكان قبل الاسكندر مجتمعا

(باب فى ذكر الحوادث التى كانت فى أيام ذى القرنين بعد قتل دارا وتسخيره الى البلاد والآفاق)

قالت العلماء باخبار القدماء لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له العباد فهدم ما كان فى بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بارض الهند من بيوت الاوثان وقتل الهرابذة وأعرف كيم ودعا الناس الى الاسلام والتوحيد (قال المرتضى) فى سبب اسراق كتبهم ان المجوس جعلوا حروف كتبهم من الذهب المضروب بمسامير الذهب على جلود الثيران فبلغ عددها اثنى عشر ألفا فاحرقوها لحصول ذلك الذهب وبنى اثنتى عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان هراة ومرو وسمرقند ومدينة بارض اصفهان بنيت على مثال الجنة ومدينة بارض اليونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بارض بابل لزوجته سمرو وشنك بنت دارا ومدينة الاسكندرية ثم انه رأى فى منامه أنه أخذ بقرنى الشمس ورأى فى منامه أنه يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا (واختلف) العلماء فى نبوته فروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أدرى أكان ذو القرنين نبيا أم لا فاوضح الحديث لكان الخوض فى مثل هذه المسئلة تكلفا ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا وملكا عادلا فاضلا وقال آخرون بل كان نبيا غير مرسل والصحيح ان شاء الله أنه كان نبيا غير مرسل لما روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر ويقال كان اسمه مصعبا وكان عبدا صالحا فملكه الله تعالى ملكه واجتمع أمره فأوحى الله تعالى اليه يا ذا القرنين انى قد بعثتك الى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتى عليهم وهذا تأويل رؤياك وانى باعثك الى أمم الارض كلهم وهم سبع أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما عرض الارض وأمتان بينهما طول الارض وثلاث أمم فى وسط الارض وهم الانس والجن ويأجوج ومأجوج فاما الامتان اللتان بينهما طول الارض فامة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأمة أخرى بحيالها يقال لها منسك وهى عند مطلع الشمس وأما الامتان اللتان بينهما عرض الارض فامة فى قطر الارض الايمن يقال لها هاويل والاخرى بحيالها فى قطر الارض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين الهى انك قد بعثتنى الى أمر عظيم لا يقدر عليه الا أنت فاخبرنى عن هذه الامم التى بعثتنى اليها بأى قوة أكابرهم وبأى جمع وحيلة أكاثرهم وبأى بأس أقاسيهم وبأى لسان أناطقهم وكيف لى بان أفقه لغاتهم وبأى سمع أسمع أقوالهم وبأى بصر أنقدهم وبأى عين أحاصمهم وبأى عقل أعقل عنهم وبأى قلب وحكمة أدبر أمرهم وبأى قسط أعدل بينهم وبأى علم أصابرهم وبأى معرفة أفضل بينهم وبأى علم أتقن أمورهم وبأى يد أسطو عليهم وبأى رجل أطؤهم وبأى طاقة أصمهم وبأى جند أقاتلهم وبأى رفق أؤلفهم وليس عندى بالهى شئ مما ذكرت يقوم لهم ويقوينى عليهم وأنت الرؤف الرحيم لا تكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقها بالى أنت ترحمها فقال الله تعالى سأطوقك ما حملتك وأشرح لك صدرك فتسمع وتعى كل شئ وأشرح لك ذهنك فتفقه كل شئ وأبسط لك لسانك فتنطق بكل

لقمة بعد لقمة وأنا أنظر اليه فقمت لانظر ذلك المسقوف وما هو فنبشت احصنتم وبحثت الى

الباب حتى لزم الحديد القماس فصار كأنه برد عجين من صفرة القماس وبريقه وسواد الحديد ونيرته فسار به طويلا عظيما حسنا قال فلما اطلعوا أن لا ظهر وأيسوا من علمه واستطاعوا له نقبا (قال متادة) ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لي قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال له قد رأيته وقال ان موضع السد وامر خوده بقرب مشرق الارض بينه وبين المطلع مسيرة اثنين وعشرين يوما وذكر ان الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام ان السد قد فتح فوجه بلالا الترجمان في خمسين رجلا وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين ألف درهم ورزقه وأعطاه ما يحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله الى اسحق بن اسمعيل صاحب أرمينية وكان بتفليس وكتب له اسحق الى صاحب السرير وكتب له صاحب السرير الى ملك اللان وكتب له ملك اللان الى الازالي ملك الخزر في بلاد شماخ الخزر فاقام عنده حتى أخذ منه خمسين رجلا أدلاء فساروا خمسة وعشرين يوما حتى انتهوا الى أرض سوداء منتنة الريح وكانوا قد حملوا معهم شيأ يشمونه من الرائحة المنتنة فساروا تسعة وعشرين يوما ثم سألوا من جانب تلك الريح ما هو فقالوا مات ههنا قوم ثم ساروا في مدن خراب عشرين يوما فسألوا عن تلك المدن فقالوا فيها يأجوج ومأجوج فربوا ثم ساروا الى سور بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية فارسية يقرؤن القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا لهم الناس هؤلاء القوم فقلنا رسل أمير المؤمنين فقالوا ومن هو أمير المؤمنين فقلنا من أولاد العباس ملك بالعراق فتجمعوا منه وقالوا لشيخ أو شاب وزعموا أنهم لم يبلغهم خبره ثم فارقوهم وساروا الى جبل أملس ليس عليه منحدرة واذا جبل مقطوع بواد عرضه ثمانون ذراعا وعلى حافتيه جبلان مقابلة الجبل عرض كل عضادة ثمانية وعشرون ذراعا مبنية بلبن من حديد مركبة في نحاس طول كل لبنة خمسة عشر ذراعا واذا تدرس حديد طرفاه على عضادتين طول كل واحدة مائة وعشرون ذراعا مركب على العضادتين عليه كل واحدة منهما أربعة أشبار في عرض خمسة أذرع فوق ذلك اللبن الحديد المذهب في النحاس الى رأس الجبل وارتفاع عضادتيه فوق ذلك شرف من حديد في طرف كل شرافة قرنان مبني بعضها الى بعض منظومة كل واحدة منها بصاحبتها فاذا باب له مصراعان منصوبان من حديد عرض كل باب ستون ذراعا في ارتفاع خمسين ذراعا ثمانية أصابع وهما على باب الدرب مندوعلى الباب مقفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة وعشرون ذراعا وفوق القفل مفتاح طوله ذراع ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار والحلقة التي في السلسلة مثل حلقة الطبق وعرض حلق الباب عشرة أذرع في طول ثمانية أذرع سوى ما في العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع وهذا كله بذراع الملك وادوريس قال الحسون ركب كل جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس منهم حديدون كل يوم فيدورون القفل بالمفتاح ثلاث دورات كل يوم ثلاث ضربات يسمع من وراء الباب الصوت فعلموا ان هذا الباب مغلق ولعل هؤلاء ان أولئك لم يعلموا في الباب حديدا فاذا حضروا أصغوا اليه بآذانهم فيسمعون من داخل دويا بالقرب من هذا الباب من وراء ظهورهم عشرة فراسخ في مسيرة مائة يوم لانهم لا يشرفون على شيء الا طول كل واحد منهم ما تذراع وفي مائتي ذراع وعلى باب هذين الجبلين صخرتان وبين الطريقين ما يعبر عذب في أحدا فمنهن آبار البناء التي يشرب منها السد من قدر الحديد ومقارف من حديد وهنالك بعض الذين من الحديد قد التزق بعضه ببعض من السيل والبنة ذراع ونصف في عرض شبر وسائل هل وراء ذلك أحد من أهل بابل وما جوج فذكروا أنهم رأوا اثنين وسبعين أمة فوق الشرف فهم يصيحون سودا فالقتهم الى جانب السد وكان مقدار الرجل في رأي العين شبرا ونحو ما قال أما نحن فرأينا أثر بنا الاد على نواحي خراسان فعدلنا اليها فوقفنا الى القرية من مرو قفل على بن عيسى فسار الى بغداد وكان صاحب الحسن ثم زودونا الطعام ثم سرنا الى عبد الله بن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل كل رجل كان معي خمسمائة درهم وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا الى الري ورجعنا الى سر من رأى بعد ثمانية وعشرين شهرا والله أعلم

(باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالي الى الباب عين الحياة)

الطلوع في أيام جدبي وعامها وهي عزوبل ان لا آكل شيأ الا بعد أربعين يوما فمكثت في الطلوع عشرين

تطلع على قوم فعمل فيها وجند فيها جنودا كفعله في الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا حتى أتى ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل وهي الامة التي يقال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنودا كفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراوذلك انهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكمنون في أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم (وقال الحسن) كانت أرضهم أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت الشمس عليهم دخلوا الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كما ترعى البهائم وقال ابن جريج جاءهم مرة جيش للتفرج على طلوع الشمس فنهاه أهلها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس فنراها ثم انهم قالوا ما هذه الظلام فقالوا هذه جيف قوم طلعت عليهم الشمس فماتوا ههنا قال فذهبوا هاربين في الارض وقال الكلبي هم أمة قال لها منسك حفاة عراة عماة عن الحق قال وحدثنا عمرو بن مالك بن أمية قال وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس وهم حوله مستمعون له يجتمعون فسألت بعض من سمع حديثه فاخبرني أنه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال فخرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لي ان بينك وبينهم يوما وليلة فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومي وليلتي حتى صبحتهم فاذا أحدهم يفرش اذنه ويلتحف الاخرى وكان صاحبي يحسن لسانهم فسألهم فقالوا له اذا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي على فوقعت فلما أفقت وهم يصبون على بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي على الماء كهيئة الزيت واذا طرف السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت أدخلوني سربالهم أنا وصاحبي فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج والله أعلم

(باب في قصة ذي القرنين وما يتعلق به)

قال الله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالت العلماء بأخبار القدماء لما فرغ ذو القرنين من أمر الامم الذين هم في أطراف الارض وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التي في وسط الارض من الجن والانس ويأجوج ومأجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس هم مشابهين من الانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع ويأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله في الارض وليس لله خلق يفنون خلقهم ولا يزادون كزيادتهم فان أنت اطلعت على ما بينهم من خلقهم وزيادتهم فلا تشك انهم سيملؤن الارض ويخرجون أهلها منها ويظهرون عليها ويفسدون فيها ولا يستقر بنا سنة منذ جاورناهم الا وتحن نتوقع أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا أي جعلا وأجرا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا حاجزا فلا يصلون الينا فقال لهم ذو القرنين ما مكني فيه ربي أي قواني عليه خير من خراجكم فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال آتوني زبر الحديد أي قطعه واحدتها زبرة وآتوني النحاس فتالوا من أين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل قال سأدلكم على معادنهما قالوا فبأي قوة تقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدنا آخر يقال له الساهون وهو أشد ما خلق الله في الارض بيا ضا وهو الذي قطع به سليمان أساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره ثم انه قاس ما بين الجبلين ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس النار وصنع منها زبرا مثل الصخور العظام ثم أذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك الصخور التي هي من الحديد ثم بنى وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير أنه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نضج عليه الحديد ثم نضج الحطب على الحديد فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين وهما الجبلان ثم أمر بالنار فأوسلت فيه ثم قال انفخوا حتى جعل اذا فرغ القطر فيه وهو النحاس المذاب جعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان

الحطب

كثرت شهادة الزور في الارض قال نعم قال فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى ملأ الحديقة وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك نفرق فرقا شديدا فقال الطائر لا تخف حدثني قال سلي قال هل ترك الناس شهادة أن لا اله الا الله بعد قال لا فانضم الطائر الى شيء ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد قال لا فعاد الطائر كما كان ثم قال يا ذا القرنين اسلك هذه الدرجة درجة درجة الى أعلى القصر فسلكها ذو القرنين وهو خائف وجل لا يدري على ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج فاذا هو بطير عظيم مدود عليه صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه الى السماء واضعا يده على فيه فلما سمع حفحفة ذي القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين قال يا ذا القرنين ان الساعة قد قربت وانى منتظر أمر ربي يأمرني أن انفخ في الصور ثم ان صاحب الصور رأى شيأ من بين يديه كأنه جمر فقال يا ذا القرنين خذ هذا فان شبع هذا شيء وان جاع هذا جيء فاخذ ذو القرنين الجمر ونزل حتى اتى الى أصحابه فحدثهم بامر الطائر وما قاله له وما أورده عليه وما قال له صاحب الصور ثم جمع علماء عسكره وقال أخبروني ما هذا الجمر وما أمره فقالوا أيها الملك أخبرنا ما قال لك صاحب الصور فقال ذو القرنين انه قال ان شبع هذا شيء وان جاع جيء فوضعت العلماء ذلك الجمر في كفة الميزان وأخذ ذو القرنين رأسه ووضعه في الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل ثم نزلوا يصعون جمرا بعد جمر حتى وضعوا ألف جمر ثم رفعوا الميزان فقال يا ألف جمر ما هذا فقالت العلماء ما نقطع علما دون هذا لا نعرف أصغر هذا أم علم ولا نعلمه فقال الخضر عليه السلام وكان واقفا أنا أعلم علمه فاخذ الخضر عليه السلام الميزان بيده ثم أخذ الجمر الذي جاء به ذو القرنين فوضعه في احدى الكفتين وأخذ جمرا من تلك الجمارة فوضعه في الكفة الاخرى ثم أخذ كفا من تراب فوضعه على الجمر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فعرف العلماء بعد الله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا ولا الله لقد وضعنا معه ألف جمرة فلم يستقل به فقال الخضر عليه السلام أيها الملك ان سلطان الله عز وجل قادر لخلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وان الله ابتلى خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالعالم والجاهل بالجاهل والجاهل بالعالم والعالم بالجاهل والله ابتلاني بك وابتلاك بي فقال ذو القرنين صدقت فاخبرني ما هذا الجمر فقال الخضر أيها الملك هذا مثل ضربه الله لصاحب الصور وان الله تعالى مكن لك في الارض والبلاد فاعطاك منها ما لم يعط أحدا من خلقه وأوطأك منها ما لم يوطئ لاحد من خلقه لتعلم تشبع وآتيت نفسك شهوتها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطأه انس ولا جان فهذا مثل ضربه الله لصاحب الصور ابن آدم لا يشبع أبدا حتى يحثى عليه التراب ولا يملأ عينه الا التراب فبكى ذو القرنين ثم قال يا خضر قد كنت أحب أن أشهد ضرب هذا المثل لاجرم لا طلبت أثرا في البلاد بعد سيري هذا حتى أموت ثم ان الخضر اصطحبا حتى اذا كانا في وسط الظلمة وهي الوادي الذي فيه الزبرجد فقال من معك هو الخضر فقال ذو القرنين ما هذا الذي تعتنا أيها الملك فقال ذو القرنين خذوا منه فان من أخذ منكم ومن لم يأخذ فهم من أخذ نهشا ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروا واذا هو زبرجد فندم الآخذون والناوك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخا ذي القرنين لو نظر في وادي الزبرجد في بدء أمره ما ترك منه شيأ حتى كان يرجع الى الناس لانه كان راغبا في الدنيا ولكنه نظر به وهو زاهد في الدنيا فلما رجع الى العراق وملك اطلع على طوائف كلها وامات في طريقه قبل وصوله بشهر (وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) انه رجع الى ذومة الجندل وكانت منزله فاقام بها حتى مات قالوا وكان عمره ستا وثلاثين سنة وكان ملكه جميع عمره ستة وكان قبل ذلك راقيا في أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل الى أمه بالاسكندرية ودفن هناك قالوا فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه اسكندروس من بعده فابى واختار النسك والعبادة فملكت اليونانية عليهم فيما قيل طليموس بن لوسوع وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وكانت المملكة في حياة الاسكندر وبعد وفاته الى أن تحول الملك الى الروم والمضاض واليونانية ولبني اسرائيل بيت المقدس ورأسهم الديانة والرياسة على غير وجه الملك الى ان خرب بلادهم الفرس والروم وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام والله أعلم

ه العرش العظيم فساروا على العبادة حتى مات رضي الله تعالى عنه (وحكى ان الحجاج بن يوسف الثقفي) بعثه الى رجل من أهل الخير والصلاح

الشيخ رضي الله تعالى عنه فبينما هم كذلك اذا بالطير الاخضر قد وقع قريبا منهم وارتفع غبار كل من الفقراء يتمنى أن يكون هو الموعود فبينما هم منتظرون الوعد الكريم وما كانوا فيه من تقدير العزيز العليم اذا بالطير قد وقع على رأس جوهر ولم يكن يعلم له دلالة لاحد من الفقراء فقام الفقراء ورجعوا الى الزاوية وبقوا ينتظرون مجيء الشيخ فبينما هم جلوس وقال كيف أعمل لك وأنا رجل رث ولم أكن أعرف طريقة الفقراء حتى تعلمت فيهم وفي من الناس معاملات مع الله الفقراء هذا أمر من الله ما لي علاقة به ولا أدري ما تقول بالله تنهض وتذهب الى السوق وأجيء من عند الناس فاعطيك للدلالة فذهب الى السوق وقف الناس فاعطوه للدلالة فذهب الى السوق ووقف الى ظهر الفقراء ورجع الى الزاوية وبقي الفقراء وصار جوهر أكابر وله من الكرامات والفضائل ما يطول ذكره فسبحان المنان الكريم

روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه رفائيل يأتيه ويزوره فبينما هما ذات يوم يتحدثان اذ قال له ذو القرنين يا رفائيل حدثني عن عبادتكم في السماء فبكى وقال يا ذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا في السماء من الملائكة منا هو قائم لا يجلس أبدا ومنا هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ومنا هو راكع لا يسوي قامة أبدا يقولون سبحان القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك حق عبادتك فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال اني أحب أن أعيش فأبلغ من عبادة ربي حق عبادته فقال رفائيل أو تحب ذلك يا ذا القرنين قال نعم قال رفائيل فان لله عينا في الارض تسمى عين الحياة فمن الله عز وجل أن من يشرب منها شربة لا يموت أبدا حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين فقال لا غير أنا نتحدث في السماء أن الله في الارض ظلمة لا يطؤها انس ولا جان فنحن نظن ان تلك العين في تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الارض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة فقال لهم أخبروني هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من الاحاديث وسألتم من كان قبلكم من العلماء ان الله وضع في الارض عينا سماها عين الحياة فقالت العلماء لا فقال عالم من العلماء اني قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها أن الله خلق في الارض ظلمة لم يطأها انس ولا جان ووضع فيها عين الظلمة فقال ذو القرنين أين وجدتها قال وجدتها في الارض التي على قرن الشمس فبعث اليها ذو القرنين وحشد اليها الفقهاء والاشراف من الناس والملوك ثم سار يطلب مغرب الشمس فسار اثنتي عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذا هي مثل الدخان وليست كظلمة الليل فعسكر هنالك ثم جمع علماء عسكره فقال اني أريد أن أسلك هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك ان من كان قبلك من الملوك والانبياء علموا هذه الارض فلا تطأها فانا نخاف أن يقع عليك أمر تكرهه ويكون فيه فساد الارض ومن عليها فقال لا بد من أن أسلكها فقالوا أيها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فانا نوعلم انك ان طلبتها ظفرت بما تريد ولم يحفظ الله علينا لا تعمالك ولكنا نخاف من الله تعالى فسادا في الارض ومن عليها فقال ذو القرنين لا بد من أن أسلكها فقالت العلماء شأنك يا ذا القرنين أي الدواب بالليل أبصر قالوا الخيل قال وأي الخيل بالليل أبصر قالوا الاناث قال وأي الاناث أبصر قالوا البكاري قال فارسل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنثى بكارا ثم انتخب من عسكره أهل الجلد والعقل ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرسا وعقد راية للخضر عليه السلام وجعله مقدمته في ألفين وبقي ذو القرنين في أربعة آلاف رجل وقال ذو القرنين لبقية عسكره لا تبرحوا من معسكركم هذا الى اثنتي عشرة سنة فان نحن رجعنا اليكم والا فارجعوا الى بلادكم فقال الخضر أيها الملك انا نسلك الظلمة ولا ندري كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع بالضلال اذا أصابنا فدفع ذو القرنين الى الخضر عليه السلام خرزة حمراء وقال له حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الارض فاذا صاحت فليرجع اليها أهل الضلال أين صاحت قال فسار الخضر بين يدي ذي القرنين برتحل الخضر ويحط ذو القرنين فبينما الخضر عليه السلام يسير اذ عرض له واد فظن الخضر أن العين في الوادي وألقى في قلبه ذلك فقام على شفير الوادي ومكث طويلا ثم أجابته الخرزة فطاب سوتها فانتهى اليها فاذا هي على جانب العين فنزع الخضر ثيابه ثم دخل العين فاذا ماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ولبس ثيابه ثم انه رمى الخرزة نحو أصحابه فوقعت وصاحت فرجع الخضر الى صوتها وان أصحابه فركب وقال لاصحابه سيروا على اسم الله وان ذا القرنين مر فأخطأ الوادي فسلكوا ثلاث الظلمة في أربعين يوما ثم انهم خرجوا الى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والارض معمورة مملوءة خشخاشية فاذا هم بقصر مبني في تلك الارض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين بعسكره ثم انه خرج وحده حتى دخل القصر فاذا لحديدة قد وضع طرفاها على جانب القصر من ههنا وههنا واذا طائر أسود يشبه الخطاف مزموما بانفه الى الحديدة معلقا بين السماء والارض فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين فقال من هذا قال أنا ذو القرنين فقال الطائر يا ذا القرنين ما كفاك ما رأيت حتى وصلت الى ثم قال يا ذا القرنين حدثني فقال سل فقال هل كثر بناء الجص والآجر في الارض قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة ثم قال يا ذا القرنين هل

غلامها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في المدة اليسيرة كما ينبت المولود في المدة الطويلة وقال ابن جريج وأنبتها لهم في غداء بارد رزقها بانا حتى تمت أمر أنبياء نسة قالوا فلما ولدت مريم أخذتها أمها منه فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم يومئذ ثلاثون في بيت المقدس كما يلي اليوم أمر الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها منكم لان عندي خالتها فقالت له الاحبار لا تفعل ذلك فانا قد تركنا لك حق القاسم واقترعوا بالاقلام التي يكتبون بها التوراة في الماء فارتفع قلم زكريا فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في الماء فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا وقال السدي بل ثبت قلم زكريا فوق الماء كأنه في طين وجرت أقلامهم مع جريان الماء فذهبت بها الماء وقرعهم زكريا عليه السلام وكان رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا يعني ضمها إليه وقام بأمرها وقال ابن اسحق فلما هاج بها ما يهاج بالنساء حملها إلى خالتها أم يحيى وامرأة عمران هي أم مريم بنت عمران فمكثت عندها حتى إذا أدت أو بلغت النساء بنى لها محرابا أي غرفة في المسجد وجعل بابه إلى وسطها لا يرقى إليها الا على السلم وهي التي يقال لها باب الكعبة فكان لا يدخل عليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها في كل يوم وكان زكريا عليه السلام إذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب فإذا دخل عليها فرأى عندها رزقا أي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف قال لها أنى لك هذا فتقول هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فعند ذلك طمع زكريا في الولد فدعا ربه وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها ما رأيت من أين لك هذا فتقول هو من عند الله قال الحسن وكانت هي سميته بأبيها رزقها (وقال غيره) ابن اسحق ثم أصابت بني اسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها ثم نهض زكريا حين علم فزع بني اسرائيل وقال يا بني اسرائيل تعلمون والله اني لقد كبرت وضعفت من حمل أمركم وان ابن عمي يعني بابنه يحيى لمن أحب الناس إلي وقد علمتم ما كان يصنع بي وبأهلي وقد أحببت أن تنطلقوا معي إليه لعله يدعو الله لنا فيرحمنا فيكشف عنا ما نحن فيه من البلاء فانطلق بهم زكريا حتى أتى باب يحيى فقرعه فخرجت إليه امرأته فقالت ما جاء بكم إلى بابي وقد علمت ما بيني وبين زوجي فقال زكريا دعي لنا زوجك يخرج إلينا فقالت له ما أنت بأحق بهذا منك ولا أصابنا من البلاء ما أصابك فانصرفوا عنها فلم يجدوا من يحملها فقاموا على الباب فخرج يحيى عليه السلام فلما رأته المرأة أغلقت الباب دونه فأتى يحيى صالح فجاء من بني اسرائيل يقال له يوسف من يعقوب بن ماثان وكان ابن عم مريم فحملها على حمار وخرج إلى مريم في وجهه هذا وذلك على مسافة ثلاثة أيام من بيت المقدس فلما أتاها قال لها يا مريم أنا يوسف أحمل إليك ما يحمل النساء وذلك أنه لم يكن في بني اسرائيل نساء منذ حبست مريم في المحراب غيرها فحملها يوسف على حمار فأتى بها أرضا بلقع ليس بها أنيس فأنزلها في أصل نخلة وكان ذلك في زمان الشتاء فألجأها المخاض إلى جذع النخلة فوضعت عيسى عليه السلام وليس معها أحد غير الله تعالى

أرجحه فقرسا من خواص خيله وأمر منادياً ينادي بين يديه ويقول هذا محمد أعز مولاه فأراد هو وذلك هارون فلم يقدر ثم زاد ذا حسنا

(مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام)

وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار عبرت بنو اسرائيل بعد موسى بهم من أرض بابل الى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم تزالوا يحدثون الاحداث ويعبدون الله على ما نهاهم عنه فضلله ورحمهم وبعث فيهم الرسل فمنهم من يكذبون وفريقا يقتلون كما قال الله تعالى حتى كان من بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام *(نسب زكريا عليه السلام)*

هو زكريا بن يوحنا بن مسلم بن صدوق بن يحسان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقين بن ناخور بن سلوم بن شفاط بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام

(باب في ذكر مولد مريم عليها السلام وتحريرها)

قال الله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا الآيات قال المفسرون هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبي موسى اذ بين هما ألف وثمانمائة سنة وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وأحبارهم وملوكهم وقال ابن اسحق هو عمران بن ياشهم بن آمون بن منشان بن حزقيل بن أحريق بن يوام بن عزاريا بن امصيا بن ناوس بن توباس بن يارض بن رحم وشافاط بن رادم بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام وكانت القصة في ذلك أن زكريا بن يوحنا وعمران بن ماثان كانا متزوجين بأختين اسم احداهما عند زكريا بن يوحنا وهي ايشاع بنت فاقوذ أم يحيى وكانت الاخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم وكان قد أمسك الولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ نظرت طائرا يطعم فرخا فتحركت عند ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه محررا وشكرا فحملت بمريم عليها السلام فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقالت رب اني نذرت لك ما في بطني محررا أي عتيقا من الدنيا وأشغالها خالصا لله تعالى وخادما لبيتك المقدس حتى اعلم ما عذرها لعبادتك ونيابتها فتقبل مني انك أنت السميع العليم قالوا وكان المحرر اذا حرر ونذر جعل المحرر والمحررة في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث شاء وان أراد أن يخرج بعد التحرير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون خروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بني اسرائيل وعلمائهم الا من في نسله محرر ببيت المقدس ولم يكن محررا الا الغلمان وكانت الجارية لا تحرر لذلك ولا تصلح لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما في بطنها فلما علمت ذلك قالت لها زوجها عمران ويحك انما ولدت أرأيت ان كان في بطنك أنثى وليس هو مما تصلح لذلك فوقعت بما جاءها من ذلك فقالت عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذا هي جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما فتحرره فقالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى أي في خدمة الكنيسة والعبادة فيها العذراء وضعتها وما يعتريها من الحيض والنفاس والاذى واني سميتها مريم وهي بالعبرانية العابدة والخادمة وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن في وقتها (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم واني أعيذها أي أجيرها وأمنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (أخبرنا) عبد الله ابن حامد باسناده وأخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن هرون باسناده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (وأخبرنا) شعيب بن محمد باسناده عن قتادة قال كل آدمي يطعن الشيطان في جنبه حين يولد الا عيسى وأمه عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصابت الطعنة الحجاب ولم يخلص اليهما منه شئ قال وذكر لنا أنهما كانا لا يسيئان من الذنوب كما يصيب سائر بني آدم قال الله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن الهاء راجعة الى النذيرة أي فتقبل الله النذيرة أي مريم من حنة وانبتها نباتا حسنا يعني سوى

الذى يكون منه الولد فقال أنى يكون لى ولد أى كيف يكون لى ولد أتجعلنى واصراتى شابين أم ترزقنى ذلك على كبرنا أم ترزقنى من امرأة غيرها من النساء فقال ذلك منكم الامنكر اوهذا قول الحسن قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام وتقبل على عبادتى وطاعتى لانه حبس لسانه عن الكلام ولكنه لم يمنعه ذلك عما يليق به قوله تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار هذا قول قوم من أهل العلم وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة أيام الا بالرمز أى اشارة وعلى هذا أكثر المفسرين وقال عطاء أراد به صوم ثلاثة أيام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والرمز ما قاله يحيى بن زكريا عليه السلام وفى بعض الاخبار أنه لما ولد يحيى رفع الى السماء فتغذى بانهار الجنة حتى فطم ثم أنزل الى أبيه وكان يغشى عالبيت لنوره وحسن وجهه وجماله

(باب فى صفته وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان يحيى بن زكريا عليهما السلام حسن الوجه والصورة لين الجناح قليل الشعر هيرا الاهاب طويل الانف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير الدمعة قوياً فى طاعة الله تعالى وفساد الناس فى عبادة الله وطاعته

(فصل فى نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده)

قال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا قيل ان يحيى قال له أخوه من الصبيان يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وقال آخرون انه نبى صغير فكان يعظ الناس ويقف لهم فى أعيادهم وجمعهم ويدعوهم الى الله تعالى ثم سار ودخل الشام يدعو الناس ويبلغهم الله تعالى الى بنى اسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال ويضرب لكل خصلة منها مثلا أمرهم أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيأ وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله ثم أسكنهم دارا له ودفع لهم مالا يقتنون فيه وأمرهم أن كل واحد منهم يكتسب ثم يؤدون اليه فضل الربح فجعل العبد الى فضل الربح يدفعونه الى عدوه يستعينهم وأمرهم بالصلاة قال الله تعالى الى آخر وجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه فاقبل الملك عليه يوجهه ليسمع مقالته ويقضى حاجته فجاء دخل عليه الرجل التفت عن يمينه وشماله ولم يتم حاجته فاعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدو فاشترى منه نفسه بمال معلوم فجعل يعمل فى بلادهم ويؤدى اليهم من كسبه الفلل والكثير حتى أوفى ثمنه فاعتق وأمرهم بذكر عز وجل وقال مثل الذكر مثل قوم لهم عدو ولهم حصن فاذا أقبل اليهم عدوهم دخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان وأمرهم بالصيام وقال مثله كمثل الجنة لا تدع عدوه يصل اليه وتسترة (وأما سيرته) فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس فنظر الى المجتهدين من الاحبار والرهبان وعلمهم مدارع الشعر والوفى والوبر والصوف واذاهم قد خرقوا أثوابهم وعلكوا أنيابهم الى الملاسل وشدوا بها الى سواري المسجد فانظر الى ذلك أتى أمه فقال يا أماه ائتنى لى مدرعة من شعر وبرنسا من صوف حتى آتى بيت المقدس وأجتهد اجتهاد الاحبار والرهبان فقالت له أمه حتى يأتى نبى الله زكريا عليه السلام فأوامره فى ذلك فلما دخل زكريا المحراب قال لها يحيى فقال له زكريا يا بنى ما يدعوك الى هذا وانما أنت صبى صغير فقال له يا أبت ما رأيت من هو أصغر منى فذاق الموت قال بلى فقال له أمه حتى يأتى نبى الله زكريا عليه السلام فأوامره فى ذلك فلما دخل زكريا المحراب قال لها يحيى فقال له زكريا يا بنى ما يدعوك الى هذا وانما أنت صبى صغير فقال له يا أبت ما رأيت من هو أصغر منى فذاق الموت قال بلى فقال لامه ائتنى لى مدرعة من شعر وبرنسا من الصوف فجعل يتقرع بالدرعة على رأسه ويضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل يسبح الله تعالى فلما كان ذات يوم الى ما قد دخل من جسمه فبكى فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى أتبكى على ما قد دخل من جسمك وبدنك ولو اطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدارع الحديد فضلا عن الصوف فبكى يحيى حتى أكلت الدموع ما تحت مآقيه وبدت للناظرين أضراسه فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا يجمع الاحبار والرهبان فقال لزكريا يا بنى يحيى ما يدعوك لهذا يا بنى افعل ما أشير به أن يجعل الله تعالى التقرب الى عيسى قال أبت أمرتنى بذلك يا أبت قال نعم قال وما قال ألست القائل ان بين الجنة والنار عقبة كؤدا لا يقطعها الا الباكون من خشية الله تعالى قال بلى قال فقد اجتهد وقام فنفض مدرعته فأتت له أمه فقالت أتأذن لى يا بنى أن أخذ لك قطعتين من لبد يواريانه أضر اسك ويشفقان

قال فلما سمع الشاب كلامه ما قال أما من ذلك معذرة والتوبة من ذلك أول فقالت أتدرى ما على وجهه فقال لا أعلم فى بيته فهو لهم فلما أتته قصدته فلما أن أخبرته أنا من البيت قال فقد دخل الغلام به فدخل البيت (قلت) هذا الشيخ هو عبد الرحمن الناصح العابد بالله تعالى شاهد من الشباع الذكور بعد مازهد فى الدنيا وترك المال ودخل فى طريق القوم رضى الله عنهم وحد تقدمت ترجمته فى هذا المجموع رضى الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته فى الدنيا والآخرة آمين

(شعر)

فلو كان النساء كمن ذكرنا
لفضلت النساء على الرجال

فالتأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

(وحدث عن سهل) بن عبد الله التستري رضى الله عنه) أنه قال أربع ما رأيت من العجائب والاكرام الا فى يحيى بن زكريا عليهما السلام يوما من الايام الحر شديد فى شهر من شهور الصيف فى بلد الشام كنت قاعدا بفناء الهيكل فى ظل الشمس وبيدى قارورة فيها ماء فلما كان قريبا من وقت الظهر قمت لاتوضأ فاردت الصلاة فاردت الوضوء وكان معى ماء فى قارورة فلما أردت أن أتوضأ صببت الماء فاذا هو قد صار ثلجا شديدا وهو فى شهر من شهور الصيف فلما رأيت ذلك علمت أنه أكرم بذلك يحيى بن زكريا عليهما السلام

(باب في مولد يحيى بن زكريا عليه السلام)

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت العلماء باخبار الانبياء لما رأى زكريا عليه السلام ان الله يرزق مريم الفاكهة في غير حينها قال ان الذي قدر على أن يؤتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولدا على الكبر فطمع في الولد وكان أهل بيته قد انقرضوا وزكريا قد شاخ وأيس من الولد فهنالك أي فعند ذلك دعا زكريا ربه قال رب هب لي أي أعطني من لدنك ذرية طيبة تسلا نقيا صالحا وتقيا انك سميع الدعاء فنادته الملائكة يعني جبريل وذلك ان زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول فبينما هو في محرابه عند المذبح قائم يصلي والناس ينتظرونه أن يأذن لهم بالدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض فنزع منه فنادا وهو جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى واختلفوا فيه لم سمي يحيى قال ابن عباس لان الله تعالى أحياه بعقر أمه وقال قتادة وغيره لان الله تعالى أحياه بالايمان والنبوة وقال الحسن بن الفضل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهم بمعصية دليله ما أخبرني به الحسن بن فنجويه باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يلقى الله عز وجل الا قد هم بخطيئة أو عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعمل (قال الاستاذ وكان شيخنا) أبو القاسم الجنيد يقول سمي بذلك لانه استشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون قال النبي صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا قتلته امرأة وسمعت أبا منصور الخشاري يقول قال عمر بن عبد الله المقدسي أوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام أن قل ليسارة وكان اسمها كذلك انى مخرج منك عبدا لا يهم بمعصيتي اسمه يحيى فوهبت له من اسمك حرفا فوهبت له أول حرف من حروف اسمها الياء فصار يحيى وصار اسمها سارة فصدقا بكلمة من الله يعني عيسى عليه السلام فسمي كلمة لان الله تعالى قال له من غير أب كن فكان فوقع عليها اسم الكلمة لانه بها وجد ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وذلك ان أمه كانت حاملة به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها أم يحيى يا مريم أحامل أنت فقالت لها أتقولين هذا قالت اني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك تصديقه له وايمانه به وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وذلك أن مولد يحيى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى الى السماء وسنذكره قال سعيد بن المسيب وسيد السادة الفقيه العالم وقال سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل وقال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال عكرمة الذي لا يغضب وقال سفيان الذي لا يحسد ويحصور اقال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل يعني أنه حصر نفسه عن الشهوات وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذي لا باءة له ودليل هذا التأويل ما أخبرني به ابن فنجويه باسناده عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذب عليه ان شاء أو يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم أومأ النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فأخذها قال وكان ذكره مثل هذه القذاة قال المدني الحصور الذي لا يدخل في اللعب ولا الا باطيل قالوا فلما نادى جبريل زكريا بالبشارة قال رب أي يا سيدي قاله لجبريل هذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن بن الفضل انما قال زكريا يا رب لله لا لجبريل أني يكون لي غلام من أين يكون لي ولد وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر لا تلد عقيم قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فاجيب كذلك الله يفعل ما يشاء فان قيل لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة أكان ذلك شكا في وحيه أم انكار القدرته وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الايمان فكيف الانبياء فالجواب عنه ما قال عكرمة والسدي ان زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس من الله وانما هو صوت الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لأوحاه اليك خفية كما نادتك مريم وكما يوحى اليك في سائر الامور فقال ذلك ليدفع الوسوسة وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك في الولد وانما شك في كيفيته والوجه

فذبحه فيه فنبعت من دمه قطرة فلم تزل تغلى حتى بعث الله عز وجل بختنصر عليهم فقاتلهم بقومه من بنى اسرائيل فدلته على ذلك الدم فألقى الله فى قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين ألفا منهم على سن واحد ليسكن فقتلهم فسكن (وقال السدى) باسناده كان ملك بنى اسرائيل بكرم يحيى بن زكريا ويدنى مجلسه ويستشيره فى أموره ولا يقطع أمرا دونه وانه هوى أن يتزوج ابنة امرأته فسأل عن ذلك يحيى فنهاه عنه وقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها من الحلى والبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه رأس يحيى بن زكريا فلما عرض له فاذا رادها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله فاذا أعطاها ذلك سألته أن يأتيها برأس يحيى بن زكريا ففعلت ذلك وجعلت تسقيه وتتعرض له فلما أخذ منه الشراب رادها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطينى ما أسألك قال وما تسألينى قالت أن تبعث الى برأس يحيى بن زكريا فى هذا الطشت قال فبعث سلينى غير هذا قالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه بعث اليه فأتى برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك فلما أصبح اذا دمه يغلى فأمر بتراب فألقى عليه فارتفع الدم فوقه ولم يزل يغلى ويأتى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلى وذكر الحديث الطويل الذى فى قصة سنحاريب وبختنصر كما قدمنا ذكره فى أخبار بختنصر (وقالت علماء النصارى) الذى قتل يحيى ملك من ملوك بنى اسرائيل يقال له هيردوس بسبب امرأة يقال لها هيردويا كانت امرأة أخ له يقال له فلقوس عشقها فواقعها على الفجور فنهاه يحيى وأعلمه أنه لا تحل له فسألت المرأة هيردوس أن يأتيها برأس يحيى فلما فعل ذلك سقاها فى يديه وجزع جزعا شديدا (قال كعب الاحبار) كان يحيى من أجل الناس وجها وأحسنهم فى زمانه فأحبته امرأة الملك الذى كان فى زمانه حبا شديدا فأرسلت اليه تراوده عن نفسه فأرسل اليها انه لا علم له بالنساء والملك أحق أن يطأ فراشه فلما انتهى اليها الرسول غضبت غضبا شديدا وقالت كيف لى أن أقتله ولا يغير الناس ان قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا فأرسلت اليه وهو قائم يصلى فى بيت المقدس فى محراب داود من يضرب عنقه ويأخذ رأسه فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بهم وبأهلها الارض عقوبة لها بقتلها يحيى عليه السلام

(ذكر مقتل زكريا عليه السلام)

(قال كعب الاحبار) فلما سمع زكريا أن ابنه يحيى قتل وخسف بالقوم انطلق هاربا فى الارض حتى دخل ستانا عند بيت المقدس فيه الاشجار فناداه شجر يا نبى الله الى ههنا فلما أتاها انفتحت له الشجرة ودخل زكريا فى وسطها فانطبق ابليس لعنه الله حتى أخذ بطرف ردائه فخرج من الشجرة ليصده واذا أثر هم فاذلك صنع اليهود الخيوط فى أطراف أرديتهم لا يدرون لما أمروا بذلك وأخذ الملك وأهله يأتون زكريا فاستقبلهم ابليس لعنه الله تعالى فقال لهم ما تلتمسون قالوا نلتمس زكريا فقال ابليس لا تدخل فى هذه الشجرة قالوا لا نصدقك قال فانى ان أريتكم علامة تصدقونى بها قالوا فان أريتنا فاننا نصدقك فأراهم طرف ردائه فاندفعوا الى الشجرة فنشروها بالمناشير فلما ضربوا الشجرة فنشروها نصفين فسلط الله عليهم أشبت أهل الارض على الارض يا فلانة انتقم لنبيه من بنى اسرائيل بدم يحيى وزكريا فقتل عظماء بنى اسرائيل وسبى منهم مائة وسبعين ألفا (وقيل) ان السبب فى قتل زكريا أن ابليس جاء الى مجالس بنى اسرائيل فتفقد بنى زكريا وقال أين محلها أحد غير زكريا وهو الذى كان يدخل عليها فطلبوا زكريا وهربوا منها وهم وأثارهم فسلك واديا كثير الاشجار فتشبه له الشيطان بصورة راع فقال يا زكريا قد أدركوك فادع الله أن يفتح لك هذه الشجرة فعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها وأخرج ابليس هدبة من ثوبه فمزقت بنو اسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعى هل رأيت رجلا ههنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هدبة ثوبه فقطعوا الشجرة مع زكريا وقطعوها قطعتين بالمنشار طولا فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه وفى الخبر أن الشمس بكت على يحيى بن زكريا صباحا وكان بكاؤها أن طلعت وغربت حمراء وروى أن يحيى سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله أعلم

(مجلس فى مولد عيسى عليه السلام وفى حمل مريم لعيسى عليهما السلام وما يتصل به)

فقلت يخير أفضل الله فصرت متحيرا فى معرفته فلم أعرفه فبينما أنا كذلك اذ أخذنى حر قول فاز بحسى ذلك وصرت متحيرا فى أمرى فان قمت تغلبت وغاب الناس عنى وان جلست لم أتمكن من الصلاة قال سهل فالتفت الى الشاب وقال يا سهل أتدرى ما حر قول قلت نعم يا سيدى قال فنزع رداءه عن منكبيه وغطانى به وقال قم اقض ما جئت وأسرع لتدرك الصلاة قال فغارت فاذا باب مفتوح وقائل يقول لى الباب يرحمك الله فولجت الباب فرأيت صحرا مشيد البناء شاهق الاركان واذا بخيلاء قائمة واذا بنهر ماء أصفى من الشهد واذا بشقة مطلية وسوسن الآلئ من الدر قال سهل فعجبت من ذلك ثم جلست لباسى وأردت الماء واغتسلت وتشقحت ولبست أثوابى فسمعته ينادينى ويقول ان كنت قد بليت أو بلك فقل نعم فطلعت فنزع الرداء عنى فاذا أنا جالس فى مكانى ولم يشعر بى أحد فصرت متفكرا فى نفسى متعجبا مما رأيت وصرت أكذب نفسى

دموعه على فقال لها سألتك فاخذت له قطعتي لبد ولوبان أمر أسه دموعه فبكى حتى ابتلت من دموع عينيه ثم أخذهما فعصرهما فتحدرت الدموع من بين أصابعه فنظر زكريا الى ابنه والى دموعه فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم ان هذا ابني وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين وكان زكريا اذا أراد أن يعظ قومه أو يذكرهم لبس المسح وتنكر ثم أتاهم فاذا رأى يحيى لا يذكر جنة ولا نارا فجلس يوما بني اسرائيل وأقبل يحيى عليه فنكس رأسه بعباءته وجلس في غمار القوم فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فالتفت أيقول حدثني حبيبي جبريل عن الله عز وجل أن في جهنم جبلا يقال له السكران في أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان فحق على الرحمن تبارك وتعالى في ذلك لواد حين خلقه مائة عام في ذلك الجب قوابيت من نار في تلك القوابيت صناديق من نار وثياب من نار وأغلال من نار فرفع يحيى رأسه وقال واغفلتاه عن السكران وعن غضب الرحمن ثم خر مغشيا على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها يا أم يحيى قومي فاطلبي يحيى فاني قد تخوفت أن لا أراه الا وقد ذاق الموت فقامت وخرجت في طلبه فرت بفتيان من بني اسرائيل فقالوا لها يا أم يحيى أين تريدين قالت أطلب ولدي يحيى ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فغشت أم يحيى والفتية معها حتى مر بهم على غنم فقالت يا راعي هل رأيت شابا من صفته كذا وكذا قال لعلك تطلبين يحيى بن زكريا قالت نعم ذلك ولدي ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فقال تركته الساعة على عقبة كذا وكذا قاعدا قد مسه في الماء فاصابه صره الى السماء يقول وعزتك يا مولاي لا أذوق بارد الشراب حتى أتفار الى منزلي منك فأقبلت أمه فلما رأته دنت منه فأخذت برأسه فوضعته بين يديها وناشدته بالله أن ينطلق معها الى المنزل فانطلق معها الى المنزل فقالت له هل لك أن تطعم مدرعتك الشعر وتلبس مدرعتك الصوف فانه آلين فتفعل ثم انها طبخت له عدسا فأكل واستوفى مذهبه النوم فلم يقم لصلاته فنودي في منامه يا يحيى أردت دار الخبر امن داري وجوار الخير امن جواري فاستيقظ وقام وقال رب أقلني عثرتي وعزتك لا أستظل بظل سوى بيت المقدس ثم قال لامه ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت أنكما متوراني الهالك فتقدمت اليه أمه ودفعت اليه المدرعة وتعلقت به فقال لها زكريا يا أم يحيى دعيه فان ولدي قد كشف له عن قناع غفلته ولن ينتفع بالعيش فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس فأقبل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى كان من أمره ما كان والله أعلم

(باب في مقتله عليه السلام)

اختلف العلماء في سبب قتله فقال بعضهم كان يحيى عليه السلام في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل وكان له امرأة وهي ابنة ملك صيدا وكانت قتالة للانبياء والصالحين وكانت عاهرة تبرز للناس وكان يحيى يزجرها عن ذلك ويقول لها لا تبرزي كاشفة وجهك وكان كثيرا ما يقول لها مكتوب في التوراة أن الزناة يوقفون يوم القيامة وريحهم أنتن من الجيف فأمرت يحيى فحبس وكان فد سبى رجل من أبناء الملوك وكان كثيرا ما يأتيها ويأتيها بالليل فعلم بها وبه يحيى فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك فعملت بنتها لها واستقبلت بها زوجها فقال لها لم فعلت ذلك فقالت وجب لها علينا حق فقل على ما شئت فقالت البنت أسوة بمن سلف أهل الحبس أصنع بهم ما شئت فقال أبوها أنها توهمهم وتستروهم فقال أبوها قد فعلت فأمرت أمها بأهل السجن فجمعوا عليها فلما رآهم يحيى أمرت به فذبح وأخذ رأسه في طشت ثم حملت الطشت الى أبيها بأمر أمها وقالت أيم الملك اني قد بعثت لك بذبيحة من أعظم ما وجدته ولو كان مثله ألف لبعثتهم لك قال وما هو قالت يحيى بن زكريا فقال هلكت وأهلكت أبو يك فغير الله ما بهم من النعم وسلط عليهم عدوا فذبح البنت وأولادها وسلط عليهم الكلاب والسباع حتى أكلتهم (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس قال وكان مما نهوهم عنه نكاح بنت الاخ وكان الملك هم بنت أخ تجبه يريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة عنده يقضيها لها فلما بلغ أمها أنه ينهى عن نكاح بنت الاخ قالت لابنتها اذا دخلت على الملك فسألك عن حاجتك فقولي حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألها عن حاجتها فقالت حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فقال لي غير هذا فقالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا ودعا بطشته

السلام فسألاه عما جرى بينهما من هذا الحديث فقال سهل ما لكم في هذا الحديث حاجة اشتغلوا بالله تعالى ثم التفت الى الحالف وقال له امسك عليك زوجك ولا تفضحه بذلك أبدا بعد ذلك ثم مضى الى الجزيرة المذكورة هاربا من الناس عفا الله تعالى عنه وسقاه وبركنه آمين *(وحكى عن نادمة رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها) انها قالت كانت رابعة العدوية تصلي الليل كله فاذا طلع الفجر هجعت هجعة في مصلاها حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول اذا وثبت من مرقدها وهي فزعة يا نفس كم تنامين والى كم تقومين وشك انك تنامين نومة لا تقومين منها الا لصرخة يوم النشور فكان هذا دأبها حتى ماتت رحمة الله تعالى عليها (قالت) نادمة رضي الله تعالى عنها لما حضرت وفاة رابعة أحضرتني ثم قالت يا نادمة اذا أنا مت فلا تعلمي بموتي أحدا وكفنيني في جبتي هذه وكانت جبة من شعر كانت تقوم فيها اذا نامت عيون الناعسين فالتمسي فكفنيني فيها وفي خمار من صوف فلما دفنتها رأيتها في المنام وعليها حلة تخضر لها عن استبرق وخمار من سندس

و يوسف هذه وقد أفصح فيها عيسى ودعا الخلق الى الله تعالى ثم نقل من هذه الى القمامة وهي كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس يدعون ان عيسى عليه السلام لما قتل دفن بها وبعد ثلاثة أيام عرج به الى السماء ولا ينقطع أبد الدهر منها وانه ينزل فيها والله أعلم *(باب في ذكر ميلاده عليه السلام)*

قالوا فلما أتمت مريم ودنا نفاسها أوحى الله تعالى اليها أن اعتزلي البيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذي طهر ورفع ليذكر فيه اسمه فابرزي الى موضع نائي فيه فتحولت مريم الى بيت خالتها أخت أمها أم يحيى فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها فالتزمتها فقالت امرأة زكريا يا مريم أشعرت أني حبلى قالت مريم وأنت أيضا شعرت أني حبلى قالت امرأة زكريا فاني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك وذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله فلما وافت بيت خالتها أوحى الله اليها الا تلدان ولدت بين أظهر قوم لا عيرون ولا عاذون وولدك قاطعني من عندهم أي فاخرجي * وقال الكلبي قيل لابن عباس ان مريم حملت من الزنا الا تى يقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها حتى نزل بها بين الاكاف شئ فانطلق بها يوسف حتى اذا كان قريبا من أرض مصر في منقطع بلاد فوجدها أدركها مريم النفاس فالجأها الى أصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشتاء (قال الكلبي) لما كان يوسف ببعض الطريق أراد قتلها فاتاه جبريل عليه السلام فقال له انه من روح القدس فلا تقتلها واختلف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لانه لم يعش مولود لثمانية أشهر غير عيسى وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة (وقال ابن عباس) ما هو الا أن حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع والانتهاء الا ساعة واحدة لان الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا قال الله عز وجل فحملته فانتبذت به مكانا قصيا أي بعيدا من قومها وقال مقاتل حملته أمه في ساعة وولدته في ساعة ووضع في ساعتين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى قالوا فلما استقبح الخاض التجأت الى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف ولا عروق فاحتوشتها الملائكة وكانوا صفوفا قد رفعن بهم أي يحيطون بها وكانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الامر بها التي سمعت قبل هذا وكنت نسيا منسيا أي بعيدا من قومها قالة فردت أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فاذا رأيت من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا فاناداها من تحتها أن لا تحزني من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن أمه ناداها ولكل هما بأذن الله تعالى قالوا ان الله تعالى أجرى الله لهما نهرا من ماء عذب باردا واذا شربت منه مريم قالوا واذا استعملت ذلك وقوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الارض فظهر الماء وعيست تلك النخلة بعد يبسها فتدلت عسوقها أو ورقت وأثمرت وأمر جبريل عليه السلام مريم أن تجتني الرطب أي تجذبه اليها هزي اليك بجذع النخلة أي حركيه تساقط عليك رطبا جنيا عساطريا قال الربيع من نحيمها ما لقطف عندي يعني من الرطب ولا الجني يعني يابسه العسل وقال عمرو بن ميمون ما أدري للمرأة اذا عصرت عليها ولادتها خيرا من الرطب وقرأ هذه الآية قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح التمر بعضه بعضا ويقول به أولادا الصحابة حين يولدون وقال بعض البلغاء في وصف التمر له الصغير ونعم له الكبير قالوا ثم ان يوسف أشار بعصاه الى جانب من جوانب الكثيب فانبجس منها الماء فشربوا منها واغتسلوا وسقوا دوابهم وحملوا ما احتاجوا اليه ثم كسر لها سبع بروزات كانت في حجره فاطعمها اياها فمن أجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز (قال وهب) فلما ولد عليه السلام أصبحت الاصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤسها فعرفت الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاؤا الى ابليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له في بحيرة حمراء يقال لها العرش يوم كان على الماء فاقاموا عنده خمس ساعات من النهار فلما رأى ابليس اجتماعهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعا عنده قط قبل تلك الساعة وانما كان يراهم أشتاتا فسألهم فاخبروه بأنه حدث في الارض حدث فاصبحت الاصنام كلها منكوسة على رؤسها فقال لهم ابليس اعتمدوا الله بالحمد التي كفانا الله فيها ما أراد الصوفي قالت له زعموا عني وادلهمت هذا الذي رأيتموه لشأن كفاني

قال الله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قالت العلماء باخبار الانبياء لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام ومريم يومئذ بنت خمس عشرة سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم في المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكان رجلا حليما تجارا يتصدق بعمل يده وكان يوسف ومريم يليان خدمة الكنيسة وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التي فيها الماء فيستقيان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل عليه السلام وكان أطول يوم في السنة وأشده حرا نفد ماؤها فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف فنستقي فقال ان عندي لفضلا من ماء أكتفي به يومي هذا الى غد قالت ولكني والله ما عندي ماء فانطلقت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثني اليك لاهب لك غلاما زكيا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا أي مؤمنا مطيعا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه علمت ان التقي ذو رحمة وخشية وهي تحسبه رجلا من بني آدم قال عكرمة وكان جبريل عرض لها في صورة رجل شاب أمرد سبط الوجه جعد الشعر سوي الخلق قالت لم تكلما انما أرسله الله تعالى في صورة البشر لئلا تبعث مريم عليها ولا تقدر على استماع كلامه ولو نزل على صورته التي هو عليها لفزعت ونفرت منه ولم تقدر على استماع كلامه فلما استعاذت منه مريم قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين الآية فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ جيب درعها وكانت قد وضعته عنها فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت الى المسجد * وقال السدي وعكرمة كان مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد ما دامت طاهرة فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا أي مشرقا لانه كان في الشتاء في أقصر يوم في السنة (قال الحسن) انما اتخذ النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكانا شرقيا فاتخذت فضربت من دونهم حجابا أي سترا وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هي كذلك في تلك الحالة اذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ في جيب درعها قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها وقرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد وكان لخدمته فضل عظيم وكانا يليان معالجته بانفسهما وتجميره وتطهيره وكان لا يعلم في زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف النجار فلما رأى الذي بها استعظمه واستفظعه ولم يدر ماذا يصنع من أمرها وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة واذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه اياها أن قال لها انه قد وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على أن أكتمه فغلبني ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدري فقالت له قل قولا جميلا قال لها أخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل نبتت شجرة بغير غيث قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر انما يكون من الزرع الذي أنبته من غير بذر ألم تعلم ان الله تعالى أنبت الشجر من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق الله كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر أن ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته قال يوسف لها الا أقول هذا ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء يقول للشيء كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم أن الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع في نفسه ان الذي بها شيء من أمر الله وانه لا يسعه أن يسألها عنه وذلك لما رأى من كتمانها ذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها ونتوء بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس * وسمعت من الثقات ان قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين السلوان وسألت بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التي خدمت فيها مريم

يرجعوها فلما تكلم عيسى تركوها قالوا ثم لم يتكلم بشئ بعد هاحتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

(باب فى ذكر زويج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر)

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قالوا كان مولد عيسى بعد مضى اثنين وأربعين سنة من ملك أغسطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة فى ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة فى الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس فلما عرف هردوس ملك بنى اسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا الى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم فى كتاب لهم فبعث الله ملكا الى يوسف النجار وأخبره بما أراد هردوس وأمره أن يهرب بالغلام وأمه الى مصر وأوحى الله الى مريم ان الحق بمصر فان هردوس ان ظفر بابنك قتله فاذا مات هردوس فارجعى الى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهى الربوة التى قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين (ذكر أبو اسحق الثعلبى) فى التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله بن سلام هى دمشق وقال أبو هريرة هى الرملة وقال قتادة وكعب هى بيت المقدس وقال كعب هى أقرب الارض الى السماء وقال أبو زيد هى مصر وقال الضحاك هى غوطة دمشق وقال أبو العالية هى ايلياء وقال القرار الارض المستوية والمعين الماء الطاهر فاقامت مريم بمصر اثنى عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل فى أثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد فى منكبها والوعاء الذى فيه السنبل فى منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنتا عشرة سنة (وروى) عن محمد بن على الباقر رضى الله عنه أنه قال لما ولد لعيسى كان ابن يوم كانه ابن شهر فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب وأقعدته بين يدى المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال لها عيسى فقال المؤدب قل أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال له هل تدرى ما أبجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال يامؤدب لا تضربنى ان كنت تدرى والا فاسألنى حتى أفسر لك فقال له المؤدب فسر لى فقال عيسى الالف آلاء الله والباء بهجة الله والجيم جلال الله والدال دين الله وهو الهاهعى جهنم وهى الهاوية والواو ويل لاهل النار والزاى زفير أهل جهنم حطى حطيئاتنا لما ياعن المستهزئين كلامك من كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته سمعص صاع بصاع والجزاء بالجزاء فرشت نشرشهم حين تحشرهم أى تجمعهم فقال المؤدب لامه أيتها المرأة خذى ابنك فقد علم ولا حاجة له الى المؤدب (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين المفسر باسناده عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى أرسلته أمه ليتعلم فقال له قل المعلم بسم الله فقال عيسى وما بسم الله قال المعلم ما أدرى قال عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكته جل وعلا والله أعلم

(باب فى صفة عيسى وصلته على السلام)

قال كعب الاحبار كان عيسى بن مريم رجلا أحمر مائلا الى البياض ضليع الرأس ولم يدع من رأسه شيأ وكان عيسى يمشى حافيا ولم يتخذ بيتا ولا حليلة ولا متاعا ولا لباسا ولا زقا الا وقت يومه وكان حيثما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله وكان يخبر قومه بما يأكلون فى بيوتهم وما يدخرون لغد وكان يمشى على وجه الماء فى البحر وكان أشعث الرأس صغير الوجه زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة حريصا على عبادة الله وكان سياحا فى الارض حتى طلبته اليهود وأرادوا قتله فرفعه الله الى السماء والله أعلم

(باب فى ذكر الآيات والمعجزات التى ظهرت لعيسى عليه السلام فى صباه الى أن نبئ)

قال وهب كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة فى دار دهقان من أرض مصر وكان لها هو يوسف النجار حين ذهب بها الى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تأوى اليها المساكين فيفرق الدهقان مال من مر بابنه فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان فلما رأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه أتحبين ان أدله على ماله قالت نعم يابنى قال لها قولى له يجمع لى المساكين فى داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عند الدار جاء منهم احدهما أعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الاعمى وقال له قم به فقال الاعمى أنا أضعف عن ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك الباوحة فلما سمعوه يقول ذلك صرفوا

وتفجرت ثم تأتينى وتقول لى ألك من حاجة ياسيدى فان قلت نعم كانت معى وان قلت لا تمضى وتتبع ثيابهم ان لبس ثيابا غيرها وتصلى الى السماء

للقيام (قال) زوجوا وبنى استويا من الايام آكل وهى جالسة بجانبى فقلت تذكر أهوال يوم القيامة فقالت يا أمة نهما بطعامنا فقالت ليس أنا وأنت ممن يتغص علينا الطعام بذكر الآخرة ثم قالت لى والله استأمرته سبب الازواج انما أمرته سبب الاخوان فكانت اذا طحنت قمحا قالت كلما سيدى فانطحن الا بالتسبيح ثم قالت له اذهب فتزوج فتزوجت بثلاث نساء فكانت تعلمنى اللحم وتقول اذهبى به وتقول لى أهلا وكانت تأتينا الجن بكل ما تطلب وحسبك ان لها كرامات خارقة حتى ماتت رحمها الله تعالى وعنا بنا كرمكم الله آمين (وروى) عن عزة زوجة حبيب العجمى رضى الله تعالى عنهما انها كانت تزوجنا زوجى بالليل وتقول له قم يا رجل قد ذهب الليل وبقى بين يديك طريق بعيدة والزاد قليل وقوافل الصالحين قد سارت رضى الله عنهم أجمعين *(وقال بعضهم عفا الله عنه ونفعنا به)* تزوجت امرأة جميلة حسنة الخلق وكانت اذا صلت العشاء لبست ثيابها وتطيبت

أكرامه لأوليائه بشيء
فقلت لها مري بي يا مر
أتقرب به إلى الله عز
وجل فقالت عليك
بذكر الله تعالى فانه
يوشك أن تغبطي بذلك
في قبرك رضي الله تعالى
عنها (وحكي عن أحمد
ابن أبي الحواري عفا الله
عنه) أنه قال لم كانت
رابعة العدوية أحوال
شتى فكانت مرة
يغلب عليها الحب ومرة
يغلب عليها الانس ومرة
يغلب عليها الخوف
فكانت تنشد في الحب
هذا الشعر
حبيبي لا بعادك حبيب
وما لسواك في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصري
وشخصي
ولكن عن فؤادي
لا يغيب
ومعها في حال الانس
تقول هذا الكلام
ولقد جعلتك في الفؤاد
محدثي
وأبحت جسمي من أراد
جلوسي
فاجلس مني حيث شئت
مؤانسي
وحبيب قلبي في الفؤاد
أنيسي
ومعها في حال الخوف
تقول
وزادي قليل ما أراه
مبلغي
ألا زاد أبكى أم لطول
مسافتي

رؤسها ولم يكن شيء أعون على هلاك بني آدم منها لانهم كانوا يتحاورون في أجوافها وتتكلمهم وتدبر أمرهم ويفتنون
أنهاهي التي تكلمهم فلما أصابهم هذا الحدث صغرها في أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذ
واعلم انا لم نكن نأتيك حتى أحصينا الارض وقلبنا البحار وكل شيء فلم نزدد بما أردنا الا جهلا فقال لهم ابليس
فما يكون الأمر عظيم فكونوا مكانكم فطار ابليس عند ذلك وابث عنهم ثلاث ساعات فرفعهن بالمكان الذي ولد
فيه عيسى فلما رأى الملائكة تحدقين بذلك المكان علم ان ذلك الحدث فيه فاراد ابليس لعنه الله أن يأتيه من فوق
قال فاذا رؤس الملائكة ومناكبهم الى السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الارض فاذا أقدام الملائكة تراسية فاراد
أن يدخل من بينهم فنعوه عن ذلك يدل عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يلقاه الشيطان في
جنبيه بأصبعيه حين تولد الا عيسى بن مريم عليه السلام حجبه الله تعالى عنه فذهب يلقاه فلقاه في الحجاب قال وهب
فذهب ابليس لعنه الله الى أصحابه فقال لهم جئتكم حتى أحصيت الارض كلها مشرقها ومغربها وبرها وبحرها
وانخافقين واجوالها على وكل هذا بلغته في ثلاث ساعات ثم أخبرهم بولد عيسى وقال ما اشتملت قبله رحم أنثى على
ولد الا بعلمي ولا وضعته الا وأنا حاضرها وانى لارجو ان يضل به أكثر من يهتدي به وما كان نبي أشد على وعليكم
من هذا المولود ثم انه خرج قوم في تلك الليلة يؤمونه من أجل نجم طلع كانوا من قبل يقدرون أن مطلع ذلك النجم
من علامات مولود في كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فرواكلك من ملوك الشام فسألوه
أين تريدون فاخبروه بذلك قال فما بال المر والذهب واللبان أهدية تهدونها هذه الاشياء قالوا نعم قال لا ان الذهب
سيد المتاع كله وكذلك يهدا النبي صلى الله عليه وسلم سيد أهل زمانه ولان المر يجبر به الكسر والجريح وكذلك
هذا النبي صلى الله عليه وسلم يشفي الله به كل سقيم ومريض ولان اللبان دخانه يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره
وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يرفعه الله الى السماء ولا يرفع في زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك لذلك الملك
حدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا فاذا علمتم مكانه فاعلموني بذلك فاني راغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره
فانطلقوا حتى قدموا على مريم ودفعوا لها كان معهم من الهدية الى عليها السلام وأرادوا أن يرجعوا الى ذلك
الملك ليعلموه مكانه فلقيهم ملك وقال لهم لا ترجعوا اليه ولا تعلموه مكانه فانه انما أراد قتله فانصرفوا في طريق آخر
*وقال مجاهد قالت مريم عليها السلام كنت اذا خلوت مع عيسى عليه السلام حدثني وحدثته واذا غبت عنه
انسان سج في بطني وأنا أسمع والله أعلم

(باب في رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت لحم)

قال ثم ان جماعة من قومها لما هيأ الله تعالى لامته مريم عليها السلام أمرها ويسر الله لها أسبابه ولادتها قال
كلي يا مريم من الرطب واشربي من الماء العذب وقري عينا وطيبي نفسا فاما ترين من البشر أحدا فسألت عن
ولدك أولا ملك عليه فقولي اني نذرت للرحمن صوما أي صمتا وكذلك هو في قراءة ابن مسعود وأنس وذلك أنهم
كانوا اذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام فلن أكلم اليوم انسيا فاتت به قومها تحمله قال
الكلبي احتمل يوسف النجار مريم وعيسى الى غار فادخلهما فيه أربعين يوما حتى تعالت من نفاسها ثم جاءها
فأتت مريم تحمله بعد أربعين يوما فكلمها عيسى في الطريق فقال يا أماه أبشري فاني عبد الله ومسيحه فلما
دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا فظيعا عظيما
يا أخت هرون قال قتادة كان هرون رجلا صالحا من أتقياء بني اسرائيل وليس بهرون أخي موسى وذكروا أنه
تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بني اسرائيل كلهم يسمى هرون * وقال وهب كان هرون من أمثل بني
اسرائيل وأظهرهم فسادا فشبهوه بها كان أبوك عمران امرأ سوء وما كانت أمك بغيا أي زانية فمن أين لك
هذا الولد فاشارت لهم مريم الى عيسى أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال وهب فاتاها
ذكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى
عليه السلام وهو ابن أربعين يوما اني عبد الله آتاني الكتاب الآية فاقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيبا
للنصارى والزاما للحجة عليهم * قال عمرو بن ميمون ان مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا أن

وهذه ثياب مختلفات الالوان وقد عملت كل واحد منها على اللون الذي يصبغ به فاحب أن تكون فارغا منها وقت قدومي ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جبابا واحدا على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال لها كوني باذن الله تعالى على ما أريد منك فقسم الصباغ والثياب كلها في جب واحد فقال يا عيسى ما فعلت قال فرغت منها قال أين هي قال في الجب فقال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها في جب واحد لقد أفسدت ثلاث الثياب قال ثم فانتظر فقام فاخرج عيسى ثوبا أصفر وثوبا أخضر وثوبا أحمر الى أن أخرجها على الالوان التي أرادها فجعل الصباغ يتعجب وعلم ان ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا الى ما فعل عيسى عليه السلام فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون والله عز وجل أعلم

(باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس)

قال وهب لما مات هردوس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى الى مريم يخبرها بموت هردوس ويامرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وأمه عليهما السلام وسكنا في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تمت له ثلاثون سنة أوحى الله تعالى اليه أن برز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويداوي المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يعوذون من خوفه ففعل ما أمره به فاسبه الناس ومالوا اليه واستأنسوا به وكثرت أتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفا فمن أطاق منهم أن يمشي اليه مشى اليه ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام وانما كان بداوي بهم بالدعاء بشرط الايمان *ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى اللهم أنت الله من في السماء والله من في الارض لا اله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات وجبار من في الارض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السموات وملك من في الارض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكم من في السموات وحكم من في الارض لا حكم فيهما غيرك قدرتك في الارض كقدرتك في السماء وسلطانك في الارض كسلطانك في السماء أسألك باسمائك الكرام انك على كل شئ قدير

(باب في قصة الحواريين عليهم السلام)

قال الله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون وقال الله عز وجل واذ أوحيت الى الحواريين أي ألهمتهم ووفقتهم ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بانا مسلمون اعلم أن الحواريين كانوا أصفياء عيسى من مريم وأولياءه وأنصاره ووزراءه وكانوا اثني عشر رجلا وأسماؤهم شمعون الصفا المسمى بطرس وأندراوس أخوه ويعقوب بن زبدي ويحيى أخوه وفيلبس وبرتولماوس وتوماوس ويعقوب بن حلفا ولاوي الذي يدعى تداوس وشمعون القنعاني وهو ذا الاسخريوطي عليهم السلام (واختلف) العلماء فيهم فلم يسموا ذلك قال ابن عباس كانوا صيادين يصطادون السمك فربهم عيسى فقال لهم ما تصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال لهم ألا تصطادون معي بني نصطاد الناس قالوا له وكيف ذلك قال ندعو الى الله قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الانبياء فوقك قال نعم النبي العربي فاتبعوه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه قال السدي كانوا ملاحين قال ابن اسحاق كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا ابعثوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل انسان رغيفين فيأكلهم واذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون فقالوا يا روح الله من أفضل منا اذ اشئنا أطعمتنا واذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يعملون الثياب بالكراء قال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصعة فما كانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال الملك اني أترك ملكي وأتبعك فانطلق

ذهب ونثر عليّ اللؤلؤ الرطب وأباح لي الجنة وهذا من بعض مناقبهم رضي الله عنهم

(وحكي عن بعضهم رضي الله عنه) انه قال كنت في مركب سنة من السنين وكان في المركب رجل من أهل الخير وكان ضعيفا فلما مات أخذنا في غسله وتجهيزه وأردنا القاء في البحر فبينما نحن كذلك اذا البحر قد انشق ونزلت السفينة الى أرض كثيرة حتى انتهينا وانظرنا فاذا نحن بقبر محفور وليس فيه أحد فدفناه فيه فلما فرغنا من دفنه استوى الماء وارتفعت السفينة فتعجبنا من ذلك وسرنا رحمه الله عليه *(وحكي عن الشيخ أبي محمد الخلدي رضي الله عنه)* انه قال كنت بمكة سنة من السنين فرأيت في بعض الليالي في شهر رمضان شابا حسن الشباب يهودي على الاردن يتمشى ويتنظر في وجوهه فرأيته يصلي فتعجبت من ذلك فقال لي يا أبا سعيد أتعجب من مولى وأنت تعرف صفات الانبياء أسماءهم وان ماتوا انما والله ينتقلون من دار الى دار قال أبو سعيد فدهشت من ذلك ثم أنه لما توفي غسلته وتجهيزه ودفنه وأنا متحير في أمري متفكر فيما

مات أحمد بن حنبل رضي الله عنه رأيته في المنام وهو يمشي ويتبختر في مشيته فقلت له يا أخي أي مشية هذه فقال مشية الخدام في دار السلام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي وألبسني نعلين من ذهب آخر وقال هذا بقولك القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ثم قيل لي يا أحمد قم حيث شئت فدخلت الجنة فإذا بسفيان الثوري رضي الله عنه له جناحان يطير بهما من شجرة إلى أخرى وهو يقرأ هذه الآية الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال فقلت له ما فعل الله بعبد الرزاق الواعظ قال تركته في بحر من نور في مركب من نور رادية العز يزا الغفور فقلت ما فعل الله ببشر بن الحرث فقال يبخ يبخ ومن مثل بشر بن الحرث تركته على مائدة بين يدي الجليل وهو مقبل عليه ويقول له كل يا من لم تأكل واشرب يا من لم تشرب وتنعم يا من لم تتنعم فقلت ما فعل الله بمعروف الكرخي فقال تركته تحت العرش والحق

الاعمى حتى قام فلما استقل قائما هوى القعدد الى كوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتالا على مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه فقال الاعمى والمقعد صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فاخذه الدهقان ووضعه في خزانته وقال يا مريم خذي نصفه فقالت اني لم أخلق لذلك قال الدهقان فاعطيه لابنك قالت هو أعلم مني شأنا ثم لم يلبث الدهقان ان أعرس لابنه فصنع له عيدا فجمع عليه أهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتا من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فامر عيسى يده على أفواهها وهو يمشي فكلما أمر يده على جرة امتلأت شرابا حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنى عشرة سنة (آية أخرى) قال السدي كان عيسى عليه السلام اذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا فينطلق الصبي الى أهله فيبكي عليهم حتى يعلموا ذلك الشئ فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فجبسوا عنه بيانهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فهربوا منهم في بيت فاتاهم عيسى يطلبهم فقالوا له ليسوا ههنا فقال لهم فما في هذا البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتح عنهم فاذا هم خنازير فضاق بذلك في الناس فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر (آية أخرى) قال السدي لما خرج عيسى وأمه عليهما السلام يسيحان في الارض اذ جاء بني اسرائيل ونزلا في قرية على رجل فاضافهما وأحسن اليهما وكان ملك ذلك الوقت جبارا عنيدا فجاء ذلك الرجل يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن زوجك أراه حزينا فقالت لها لا تسأليني فقالت أخبريني لعل الله يفرج كربته على يدي فقالت ان لنا ملكا جعل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم نوبته وليس عندنا سعة فقالت فقولي له لا يهتم له بشئ فانه قد أحسن الينا وانى آمرني أن أدعوله فيكفيني ذلك ثم قالت مريم لعيسى فقال ان فعلت ذلك يقع شر قالت فلا تبالي لانه أحسن الينا وأكرمنا قال عيسى فقولي له اذا انقرب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحما ومرقا وماء الخوابي خمرا لم ير الناس مثله فلما جاء الملك أكل فلما شرب سأل من أين هذا الخمر فقال له من أرض كذا وكذا قال الملك فان حرمي قد أتي بهم من تلك الارض وليست مثل هذه فقال له من أرض أخرى فلما خلط على الملك وشبه عليه قال أخبرني على الحق قال فانا أخبرك عندي غلام ما سأل الله شيأ الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بايام وكان أحب الخلق اليه فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا فيستجاب له حتى يحيي ابني فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل لانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا أبالي بعد أن أراه قال عيسى ان أحببته تتركوني أنا وأمي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا ناموته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى وأمه (آية أخرى) قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي وكزه برجله فقتله فالقا بين يدي عيسى وهو ملطخ بالدم فاطلع الناس عليه فاتهموه به فاخذوه وانطلقوا به الى قاضي مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله القاضي فقال عيسى لا أدري من قتله وما نا بصاحبه فاراد وا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم ائتوني بالغلام فقالوا له ما تريد منه قال أريد أن أسأله من قتله قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فاخذوه وأتوا به الى مقتل الغلام فاقبل عيسى على الدعاء فاحياه الله تعالى فقال له عيسى من قتلك قال قتلني فلان على الذي قتله فقال بنو اسرائيل من هذا قال هذا عيسى بن مريم قالوا فمن هذا الذي معه قال قاضي بني اسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى أمه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له أمه يا بني ألم أنهك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو أرحم الراحمين (آية أخرى) قال عطاء سلمت مريم عيسى بعدما أخذته من الكتاب الى أعمال شتى فكان آخر ما دفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر لا أرجع الى عشرة أيام

اطعموه فقالت له امرأة عجوز أما رضي أن أدخلك الا أدخلك بالباب الذي يقول أطعموه فيه عيسى بالباب اذ أقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسى أسمعي لما تقول هذه فقال الفتى لها العجوز ذهب لله عيسى أدخلي لوفعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال له الفتى اما ان تكون عيسى وما ما لك تكون عيسى بن مريم قال أنا عيسى فاضاف ومات عنده فلما أصبح قال له اذهب وادخل على الملك فقل له أنا أحيا الميت فانه يأمر بسرير والخروج فقضى الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئتك لأحيا ابنتك فأمر بسريره فخرج الفتى الى عيسى فاخبره الخبر فقال اذا كان غدا فاذهب اليه واخطه فاذا قعد بالباب دون دلالة فقل له هل الفتى ما أصره عيسى فضربه دون ذلك الضرب الاول فرجع الى عيسى فاخبره فقال له اذهب اليه فقله وقل له أنا أزوجك ابنتي على حكمي وحكمي قصر من ذهب وفضة وما يصلح ذهب وفضة فرجع فقال له أفعل ذلك فاذا بعث معك أحدا فاخرج به فانك سوف تجده يتحدث فيه شيء ثم انه دخل على الملك فقال له ما قال فقال بعثوا بحكمي فقال وما حكمك فيكم قال الذي جاء عيسى فقال نعم رضيت ابعث من قبض دلالة فبعث معه حملا فلما علم اليهم ما سأل الملك عجب الناس من ذلك فسلم اليه الملك ابنته وعجب الفتى من ذلك وقال يا روح الله قد رأيت على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحال فقال له عيسى اني آخر ما يبقى على ما سي فقال الفتى أنا أتبعك وأصحبك فتخلى من الدنيا واتبع عيسى فانطلق عيسى يسيح وأتبعه أصحابه وقال لهم هذا الكبير الذي فاتكم فكان معه حتى العجوز الى ان مات ومر به وهو ميت على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من على أصحابه والناس الى الباب ونزل السرير على عنقه ورجع الى أهله وهو ولد له (وعنها) انه العاشر رجل كلموا أنشد الله أحدا أن يحيي لهم أن يحيي لهم أتيحيي لهم ما وقد دفنا بالامس فدعا الله عز وجل فعاشت وعاشت وولدت له اثنا (وعنها) سام بن نوح قال له الحواريون ادع لنا نعرف به صفة نوح قال لهم لو بعثت لكم من شهد السفينة صدقتموه قالوا لا نطيق ذلك قال فمن يطيق ذلك قالوا لو بعثت لنا من شهد السفينة صدقناك قال فقام وأتى قبر سام بن نوح فقال له قم باذن الله من قبرك فقام من قبره وهو شاب ليس فيه شمط فقال له عيسى أهكذا كنت يوم مت قال لا ولكني ظننت أن نفخة الصور قد قامت فمن هول ذلك يا روح الله ما شمطت فقال له عيسى ما كان شأنك حين رأيت ما رأيت فقال له سام يا روح الله ما ذكرت هول تلك النفخة منذ يوم أحياني الله الا وجدت هولها في كل يوم مرتين فخفف الله عنه بذلك وذكر هذا الخبر في قصص نوح عليه السلام (وعنها) عن رجاله قالوا لعيسى عليه السلام أحي لنا من شئت فنؤمن بك فقال لهم أي رجل تحبون أن أحيي لكم فقالوا له احي لنا سام بن نوح فقام فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فقام سام بن نوح من قبره وهو شاب ليس فيه شمط ولا هرم فقال له عيسى أهكذا كنت يوم مت فقال لا ولكني ظننت أن نفخة الصور قد قامت فمن هول ذلك

بن اتبعه منهم وهم الحواريون وقيل هو الصباغ وأصحابه وقد مضت القصة قال الضحاك سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونور هاو بياضها وبهاؤها وأصل الحور عند العرب شدة البياض ومنه الاحور والحور وقال الحسن الحواريون الانصار وقال قتادة هم الذين تصلح لهم الخلافة وقال النضر بن شميل الحواري خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير وهؤلاء حواريو عيسى بن مريم عليه السلام فاما حواريو هذه الامة فاخبرنا الحسين بن محمد الدينوري باسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال ان الحواريين كلهم من قريش وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين

(ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد مبعثه الى ان رفع صلوات الله عليه)

منها تأييد الله اياه بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس ونظيرها في سورة المائدة اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذي نفخ فيه الروح أضافه سبحانه الى نفسه تكريما وتخصيصا نحو بيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى ورروح منه فنفخنا فيه من روحنا وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة أي الروح الطاهرة وسمي عيسى عليه السلام روحا لانه لم تضمه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث انما كان أمرا من الله تعالى قال السدي وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار الى أن صعد به الى السماء وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيي الموتى ويرى الناس تلك العجائب (ومنها) تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله تعالى واذ علمتك الكتاب أي الخط قيل الخط عشرة أجزاء فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل (ومنها) خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبرا عنه أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وقال تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ولم يخلق غير الخفاش وانما خص بالخفاش لانه أكمل الطير خلقا فيكون أبلغ في القدرة لان له ثديا وأسنانا ويلد ويحيض ويطير (قال وهب) كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ثم يزعم أهل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم أن الكمال لله عز وجل (ومنها) ابراء الاكمه والابرص كما قال تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني والابرص الذي به وضح والاكمه الذي ولد أعمى ولم يرض أقط ولم يكن في الاسلام أكمه غير قتادة وانما خص هذين لانهما أعيا الاطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك (ويروى) أن عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان فقال ما هؤلاء فقيل هؤلاء قوم طلبوا القضاء فطمسوا أعينهم بايديهم فقال لهم ما دعاكم الى هذا قالوا خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بانفسنا ما ترى فقال أنتم العلماء والحكماء والاحبار والافاضل امسحوا أعينكم بايديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا قيام ينظرون (ومنها) احياؤه الموتى باذن الله قال تعالى واذ تخرج الموتى باذني وأحيا منهم أموات منهم العاذر وكان صديقا له فارسلت أخته الى عيسى أن أخاك العاذر يموت فأته وكان بينه وبين مسيرة ثلاثة أيام فاتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقالوا لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك أرسلتني الى بني اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرتهم اني أحيي الموتى باذنك فأحي العاذر فقام العاذر وخرج من قبره وبقي ولد له ومنهم ابن العجوز وكانت القصة فيه أن عيسى مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال ان في هذه المدينة كنزا فمن يذهب يستخرجه لنا فقالوا يا روح الله لا يدخل هذه القرية أحد غريب الا قتلوه فقال لهم عيسى هكذا كم حتى أعود اليكم فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب

محمد عند الظهر أموت فذهبا (٢٣٣) الدينار فكفني بنصفه واحفر لي قبرا بنصفه ثم امض من عندي فلما كان الغد عند الظهر

فجاء فطاف سبعا ثم استند نحو القبلة فمات رحمة الله تعالى عليه فنظرت فمسحت وجهه ففتح عينيه في وجهي وهو ينحل فقلت له يا أخي أنت ميت أم حي فقال بل حي وكل محب لله فهو حي قال فتعجبت منه ثم أخذت في غسله وتكفينه وتجهيزه ودفنه رضي الله تعالى عنه

(وحكي عن الشيخ أبي علي الروذباري عفا الله عنه) انه قال ورد علي جماعة من الفقراء فرض منهم رجل ومكث في مرضه أياما كثيرة فكل أصحابه من خدمته وشكوا الى ذلك فخالفت نفسي وحلفت أن لا يتولى خدمته أحد غيري فصرت أخدمه بنفسي أياما حتى مات رحمة الله تعالى عليه ثم غسلته وكفنته وصليت عليه ولحدته فبينما أنا عند اضطجاعه في قبره اذ نظرت الى عينيه فوجدتهما مفتوحتين ثم أقسم وقال يا أبا علي لا نصرك بجاهي يوم القيامة كما نصرتني وخالفت نفسك وخدمتني ثم أسبل عينيه رضي الله تعالى عنه ونفعنا والمسلمين ببركاته

*(وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى

الرجل وعاد الى مرتبته التي وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا تحسدوا بعضكم بعضا وحدثنا الامام أبو منده وراخ شادى باسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو عرفتم الله حق معرفته لعلتم العلم الذي ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحد قط قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا قالوا يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى ابن مريم مشى على الماء قال نعم لو زاد شوقا ويقينا لمشى على الهواء قالوا يا رسول الله ما كنا نرى أن الرسل بعد محمد قال ان الله تعالى أبلغ شأنا من أن بلغ أحد شأنه *(ذكر حديث جامع في هذا الباب)*

قال وهب سرح عيسى عليه السلام يسيح في الارض فصحبه يهودي وكان مع ذلك اليهودي زمان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركني في طعامك قال اليهودي نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى الا رغيف واحد ندم فقام عيسى الى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيفا فلما قضى عيسى صلاته وجد طعامه وما فقد فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فأكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم انطلقا فجاءا الى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل فباتا ثم أصبحا مطلقين فلقيا أعمى فقال له أترى بأسا أن أنا عالجناك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره قال نعم فمس عيسى بصره ودعا الله له فاذا هو صحيح فقال عيسى لليهودي بالذي أزال الاعمى بصيرا كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومر فاذا هما بمقعد فقال له عيسى أرأيت ان عالجناك فعافاك الله فهل تشكره قال نعم قال فدعا الله تعالى عيسى فاذا هو صحيح قائم على رجليه فقال صاحب عيسى ما رأيت مثل هذا قط فقال له عيسى بالذي أزال الاعمى بصيرا والمقعد صحيحا من صاحب الرغيف الثالث فلعله ما كان معه الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه فانطلقا حتى انتهوا الى نهر يجاج فقال عيسى لا أرى جسرا ولا سفينة فتجعلني من ورائي وضع أحدهما يده في عنق صاحبه فمشيا على الماء فقال له عيسى بالذي أزال أمر الاعمى والمقعد ما كان لك الا رغيف واحد فسكت عيسى فانطلقا فاذا هما بنبأة فقال له عيسى بالذي أزال أمر الاعمى والمقعد ما كان لك الا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فاذا هما بناس قد عكفوا على قبر يحثون عليه التراب فقال

فاسة فنازعها فتفقدها فلم يجدها فطلبها فدل عليها فتناول بها وقال اسكتي فقالت الفتى هي بارىء ذبة لهم كذلك اذ طلع عيسى عليه السلام فقال الرجل هذا عيسى ثم قض عليه الفصة فقال لها عيسى ما تقولين قالت أنا جارية هذا ولا أعرف هذا فقال لها عيسى ردي عليه ما أخذت فقالت قد فعلت فسقطت كما تسقط الميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجل أماته الله كافرا ثم بعثه فآمن وعمل وأيتم امرأة أماتها الله وهي تعبد الأصنام فكفرت (ومنها) رفعه الى السماء اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا الآية وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم الى قوله تعالى بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (روى) الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة فدنوا منه وأسمعوه فلما رأى ذلك دعا عليهم فقال اللهم أنت ربي وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العنهم كما لعنت أهل السبت واضرب على آذانهم في مساكنهم فلا يسمعوا شيئا الا ازدادوا به كفرا فمسخهم الله خنازير فاجتمعت اليه يومئذ فاتصلت به فلما رأى ذلك خاف على نفسه منهم فدعا عليهم فقال اللهم العن من سبني وسب أمي فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وأمه منهم فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف على نفسه منه فاجتمعت كلمتهم جميعا على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وبعثوا اليه فأتاهم فلما رآهم قال لهم ما معشر اليهود ان الله يغضبكم فغضبوا من مقالته غضبا شديدا وناروا عليه ليقتلوه فهرب منهم الى البيت فدخل عليه السلام فاتخذ له اليهود خوخة في سقفها ودخله الله تعالى من روزنة فأمر رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له يهوذا لوس أن يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل يهوذا لوس لم ير عيسى فارتد راجعا اليهم فظنوا أنه يقتله فهم كذلك اذ ألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج قتلوه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب ان عيسى لما أعلمه الله تعالى انه خارج من الدنيا خرج من عالوت وشق عليه فراق الحواريين وصنع لهم طعاما وقال استعدوا لليلة ثلاث الليلة حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ ينفض أيديهم ويوضيهم ويمسح أيديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال لا من ود على شيئا مما أصنع فليس مني ولا أنا منه فلما فرغ وصنع ذلك قال لهم انا طالما تمنيت منكم الليلة عشاءكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي لأكون لكم كما أسوة واتكم كرون أني خيركم فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليخدم بعضكم نفسه بعض كما خدمت نفسي لكم وأما الحاجة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي فلما تفرسوا أنفسهم للدعاء رأوا أن يجتهدوا وأرسل الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون في ليلة واحدة وتحزنوني ثم قالوا والله ما نرى ما لنا الا ذلك كنا نسهر فنكثر السهر وما نطيق الليلة سهرا وما نرى بعد عالا الا يريد بنا وبه شيئا فقال يهوذا لوس وقبح الله وجها يأتي بكلام مثل هذا يعني نفسه ثم قال أيكفرون بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات ولي يمين أحدكم بدوهم بسيرة ولي أكل شيء فرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخبروا أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحابه فجحد وقال ما أنا من أصحابه فتركوه ثم أخذوا آخر فجحد كذلك ثم سمع صوت الديك فبكى وأحزنه ذلك فأتى أحد الحواريين أو اثنين اليهود فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهما فانطلق معهم فلما علموا أنه قد دخل به البيت وكان شبههم قبل ذلك فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يتودونه ويقولون أنت كنت تحيي الموتى وتبرئ الأكمه والأبرص أفلا تنقذ نفسك من هذا الحبل ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك ثم لم يسعوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به الى الخشبة ليصلبوه أظلمت الأرض وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبين عيسى وألقى شبه عيسى على الذي دلهم عليه واسمه يهوذا فصلبوه وهم يظنون أنه عيسى وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء فذلك قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا فلما صلب الذي هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها وأبرأها من الجنون يبكيان عند الصليب فأتاهما عيسى وقال على من تبكيان فقالتا على من رفع فلم يعنى الا شيء وان هذا شخص شبه لهم (وقال مقاتل) ان اليهود كانوا أعلموا عيسى ليلة يكون عليه رقيبا يدور معه شهرا دور فصعد عيسى الجبل فجاء الملك فرفعه الى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود أنه عيسى فأخذوه وكان يقول لهم اني لست عيسى اني فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى قال

وقال الحمد لله على كثرة أنعامه ثم قال يا معشر كل ذلك بمرأى منا وقد رأيتم عند رفع عيسى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا آمين

والى أنه تسلم الثلث
انى لم أعط أحدا من الكبير
من الامم المثل ما سبق
من الامم لا يزال
عليهم العذاب يوم
القيامة ترجمة لهم
وشفقة عليهم (الرابع)
انى لم أعط أحدا من الامم القوة
بالاموال والاولاد مثل
الامم السابقة حتى
كفروا وجحدوا نعمتي
(الخامس) انى لم أطول
أعمارهم فتندم على
الذنوب أن تتسلم من
غيرهم (السادس) انى
لم أعاقب أحدا من الامم
عقوبة الا
السابعة (السابع) انى
أخرجهم الى آخر الزمان
ولا طول تكثيرهم في التراب
(الثامن) انى لم أنس
ذكرهم كما نسيت الامم
وأشارهم الباطل
أمثلة وانه ليس
بنبي ولا قرآن وهذا كله
يدل على أن محمدا
صلى الله عليه
وسلم نبي حق
ليس له أن
أسأل الانبياء تؤامنوا مكذبا
فلم يسمع جوابا فقال
فراجعته به ثانيا فأمره
عيسى بمراجعة الطلب من
الملك ليهب له ما قد
أشتهى فعاد النبي
صلى الله عليه وسلم الى
جبريل وهو قرير
مسرور وأخبره بذلك
ففرح جبريل بذلك

اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون اليها فنظر والى شئ لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا أطيب من رائحته ذلك فقال عيسى لهم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها نسيل سيلانا من السمن وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من أنواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى عليه السلام ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم عددكم وزيدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو أرانا من هذه الآية آية أخرى فقال عيسى يا سمكة احي باذن الله فاضطربت السمكة وعادت على الهيئة التي كانت عليها ولها شوكها فخروا منها فقال عيسى مالكم تسألون أشياء اذا أعطيتموها كرهتموها ثم قال فما أخوفني عليكم أن تعذبوا بها سمكة عودي كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت فقالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين وقال كلوا من رزق الله واشكروا لهناه ولغيره حسنكم البلاء فأكلوا منها وصدروا عنها ألف وثلثمائة رجل واثر أكثر من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان يتجشأ ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يومئذ مريض الا برئ ولا زمن الا صح ولا مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل وكانوا اذا نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت اربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفي عطارت صعدا وهم ينظرون حتى تغيب عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كافة فردفاوحى الله الى عيسى أن اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى هلكتم فشر والعذاب الله فاوحى الله تعالى الى عيسى أني شرطت على المكذبين شرطين أن من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير يسعون في العذرات والنجاسات ويأكلون القاذورات في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على الممسوخين أهاليهم فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به فجعل عيسى يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا (ومنها) ما روي ان عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر المرور به فجعل يسأله فقال يا عبد الله أراك تكثر الجلوس عند هذا القبر فقال يا روح الله هذا امرأة كان لي من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولي عندها وديعة قال أفتحب أن أدعو الله فيحييها لك قال نعم فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فاذا أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق فقال له من أنت فقال يا رسول الله أنا رجل في عذاب منذ أربعين سنة فلما كنت في هذه الساعة قيل لي أجب فاجبت ثم قال يا رسول الله قد مر علي من أليم العذاب أما ان ردني الله الى الدنيا أعطيته عهدا أن لا أعصيه أبدا فدعا الله لي فرق له عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم قال له امض فمضى فقال صاحب القبر يا رسول الله قد غلطت بالقبر انما قبر هاهنا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى أتعرفها قال نعم هذه امرأتي فدعا الله عيسى حتى ردها عليه فاخذ الرجل بيدها حتى انتهى الى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه في حجرها فربها ابن الملك فنظر اليها ونظرت اليه وأعجب كل واحد منهما بصاحبه فاشار اليها فوضعت رأس زوجها من حجرها واتبعت الفتى

فاحتفظ

قال الله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها الآية وقيل للحسن من الفضل هل تجد في ولعيسى عليه السلام ذكرا في القرآن قال نعم قوله وكهلا وهو لم يكن يكهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (أخبرنا) أبو سليم شعيب بن محمد البوقي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة لعلات وديانهم شتى وديني واحد وانا أولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لانه لم يكن بيني وبينه نبي وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه تقطر ولم يصبه بلل ينزل بين مهرودتين وكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ويهلك الله في زمانه الملل كلها غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع الامنة في الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا ثم يلبث في الارض أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة بجنب عمر (وأخبرنا) ان شئتم وانتم من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أي قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (وأخبرنا) محمد بن القاسم الفارسي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أهبط الله المسيح عيسى يعيش في هذه الامة ما يعيش ثم يموت فيبقى هذه ويدفن الى جانب قبر عمر فكأني بقبر أبي بكر وعمر عشرات بين يدي عيسى (وأخبرني أبي) قال حدثني الحسين بن أحمد بن محمد بن علي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بكم ان أدرك أحدكم أو أحد ممن آمن بي وصدقني أو رآني أو رأى من رآني أما والله لينزلن عيسى بن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ولسجدة في يوم خير من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة فاقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا

﴿باب في نصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الى انطاكية وذلك في أيام ملوك الطوائف﴾

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام ارسلنا اليهم اثنين واختلفوا في اسمهما فقال ابن اسحق وهب وروض وقال وهب يحيى ويونس وقال مقاتل يوحنا ويولس وقال كعب صادق ومصدوق فكذبوهما فعزز نا بالثالث أي قوينا برسول ثالث وهو شمعون الصفا رأس الحواريين في أكثر قول المفسرين وقال كعب اسمه شلوم وقال مقاتل سمعان (قالوا) العلماء بأخبار الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية فلما دنوا من المدينة أتيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال من أنتما فقالا نحن رسولا عيسى عليه السلام ندعوك الى عبادة الرحمن قال أمعكما آية قالا نعم نبرئ الزمن ونشفي الأكمه والابرص باذن الله فمسح الشيخ ان لي ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا الى منزلك فانطلق بهما الى منزله وأقبل يمسح على ساق ولد الشيخ وهو يقوم ساعيا على قدميه فآمن الشيخ وأهل بيته بالله وحده لا شريك له وشاع الخبر في المدينة وفشى في الله على يديه ما كثير من المرضى وكان في مدينته انطاكية اثنا عشر الف مقاتل لا صنام يقال له سلاسين (وقال وهب) اسمها انطيخس وكان من ملوك الروم فلما بلغه خبر الثلاثة الذين دعوا أهلها الى عبادة الله وحده لا شريك له وانهم أحيوا ابن الملك الذي كان مات قبل مجيئهم بسبعة أيام وأبرأوا علته التي كان يعالج منها فدعاهم الى نفسه وقال لهما من أنتما قالا رسل عيسى قال وما آيتكما قالا نشفي المريض ونبرئ الزمن باذن الله تعالى قال وفيم جئتما قالا نحن نعبد الله الذي خلقك من عباده فما لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فقال الملك أولنا الهة سوى آلهتنا قالا نعم قال من قالا من أوجدك وآلهتك قال فوجم الملك فلما رأى تشاغلهما الناس فأخذوهما وضربوهما في السوق (وقال وهب) بعث عيسى من الرسولين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطال مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك فأمر بهما فضربا بالسياط جلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك انه بلغني انك حبست

الصحابة أجمعين (وعن
عنه أخبارني الله تعالى
عنه) انه قال بينما
نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم
واذا برجل قد أقبل
وعليه ثياب بيض
فدنا على ان لم نرد
على السلام وأبلغنا
بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له
يا محمد أخبرني عن
أصحابك هؤلاء
ولم يكن عندي ما
يجيبه أو يجيب به
فقال أبو بكر رضي الله
تعالى عنه ما جاء
بك يا شيخ فقال انا من أهل
بيت لا أسأل عن شيء
الا أجاب فيه
فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم فقال أبو بكر
الصديق رضي الله تعالى
عنه قال أنا أجيبك
يا أخي فقال الشيخ
أخبرني عن الله أين
هو وأين يوجد
فقال أبو بكر رضي الله
تعالى عنه ان الله
عز وجل فوق
سبع سماوات
على عرشه
فقال الشيخ
أقرب هو
منا أم بعيد
فقال أبو بكر رضي الله
تعالى عنه ان الله
عز وجل
فقال الشيخ
أخبرني عن
الذكر الذي
ليس له
أنثى وعن
الأنثى التي
ليس لها
ذكر

لاصحابه أيكم يلقى عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل من القوم أنا يانبي الله فقتل ذلك الرجل ورفع الله عيسى ورفعه اليه وقيل ان الذي شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيلي يسمى أشوع بن نون والله أعلم

(ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام)

(قال وهب) وغيره من أهل الكتب لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث في السماء سبعة أيام ثم قال الله له ان أعداءك اليهود أيجاوك عن المهد الى أصحابك فانزل عليهم وأوصهم واهبط على مريم المجدلانية فانه لم يبق على ظهر الأرض أحد بكاها ولم يحزن عليك أحد حزنها فانزل عليها وأخبرها أنها أول من تلحق بك وأمرها أن تجمع لك الحواريين فتبثهم في الارض دعاة الى الله تعالى وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بني اسرائيل في قرية من قرى انطاكية يقال لها المجدلان وكانت امرأة سوء وكانت تستحاض فلا تطهر فتطهر الا أشهرا في بني اسرائيل فاشتهت فقالوا أنها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعا انما أرادت اخفاء علتها عنهم فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام وبما كان يشفي الله على يديه من المرضى والزمنى أقبلت اليه رجاء الشفاء فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيبة استحيت وانصرفت الى دارها ووضعت يدها على ظهره فقال عيسى لقد مسني ذو عاهة بنية سبعة ولقد أعطاه الله مارجاه وطهره بطهارتي فاذهب الله عنها ما بها وبرأت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعه هبط عليها فاشتمل الجبل حين هبط نورا فجعلت الحواريين فيهم في الارض دعاة الى الله ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه النور وقطع منه شهوة المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التي أهبط فيها هي الليلة التي تزعم فيها النصارى قالوا فوجه بطرس الى رومية واندراوس وسمي الى الارض التي يأكل أهلها الناس وتوما الى أرض المشرق وفيليبس ويهوذا الى القيروان وافريقية ويحيى الى افسوس مدينة أصحاب الكهف والبستوريين الى أورشليم وهي ايلياء أرض بيت المقدس وبرتولوماوس الى الاعرابية وهي أرض الحجاز ويشعون الى أرض برقا صبح كل واحد من الحواريين الذين بعثهم بعث بالقمن أرسله عيسى اليهم (قال ابن اسحق) ثم عمد اليهود الى بقية الحواريين أصحاب عيسى يشمونهم ويعذبونهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم وكان ساحرا فقيل له ان رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني اسرائيل عدو له فقتلوه وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الاسقام وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طائرا باذن الله وأخبرهم بالغيب وأراهم العجائب فقال ملك الروم فما منعكم أن تذكروا لي من أمره فوالله لو علمت لطالما بينه وبينهم ثم انه بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيديهم فلما أتوه سألهم عن دين عيسى فأخبروه وخبروه ما دعاهم على دينه واستنزل شمعون الذي سلمه عيسى الشبهة التي سلمها اليه وغزا بني اسرائيل فقتل منهم خلقا كثيرا فمن هنالك كانت أصل النصرانية في الروم (وقال أهل التوراة) حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أورشليم لخمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على بابل والاسكندر وخمسين سنة مضت من ملك الاسكانيين وأوحى الله اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

(ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليها السلام)

(قال وهب) لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام أتى بين الحواريين فاسر رجلين منهم يقال لاحدهما شمعون الصفا وللآخر يحيى أن يلازما أمه ولا يفارقاها فانطلقا ومعهما مريم الى مارب ملك الروم يدعونه الى الله تعالى وقد بعث الله تعالى اليه قبل ذلك يونس عليه السلام فلما أتوه أمر بشمعون واندراوس فقتلا وصلبا منكسين وهربت مريم ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب فخافا فاشتقت لهما الارض فغابا فيها وأقبل مارب ملك الروم وأصحابه يحفرون ذلك الموضع فلم يجدوا شيأ مر دوا التراب على حاله وعلموا أنه أمر من الله تعالى فسأل ملك الروم من حال عيسى فاخبروه بما تقدم ذكرناه والله أعلم

(ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان)

ولد رضي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه أتى يوما من الايام الى النبي عليه الصلاة والسلام فوجد معه صلى فقعد حتى ينافي آخر المجد لما فاته الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد معه جبريل عليه السلام فقام جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك ان الله سبحانه وتعالى خلقني قبل أن يخلق السموات والارض بالفي عام فكنت أسجد وأقدسه فبينما أنا على تلك الحالة اذ اقبست من نور بهاء تضيء فعلت عمر السحاب واذا بصوت منها يقول أحمد أحمد فرد محمد فقلت يارب من هذا أخلق خلقته قبلي أم خلق خلقته بعدي فقال الله عز وجل هذا خلق أخلقه في آخر الزمان وهو نبي مكرم اسمه محمد واعتصم الامام فقلت يارب اسألك بحقه عليك أن تجعلني سفيرا بينك وبينه فكان كذلك فبينما أنا كذلك اذا بقبة أخرى تلمع وهي عمر السحاب واذا بصوت منها يقول صدق صدق فقلت ومن هذا يارب فقال رجل من أمة هذا النبي يكون أول من يصدقه يعني الصديق فلما بعثك الله يا محمد أقام أبو بكر ينتظرك قبل أن تبعث بأربعين عاما

لسير ران الى وقالت ما تريد فقلت ما يضر ادخولها فلا بد من فائدة أو ثواب فدخلت المرأة فاذا هي اجمل ما يكون من النساء

كان حسن القراءة يستمع الى قراءته الوحش كما كان لداود فى زمانه وكان يعتريه حدة وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله نخلة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت لانه كان قليل الصبر على قومه والمداراة لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يونس بن متى فيه عجلة وخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ولذلك السبب ذهب مغاضبا (واختلف العلماء) فى صفة مغاضبته وسبب ذلك ووقته فقال قوم ذهب مغاضبا لقومه وهو رواية الضحاك والعوفى عن ابن عباس قال كان يونس بن متى وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقى سبطان ونصف وكانوا اثنى عشر سبطا فيهم النبوة والملك فأوحى الله تعالى الى شعياء النبى ان سر الى حزقيا الملك وقل له يوجه نبيا قويا أمينا فانى ألقى الخوف فى قلوب أولئك الاسباط حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس فانه قوى أمين فدعا الملك يونس فأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك الله باخراجى قال لا قال هل سماني لك قال لا فقال ههنا خصيرى أنبياء ويا مأمناه فأطلوا عليه فخرج مغاضبا للملك والقوم فاتى بحر الروم وكان من أمره ما كان وقال الحسن بصرى انما غاضب ربه من أجل انه أمره بالمسير الى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره فذهب للشخوص اليهم فقال له الامر أسرع من ذلك ولم ينظره حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعله يلبسها قيل له نحو القول الاول وكان رجلا فى خلقه ضيق فقال أتجانى ربى ان آخذ نعلى فذهب مغاضبا وروى شهر بن وشب عن ابن عباس قال أتى جبريل يونس عليه السلام فقال له انطلق الى أهل نينوى فانذرهم أن العذاب قد حضرهم ان لم يتوبوا قال له الشمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى البحر فركب سفينة فكان من امره ما كان فعلى هذه الاقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت قال ابن عباس انما كانت رسالة يونس بعد أن نبذه الحوت ودليل هذا القول أن الله تعالى ذكر قصة يونس فى سورة الصافات ثم عقبها بقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال آخرون بل كانت قصة الحوت بعد دعائه قومه وتبليغه الرسالة وانما غضب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعد ما أوعدهم به وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب وانخلاف فيما وعدهم ولم يعلم السبب الذى رفع به عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا فقال والله لا أرجع اليهم كذابا أبدا أوعدتهم العذاب فى يوم ولم يأتهم وفى بعض الاخبار أن قومه كان من عادتهم أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب للميعاد الذى أوعدهم خشى أن يقتلوه فغضب وقال كيف أرجع الى قوم وقد أخلفتهم الوعد ولم يعلم بسبب صرف العذاب عنهم لانه قد كان خرج من بين أظهرهم لنزول العذاب وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه بعث الله يونس بن متى الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأقام فيهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثا وثلاثين سنة فلم يؤمن به الا رجلان أحدهما روبيل وكان عالما حكيما والآخر تنوخا وكان عابدا هذا (قال ابن عباس) وابن مسعود وغيرهما لما أيس من ايمان قومه دعا عليهم فقيل له ما أسرع ما دعوت على ملك ارجع اليهم فاذهم أربعين ليلة أخرى فان أجابوك والا فانى مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم سبعا وثلاثين ليلة فلم يجيبوه فقام خطيبا فيهم وقال انى محذركم العذاب الى ثلاثة أيام ان لم تؤمنوا ثم قال لهم ان آية أن تنفير ألوانكم فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بكم ما قال يونس وانا لم نجرب عليه كذبا فاطروا فان بات فيكم الليلة فأمنوا من العذاب وان لم يبت فيكم فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كانت ليلة الاربعين ورأى يونس تغير ألوانهم علم أن العذاب نازل بهم فخرج من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب (قال سعيد بن جبير) كما يغشى الثوب القبر اذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤسهم قدر ميل وقال ابن عباس قدر ثلثى ميل وقال وهب أغيمت السماء غيما أسود هائلا لا تدخن دخانا شديدا هبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله فى قلوبهم التوبة وألهمهم الرجوع اليه فخرجوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة لله وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب والانعام

وأكلهن فوقفت الى جانب الباب وسلمت وقالت أنا مرينة بنت مروان بن عبد الملك بن محمد الاموى قالت زينب فكنت متكئة فاستويت بالسة وقلت مرينة قالت الله ولا حيالك ولا عالك ولا سمات ولا سلم عليك والحمد لله الذى أزال النعمة عنك وهتك ستر واهانك بين الناس أتذكرين يا عدوة الله سين أتاك نساء بنى العباس يسألنك بالله ان تكلمى أبا لك فى دفن ابراهيم بن محمد فوثبت علين وأسمعتهن أخشن الكلام وأغلظ القول وخرجن عنى الحالة التى علمت بها قالت زينب فلما سمعت كلامى ضحكت فوالله ما أنسى حسن ثغرها وعلاوتها بالفهقة ثم قالت أى بنية عمى أى شئ أعجبك مما صنع الله بى حتى أودت ان تسوقى بى والله لقد صنعت بنساء أهلك ما قد ذكرت ولكن حق على الله تعالى أن تكلمينى ذلك الليلة جائعة عريانة أفكان هذا شكرك لله على ما أولاك ثم قالت زينب فالتفت وقطرت فاذا هى تبكى فنادت الحجاز ان بامرأة دخلت باذنى فلا تخرجى الا باذنى وصاحت بجمالها ردوها فرجعت وقالت ما ساقنى الا الضر والجهد وسوء الحال

وجلين في السجن وضربهما حين دعوا الى غير دينه فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الفتى بينى وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى تطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون استخبرهما فقال شمعون لهما من أرسلكما الى ههنا فالا الذى خلق كل شئ فقال لهما شمعون صفاه وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما فالا ما تسأل عنه نحن لا نحسن الابرص ونشفى الرمنى باذن الله قال فاى الملك بقى بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فاخذا بيندقتين من الطين فوضعاهما فى حدقتيه فصار تا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهنا حتى يصنع لك صنيعه امثل هذا فيكون لك الشرف ولالهنا فقال الملك ايس لى عنك سر اعلم ان الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلى كثيرا ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان الهكما الذى تعبدانه يقدر على احياء ميت فالا الهنا يقدر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان أبوه غائبا فقاموا بالميت وقد تغير وأروح فقالا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم انى قدمت منذ سبعة أيام مشركا فادخلت فى سبعة أودية من النار وأنا احذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال ان أبواب السما فتحت لى فرأيت شابا حسن الوجه ينشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شمعون وهذان واشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون ان قولهم قد أثر فى الملك أخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون (وقال) كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس (وقال) ابن عباس ومقاتل اسمه حبيب بن اسرائيل النجار وقال وهب وكان منحتا قد أثر فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينتها انطاكية وكان مؤمنا صديقا يجمع كسبه اذا أمسى فقسمه نصفين يطعم نصفا لله ويتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه ويعبد ربه فى غار فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى فى كتابه وذلك قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى الى قوله مهتدون فقال له قومه أوأنت تخالف الدين وتلازم بيع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال ومالى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون الى قوله انى آمنت بربكم فاسمعون فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه وقال عبد الله بن مسعود وطؤوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقال السدى كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى قطعوه وقتلوه (وقال) الحسن خرقوا خرقا فى حلقه وعلقوه فى سور المدينة ورد فنوه فى سوء انطاكية فاوجب الله له الجنة بقوله تعالى قيل ادخل الجنة فلما أفضى الى جنة الله وكرامته قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى وربى وجعلنى من المكرمين قالوا فلما قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النقمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم وذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين على غيرهم من كفار الامم ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون أى ميتون (أخبرنا) أبو بكر الخشاوى باسناده عن ابن أبى ليلى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم

(قصة يونس بن متى عليه السلام)

قيل متى أمه ولم ينسب أحد من الانبياء الى أمه الا عيسى بن مريم ويونس بن متى عليهما السلام وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لا ينبغى لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الآيات قالت العلماء باخبار القدماء كان يونس رجلا صالحا يعبد فى جبل وكان فى قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس بن متى عليه السلام بالنهى عن الكفر والامر بالتوحيد وكان يونس عليه السلام رجلا صالحا لا يصبر على الناس فلحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه

لحاب فلما واعتذرت اليها وفعلت معها الخيزران كذا وكذا فسر ذلك وقال احملوا اليها من عندي مائة ألف درهم وقال لخادم كان على رأسه بالفها في السلام وقل لها الف ما سررت بشئ منذ دهري كسروري اليوم بقاءك عندنا ولولا استشارتك لسرت اليك مسلما عليك قاضيا لحقك قال فلما مضى الخادم بالرسالة جاءت الى المهدي وسلمت عليه وقالت ما على أمير المؤمنين في استشارتي فاني صرت من جواريه فقال أمير المؤمنين لا والله بل أعز من ولدي قال فلم تزل المرأة عند الخيزران حتى ماتت رحمها الله تعالى عليها وعلى الخيزران وعلى أمير المؤمنين المهدي وجزاهم الله تعالى عن معروفهم ومكارم أخلاقهم خيرا *(ولما حج أمير المؤمنين المنصور رحمة الله تعالى عليه)* عرض عليه مجوهر نفيس له قيمة عظيمة الثمن فعرفه وقال هذا كان لهشام بن عبد الملك ابن مروان ثم انتقل الى ابنه محمد بن هشام وما بقي من الاموريين غيره ولا بد لي منه ثم التفت الى حاجبه الربيع وقال اذا كان الغد وصليت بالناس في المسجد الحرام وجمع الناس كلهم فاغلق الابواب ووكل بها جماعة من الثقات

ولا نبكي على مائة ألف أو يزيدون أردن ان أهلكهم ثم ذهب يونس فاذا هو بغلام يرعى غنما فقال من أين أنت يا غلام قال أنا من قوم يونس فقال له اذا رجعت اليهم فقل لهم انك لقيت يونس فقال الغلام ان كنت يونس فانت تعلم انه ان لم يكن لي بينة قتلت فمن يشهد لي فقال يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة وأشار الى شاة من غنمه فقال له الغلام فرهم قال لهم يونس اذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له قالوا نعم فرجع الغلام الى قومه ثم قال للملك انى قد لقيت يونس وانه يقرأ عليكم السلام فامر الملك بقتله وقال كذبت فقال انى لي بينة فارسلوا معي أحدا يشهد فارسلوا معه رجالا فاتى البقعة والشجرة والشاة وقال أنشدكم بالله هل أشهدكم يونس قالوا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك شهدت له الشجرة والارض والشاة فاخذ الملك بيد الغلام وأجلسه في مجلسه وقال أنت أحق بهذا المكان مني قال فاقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة ثم انهم خرجوا يتعسسون يونس فوجدوه ففرحوا به وآمنوا به فاقام لهم أمرهم (يروى) ان يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ليلا فاضافه رجل وكان ذلك الرجل قد عمل كثيرا من الفخار فاوحى الله اليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار أن يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شئ عملته بيدي أعيش فيه وأتمتع بثمنه أنا وعيالي تأمرني بكسره فبكى يونس فاوحى الله اليه هذا عمل فخار امن طين لم تطب نفسه بكسره وأنت طبت نفسا ووطنتها على هلاك مائة ألف أو يزيدون من عبادي فمضى يونس وهبط واديا (قال) فلما شهدت الشجرة والارض والشاة للغلام وكانت الشاة التي كانت مع الغلام قالت لهم ان أردتم يونس فاهبطوا الى الوادي فهبطوا الى الوادي فوجدوا يونس فانكبوا على رجليه يقبلونهما وسألوه أن يدخل معهم المدينة فقال لا حاجة لي في مدينتكم فبكوا واطلوا عليه فاجابهم الى الدخول فاتي له بجله من فضة واجلس عليها فتمثل له جبريل عليه السلام عاضا على سابته وهو ينادي هذا مجلس الجبارين فوثب يونس من الجلة وجعل يمشي حتى دخل معهم المدينة فمكث مع أهله وولده أربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصير الغلام الراعي ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم يزالا سائحين يعبدان الله تعالى حتى ماتا عليهما السلام وكانت نبوة يونس في زمان ملوك الطوائف والله أعلم

(باب في قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اختلف العلماء في الرقيم قال النعمان ابن بشير الانصاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لاهليهم فبينما هم يمشون اذ أصابتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة من الجبل عليهم فانطبقت على باب الكهف فاوصد عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فلعل الله يرحمنا فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة كان لي أجراء يعملون عملا لي فاستأجرت كل رجل منهم باجرة معلومة فاعر رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرته بشطر أصحابه فعمل في بقيتهم اره كعمل رجل منهم ثم اره كله فرأيت علي من الاكرام ان لا أنقصه شيأ مما استأجرت به أصحابه لما اجتهد في عمله فقال رجل منهم أتعطيني هذا مثل ما أعطيتني ولم يعمل الا نصف النهار فقلت له يا عبد الله لم أبخسك شيأ من شرطك انما هو مالي أحكم فيه بما شئت قال ففضت وذهب وترك أجرته فوضعت حقه في جانب من البيت ما شاء الله ثم مر بي بعد ذلك بقر فاشتريت به نعيمة فباعت ما شاء الله فربي بعد ذلك شيخ ضعيف لا أعرفه فقال لي ان لي عندك حقا فقلت له اذكره لي حتى أعرفه قال فذكره فقلت له ايالك أبغي وهذا حقك ومالي فيه شئ فدفعتها اليه اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى أبصروا الضوء وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءتني امرأة تطلب مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت علي وذهبت ثم انها رجعت فذكرتني بالله فابيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فابت علي وذهبت ذكرت ذلك لزوجها فقال لها ارجعي فاعطيه نفسك وأغثي عيالك فرجعت الي تنشدني بالله فابيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فلما رأت ذلك أسلمت الي نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتي فقلت لها ما شأنك فقالت اني أخاف الله رب العالمين فقلت لها اخفيته في الشدة ولم أخفه في الرخاء

فحن بعضها الى بعض وعلت أصواتهم واختلط عجيجهم وعجوا وتضرعوا الى الله وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعد ما أظلهم وذلك يوم عاشوراء وقيل كان يوم الاربعاء للنصف من شوال قال ابن مسعود وبلغ من توبة أهل نينوى ان ترادوا المظالم بينهم حتى ان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيقتلعه ويرده (وروى) صالح المري عن عمران الجوني عن أبي خالد قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي يا حي حين تحيي الموتى لا اله الا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين كما قال تعالى فلولا كانت قرية آمنت أي فلم تكن قرية آمنت وضع التخضيض موضع النفي لان فيه ضربا من الجحد فنفعها ايمانها في وقت اليأس عند معاينة العذاب الا قوم يونس لما آمنوا نفعهم ايمانهم في ذلك الوقت لما علم الله من صدقهم كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين قالوا وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم وقام ينتظر العذاب والهلاك لقومه فلم يرشيأ وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل قال يونس كيف أرجع الى قومي وقد كذبتهم فانطلق مغاضبا الى قومه فاتى البحر كما قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه أي ان لن نقضي عليه العقوبة تقول العرب قدر الله الشيء يقدره تقديرا وقدره يقدره قدرا وقد قرئ بهما جميعا في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وقوله تعالى الذي قدر فهدى هذا قول أكثر المفسرين وقال علماء معناه فظن أن لا نضيق عليه الحبس من قول الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي ويضيق وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه (وقال ابن زيد) هو استفهام معناه أفظن أن لن نقدر عليه وقال الحسن معناه فظن أن يعجز ربه فلا يقدر عليه قال وبلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا ربه فاستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سالف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فلما أتى يونس البحر اذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير أجرة فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون ان فيها عبدا آبقا من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال أنا الآبق فقالوا تلقى في الماء فاقترعوا ثانيا وثالثا فخرجت القرعة على يونس فزج نفسه في الماء فذلك قوله تعالى فساهم فكان من المدحضين فلما وقع في الماء وكل الله به حوتا فالتقمه وأوحى الله تعالى الى الحوت اني لم أجعل لك رزقا ولا جعلت لك حرزا ومسكنا لغذائه ولا تكسر له عظما ولا تخدش له لحما وابتلع الحوت حوت آخر فاهوى به الى مسكنه في البحر فالتقمه حوت آخر وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الايلة ثم مر به على دجلة ثم انطلق به الى نينوى ويقال ان الله تعالى رفق له جلد الحوت حتى كان يرى جميع ما في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله تعالى اليه وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا معروفا بارض مجهولة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد لك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك وهو قوله فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت سبحانك اني كنت من الظالمين (وروى) سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى فقلت يا رسول الله هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين فقال هي ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قوله تعالى فنادى في الظلمات الى قوله وكذلك ننجي المؤمنين فلما دعا به يونس وشفعت له الملائكة أمر الله الحوت فقذفه الى ساحل نينوى كما قال الله تعالى فنبذناه بالعراء أي بوجه الارض وهو سقيم أي عليل ضعيف كالفرخ المعط (واختلفوا) في مدة مكث يونس في بطن الحوت فقال مقاتل ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدي والكلبي أربعين يوما فلما أخرجه الله من بطن الحوت أنبت له شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها وكل الله به وعلة تختلف اليه فيشرب منها فذلك قوله تعالى وأنبتنا عليه أي عنده شجرة من يقطين قالوا فيبست الشجرة فبكى عليها فاوحى الله اليه أتبكي على شجرة يبست

قال فهضت الجيزران وقامت فعانقتها على سرعة فدخلوا بها الحمام وأمرت بعض الجواري بخدمتها ثم وافتها بالحلي المذهبة والطيب ثم قامت اليها الجيزران واعتنقتها وأجلستها في المجلس الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي وقدمت اليها الموائد فجعلت تأكل وهي تلقمها الى ان اكتفت فغسلت يديها ثم قالت لها الجيزران فهل عندك أحد ينتظرك فقالت مالي أحد فقالت الجيزران فقومي فاختاري لك مقصورة من مقاصيري فاسكني فيها عندي ولا نفترق حتى يفرق بيننا الموت فقامت وطافت فاختارت أوسعها وأنزهها فحولت اليها جميع ما تحتاج اليه من الفرش والملابس الحرير والرقيق ثم قالت الجيزران ان هذا امرأة مسها الضر وأدركها الفقر مالا تقدر عليه ولا يغسل ما في قلبها الا المال احملوا اليها خمسمائة ألف درهم فحمل اليها ذلك ثم دخل المهدي في آخر الامر فقال ما بالكم فهضت اليه زينب واعلمته بجميع ما جرى وما قالت حين دخلت عليها فغضب غضبا شديدا وقال علي بجيوذلة لله تعالى شكرا على ما أنعم علينا ولولا انها محرمة لاحلفن أن لا أكلمها أبدا فقالت يا أمير المؤمنين قد ... ولا

في أول الزمان ماتوا ثلثمائة وتسع سنين ثم أحياهم الله فما كان من قصتهم قال علي رضي الله عنه يا يهودي هؤلاء أصحاب الكهف وقد أنزل الله على نبينا قرآنا فيه قصتهم وان شئت قرأت عليك قصتهم فقال اليهودي ما أكثر ما قد سمعنا فاخبرني ان كنت عالما فاخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء مدينتهم واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم واسم كهفهم وقصتهم من أولها الى آخرها فاحتبى علي كرم الله وجهه ببردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أخا العرب حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان بارض رومية مدينة يقال لها أفسوس ويقال هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فلما جاء الاسلام سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جبارا كافرا فاقبل في عساكره حتى دخل أفسوس فاتخذ هادارا ملكه وبنى فيها قصرا فوثب اليهودي وقال ان كنت عالما فسل عن ذلك القصر وعجائبه فقال يا أخا اليهود انه بنى فيها قصرا من الرخام طوله فرسخ في عرض فرسخ واتخذ فيه أربعة آلاف اسطوانة من الذهب وألف قنديل من الذهب لها سلاسل من اللجين تسرج في كل ليلة بالادهان البلسية واتخذ لشرفي المجلس مائة وثمانين كوة ولغربيه كذلك وكانت الشمس من حين تطلع الى حين تغيب تدور في المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا في عرض أربعين ذراعا مرصعا بالجوهر ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيا من الذهب فاجلس عليها بطارقته واتخذ أيضا ثمانين كرسيا من الذهب عن يساره فاجلس عليها أهل قلته ثم جلس هو على السرير ووضع التاج على رأسه فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت عالما فاخبرني كم كان تاجه فقال يا أخا اليهود كان تاجه من الذهب السبيك له اثنا عشر ألف مثقال على كل ركن من أركانه لؤلؤة تضيء كما يضيء المصباح في الليلة الظلماء واتخذ خمسين غلاما من أبناء البطارقة فنطقهم بمناطق الديباج الاحمر وسربلهم بسرابيل القز الاخضر وتوجهم ودملجهم وخلخلهم وأعطاهم عمد الذهب وأقامهم على رأسه واصطنع ستة غلمة من أولاد الملوك وجعلهم وزراءه فيما يقطع أمر ادونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت صادقا فاخبرني ما كانت أسماء الستة فقال علي كرم الله وجهه حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ان الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومحسلمينا وأما الذين كانوا عن يساره فرطليوس وكشاوس وساذنيوس وكان يستشيرهم في جميع أموره وكان اذا جلس كل يوم في تخت داره واجتمع الناس عنده دخل من باب الدار ثلاثة غلمة في يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك وفي يد الثاني جام من فضة مملوء من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر فيصب به في بلور الطائر حتى يقع في جام ماء الورد فتقرع فيه فتنشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصب به الثاني في بلور فيقع في جام المسك فيتقرع فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصب به الثالث في بلور فيقع على تاج الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بما فيه من المسك وماء الورد فيمكث الملك في ملكه ثلاثين سنة من غير أن يمسه صداع ولا وجع ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا خاط فاما رأى ذلك من نفسه عتا وطغى وتجبر واستعصى وادعى الربوبية من دون الله تعالى ودعا اليه وجوه قومه فكل من أجابه أعطاه وحباه وكساه وخلع عليه ومن لم يجبه ويتابعه قتله فاجابوه باجمعهم فاقاموا في ملكه زمانا يعبدونه من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس في عبدله على سريره والتاج على رأسه اذ أتى بعض بطارقته فاخبره أن عساكر الفرس قد غشيته يريدون قتاله فاغتم لذلك غما شديدا حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره فنظر أحد فتيانه الثلاثة الذين كانوا عن يمينه الى ذلك وكان عاقلا يقال له تمليخا فتفكر وتذكر في نفسه وقال لو كان دقيانوس هذا الها كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان يبول ويتغوط وليست هذه الاعمال من صفات الاله وكانت الفتية الستة يكرمون كل يوم عند واحد منهم وكان ذلك اليوم نوبة تمليخا فاجتمعوا عنده فاكلوا وشربوا ولم يأكل تمليخا ولم يشرب فقالوا يا تمليخا ما لك لا تأكل ولا تشرب فقال يا اخوتي وقع في قلبي شيء منعني عن الطعام والشراب والمنام فقالوا وما هو يا تمليخا فقال أطلت فكري في هذه السماء فقلت من رفعها سقفا محفوظا بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم أطلت فكري في هذه الارض من سطحها على ظهر اليم الزاخر ومن حبسها وربطها بالجبال الرواسي الثلاثة ثم أطلت

اعترف بالحق تفز فاعترفوا فقال علي رضي الله عنه فقد بعدا عنه قال ثم ذهب الى سبيله فقبل محمد ابن هشام يده ورأسه وقال الله أعلم حيث يجعل رسالته ثم أخرج جوهرا قيمته كثيرة وقال لله تعالى يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سرني بقبول هذا فقاله له اذهب بنا على فنحن أهل بيت لا نقبل على اصطناع المعروف مكافأة رضي الله تعالى عنهم

(وقيل للاحنف بن قيس) ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم رأيته يوما من الايام قاعدا بفناء داره متقلدا بحمائل سيف جديد فوجد فيها هو كذلك اذ أتى برجلين أحدهما مقتول والآخر ممسك وقد فقيل له هذا ابن أخيك قد قتل ابنك قال فوالله ما قطع كلامه ولا اعتاده ثم التفت الى ابن أخيه وقال يا ابن أخي أثكلت بر بلنر وبئست ثنسلك بسهملة وقتلت ابن عمك ثم قال لابنه الآخر يا بني قم فادفن أخاك وحمل كتاف ابن عمك وسق الى أهله مائة ناقة دية ولده فانهم اغرر بقومنا (وروي عنه أيضا) انه جلس في داره يوما على المائدة ومعه ولد له صغير فجاءه جارية بسفود عليه شواء

فاتركنا واعملها لما تحب يا كاشفة بالا اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تعارفوا وقال الآخر قد علمت حسنتمرة كان لي أبوان كبيران وكان لي غنم فكنت أطعم أبوي وأسقيهما ثم ارجع الى غنمي قال فاصابني يوما غيث فحبسني حتى أمسيت فاتيت أهلي وأخذت حلبي فحلبت غنمي وتركتها قائمة مكانها ومضيت الى أبوي فوجدتهما قد ناما فشق علي أن أوقظهما وشق علي أن أترك غنمي فما برحت جالسا وحلبي في يدي حتى أيقظتهما فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ما نحن فيه قال النعمان لكأني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كأن الجبل طبق ففرج الله عنهم فخرجوا (وقال ابن عباس) الرقيم واد بين عسفان وايلة دون فلسطين وهو الوادي الذي فيه أصحاب الكهف قال كعب هي قرية بها وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الاخبار الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه في صندوق ووضعوه على باب الكهف ثم ذكر الله خبر أصحاب الكهف فقال اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة قال أهل التفسير وأصحاب التواريخ كان أمر أصحاب الكهف في أيام ملوك الطوائف بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (وأما قصتهم) فيقال لما ولي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة أتاه قوم من أحبار اليهود فقالوا له يا عمر أنت ولي الامر بعد محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وانا نريد ان نسألك عن خصال ان أخبرتنا بها علمنا أن الاسلام حق وان محمدا كان نبيا وان لم تخبرنا بها علمنا أن الاسلام باطل وان محمد لم يكن نبيا فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا أخبرنا عن أثقال السموات ما هي وأخبرنا عن مفاتيح السموات ما هي وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو وأخبرنا عن أندر قومه لاهو من الجن ولا هو من الانس وأخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على وجه الارض ولم يخلقوا في الارحام وأخبرنا ما يقول الدراج في صياحه وما يقول الديك في صراخه وما يقول الفرس في صهيله وما يقول الضفدع في نقيقه وما يقول الحمار في نهيقه وما يقول القنبر في صفيره (قال) فنكس عمر رأسه في الارض ثم قال لا عيب بعمر اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وأن يسأل عما لا يعلم فوثب اليهود وقالوا نشهد أن محمد لم يكن نبيا وان الاسلام باطل فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود قفوا قليلا ثم توجه نحو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا أبا الحسن أغث الاسلام فقال وما ذاك فاخبره الخبر فاقبل يرفل في برد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصر عمر وثب قائما فاعتنقه وقال يا أبا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعى فدعا علي كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فان النبي صلى الله عليه وسلم علمني ألف باب من العلم فتشعب لي من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه ان لي عليكم شرطة اذا أخبرتكم كما في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتم فقالوا نعم فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن أثقال السموات ما هي قال أثقال السموات الشرك بالله لان العبد والامة اذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل قالوا فاخبرنا عن مفاتيح السموات ما هي قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال فجعل بعضهم ينظر الى بعض ويقولون صدق الفتى قالوا فاخبرنا عن قبر سار بصاحبه فقال ذلك الحوت الذي التقم يونس بن متى فسار به في البحار السبعة قالوا أخبرنا عن أندر قومه لاهو من الجن ولا من الانس قال هي نملة سليمان بن داود قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قالوا فاخبرنا عن خمسة مشوا على الارض ولم يخلقوا في الارحام قال ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش ابراهيم وعصا موسى قالوا فاخبرنا ما يقول الدراج في صياحه قال يقول الرحمن على العرش استوى قالوا فاخبرنا ما يقول الديك في صراخه قال يقول اذكروا الله يا غافلين قالوا أخبرنا ما يقول الفرس في صهيله قال يقول اذا مشى المؤمنون الى الكافرين للجهاد اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين قالوا فاخبرنا ما يقول الحمار في نهيقه قال يقول لعن الله العشار ينهق في أعين الشياطين قالوا فاخبرنا ما يقول الضفدع في نقيقه قال يقول سبحان ربي المعبود المسبح في لجج البحار قالوا فاخبرنا ما يقول القنبر في صفيره قال يقول اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد وكان اليهود ثلاثة نفر قال اثنان منهم نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ووثب الحبر الثالث فقال يا علي لقد وقع في قلوب أصحابي ما وقع من الايمان والتصديق وقد بقي خلة واحدة أسألك عنها فقال سل عما بدا لك فقال أخبرني عن قوم

اطلاقا قبل محمد بن زيد ابن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم فلما رآه متحيرا وكان لا يعرفه تقدم اليه وقال ياهذا ما بالك فقال لا شيء فقال قل ولك أمان الله على نفسك فقال أنا محمد بن هشام بن عبد الملك فمن أنت قال محمد بن زيد بن علي بن الحسين فزاد خوفه وطار عقله وأيقن بالموت فقال لا تجزع فانك لست قاتل أبي ولا جدي وليس لي عليك ثأر وانا أجتهد في خلاصك ان شاء الله تعالى ولكن اعذرني فيما أنا صانع بك من مكروه وقبح فصاح رداءه على وجهه وغطى رأسه وجذب به الى قريب من الربيع فقال يا أبا الفضل ان هذا الخبيث جعل من أهل الكوفة أكرمني جماله فلما دفعت اليه الاجرة هرب مني وأكرى جماله لبعض أهل خراسان وعلي عليه شهود وأريد منك أن توصله معي الى القاضي وتعمل جماله عن الذهاب مع انظر اسانيين فوكل به الربيع وجلسين وقال لانفار قام الى القاضي ومحمد قابض على الرداء وقال استتره وجهه

رقدتهم لما بزغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه الليلة عن عبادة الله تعالى قوموا بنا الى العين فاذا بالعين قد غارت والاشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض انا من أمر ناهذا الذي يجب مثل هذه العين قد غارت في ليلة واحدة ومثل هذه الاشجار قد جفت في ليلة واحدة فالقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه الى المدينة فلما أتتا بطعام منها وليتظر أن لا يكون من الطعام الذي يجن شحمه الخنازير وذلك قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما أي أحل وأجود وليأتكم برزق منه فقال لهم تلخيا أيها الخوف لا يأتيكم أحد بالطعام غيري ولكن أيها الراعي ادفع الى ثيابك وخذ ثيابي فلبس ثياب الراعي وخرج وكان يمر بوادع لا يعرفها وطريق ينكرها حتى أتى باب المدينة فاذا عليه علم أخضر مكتوب عليه لا اله الا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتى ينظر اليه ويمسح عينيه ويقول أرانى نائما فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فمر باقوام يقرؤن الانجيل واستقبله أقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى السوق فاذا هو بخباز فقال له يا خباز ما اسم مدينتكم هذه قال أفسوس قال وما أسم ملككم قال عبد الرحمن قال تلخا ان كنت صادقا فان أمري عجيب ادفع الى بهذه الدراهم طعاما وكانت دراهم ذلك الزمان الاول ثقالا كبارا فعجب الخباز من تلك الدراهم فوثب اليهودي وقال يا على ان كنت عالما فاخبرني كم كان وزن الدرهم منها فقال يا أخا اليهود أخبرني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلثا درهم فقال له الخباز يا هذا لقد أصبت كنزا فاعطى بعضه والا ذهبت بك الى الملك فقال تلخا ما أصبت كنزا وانما هذا من ثمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام وقد خرجت من هذه المدينة وهم يعبدون دقيانوس الملك فغضب الخباز وقال ألا ترضى ان أصبت كنزا أن تعطيني بعضه حتى تذكر رجلا جبارا كان يدعى الربوبية قدمات منذ ثلثمائة سنة وتسخر بي ثم أمسكه واجتمع الناس ثم انهم أتوا به الى الملك وكان عادلا عاقلا فقال لهم ما قصتكم هذا الفتى قالوا أصاب كنزا فقال له الملك لا تخف فان نبينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكنوز الا خمسها فادفع الى خمس هذا الكنز وامض سالما فقال أيها الملك تثبت في أمري ما أصبت كنزا وانما أنا من أهل هذه المدينة فقال له أنت من أهلها قال نعم قال أتعرف فيها أحدا قال نعم قال فسم لنا فسمى له نحوا من ألف رجل فلم يعرفوا منهم رجلا واحدا قالوا يا هذا ما نعرف هذه الاسماء وليست هي من أسماء أهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة دار قال نعم أيها الملك فابعث معي أحدا يصحبه الملك جماعة حتى أتى بهم دارا أرفع دار في المدينة وقال هذه داري ثم قرع الباب فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزع مرعوب مذعور فقال أيها الناس ما بالكم فقال له رسول الملك ان هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره فغضب الشيخ والتفت الى تلخا وتبينه وقال له ما اسمك قال تلخا بن فاسلين فقال الشيخ أعد علي فاعاد عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه يقبلهما وقال هذا جدي ورب الكعبة وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار الى جبار السموات والارض ولقد كان عيسى عليه السلام أخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون فانهى ذلك الى الملك فركب الملك وأتى اليهم وحضرهم فلما رأى الملك تلخا نزل عن فرسه وحمل تلخا على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه ورجليه ويقولون له يا تلخا ما فعل بأصحابك فاخبرهم أنهم في الكهف وكانت المدينة قد ولها رجلان ملك مسلم وملك نصراني فركبا في أصحابهما وأخذا تلخا فلما صار واقريبا من الكهف قال لهم تلخا يا قوم اني أخاف أن أخوتي يحسبون بوقوع هذا فيسل والباب وصلصلة اللجم والسلاح فيظنون أن دقيانوس قد غشيهم فيموتون جميعا فتفوا قليلا حتى أدخل اليهم فاخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تلخا فوثب اليه الفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذي نجاك من دقيانوس يقال دعوني منكم ومن دقيانوس كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قال بل لبثتم ثلثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن أهل المدينة بالله العظيم وقد باؤكم فقالوا له يا تلخا تريد أن تصيرنا فتنة للعالمين قال فماذا تريدون قالوا ارفع يديك ونرفع أيدينا فرفعوا أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أريتنا من العجائب في أنفسنا الا قبضت أرواحنا ولم يطلع علينا أحد فامر الله ملك الموت فقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف وأقبل الملكان يطوفان حول الكهف سبعة أيام فلا يجدان له بابا ولا منفذا ولا مسلكا فعند ذلك لطيف صنع الله الكريم وأن أحوالهم

الى ولده يزيد فقال فما ترى يا يزيد قال أرى ان تبعث له جيشا أوله عندنا وآخره عندك يأتيك برأسه قبل منه فقال معاوية عند ذلك

وارفق بعملك فدفعهم الغلام ورمى بهم أو جههم برزق وتوسم الغلام الى أبيه وأشبهه بذلك وهو من محسن أخلاقهم (وقيل) نزل بعض الاصوص الى دار خلف ابن أيوب وهو قائم يصلي بالليل فسمع الاصوص جميع ما في البيت من قماش وغيره وشده وحمله على رأسه وخلف ينظر اليه ولا يكلمه ثم خرج الاصوص من البيت الى الطاق يريد النهوض فلم يقدر على ذلك فقال له خلف يا ابن أخي شد المفاتيح وافتح الباب واخرج فلعلك محتاج الى ذلك فقال ان مثلك والله ان يؤدي ثم ترك ما كان أخذه وتاب الى الله تعالى * (وسئل بعضهم) قال كان لعبد الله ابن الزبير أرض بجاورة لارض معاوية ابن أبي سفيان وكان في كل أرض عبيد لعمارتها فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير وغصبوا منها قطعة فكتب عبد الله ابن الزبير الى معاوية أما بعد يا معاوية فان عبيدك قد غصبوا أرضي فامرهم بان ينكفوا عنها والا كان لي ولكم شأن فلما وقف معاوية على كتابه دفعه

فكرى فى نفسى فقلت من أخرجنى جنيا من بطن أمى ومن غذانى وربانى ان لهذا الصانع ومدبرا سوى دقيانوس الملك فاكببت الفتية على رجليه يقبلونهما وقالوا يا تمليخا القد وقع فى قلوبنا ما وقع فى قلبك فاشر علينا فقال الشورى ما أجد لى ولكم حيلة الا الهرب من هذا الجبار الى ملك السموات والارض فقالوا الرأى ما رأيت فوثب تمليخا فابتاع بثمرا بثلاثة دراهم وصرها فى ردائه وركبوا خيولهم وخرجوا فلما سار واقدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم تمليخا يا اخوتاه قد ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل الله يجعل لكم من أمركم فرجا ومخرجا فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبع فراسخ حتى صارت أرجلهم تقطر دما لانهم لم يعتادوا المشى على أقدامهم فاستقبلهم رجل راع فقالوا أيم الراعى أعندك شربة ماء أو لبن فقال عندى ما تحبون ولكنى أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أظنكم الا هاربا فاخبرونى بقصتكم فقالوا اما هذا انا دخلنا فى دين لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصدق قال نعم فاخبروه بقصتهم فاركب الراعى على أرجلهم يقبلها ويقول قد وقع فى قلبى ما وقع فى قلوبكم فقفوا لى ههنا حتى أرد الاغنام الى أربابها وأعود اليكم فوقفوا له ردها وأقبل يسعى فتبعه كلبه فوثب اليهودى قائما وقال يا على ان كنت عالما فاخبرنى ما كان لون الكلب واسمه فقال يا أخا اليهود حدثنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم أن الكلب كان أبلق بسواد وكان اسمه قطمير (قال الاستاذ) اختلف العلماء فى لون كلب أصحاب الكهف فقال ابن عباس كان أحمر وقال مقاتل كان أصهب وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرته وصفرته يضرب الى الحمرة وقال الكلبى لونه كالثلج وقيل لون الهرة وقيل لون السماء واختلفوا فى اسمه أيضا فروى عن على كرم الله وجهه ان اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وهى احدى الروايتين عن على وقال شعيب الجبائى كان اسمه حمرا وقال الاوزاعى تتوى وقال مجاهد قمنا وريا وقال عبد الله بن سلام بسيطا وقال كعب كان أصهب واسمه تعنى (وأخبرنى ابن فنحويه) باسناده عن أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه ان اسم كلبهم كان قطمور وقيل قطمير أخبرنى أبو على الزهرى باسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل قال أنا من أولئك القليل هم سبعة مكسلينا وتمليخا ومرطلوس وبينوس وساذونوس وداذونوس وكشطوس وهو الراعى والكلب اسمه قطمير كلب أنمر فوق القطمى ودون الكركى وقال محمد بن أسحق القطمى الكلب الصغير وقال ما بقى بنيسابور محدث الا كتب عنى هذا الحديث وكنيه أبو عمرو الجبرى عنى (رجعنا الى الحديث) قال فلما نظر الفتية الى الكلب قال بعضهم لبعض انا نخاف أن يفضحنا هذا الكلب بنباحه فاخذوا عليه طردا بالحجارة فلما نظر اليهم الكلب وقد أخذوا عليه بالحجارة والطرد أقعى على رجليه وتمطى وقال بلسان طلق ذلق يا قوم لم تطردونى وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له دعونى أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا فصعد بهم الراعى جبلا واطلع بهم على كهف دوثب اليهودى وقال يا على ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال أمير المؤمنين يا أيها اليهودى اسم الجبل ناجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم * (رجعنا الى الحديث) * قال واذا بفناء الكهف أشجار مثمرة وعين غزيرة فاكلوا من الثمار وشربوا من الماء وجنهم الليل فاووا الى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومد يديه عليه وأمر الله ملك الموت بقبض أرواحهم ووكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين يقلبانه من ذات اليمين الى ذات الشمال ومن ذات الشمال الى ذات اليمين (قال ابن عباس) كانوا يقلبون فى السنة مرة ثلاثا كل الارض لحومهم ويقال ان يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم قال أبو هريرة كان لهم فى كل سنة تقليتان * (رجعنا الى الحديث) * قال وأوحى الله تعالى الى الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين اذا طلعت واذا غربت تقرضهم ذات الشمال فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الها غير الله وخرجوا هاربين منك فركب فى ثمانين ألف فارس وجعل يقفو آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف فنظر اليهم مضطجعين فظن أنهم نيام فقال لاصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشئ ما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم فاتونى بالبنائين فاتى بهم فرماهم بباب الكهف بالجص والحجارة ثم قال لاصحابه قولوا لهم يقولوا لا الههم الذى فى السماء ان كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع فمكثوا ثلاثمائة وتسع سنين فنفخ الله فيهم الروح وهموا من

فقط الرسول فقال يا أمير المؤمنين ان لله الحقا له أمر طاعته أم لذا أنت

من دراهم ودنانير وثياب وطيب ودواب وغير ذلك فلما قدم المدينة قصد على أهلها أكثر من أهل مكة وبعث الى رجل من الانصار بالف درهم وعشرة أثواب وكان الرجل الانصارى من أهل بدر فاتاه الرسول بذلك العطاء فغضب وقال أما وجد معاوية من يرسل اليه مثل هذا العطاء غيرى أرده عليه فقال الرسول لا أقدر على ذلك فدعا الانصارى ابنه وقال يا بنى أسألك بحقى عليك الا رددت هذا العطاء على معاوية وضربت وجهه بهذه الثياب وجهه فاخذها ابن الانصارى وأتى الى معاوية فعرف معاوية الشر فى وجهه فقال ما تريد فقال ان أبى يقرئك السلام ويقول أمثلى ترسل اليه مثل هذا العطاء فقال معاوية من الرسول الى أبيك فقال فلان فقال قاتله الله اما هذا العطاء لغير أبيك وعطاء أبيك دفعه الى رجل غيره ثم قال يا غلام على بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا ووصيفا ووصيفة مسرعا فحضر الجميع وقال يا ابن أخى خذ الجميع وعد الى

وكان ينزل ترى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحدا بين دين المسيح الا قتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس فلما نزلها أكبر ذلك على أهل الايمان فاستخفوا منه وهو يوافي كل ناحية وكان دقيانوس قد أمر حين دخلها أن يبغي أهل الايمان فجمعوا اليه وانتخب شرطا من كفار أهلها وجعلوا يتبعون أهل الايمان في أماكنهم فخرجوا بهم الى دقيانوس فيقدمهم الى الجامع الذي يجمع فيه للطواغيت فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمن القوم من يرتب في الحالين ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ثم يقطعون ويربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها كلها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت النقمة على أهل الايمان فمنهم من أقر بترك دينه ومنهم من صلب على دينه وقتل فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتقديس والدعاء وكانوا من أشراف الروم وكانوا أعمانية تقربكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون رب رب السموات والارض لن ندعو من دونك الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونك آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا اللهم اكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك فبينما هم على ذلك اذ أدركهم الشرط وكانوا قد دخلوا في مصلى لهم فوجدوهم سجودا على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ويسألونه أن يجيرهم من دقيانوس وفتنته فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم ما خلفكم عن أصحابكم انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم الى دقيانوس فقال وانجمع الجميع وهؤلاء الفتية من أهل بيت الملك يتحدثون بذلك ويعصونه فلما سمع ذلك أتى بهم تفيض أعينهم من الدمع مسفرة وجوههم في التراب فقال ما منعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التي نعبدها في الارض وان تجعلوا أنفسكم كغيركم ثم انهم خيروا الا أن يذبحوا الآلهة حتى يخلي غيرهم من الناس وأما أن يقتلهم الملك فقال متكلما بذا وكان أكبرهم ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمة ان ندعون دونه الها أبدا وان نقر بهذا الذي تدعونا اليه أبدا ولكنا نعبد ربنا الذي له الحمد والتكبير والتسبيح والتقديس من أنفسنا الصادا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا فما صنع بنا هذا الملك ثم قال أصحاب مكسلينا لدقيانوس مثل ما قال له قالوا فما قال ذلك أسرهم فرجعوا سراعا كان عليهم من لبوس عظيم ثم قال لهم انكم اذا فلستم ما علمتم فاني سأؤخركم وانفرج لكم فانجز لكما وعدتكم من العقوبة وما ينبغي ان أعجل لكم ذلك لاني أراكم شبابا حديثة أسنانكم ولا أحب ان أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تراجعون فيه عقولكم ثم أمر بجارية كانت معهم من ذهب وفضة فقسمتها بينهم ثم أمرهم فأتوه بجوار من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها فأمر بتغريبهم لبعض أموره فلما رأى الفتيان دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا فاقدموا من ذلك فاقدم مدينتهم ان يذكرهم فأمروا ان يأخذ كل رجل منهم نفقته من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة جبل يقال له ناجلوس فيكونون فيه ويعبدون الله تعالى حتى اذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيمنعهم ما يشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل رجل منهم الى بيت أبيه وأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان لاحدهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه * وقال ابن عباس هو الذي من دقيانوس وكانوا سبعة فوروا براعي معه كلب على دينهم وقال كعب هو ابن كلب فتبعهم فطردوه فتبعهم فطردوه فتبعهم فلما رأى ذلك منهم الكلب ما يريدون مني لاتبعنهم واجابني فاني أحب أحباب الله ناموا حتى أحرسكم * (رجعنا الى حديث ابن اسحق) * فلبثوا في ذلك الكهف ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم التي معهم يشتري لهم طعاما فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرا وكان من أجلهم وأجلهم فكان ذلك مما اختار صنع ذلك فاذا دخل المدينة بضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ وجها من الطريق الى المدينة فيشتري طعاما وشرابا ويستوسق ويتجسس لهم أخبار هل يذكرونهم بشيء ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر الطعام فنجوا الطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان تماجنا بالمدينة يشتري طعاما فرجع الى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام فأخبرهم ان دقيانوس دخل المدينة وانهم

قولك أو انتقالك وأنت الى العفو أقرب وهو بك أشبه وأليق وأنشد يقول

رأيت رجلا عرض على الموت ورأى السيف مسلطا مقربا وشاور السيف مرارا ولم يكترث لذلك ولا عدل عما أراد الاتيم بن جبل وقد كان خرج على المعتصم ولقد وأبيه وقد جيء به أسيرا مكتوفا وقد اجتمع الناس من الآفاق والنواحي ينظرون كيف يقتله المعتصم وكان المعتصم قد جلس له مجلسا منكرا وأمر الناس بالدخول ودخل تميم ومعه السياف وفرش النطع وكان تميم جميل الوجه تام الخلقة حسن الطول فرآه المعتصم غير هيب ولا مكترث لما نزل به فأعجب المعتصم ان استظرفه ليعلم أين عقله في ذلك الوقت فقال المعتصم ان كان لك عذر يا تميم فاتنبه فقال اما أنت يا أمير المؤمنين فالحمد لله الذي جعلك الذي ولم يجعلني الذي شفى المسلمين وأثلج بك أستار الحق وأخمد بك شهاب الباطل وان الذنوب يا أمير المؤمنين لتفرس الا لسن الفصيحة وتصدع الافئدة العميقة ووالله لقد كبر الذنب وعظمت الجريمة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا

من ذلك يا بني قال ما هو يا أبت فقال على بدواة وقرطاس فكتب فيه قد وقفت على كتاب ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فسامني والله ما ساءه والدنيا وما فيها هينة في جنب رضاك وقد كتبت على نفسي مسطورا أشهدت فيه الله وجماعة من المسلمين على أن الارض والعبيد الذين فيها ملك فضولها الى أرضك والعبيد الى عبيدك والسلام قال فلما قرأه عبد الله بن الزبير كتب اليه يقول قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين لا عدمني الله بقاءه ولا عدمه هذا الرأي الذي احله هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على الكتاب ناوله الى ولده يزيد فلما قرأه تهلل له وجهه فرحا فقال له معاوية يا بني اذا لبست شيئ من هذا الداء فداوه بمثل هذا الدواء وانا القوم لم نر في الحلم الا خيرا رضي الله عنه

(وحكي ان المهلب بن أبي صفرة) مر بحي من أهل همدان فرآه شاب من أهل الحي فقال هذا المهلب قالوا نعم فقال والله ما يساوي خمسمائة درهم وكان المهلب رجلا أعور فسمعه المهلب فلما كان الليل اخذ المهلب في كمه خمسمائة درهم وأتى الحي فارتعب الشاب حين رآه فاتى

كانت عبرة أراهم الله اياها فقال المسلم على ديني ماتوا أنا ابني على باب الكهف مسجدا وقال النصراني بل ماتوا على ديني فانا أبني على باب الكهف ديرا فاقتتل الملكان فغلب المسلم النصراني فبنى على باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا وذلك يا يهودي ما كان من قصتهم ثم قال علي كرم الله وجهه لليهودي سألتك بالله يا يهودي أوافق هذا ما في توراتكم فقال اليهودي ما زدت حرفا ولا نقصت حرفا يا أبا الحسن لانك نبي يهودنا شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وانك أعلم هذه الامة (وقال عبيد ابن عمير) كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فقذف الله في قلوبهم الايمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الايمان عن صاحبه فقالوا في أنفسهم من غير أن يظاهر بعضهم لبعض نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك فجلس اليه ثم خرج الآخرون فجاؤا فجلسوا اليهم واجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه ايمانه مخافة على نفسه ثم قالوا لبعضهم ليخرج كل فتيين منكم فيتناجوا ثم ليفش كل واحد منكم أمره الى صاحبه فخرج فتيان منهم فتواقفا ثم تكاما فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه فاقبلا وهما مستبشران الى أصحابهما فقالا قد اتفقنا على أمر واحد واذا هم جميعا على الايمان واذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض ناووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلثمائة سنة وتسع سنين قال وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم وكتبوا في اللوح فلان وفلان ابناء ملوكنا فقدناهم في يوم كذا في شهر كذا من سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن وماتت ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن (وأخبرنا) الحسن بن الحسين الثقفي باسناده عن أبي جعفر الباقر قال كان أصحاب الكهف سياحة * وقال وهب بن منبه جاء حواري من أصحاب عيسى عليه السلام الى مدينة أصحاب الكهف فاراد أن يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد الا سجد له فكره ان يدخلها فاتى الى حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمامي وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة وكان يشرط على صاحب الحمام ان الليل لي لا يحول بيني وبينه أحد فيصلي فكان على ذلك الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فعيره بها الحواري وقال له أتيت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيى ابن الملك وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت اليه ثم انهما دخلا معا فلما جاءا في الحمام فاتى الملك وقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه فقال من كان بصحبته فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم في زرع وهو على مثل ايمانهم فذكروا أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه كلبهم حتى أواهم الليل الى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فنروح ونرى رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك في أصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كلما أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أرعب فلم يطق أحد أن يدخله فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ففعل ذلك قال وهب فتركهم بعد ما سدوا عليهم باب الكهف ومضى زمان بعد زمان ثم ان راعيا أدركه المطر عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت فيه غنمي من المطر فلم يزل يعالجه حتى فتح الباب ورد الله اليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا (وقال) محمد بن اسحق مسخ أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله تعالى وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس كان عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين المسيح

فلما عرفوا هم رجل آخر وقال أيها الأمير قد سرنا منك أن تنظر ما دا صنع مثلث

رجوهم ولا أبشارهم ولا ألوانهم شيأ ينكرونه فأخذهم كل واحد منهم على حدة وقالوا لهم أن ملككم دقيانوس في طلبكم فما قدرتم أن تسلموا منه إلا بأن تعبدوا معه إلهه الذي قال النار في ثلاثمائة سنة أفمن عندهذا الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد ضرب لهم أنهم قد ناموا كما طول ما كانوا يناموا في الليلة التي أصبحوا بها فسأل بعضهم بعضا كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا اقسمتم في المدينة لتدعوا الطاغية أو تقتلوا قالوا فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال مكسلمينا يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد إيمانكم كما ذا دعاكم غدا تم قالوا يا تمليخا نطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال عنا بها اليوم ونلطف ولا تشعرن بنا أحدا وابتع لنا طعاما واتنا به وزد نا على الطعام الذي جئتنا به أمس فإنه كان قليلا وقد أصبحنا جياعا فعمل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها ثم أخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت تكفي الربع فانطلق تمليخا حتى إذا ظهر من باب الكهف رأى عجائب فرجع حتى من باب الكهف فتجنب منها ثم مشى حتى أتى باب المدينة مستخفيا بعيدا عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به إلى دقيانوس الجبار ولا يشعر العبد الصالح أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة فلما رأى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة لأهل الإيمان فلما رآها عجب وجعل يقلب بها مستخفيا فنظر يمينا وشمالا ثم انه ترك ذلك الباب وتحول إلى باب آخر من أبواب المدينة فنظر فرأى مثل ذلك فعل يتخيل له أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها ورأى ناسا كثيرا محدثين لم يكونوا قبل ذلك فعل يضرب ويتعجب ويخيل إليه أنه صيران ثم انه رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ليت شعري أما هذه عشية أم كان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فإنها ظاهرة لعل عالم ثم يرى انه لم ينم فانتبه كما هو وجعل على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين أظهر أهل سوقها وهو يسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده ذلك رعبا وأى انه صيران فقام مستندا ظهره إلى جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فليس على الأرض أحد يذكر عيسى إلا قليلا وأما الغداة فما سمع كل إنسان يذكر عيسى ولا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرفها فإني أسمع كلام أهلها ولا أعرفه وأسماؤهم والله ما أعلم مدينة بقربها مدينة غيرها كل صيران لا يتوسطها إلا أنه لقي فتى من أهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة فقال له أفسوس فقال في نفسه لعل بي مسا أو أمر الذهب عقلي والله يعلق لي أن أبادر الخروج منها قبل أن يعرفني أحد ثم فاه لك هذا ما عندي فيه فأخذ أصابعه حتى بين لهم ما هم فيه ثم انفذ وقال والله لو قلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس لي فدنا من الذين يبيعون الطعام ثم أخرج الورق التي كانت معه فناولها وسلم فنظر إليها بعض من رآها ثم أخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها فقلبها ثم ردها إليه وقال له من أين لك هذا يا فتى فقال له يا عم إنما خرجت بهذه الدراهم أمس فاشتريت بها طعاما فأعطاني هذه الدراهم فقال له الرجل ومن أين أنت يا فتى فقال له أنا من أهل هذه المدينة فقال له ما نعرف في المدينة فتى يقال له تمليخا إلا فتى نشأ بها ثم بعد ما يتطاول زمانهم من يدخل الدور يدل فيخبرون منها ثم جعلوا يتعاجبون منه ويقول بعضهم لبعض إن هذا الرجل قد أصاب كنزا في الأرض منذ زمان طويل فلما رآهم يتعاجبون منه أراد أن يفرق فرقا شديدا فجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه أنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس قال وجعل الناس يأتون بائعه وينظرونه فقال لهم وهو يريد التفريق انفسحوا لا قد أخذ تموني فاسكتوا فلا حاجة لي في طعامكم فقالوا يا فتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين فأنت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأر نا مكانه وشاركنا فيه يخف عليك ما وجدت فإن لم تفعل فإنا نرفعك إلى السلطان ونسأله أن يأخذه منك فلما سمع قولهم عجب في نفسه ثم قال لعلهم يحسبون في كل شيء كنت أحسن منه ثم قالوا والله ما في إلا أن لا نتبعك أن تكتم ما وجدت ولا تظن في نفسك أن سنخفي عليك فتصير في نفسه ليس يدري ما يقول لهم وما يريد جميع اليوم وفرق حتى ما يخبرهم بشيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وطوقوه من عنقه ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة سكة سكة حتى مر به من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنز فاجتمع عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون إليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تمليخا

يتمكين قالت من وزرائك فإن وزراء فرعون كانوا خيرا منهم فنظر الحاج إلى وزرائه فرآهم صمتوا فقال لها كيف ذلك فقالت لأنهم قالوا

عفا الله تعالى عنه وعن جميع المسلمين (وعرض) على الحبابي أسرى فأمر بقتلهم فقتل منهم جماعة ثم قال لرسل منهم وقد عرض على القتل لأجزالك الله من السفير خيرا ما جئ فانا وان كنا قد أسأنا إلى الذنب فوالله ما أسأنا في الغدر فان الله تعالى يقول في كتابه العزيز فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا هو الكفار تكيف في المسلمين وقال الشاعر وما نقتل الأسرى

ولكن نكفهم
اذا أثقل الاعناق حمل
الحلل

فقال الحبابي يا هؤلاء اسلموا والله لو قالوا لي ما قال هذا الرجل ما قتلت منهم أحدا ولكن أطلقوا سبيلهم (ولما) ولى الحجاج العراق قال على بالمرأة الحضرية فلما أحضرت قال لها أنت بالأمس في وقعة ابن الزبير كنت تحرضين الناس علي فقالت وما عسى أن أقول لمن يسألني فقال لتصدقني أو لأقتلنك فقالت المرأة فكان ذلك فالتفت الحجاج الى وزرائه وقال ما ترون فيما قالت المرأة فقال له أحدهم قد كذبت فضحكت المرأة فغاظ ذلك الحجاج وقال لها على ما تضحكين فقالت لأنهم قالوا

فذكروا لهم ما جرى عليهم فلما أخبرهم بذلك فزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله تعالى ويتضرعون اليه ويتعوذون به من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم فانظروا منه وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا على أنفسهم فلما رأوا منه ذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتذاكرون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم كذلك اذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكانهم باسطا ذراعيه بالوصيد باب الكهف فاصابهم ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض قومه لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا الغد كانوا يحسبون اني غضبان عليهم بجهلهم ما جهلوا من أمري فاني لا أغضب عليهم ان تابوا وعبدوا آلهتي فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق ان ترهم قوما مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آبائهم فسألهم عنهم وقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له أما نحن فلم نعصك ولم نقتلنا بقوم مردة وانهم خالفونا وانطلقوا الى جبل يسمى ناجلوس فلما قالوا له ذلك غلى سيلهم وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية فالقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم ويجعلهم آية لامة تستخلف بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فامر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتوا جوعا وعطشا ولكن كلهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكانهم باسطا ذراعيه بالوصيد باب الكهف وغشيهما غشيهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال * قال ثم ان رجلين مؤمنين وكانا في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما من أحدهما تندوسيس والآخر روباس فتمرا أن يكتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص ويجعلا في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله أن يطلع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ هذا اللوح فعملا ذلك وبنيا عليه فبقي دقيانوس ما بقي ومات قومه ومات قرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وثمانين سنة فعزب الناس في ملكه أحزابا منهم من يؤمن بالله العظيم ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فشكا الى الله وتضرع اليه وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق وانهم يقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانا تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد وأما الجسد فيأكله التراب وتسوا ما في الكتاب فجعل الملك تندوسيس يرجل الى من كان يثق به منهم ويراهم أنهم كانوا أئمة في الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته فاغلق عليه وليس مسحا وجعل تحته رمادا فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكي مما يرى فيه الناس ويقول أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم ان الرحمن الرحيم جل وعز الذي يكره اختلاف العباد أراد أن يظهر لهم الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأنه يبعث بعبده الصالح تندوسيس وأنه يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذي أعطاه وأن لا يعبد الا الله ولا يشرك به شيأ وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي به الكهف وكان اسم ذلك الرجل أوليانس أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين فعملا ينزعان تلك الحجارة بينيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحا عليهم باب الكهف وبعثهم الله من الناس فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر اليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلبهم ناشرا فلما نزعت الحجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون منها اذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون بها ثم انهم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرون في

فجوههم

بقيت
ومن ذا الذي يأتي بعذر
وحجة
وسيف المنايا بين عينيه
مصلت
وما جزعي مسن ان أتى
الموت ننى
لأعلم ان الموت شيء
مؤقت
ولكن خلفي صبية قد
تركتهم
وأكلهم من عصرة
تتلمت
كأني أراهم حين أنعى
اليهم
وقد أجعلوا تلك الوجوه
وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين
بغبطة
أذود الردى عنهم وان
متموتوا

(قال) فبكى المعتصم حتى ابتلت لحيته وقال ان من البيان لسحرا ثم قال والله يا يتيم لقد غلب السيف العفو وقد وهبتك لله ولصبيتك وعفوت عن ذلك ثم أمر بفكاك عانه فحمله على موضعه الذي كان خرج عنه ووصله بشيء كثير

(وحكي عن بعضهم)

قال قدم الى معن بن زائدة أسارى فعرضهم على السيف فقام اليه رجل منهم وقال أيها الامير نحن أسرى الموت نحن بالله جياع من أثر الطريق فان رأيت ان تطعمنا فافعل ثم كل سواء أجوفا ما بطعامهم فاستجابت الموائد وعليها الطعام واجتمعوا وأكلوا ومعن ينظر اليهم

باقية على رأسها فانكبت عليه وبكت وقالت يا أمير المؤمنين ولدي واحدي فاشدد بالله

ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وأنا كتبت شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم ان عثر عليهم فلما رقوه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أيديهم بعد الله وتسبيحه ثم دثروا على الفتية الكهف وبدوهم بعلوسا شرزة وجوههم لم تبل ثيابهم فمر اروس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وانبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اروس وأصحابه بعثوا الى ملكهم الوالي تندوسيس ان عجل لك لتنظر آية من آيات الله تعالى قد أظهرها الله في ملكك فاعجل الى فتيتنا يبعثهم الله وقد كنت توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة وثمانية وتسعين سنة وهذه المدينة التي كان عليها دقيانوس الجبار فسماها أصحاب الكهف الناهم رب السموات والارض تعالوا نحمد الله على ورحمته بر حمته فلم تطفئ النور الذي جعله لآبائي وللعبد الصالح قسطيطيوس الملك فلما بلغ أهل المدينة ركبوا البهو سار واحتى أتوا الكهف فلما رأى الفتية تندوسيس الملك ومعه حرابه وخروا سجدا لله على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ساعة ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم ان الفتية قالت لتندوسيس تستودعك الله ونقرأ عليك السلام ومن قبلك الله ومن قبلك كان وأعاذك من مراجل الجن والانس فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فماتوا وتوفى الله أرواحهم وقام الملك اليهم بجل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوفى المنام فقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا من فضة فاتخذ لنا من تراب والتراب نسير فيه كما كنا فكفى الكهف على التراب حتى بعثنا الله منه فأمر الملك حينئذ بتوابيت من ساج فعملوا فهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يزد وأحد أن يدخل عليهم وأمر الملك بجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه ويجعل لهم عيدا يظهرون أمر أن يؤتى كل سنة فيه فيل انهم الأتراب الكهف قال فاعتاد عوف أن دخل على أصحاب فأبشرهم فدخل وبعض الناس وجدوا آراءهم في علمهم مكانهم فلم يهتدوا اليه كذا ذكر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فهذا خبر أصحاب الكهف ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يريهم فقال انك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث اليهم أربعة من أصحابك يبلغونهم رسالتك فبعث اليهم علي الاعرابي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعلي كيف أبشرهم قال ابدأ كساد وأجلس على طريقهم من آخرهم أبا بكر وعلى الثاني عمر وعلى الثالث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع أبا ذر ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان بن داود فان الله أمرها أن تطيعك ففعل النبي عليه الصلاة والسلام ما أمر به فلما هم الريح حتى انتهى بهم الى باب الكهف فلما رأوا من باب الكهف فلما وا منه بعد افاقام الكلب سبين أبصر النور وهو وعلى عليهم فلما رآهم سوا ثم رأسه وبدا بعض بدنه وأومأ برأسه ان ادخلوا الكهف فدخلوا وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فقاموا وأبشروهم وقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا ان النبي الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى محمد وآله السلام ما دامت السموات والارض وعليكم بالعلم ثم انهم بدأوا بجميعهم تشهدوا فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الاسلام وقالوا مرنا بما أحدثت صلى الله عليه وسلم السلام ثم انهم أخذوا مضاجعهم وصاروا الى ربهم ثم الى آخر الزمان عند نزول المهدي فيقال ان المهدي بعث لهم فجيء بهم الله تعالى له ثم انهم يرجعون الى مرقدهم فلا يقومون الى يوم القيامة ثم جاء كل واحد منهم على مثاله وعلى هيئة يوم الرجعة فهبط جبريل عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما كان منهم قلت أنوا النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف وجدتموهم وما الذي أجابوكم فتداولوا يا رسول الله فعلمناهم وسلمنا عليهم فعلموا فردوا السلام بأحسن ما علمناهم وسألتهم فأجابوا وأتابوا وشهدوا انك رسول الله صدقوا وحمدوا الله على ما أكرمهم بخير وجعل وفوبه رسالتك اليهم وهم يقرئون عليك السلام فقال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تفرق بيني وبين أصحابي واحفر لي أحبني وأحب أهل بيتي واحبب أمتي وأحب أصحابي

(مجلس في ذكر برجيس عليه السلام)

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه اليماني قال كان في الموصل ملك يقال له زادانه

باقية على رأسها فانكبت عليه وبكت وقالت يا أمير المؤمنين ولدي واحدي فاشدد بالله

الى أم قنية فأخذ منها كتابا بالوصية وقدم الى قنية فلما دخل عليه قال يا ولدي بأي وجه تلقاني قال بالوجه الذي ألقى به ربي فان احسانك الى

ما يدري ما يقول لهم مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم يتكلم ولو قال انه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا ان أباه وأخوته في المدينة وان حسبه في أهل المدينة من عظماء أهلها وانهم سيلونه اذا سمعوا وقد استيقن أنه عشية أمس كان يعرف كثيرا من أهلها وانه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فخلص من أيديهم فبينما هو كذلك اذ قد اختطفوه وانطلقوا به الى رئيسي المدينة ومدبريها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أرموس واسم الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به ظن عند ذلك انهم انطلقوا به الى دقيانوس الملك فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون والحيران فجعل يناجي نفسه ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السموات والارض أفرغ علي اليوم صبرا وأوله رحمة منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يكلم ويقول في نفسه فرق بيني وبين اخوتي بالتبسم يعلمون ما لقيت فيأتوني فيقوموا بين يدي هذا الجبار فانا كاذب توفقني للكون من الانكفار بالله ولا نفرق في موت ولا حياة أبدا اليس شعري ما هو فاعل بي هل هو قاتلي أم لا ثم هذا ما حدث به نفسه هذا أصحابه من نفسين رجع اليهم فانتهى به الى الرجلين الصالحين ارموس واسطيوس فلما علم يقينا أنه لم يذهب به الى دقيانوس أضاف وسكن ما به فاخذ ارموس واسطيوس الورق وانظرا اليها وعجبا منها ثم قال أحدهما أين الكنز الذي وجدت فيه هذا الورق فقال ما وجدت كنزا ولا رأيت هذه الورق ورق آبائي وقومي هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم فقال أحدهما أنت فقال له يا فتى فمن أبوك ومن يعرفنا بها فاخبرهما باسم أبيه فلم يعدوا واحدا يعرفه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر يا فتى ما يقول غير أنه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حضر هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقام أحدهم ونظر اليه نظرا شديدا وقال له أتظن انا نرسلك ونصدق بان هذا مال أبيك واضرب هذه الورق ونقشها أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب تظن ان تأفكنا وتسخر بنا ومن شاء منا فليأتني وحوالك يراه هذه المدينة وولاة أمرها وخزان هذه البلدة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار لا عندنا ولا عند غيرنا شديدا ثم أوثقك حتى تعرفني هذا الكنز الذي وجدت فلما سمع ذلك قال له يا عم أبتوفي عن شيء أنا أكلمكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا له لا نكتحل شيأ قال ما هل بالملك دقيانوس قالوا ومن لا يعرف اليوم ملكا يسمى دقيانوس ومن يكن الاملاك قد هلك منذ دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال له ويحكم والله ما أجد من الناس أحدا يصدقني على ما أقول لقد كان دقيانوس أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبينا نحن بين جبلين لا شعر لي لاصحابي طعنا وأنا سمعت الاخبار وادا أنا كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف الذي في جبل ناجلوس أريكم أصحابي فلما سمع أرموس ما يقول قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد هذا الفتى فانطلقوا يا معشر أصحابه فانطلق معه أرموس واسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم وكان المتبوء أصحاب الكهف ظنوا ان قيامتهم قد احتبس عنهم لانه لم يأتهم بطاعتهم وشرابهم في القدر الذي كان يأتيهم فظنوا أنه قد أخذ وذهب به الى دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتحدثون اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل وسرعة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار وانه بعث اليهم ليوقع بهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا فانا أتى أعاننا فانه الآن بين يدي دقيانوس ينتظر متى يأتيه وبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراني الكهف لم يشعروا الا وارموس وأصحابه وقوف على باب الكهف وقد سبقهم فانا فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه بكوا معه ثم انهم سألوه عن شأنه فاخبرهم بخبره وقص عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمان كله وانما أوقظوا الكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل علي أثر فتانا أرموس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخواتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت فوجد فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما ان مكسلمينا وفتانيا ومرطونس وكشطونس وداسيوس وتكريوس وبطليوس كانوا فتية هربوا من

أوجنسه وأخذا من اسنانهم في قتلوني ثم قتلوني قال فصلبا الجباح وأمر لهما بمال وأطلقهما ولم يعرض

عليها وحضر الهرمزان الفارسي بين يدي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ما صورا ادعاه عمر الى الاسلام فابى فامر بقتله فقال يا أمير المؤمنين قبل أن تقاتلني اسقني شربة ماء ولا تقتلني ظمآن فامر بقدح من ماء فلما صار القدح بين يدي الهرمزان قال أنا آمن حتى أشرب هذا القدح يا أمير المؤمنين قال نعم لك الامان حتى تشرب هذا الماء فاتاه على الارض ثم قال الوفاء الوفاء يا أمير المؤمنين فقال عمر دعوه حتى ننظر في أمره فلما وضع السيف عنه قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال له عمر لقد أسلمت غير الاسلام فما أخرك قال خشيت أن يقال عني اني أسلمت خوفا من السيف فقال عمر لقد استوفيتم اما كان فيه من الملك ثم ان عمر بعد ذلك كان يشاوره في اخراج الجيوش ويعمل برأيه رضي الله تعالى عنهم أجمعين (وقيل) سرق شاب سرقة فاتى به الى المأمون فامر بقطع يده فربطت لتقطع فانشد يقول

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها بعفوك ان عز عليها ابتذالها فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها اذا ما شمال فارقتها يمينها قال وكانت أم الشاب

وماذا من بعض لها شعرانه * برجى سواها فهو مهوى انتقالها فقال الملعون يا غلام أعطه ألف دينار ثم قال له في كل سنة ما دام قصرنا عامرا (وأنشد في المعنى)

اذا كنت في أمر ذكرت فعله
فقد قيل أنت ماهر وتاركه

فكم دمت الايام أرباب دولة
وقد هلكوا أضعاف ما أنت هالكه

(وروي عن موسى بن عمران صلوات الله عليه) انه خرج يوما فعطش عطشا شديدا واذا هو برجل واقف على الطريق فقال له أين يا نبي الله قال الى المدينة فقال له الرجل ما حاجتك قال فما هي قال له يكرمني بشربة من جبته فلما وقف موسى عليه السلام له ناداه نبي الرسالة من علاه والمناجاة ناداه ربه يا موسى تسألني ما جئت به عبدي قال يا رب أنت أعلم بما سألت قال نعم ولكن الرسالة عنها أن تؤدي ولم يؤد الرسالة عبد ولا أمة والا الأنبياء الذين يا موسى قد وهبت له جميع ما أراد فرجع موسى إلى عبده فاذا هو كأنه نقل الهموم وهو يدعو أين ذهب الرجل الذي كان ههنا فقال يا موسى هرب مني فقال لم قال موسى أحسنا اليه فلم يقبل منا فقال له ان كان الامر كما تقول فق

وكان قد ملك الشام كلها ودان له أهلها وكان جبارا عاتيا وكان يعبد صنما يقال له افاون وكان جريج من عبادا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حواري عيسى بن مريم عليه السلام وكان ناسكا كثير المال عظيم الصدقة وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه فخرج بوما يريد ملك الموصل ومعه مال يريد أن يهديه اليه لئلا يجعل لاحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فاعوقد برز في مجلس له وأمر بصنمه افاون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من خالفه بانواع العذاب وقد أوقد نارا عظيمة فمن لم يسجد لافاون ألقي في تلك النار فلما رأى جريج عليه السلام ما صنع قطع منسوجه له وأعفاه وحدث نفسه بجهاده وألقى الله في نفسه بغضه وجاهدته له فعمد الى المال الذي أراد أن يهديه له فتصدق به على أهل ملته حتى لم يبق منه شيء وكره أن يجاهده بالمال وأحب أن يلي ذلك بنفسه فاقبل عليه وقال له اعلم انك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيأ ولا لغيرك وأن الله ربا هو الذي ملكك وغيرك وهو الذي خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضرك وينفعك واذا قال لشيء كن فيكون وانك انما عبدت الى خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يغني عنك شيأ من الله فزينته بالذهب والفضة وجعلته فتنة للناس ثم عبدته من دون الله فبكى من جواب الملك له أن سأله عن حاله وأمره من هو ومن أين هو فقال جريج أنا عبد الله وابن عبده وابن أمته أذل في عباده وأفقرهم اليه من التراب خلقت واليه أصير فقال له الملك ويلك الذي تزعم كما تقول لرؤى أنه على ذلك كما ترى أترى على من حولي ومن هو في ملكي فاباه جريج بتمجيد الله وتعظيم أمره ثم قال له أتعدل افاون الاصم الابكم الذي لا يغني عنك شيأ برب العالمين الذي قامت السموات والارض بامره أم تعدل ملوفيليا وما مال بولايتك فانه عظيم قوملك بما مال الناس من ولاية الله تعالى فان الناس كان في يده أمره آدميا يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فاكرمه الله تعالى حتى أنبته له الريش وكساه النور فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا بطيرمع الملائكة أم تعدل مخلليس وما مال بولايتك فانه عظيم قوملك بالمسيح بن مريم وما مال بولاية الله تعالى فان الله تعالى فضله على رجال العالمين وجعله وأمه آية للعالمين أم تعدل هذه الروح العلية التي اختارها الله بكلمته وخلقها على امائه وما مالت بولاية الله بل وما مالت بولايتك فانها كانت من شيعتك وعلى ملتك فاعلمها الله مع عظيم ملكها حتى افتحمت علم الكلاب في بيتها فانتهشت لحمها وانت في دمها وقطعت الضباع أوصالها فقال له الملك انك لتحدثنا بشيء ليس لنا به علم هاتوا بالرجلين اللذين ذكرتم حتى أنظر اليهما فاني أنكر أن يكون هذا من أمر الشر فقال له جريج انما جاءك الانكار من قبل الغرة بالله تعالى وأما الرجلان فلن تراهما ولن يراك الا أن تعمل بعملهما فانزل منازلهما فقال له الملك أما نحن فقد أعذرنا اليك وتبين لنا كذبك لانك غررت بامور عجزت عنها ولم تأت بتصديقها ثم ان الملك تحير جريج بين العذاب وبين الصبر ولا فاون فقال له جريج ان كان افاون هو الذي رفع السماء ووضع الارض فقد أصبت ونصحت لي والا فاخسأ أيها النحس الملعون فاسمعها الملك غضب وسبه وسب الهه وأمر بخشبة فنصبت له وجعل عليها أمشاطا من حديد حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه وأضجع عليه في خلال ذلك بالحبل واخذ دل فغفله الله من ذلك الالم والهلال فلما رأى الملك أن ذلك لم يقتله أمر بست مسامير من حديد فاحميت حتى جعلت نارا تضرم بها رأسه حتى سال دماغه فغفل من الالم والهلال فلما رأى ذلك أنه لم يقتله أمر بحوض من نحاس فاوقد عليه حتى اذا جعله نارا أمر به فادخل في جوفه وأطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد وهو فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال له يا جريج اما تجد ألم هذا العذاب الذي نعذبك به فقال ان ربي الذي أخبرتك به جعل العذاب عني وصبرني لاصنع عليك فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخافه على نفسه وملكه وأجمع رأيه على أن يخلده في السجن فقال له الملأ من قومه انك ان تركته طليقا في السجن يكلم الناس أوشك ان يميل بهم عليك ولكن مره بعذاب في السجن فينسيه عن كلام الناس فامر به فقطع على وجهه ثم أوتد في يديه ورجليه أربعة أوتاد من حديد في كل ركن منها وتد وأمر باسطوانة من رخام فوضعت على ظهره ثم انه حمل على تلك الاسطوانة ثمانية عشر رجلا فقال يومه ذلك وتداخت الحجر فلما أدركه الليل أرسل الله تعالى اليه ملكا وذلك أول ما بدأ به الله تعالى بالملائكة وأول ما جاءه الوحي فقلع عنه الحجر ونزع الاوتاد من يديه ورجليه وأعفاه ومسح وجهه وبشره

كثير من احسانك الى ما قال الذي له أكثر من مخالفتي لا قال فصلت قتيبة وقال صدقت وصفا له (وأشرف المأمون وما من

صره) فرأى رجلا
فاعا ومعه غنمة يكتب
م على حائط القصر فقال
حد غلمانه أنزل الى ذلك
لرجل وأسأله به
وافر أما كتبه فقرأه
اذا هو هذا الشعر
اقسم جسم ذلك اليوم
اليوم
تي يعيش في أركانك
اليوم
يوم يعيش خلق اليوم
ن فرحي
كون أول من يرعاك
س غموم
قال له أجب أمير
لمؤمنين فقال له الرجل
أنشدك بالله يا غلام
تذهب بي اليه فقال له
لغلام انه رآك من
القصر فاخذه وأوقفه
بين يدي أمير المؤمنين
يقال وبدته كتب كذا
كذا فقال المأمون ويلك
ما حملك على هذا فقال
أمير المؤمنين انه لم يخف
علينا ما رأيته فصرت من
خزائن الاموال والحلي
الحلل والطعام والشراب
الاسعة والفرش
الجواري والخدم
ورت عليه وأنا في غاية
ن الجوع والفاقة
وقفت مفكرا في أمري
قلت في نفسي هذا
قصر عامر عال وأنا
ائع ولا فائدة لي فيه
لو كان خرابا وصرت
لم أعدم منه خشبة أو
كلة أو مسمارا أنتفع بثمنه وما علم أمير المؤمنين ما قال الشاعر اذا لم تكن للمرء في دولة امرئ نصيب ولا حظ تغني فتيلها بالضمر

عن الزاهد بن وفاق على العابد بن يقال له ابراهيم بن أدهم فتمنيت على الله رؤيته وأموت فقلت له ابشر يا أخي فقد قضيت حاجتك وما رضي لي بأن آتيك الا سحابا على وجهي فوثب من مكانه وعانقني وسمعته يقول قضيت حاجتي فاقبضني فوقع ميتا (شعر)

أيدي شواهده في قلب شاهده
وأن شاهده فيما يجاكيه

الحمد لله لا بين ولا صلة
هذا بيان لمعنى من يعانيه

(وقال علماء السلف رضي الله عنهم) بعثنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غزاة وكنا أربعة آلاف فحاصرنا قلعة على جبل لا نصل أسلحتنا اليه وفيها جيوش وأميرهم امرأة جسماء فقال فطلعت على السور فنظرت الى عسكر الصحابة رضي الله تعالى عنهم فرأته شابا ملثما من العرب وكان جيلا فارسا شجاعا يضرب بالسيف ويطعن بالرمح فقالت ياماه فقالت لها جارية ما ما بالك قالت ان سمعنا قد فتح فقالت الجارية وكيف ذلك فقالت ستين بعد سبعة ثم أرسلت الى الشاب هل أجد اليك سبيلا قال نعم بشرط أن تسلمي الي الظاهر الينا والباطن لله قالت أما الظاهر فاعسرته وأما الباطن فاهو قال فلبين تسلمينه لله وتفسرين لوجاهيته فارسلت اليه تعال بعسكرك فلما دخل الحصن وعرض عليها الاسلام قالت اني امرأة

من البحر ثم سمته حتى صار الرماد صبرة واحدة كهيئته قبل أن يذرى فخرج منه جرجيس مغبرا ينفض رأسه فرجعوا ورجع جرجيس وأخبر والملك بخبر الصوت الذي سمعوه والريح الذي جعته فقال له الملك يا جرجيس هل لك فيما هو خير لي ولك مما نحن فيه ولولا أن يقول الناس انك غلبتني وقهرتني لاتبعتك وآمنت بك ولكن اسجد لاقاون سجدة واحدة واذبح له شاة واحدة ثم اني أفعل ما يسرك فقال له نعم مهما شئت فعلت فادنني على صنمك ففرح الملك بقوله وقام اليه وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال له اعزم عليك أن تظل هذا اليوم ولا تبيت هذه الليلة الا في بيتي وعلى فراشي وفي كرامتي حتى تستريح ويذهب عنك وصب العذاب ويرى الناس كرامتك علي فأنزله في بيته فظل فيه جرجيس حتى اذا أدركه الليل قام يصلي ويقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتا فلما سمعته امرأة الملك استجابت له فلم يشعر الا وهي خلفه تبكي فدعاها جرجيس الى الايمان فآمنت به وأسرها فكتمت ايمانها فلما ان أصبح الصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد لها فلما سمعن العجوز بذلك خرجت تتمثل بانها على عاتقها توبخ جرجيس والناس مشتغلون عنها فلما دخل جرجيس بيت الاصنام ودخل الناس معه نظر واواذا بالعجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس اليه مقاما فلما رآها جرجيس دعا بالعجوز باسمها فنطق وأجابه ولم يكن يتكلم قبل ذلك فلما قام اقتحم من عاتق أمه يمشي على رجليه ولم يكن يطأ الارض قبل ذلك بقدميه قط فلما وقف بين يدي جرجيس قال له اذهب فادع على هذه الاصنام وهي يومئذ سبعون صنما على منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف ادعو الاصنام فقال له قل لها ان جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلقك الا ما أجبته فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تتدحرج الى جرجيس ولما انتهت اليه ركضت الارض برجله فخسف بهم او بعضها وخرج ابليس لعنه الله من جوف صنم منها هاربا فرقا من الخسف فلما مر جرجيس أخذ بناصيته فخضم له وكلمه جرجيس فقال له جرجيس أخبرني أيها الروح النجسة وخالق الملعون ما الذي يحملك على أن تهلك نفسك وتهلك الناس معك وأنت تعلم انك وجندك تصيرون الى جهنم فقال له ابليس لعنه الله لو خيرت بين ما أشرفت عليه الشمس وبين ما أظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بني آدم وضلالته لاخترت هلكته على ذلك كله وانه ليقع لي من الشهوة واللذة في ذلك مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق ألم تعلم يا جرجيس أن الله تعالى أمرنا لابيك آدم بجميع الملائكة فسجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه قال فلما قال هذا لي سيله جرجيس فاذا دخل ابليس من يومئذ جوف صنم ولا يدخله بعد هامة يا ذكرون أبدا فقال الملك يا جرجيس غررتني وخدعتني وأهلكت آلهتي فقال جرجيس انما فعلت ذلك لتعبر ولتعلم انها لو كانت آلهة لامتنعت مني فكيف تقتل وتلك يا أيها تمنع نفسها مني وانما انا مخلوق ضعيف لا أملك الا ما ملكني ربي فلما قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكاثم وكشفت لهم عن ايمانها وعددت لهم افعال جرجيس والعبر التي أراهم الله تعالى اياها وقالت لهم ما تنظرون من هذا الرجل الا دعوه فيخسف بكم الارض كما خسف بأصنامكم الله الله أيها القوم في أنفسكم فقال لها الملك ويحك يا اسكندوة ما أسرع ما أضللت هذا الساحر في ليلة واحدة وأنا أقاسيه منذ سبع سنين فلم يظفر مني بشيء فقالت له أما رأيت الله كيف نظفره بك وبسلطانك فيكون له الفلاح والحجة عليك في كل موطن فلما سمع كلامها أمر بهما الملك عند ذلك فعلقت على خشبة وجرجيس التي كان علق عليها وجعلت على الاعشاط التي بعلت على جرجيس فلما آلمها قالت ادع ربك يا جرجيس يخفف عني فاني قد آلمني العذاب فقال لها انظري فوقك فلما نظرت ضحكت فقال لها الملك ما الذي يضحكك قالت أرى ملكين فوقي معهما تاج من حلي الجنة ينظران به خروج روحي فلما خرجت وحملت بها بذلك التاج صعدا بها الى الجنة فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أنت أكرمتني بهذا البلاء لتعطيني منازل الشهداء فهذا آخر أيامي الذي كنت وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا اللهم اني أسألك أن لا تقبض روحي ولا أزول من مكاني هذا حتى تنزل جنودك المتكبرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبل لهم به حتى تشفي به صدري وتقر به عيني فانهم ظلموني وعذبوني فيك اللهم واسألك أن لا يدعو بعدي داع في بلاء وكرب فيذكرني ويستشفع باسمي الا فرجت عنه

كثيرة الهيبة هل في عسكرك من هو أكبر منك حتى أسلم على يديه قال نعم فارتحلت مع العسكر ومعها أموال كثيرة حتى دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال هل ههنا أكبر منك حتى أسلم على يديه قال نعم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذين قتلوا بحر بربا فقال له جرجيس ما حملني بني دينهم حتى مات آبائهم فقال له رجل من عظمائهم يقال له
خليفاس ان زعمت يا جرجيس ان الهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وانى سائلك أمر ان دعا فآمنت بك
وصدقتك وكبتك نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيا وهذه ما تة بنا على الأقداح وحالفنا من أكابرنا
فادع ربك ينشئ هذه الكراسي والاوانى كما بدأها أول مرة تعود خضراء فيعرف كل عود منها الذي كان
وزهره فقال له جرجيس اقد سألت أمرا عزيزا على وعلى ربنا ولكن على الله هين ثم دعا الله عز وجل فجاءت
مكانها حتى اخضرت تلك الكراسي والاوانى كما هو ما خضر عودها ونبتت اللحم وتمت وأورقت وأزهرت
وأثمرت فلما نظروا الى ذلك انتدب لهم خليفاس الذي عنى عليه ما فقال أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا
يعلل به كيده ثم انه عمد الى خماس فصنع منه صورة ثور له جوف له اسم ثم حشاه نفطا وراصا وكبريتا وزرنيخا
ثم أدخل جرجيس مع الحشو في جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهبت بالنار وأخذ جرجيس في
جوفها فلما مات جرجيس أرسل الله ريحا عاصفا فاظلت السماء سحابا أسود فيه رعد وبرق وصواعق وأرسل الله
اعصارا على بلادهم فقاما حتى اسود ما بين السماء والارض فكثوا أياما متحيرين في تلك الظلمة لا
يفصلون بين الليل والنهار وأرسل الله ميكائيل فاحمل الصورة التي فيها جرجيس حتى اذا أظلها ضرب بها الارض
ففزع من رعبها أهل الشام ففروا الوجوههم ساعتين وانكسرت الصورة ففرج منها جرجيس حيا سالما
وقف بكلامهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين السماء والارض ورجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له
طونيليانوس يا جرجيس ان كنت أنت تصنع هذه الاعاجيب أم ربك فان كان ربك هو الذي يصنع فادع حتى
نماوت الذي في هذه القبور فان فيها أمواتا منهم من نعرفه ومنهم من لا نعرفه فقال له جرجيس ان شئت ان
يصلح الله عنكم هذا الصنع ويريكم هذه الاعاجيب الا تكون عليكم هذه فتستوجبوا بها غضبه ثم أمر بالقبور
ففتحت وهي عظام رفات وأقبل جرجيس على الدعاء فجاءوا من مكانهم حتى نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة
رجال وخمس نسوة وثلاث صبية واذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك فقال يا جرجيس اسمي توبل
قال متى مت قال في زمان كذا وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك واصحابه الى ما فعل قالوا
ما بقي من أصناف العذاب شيء الا وقد عذبوه به الا الجوع والعطش فمد نزلوهما فعمدوا الى بئر عميقة
فقيرة كان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد لم يسمع ولم يتكلم ولم يبصر ولم يمش قط ولا أكل طعاما ولا شرب شرابا قط
بلغ به الجوع قال للجوز هل عندك من طعام أو شراب قالت لا والذي حلفت به ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا
وسأخرج أنا فانظر لك شيئا فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى قالت نعم قال اياه تعبدين قالت لا ندعوها الله
فصدقته ثم انها انطلقت تطلب له شيئا وكان في بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل سقف البيت فاقبل على الدعامة
فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت كل فاكهة نوكل أو تعرف حتى كان مما أنبتت اللوز والجاز وهو مثل البردي
يكون بالشام وظهر الدعامة فرع من فوق البيت ظله من فوقه فاقبلت الجوز وهو فيما شاءها كل ما رغد عليها
رأت الذي حدث في بيتها من بعدها قالت آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفي
ابني قال لها أدنيه مني فادنته فبصق في عينه فابصر ونفث في أذنيه فسمع فقالت له أطلق لسانه ورجليه ويسمع الله
فقال لها أخبريه فان له لسانا عظيما وكان الملك قد خرج يوما يسير في مدينته اذ رمح بصره على الشجرة فقال اني أرى
شجرة بحمان ما كنت أعرفها به فقولوا له ان تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع فهو
فيما يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع الجوز الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فامر الملك بابيت فهدم وبالشجرة
أن تقطع فلما هموا بقطعها أبى الله الشجرة وردها كما كانت أول مرة فذكروها وأمر بجر جيس فقطع على
وجهه وأوتد له أربعة أوتاد وامر بجعل فاقر اسطوانا وجعل في أسفل الجعل حمما جر وشظايا ثم أسر بابن ثورا
فنهضت بالجعل نهضة واحدة فجر جيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فامر بقطعة أن تحرق فالقيت في النار حتى عادت
وما دافعت بذلك الرماد وبعث معه رجالا فذروه في البحر فبارحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحر
ان الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فاني أريد أن أعيده كما كان ثم أرسل الله الرياح فاخرجته

الذين قتلوا بحر بربا فقال له جرجيس ما حملني بني دينهم حتى مات آبائهم فقال له رجل من عظمائهم يقال له
خليفاس ان زعمت يا جرجيس ان الهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وانى سائلك أمر ان دعا فآمنت بك
وصدقتك وكبتك نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيا وهذه ما تة بنا على الأقداح وحالفنا من أكابرنا
فادع ربك ينشئ هذه الكراسي والاوانى كما بدأها أول مرة تعود خضراء فيعرف كل عود منها الذي كان
وزهره فقال له جرجيس اقد سألت أمرا عزيزا على وعلى ربنا ولكن على الله هين ثم دعا الله عز وجل فجاءت
مكانها حتى اخضرت تلك الكراسي والاوانى كما هو ما خضر عودها ونبتت اللحم وتمت وأورقت وأزهرت
وأثمرت فلما نظروا الى ذلك انتدب لهم خليفاس الذي عنى عليه ما فقال أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا
يعلل به كيده ثم انه عمد الى خماس فصنع منه صورة ثور له جوف له اسم ثم حشاه نفطا وراصا وكبريتا وزرنيخا
ثم أدخل جرجيس مع الحشو في جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهبت بالنار وأخذ جرجيس في
جوفها فلما مات جرجيس أرسل الله ريحا عاصفا فاظلت السماء سحابا أسود فيه رعد وبرق وصواعق وأرسل الله
اعصارا على بلادهم فقاما حتى اسود ما بين السماء والارض فكثوا أياما متحيرين في تلك الظلمة لا
يفصلون بين الليل والنهار وأرسل الله ميكائيل فاحمل الصورة التي فيها جرجيس حتى اذا أظلها ضرب بها الارض
ففزع من رعبها أهل الشام ففروا الوجوههم ساعتين وانكسرت الصورة ففرج منها جرجيس حيا سالما
وقف بكلامهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين السماء والارض ورجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له
طونيليانوس يا جرجيس ان كنت أنت تصنع هذه الاعاجيب أم ربك فان كان ربك هو الذي يصنع فادع حتى
نماوت الذي في هذه القبور فان فيها أمواتا منهم من نعرفه ومنهم من لا نعرفه فقال له جرجيس ان شئت ان
يصلح الله عنكم هذا الصنع ويريكم هذه الاعاجيب الا تكون عليكم هذه فتستوجبوا بها غضبه ثم أمر بالقبور
ففتحت وهي عظام رفات وأقبل جرجيس على الدعاء فجاءوا من مكانهم حتى نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة
رجال وخمس نسوة وثلاث صبية واذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك فقال يا جرجيس اسمي توبل
قال متى مت قال في زمان كذا وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك واصحابه الى ما فعل قالوا
ما بقي من أصناف العذاب شيء الا وقد عذبوه به الا الجوع والعطش فمد نزلوهما فعمدوا الى بئر عميقة وزيرة
فقيرة كان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد لم يسمع ولم يتكلم ولم يبصر ولم يمش قط ولا أكل طعاما ولا شرب شرابا قط
بلغ به الجوع قال للجوز هل عندك من طعام أو شراب قالت لا والذي حلفت به ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا
وسأخرج أنا فانظر لك شيئا فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى قالت نعم قال اياه تعبدين قالت لا ندعوها الله
فصدقته ثم انها انطلقت تطلب له شيئا وكان في بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل سقف البيت فاقبل على الدعامة
فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت كل فاكهة نوكل أو تعرف حتى كان مما أنبتت اللوز والجاز وهو مثل البردي
يكون بالشام وظهر الدعامة فرع من فوق البيت ظله من فوقه فاقبلت الجوز وهو فيما شاءها كل ما رغد عليها
رأت الذي حدث في بيتها من بعدها قالت آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفي
ابني قال لها أدنيه مني فادنته فبصق في عينه فابصر ونفث في أذنيه فسمع فقالت له أطلق لسانه ورجليه ويسمع الله
فقال لها أخبريه فان له لسانا عظيما وكان الملك قد خرج يوما يسير في مدينته اذ رمح بصره على الشجرة فقال اني أرى
شجرة بحمان ما كنت أعرفها به فقولوا له ان تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع فهو
فيما يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع الجوز الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فامر الملك بابيت فهدم وبالشجرة
أن تقطع فلما هموا بقطعها أبى الله الشجرة وردها كما كانت أول مرة فذكروها وأمر بجر جيس فقطع على
وجهه وأوتد له أربعة أوتاد وامر بجعل فاقر اسطوانا وجعل في أسفل الجعل حمما جر وشظايا ثم أسر بابن ثورا
فنهضت بالجعل نهضة واحدة فجر جيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فامر بقطعة أن تحرق فالقيت في النار حتى عادت
وما دافعت بذلك الرماد وبعث معه رجالا فذروه في البحر فبارحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحر
ان الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فاني أريد أن أعيده كما كان ثم أرسل الله الرياح فاخرجته

الذين قتلوا بحر بربا فقال له جرجيس ما حملني بني دينهم حتى مات آبائهم فقال له رجل من عظمائهم يقال له
خليفاس ان زعمت يا جرجيس ان الهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وانى سائلك أمر ان دعا فآمنت بك
وصدقتك وكبتك نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيا وهذه ما تة بنا على الأقداح وحالفنا من أكابرنا
فادع ربك ينشئ هذه الكراسي والاوانى كما بدأها أول مرة تعود خضراء فيعرف كل عود منها الذي كان
وزهره فقال له جرجيس اقد سألت أمرا عزيزا على وعلى ربنا ولكن على الله هين ثم دعا الله عز وجل فجاءت
مكانها حتى اخضرت تلك الكراسي والاوانى كما هو ما خضر عودها ونبتت اللحم وتمت وأورقت وأزهرت
وأثمرت فلما نظروا الى ذلك انتدب لهم خليفاس الذي عنى عليه ما فقال أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا
يعلل به كيده ثم انه عمد الى خماس فصنع منه صورة ثور له جوف له اسم ثم حشاه نفطا وراصا وكبريتا وزرنيخا
ثم أدخل جرجيس مع الحشو في جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهبت بالنار وأخذ جرجيس في
جوفها فلما مات جرجيس أرسل الله ريحا عاصفا فاظلت السماء سحابا أسود فيه رعد وبرق وصواعق وأرسل الله
اعصارا على بلادهم فقاما حتى اسود ما بين السماء والارض فكثوا أياما متحيرين في تلك الظلمة لا
يفصلون بين الليل والنهار وأرسل الله ميكائيل فاحمل الصورة التي فيها جرجيس حتى اذا أظلها ضرب بها الارض
ففزع من رعبها أهل الشام ففروا الوجوههم ساعتين وانكسرت الصورة ففرج منها جرجيس حيا سالما
وقف بكلامهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين السماء والارض ورجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له
طونيليانوس يا جرجيس ان كنت أنت تصنع هذه الاعاجيب أم ربك فان كان ربك هو الذي يصنع فادع حتى
نماوت الذي في هذه القبور فان فيها أمواتا منهم من نعرفه ومنهم من لا نعرفه فقال له جرجيس ان شئت ان
يصلح الله عنكم هذا الصنع ويريكم هذه الاعاجيب الا تكون عليكم هذه فتستوجبوا بها غضبه ثم أمر بالقبور
ففتحت وهي عظام رفات وأقبل جرجيس على الدعاء فجاءوا من مكانهم حتى نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة
رجال وخمس نسوة وثلاث صبية واذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك فقال يا جرجيس اسمي توبل
قال متى مت قال في زمان كذا وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك واصحابه الى ما فعل قالوا
ما بقي من أصناف العذاب شيء الا وقد عذبوه به الا الجوع والعطش فمد نزلوهما فعمدوا الى بئر عميقة وزيرة
فقيرة كان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد لم يسمع ولم يتكلم ولم يبصر ولم يمش قط ولا أكل طعاما ولا شرب شرابا قط
بلغ به الجوع قال للجوز هل عندك من طعام أو شراب قالت لا والذي حلفت به ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا
وسأخرج أنا فانظر لك شيئا فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى قالت نعم قال اياه تعبدين قالت لا ندعوها الله
فصدقته ثم انها انطلقت تطلب له شيئا وكان في بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل سقف البيت فاقبل على الدعامة
فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت كل فاكهة نوكل أو تعرف حتى كان مما أنبتت اللوز والجاز وهو مثل البردي
يكون بالشام وظهر الدعامة فرع من فوق البيت ظله من فوقه فاقبلت الجوز وهو فيما شاءها كل ما رغد عليها
رأت الذي حدث في بيتها من بعدها قالت آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفي
ابني قال لها أدنيه مني فادنته فبصق في عينه فابصر ونفث في أذنيه فسمع فقالت له أطلق لسانه ورجليه ويسمع الله
فقال لها أخبريه فان له لسانا عظيما وكان الملك قد خرج يوما يسير في مدينته اذ رمح بصره على الشجرة فقال اني أرى
شجرة بحمان ما كنت أعرفها به فقولوا له ان تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع فهو
فيما يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع الجوز الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فامر الملك بابيت فهدم وبالشجرة
أن تقطع فلما هموا بقطعها أبى الله الشجرة وردها كما كانت أول مرة فذكروها وأمر بجر جيس فقطع على
وجهه وأوتد له أربعة أوتاد وامر بجعل فاقر اسطوانا وجعل في أسفل الجعل حمما جر وشظايا ثم أسر بابن ثورا
فنهضت بالجعل نهضة واحدة فجر جيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فامر بقطعة أن تحرق فالقيت في النار حتى عادت
وما دافعت بذلك الرماد وبعث معه رجالا فذروه في البحر فبارحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحر
ان الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فاني أريد أن أعيده كما كان ثم أرسل الله الرياح فاخرجته

نجربة على باب البلد فاوحى الله تعالى الى موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام يا موسى ان وليا من أولياني قد حضره الموت في مكان كذا فاحضره وغسله وكفنه وصل عليه وفل لمن كان معك أن يصلي عليه فنادى موسى في بني اسرائيل فحضروه فلما نظروا اليه عرفوه وقالوا يا نبي الله هذا فلان الفاسق الذي أشرت بدفنه فتعجب موسى من ذلك فاوحى الله تعالى اليه انهم صدقوا لكنه لما حضرته الوفاة في هذه التجربة نظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا ورأى نفسه غريبة وحيدة ذليلة منكسرة فرفع بصره الى وقال الهي وسيدي ومولاي عبدك من عبيدك غريب في بلادك فلو علمت ان عذابي يزيد في ملكك لم أسألك المغفرة وليس لرجاء الا أنت وقد سمعت فيما أنزلت تقول اني أنا الغفور الرحيم أكان يحسن أن أردك يا موسى وقد توسل بي وتشفع الى وعزتي وجلالي لو سألني في المذنبين من أهل الارض لوهبتهم له وأنا الغفور الرحيم (وروى) انه كان في بني اسرائيل ملك جبار وكان يكره الفقراء والصدقة ونادى في المدينة كل من تصدق بشيء قطعت يده وكان في المدينة امرأة صالحة مات زوجها ومعها ولدان فكانت تغزل وتشتري كل يوم دقيقا وتعمل منه ثلاثة

أنت قلتها قال نعم قال ان لله شأنا وقد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فاذا ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويشفي المرضى وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقيل له الحق فجاءه سمع قال وقال له أنت قلت الحق قال لا قال فمن قلها قال الله تعالى قال فمن الله قال رب السموات والارض وما بينهما وما رب الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة قال ان كنت صادقا فادع الله أن يرد علي بصري فقال له الغلام أرأيت ان رد الله عليك بصرك تؤمن بالله قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فارد عليه بصره فرجع الى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله قال رب السموات والارض فقال له الملك أخبرني من علمك هذا فابى فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرك هذا فقال له الغلام اني لا أشفي أحدا وانما يشفي الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار ووضعه في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقتين ثم جيء بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار فشقه مثل ذلك ثم التفت الى الغلام وقال له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا واصعدوا به الى ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا وجاء الغلام يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فغاظ الملك ذلك فدفعه الى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به في قرقور وسطي البحر فان رجع عن دينه والا فالقوه في البحر وغرقوه فذهبوا به الى البحر فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال الملك اقتلوه بالسيف فتبا السيف عنه وجعل يضرب في الارض وعرفه الناس وعظموه وعلموا انه هو وأصحابه على الحق ثم ان الغلام قال للملك انك لا تقدر على قتلي الا أن تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سرير فتصلبني على جذع وترميني بسهم وتقول بسم الله رب الغلام ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال بسم الله فاصابه في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس لا اله الا الله آمنا بدين عبد الله بن السامري ولادين الاديننا فلما أتي الملك قيل له يا ملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك وأغلق أبواب المدينة وأخذ أفواه السكك وخد أخدودا وملأه نارا ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن لم يرجع ألقاه في الاخدود فاحترق وكانت امرأة قد أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك أترجعين عن دينك والا ألقيتك أنت وأولادك في النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقى في النار ثم أخذ الاوسط وقال لها الرجعي عن دينك فابت فألقى ابنها في النار ثم أخذ الرضيع وقال لها ارجعي فابت فامر بالقائه في النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي الصغير يا أماه لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك فالقي الصبي في النار وأمه على أثره وقد روي هذا بخبر ما ذكرنا مرفوعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبرنا) أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور باسناده عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل معناه وقد تكلم ستة في المهد شاهد يوسف الصديق عليه السلام وابن ماشطة بنت فرعون ويحيى بن ذكريا وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الاخدود (وقال سعيد بن المسيب) كما عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ ورد عليه كتاب أنهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهو واضع يده على صدغه فكلما مدت يده عادت الى الصدغ فكتب اليهم عمر ذروه حيث وجدتموه وقال مقاتل كان أصحاب الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام وآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فانطيانوس الرومي أحرق قوما من المؤمنين وأما الذي بفارس فهو بختنصر (وكانت قصته) كما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن ابن أبي الدنيا قال لما هزم المسلمون أهل الاسفذهار وانصرفوا جاءهم نعي عمر فاجتمعوا وقالوا أي شيء تجري على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب وليسوا من مشركي العرب فقال علي كرم الله وجهه بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمرة قد أحلت لهم فتناولها ملك من

تزاص لها والولدين فبينما هي على تلك الحالة اذ سمع سائل بباب افاعطته قرصها صدقة وقالت له لا تأكل عند أحد خوفا عليه من الملك فاخذه فلما كان في بعض الطريق أخرج القرص ليأكله فلقيه بعض أعوان الملك وقال له من أين أتاك هذا الرغيف فقال اعطتنيه امرأة فقبض

فاحضروه فلما نظروا اليه عرفوه

هذا فقبره فقالت لا أسلم الا على يديه فجلست عند قبره وقالت أشهد أن لا اله الا الله محمد أن رسول الله ثم قالت خرجت من دار الكفر غير اني أخشى
أن أقع بعد الاسلام في المعصية فاسأل ربك الذي أرسلك أن لا أعصيه قال ثم وضعت خدها على سائط القبر وماتت من

ورحمته وأجبت دعوتي وشفعتني فيه فلما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فلما رأوا ذلك عمدوا اليه فضربوه
بالسيوف فيظن من شدة الحريق ليعطيه الله بالقتلة الرابعة ما وعده ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت
رمادا فحملها الله من وجه الارض وجعل عاليها سافلها فمكثت زمانا من الدهر يخرج من تحتها نار ودخان منتن
لا يشمه أحد الا سقم سقما شديدا وكان جميع من آمن بحزبيس وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا واسم أة الملك قال
الاستاذ وكانت قصة حزبيس في أيام ملوك الطوائف والله أعلم *(باب في قصة شمسون النبي عليه السلام)*
قال الله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر الى قوله تعالى خير من ألف شهر (أخبرنا) أبو عمر والعراقي باسناده عن ابن
أبي نجيح أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب
المسلمون من ذلك فانزل الله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر
التي لبس الرجل فيها السلاح في سبيل الله تعالى (أخبرنا) عبد الله اليضي باسناده عن وهب بن منبه أن رجلا من
أهل قرية من قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الانجيل وكانت أمه قد جعلته نذيرا
وكان قومه أهل أوثان يعبدونها من دون الله وكان منزله منها على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم
في الله فيقتل منهم ويسبي ويصيب الاموال وكان اذا قاتلهم لقيهم بالخفة لا يلقاهم بغيرها وكان اذا قاتلهم وقاتلوه
فتعب وعطش انفجر له من الحجر ماء عذب فيشرب منه حتى يروى وكان قد أعطي قوة في البطش وكان لا يوثقه
حديد ولا غيره فجاهدهم في الله ألف شهر يصيب منهم حاجته ولا يقدرون منه على شئ فاحتالوا عليه وقالوا لا تأتيه
الا من قبل امرأته فجعلوا لها جعلا على ذلك فجاءتهم وقالت أنا أوثقه لكم فاعطوها جعلا وثيقا وقالوا لها اذا نام
فاوثقي يديه الى عنقه حتى نأتيه فنأخذه فلما نام أوثقت يديه الى عنقه بذلك الحبل فلما انتبه من نومه جذب يديه
فوقع من عنقه فقال لها لم فعلت ذلك فقالت له أحب به قومك ما رأيت مثلك قط فارسلت اليهم وقالت لهم اني قد
ربطته بالحبل فلم يغن عنه شيأ فارسلوا اليها بحمامة من حديد وقالوا لها اذا نام فاجعليها في عنقه فلما نام جعلتها في
عنقه ثم احكمتها فاما هب جذبها فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت احب به قومك ما رأيت مثلك
قط فهل في الارض شئ يغلبك قال لا الا شئ واحد قالت وما هو قال ما أنا بمخبرك به فلم تزل تسأله عن ذلك وكان ذا
شعر طويل كثير فقال لها وما يحملك ان أخي كانت أخبرتني أن لا يغلبني شئ أبدا ولا يعيا فاني الاشعري فلما نام أوثقت
يده الى عنقه بشعر رأسه فاوثقه ذلك فبعثت الى القوم فجاؤا وأخذوه فدعوا أنه وأذنبوه وقتلوا عنه وأوقفوه
للناس بين ظهراني المدينة وكانت مدينة ذات أساطين وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا الى
شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به وأوقفوه على الناس أن يسلطه عليهم فاسرعان يأخذ بعمودين
من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فجذبهم جاحدا فخذهم جاحدا فانهارت المدينة بمن فيها وهلكوا فيها هدما
وهلكت أيضا امرأته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تاما وعاد كما كان وكانت قصة شمسون
في أيام ملوك الطوائف والله أعلم *(باب في قصة أصحاب الاخدود)*
قال الله تعالى قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود الآيات روى عطاء عن ابن عباس انه كان بنجران ملك من
ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له
ساحر حاذق فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث لي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يقال له عبد الله بن
السامري يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يجد بدا من طاعة الملك وطاعة أبيه فجعل يختلف عن الساحر وكان
في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فقعد الغلام عنده وسمع كلامه فاعجبه وكان يبدأ عند الراهب
ويأتي المعلم فيضربه ويقول له ما الذي حبسك واذا انقلب الى أبيه يجلس عند الراهب فيضربه أبوه ويقول له
ما أبطأك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له الراهب اذا أتيت المعلم فقل له حبسني أبي واذا أتيت أباك فقل
حبسني المعلم وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فرأيها الغلام ورماها بحجر وقال
اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها فاتى الراهب وأخبره فقال له الراهب

ما تعلم من ودادي الا كفيتهم ... وثنة الاعادي قال فدام كلامها حتى اذهب الله الاعداء وجاء الامان وذهب الردى ثم غابت انت
فلما رأى رضي الله تعالى عنها (وقيل) انه كان في بني اسرائيل شاب معروف على نفسه بالمعاصي فاخرجوه من بينهم فضربه الوفا وهو في

وأسلم ذو نواس مستبيا * وحذروه مه فتلك المضيق

قال فاقام ارياط باليمن وكتب اليه النجاشي أن ابعث بجندك ومن معك فاقام حينا ثم ان أبرهة بن الصباح ساخطه في أمر الحبشة حتى انتصدوا صاحبه فكانت معه طائفة ومع أبرهة طائفة ثم تزاحفا فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة الى ارياط انك لا تصنع شيأ فلا تلق الحبشة بعضها على بعض ولكن اخرج الي فاينا قتل صاحبه انضم اليه الجند فارسل اليه انك قد أنصفت ثم انهما خرجا وكان ارياط جسيما عظيما وسيما في يده حربة وكان أبرهة رجلا قصيرا حادرا لحما وكان ذا دين في النصرانية وكان خلف أبرهة وزر له يقال له عتودة فلما دنا وارفع ارياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وجبينه وأنفه وشفته فلذلك سمي أبرهة الاشرم فلما رأى عتودة ذلك حمل على ارياط فقتله فاجتمع الجيش على أبرهة فبلغ النجاشي ما صنع أبرهة فغضب عليه وحلف لا يدع أبرهة حتى يجز ناصيته ويطأ بلاده ثم انه كتب الى أبرهة انك عدوت على أميري فقتلته بغير أمري وكان أبرهة رجلا مارد افلما بلغه قول النجاشي حلق رأسه وملأ جرابا من تراب أرضه وكتب الى النجاشي أيها الملك انما كان ارياط عبدك وانا عبدك اختلفنا في أمرك وكنت أعلم بأمر الحبشة وأسوس لها وكنت أردت أن يعتزل قابي فقتلته وقد بلغني الذي حلف عليه الملك وقد حلقت رأسي وبعثت به اليك وملأت جرابا من تراب أرضي وبعثته اليك لتطأه الملك فيبر قسمه فلما انتهى اليه ذلك رضي عنه وأقره على عمله وكتب اليه بان اثبت بن معك من الجند ثم ان أبرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال لها القليس ثم انه كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها قط ولست منتهيا حتى أصرف اليها حاج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة فخرج الى القليس فدخلها بلا قذر فيها ولا بها واو تغوطا للكعبة فبلغ ذلك أبرهة ويقال انه أتاها ناظرا اليها فدخلها او بعد العذرة فيها فقال من اجترأ على هذا فقيل فعل هذا رجل من العرب من أهل ذلك البيت الذي يحجونه بمكة بالذي فلت فصنع هذا غضب أبرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فخرج سائرا من الحبشة الى مكة وأخرج معه الفيل فبلغ ذلك العرب فاعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج رجل من أهل حمير يقال له ذو نفر بن أطاعمن قومه فقاتله فهزمه وأخذ ذو نفر فاتى به أبرهة فقال له أيها الملك لا تقتلني فان استبقائك لي خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ثم خرج سائرا حتى اذا دنا من دبار خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم وهما شهران وناهس ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا أسيرا فقال له أيها الملك اني دليلك بأرض العرب فلا تقتلني وهاانا أنادي على قومي بالسمع والطاعة لك فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود ابن معتب الثقفي في رجال من ثقيف وقال له أيها الملك انما نحن عبيدك فليس لك عندنا خلاف وليس بيتنا هذا الذي تريد يعني به اللات انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولاهم نفر جوا حتى اذا كانوا بالمغمس مات أبو رغال فهو الذي ترجم قبره العرب وبعث أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على مقدمته فجمع اليه أموال الاوأصاب لعبد المطلب بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتي بعير ثم ان أبرهة بعث حناطة الحيري الى أهل مكة سفيرا فقال له سل عن شريفها ثم أبلغه اني لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حناطة حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال له ان الملك ارسلني اليك لاخبرك انه لم يات لقتال الا أن تقاتلوه انما أتى لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ما كنا نريد حربه ولا لنا بذلك طاقة فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان منعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فهو والله ما لنا به قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه أردفه على بغلة له كان راكبا عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم المعسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء بما نزل بنا فقال ما غناء رجل أسير لا يأمن من ان يقتل بكرة أو عشية ولكني سأبعث لك الى أنيس سائس الفيل فانه صديق لي فاسأله ان يستأذن لك عند الملك ما استطاع اليه من الخير

أبواب السماء وحفت الملائكة بالتسبيح والتقديس لله رب العالمين فامر الجليل جبريل فنزل اليها وقال لها يا أمة الله أمرني رب العالمين ان أريد يدك ورجليك وولديك بركة الصدقة ثم أخذ يدها ورجليها وألصقها بقدرة من يقول للشيء كن فيكون فقامت باذن الله تعالى وردالله تعالى عليها ولديها من الذئب والنمر فبلغ ذلك الملك فاحضر المرأة بين يديه وتعجب في صنع الله تعالى فقالت له ان الذي تصدقت من أجله رد على يدي ورجلي وأولادي فقام على قدميه وقال آمنت بالذي خلقك وسواك وصار يعبد الله تعالى حتى توفاه الله هو والمرأة في يوم واحد وجعلا قبة من البلخة وارتفعت بهما الى السماء حتى غابت عن الابصار نفعنا الله بهما وبركاتهما في الدنيا والآخرة آمين (وقيل) كان ببغداد رجل يعرف بابن الروحي وكان له زوجة وأولاد فنزل بالناس مجاعة عظيمة فاقام الفتى وعياله ثلاثة أيام لم يعرفوا الطعام واشتد بهم الامر فلما كان في اليوم الرابع قالت زوجته وكانت بنت عمه يا ابن عمي أنا وأنت نصبر على الجوع فكيف الحيلة في هؤلاء الاطفال فقال لها ما تريدين أن أعمل قالت نعم اعمد الى سوق النخالين فلو عملت بنصف درهم كان فيه قوت الاطفال فقال سمعا وطاعة فاخذ فاسا

ملوكهم فغلبت على عقله فتناول أخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي أتيت وما المخرج منه فقالت المخرج منه أن تخطب الناس فتقول أيها الناس ان الله قد أحل لكم نكاح الاخوات اذا ذهب هذا في الناس تناسوا حرمته عليهم فقام فيهم خطيبا فقال أيها الناس ان الله أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا جاءنا نبي ولا أنزل علينا في كتاب فرجع الى أخته وقال ويحك ان الناس قد أبوا علي فقالت ابسط فيهم السوط فابوا أن يقروا فقال لها ان الناس قد أبوا قالت فجرد فيهم السيف فاقروا أن يقروا قالت فقد لهم الاخدود ثم اعرضهم عليه فمن تابعك حل عنه ومن أبى فاقذفه في النار فقد الاخدود وأوقد فيه النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فمن أبى قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله فانزل الله تعالى فيهم قتل أصحاب الاخدود الى قوله تعالى عذاب الحريق وأما الذي في اليمن فهو يوسف ذونواس بن شرحبيل بن تبع ابن بشرح الحميري وقد ذكرنا قصته وذكر محمد بن اسحق بن بشار عن وهب بن منبه أن رجلا كان بقي على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فاجابوه فخيرهم ذونواس بين النار أو اليهودية فاوا عليه فاحرق منهم اثني عشر ألفا وقال مقاتل انما قذف في النار ومئذ سبعة وسبعين انسانا وقال الكلبي كان أصحاب الاخدود سبعين ألفا فلما قذفوا المؤمنين في النار خرجت النار الى أعلى شفير الاخدود فاحرقتهم وارتفعت النار فوقهم اثني عشر ذراعا ونجا ذونواس فسلط الله عليهم ارياط الحبشي حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاقتحم البحر فاغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو بن معديكرب

أتوعدني كأنك ذو رعين * بأنعم عيشة أو ذونواس
وقد ما كان قبلك في نعيم * وملك ثابت في الناس راسي
فقد تم عهده من عهد عاد * عظيم قاهر الجبروت قاسي
فامسى أهله بادوا وأمسى * ينقل في أناس من أناس

(باب قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخر السورة قال محمد بن اسحق بن بشار كان من حديث أصحاب الفيل ما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقي من علماء اليمن وغيرهم ان ملكا من ملوك حمير يقال له زرعة ذونواس كان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك الا ما كان من أهل نجران فانهم كانوا على دين النصرانية على حكم الانجيل وأهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر فدعاهم الى اليهودية فابوا فخيرهم فاختاروا القتل فخدلهم الاخدود وصنف لهم أصناف القتل فمنهم من قتل صبرا ومنهم من ألقى في النار الا رجلا من أهل سبا يقال له دوس بن ثعلبان فذهب على فرس له بركض حتى أعجزهم في الرمل فاتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واستنصره فقال له بعدت بلادك عنا ولكني أكتب الى ملك الحبشة فانه على دينك فينصرك فكتب له الى النجاشي يأمره بنصره فلما قدم على النجاشي بعث معه رجلا من الحبشة يقال له ارياط فلما بعثه قال له ان دخلت اليمن فاقتل ثلثي رجالها وأخرب ثلث بلادها وابعث الي بثلث سبايها فلما دخلها ارياط وشمهم القتال فتفرقوا عن ذي نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به البحر فهلك جميعا فكان آخر العهد به ودخلها ارياط فعمل بما أمره النجاشي فقال ذو جدن الحميري فيما أصاب أهل اليمن

يعيني لا أبالك لم تطيقي * حمالك الله قد أنزفت ريقي * بذا عرف القيان اذا انتشينا
اذا نسق من الخمر الرحيق * وشرب الخمر ليس على عارا * اذا لم يشكني فيها رفيقي
وان الموت لا ينهاه ناه * ولو شرب الشفاء من الشوق * ولا مترهب في أسطوان
يناطح جلده بيض الاتوق * وغمدان الذي نبئت عنه * بنوه مسكا في رأس نيق
لمتهم وأسفله حروث * وجرا وجل اللثق الزليق * مصابيح السليط يلحن فيه
اذا عيسى كرمضان البروق * فاصبح بعد جدته رمادا * وغير حسنه لهب الحريق
ونخلته التي غرست اليه * يكاد البسر يمصر بالعذوق

فلما بلغ ذلك أبرهة بن الصباح الاشرم ملك الحبشة وأبو يكسوم غزا اليمن بجيوش عظيمة من الحبشة فلما سمع ذو نواس بمسيرهم اليه ورجع به الى الملك وأخبره بقصته فقال امضوا به الى موضعها الذي تعبدون فيه ويسمى القليس فاتوا به اياه وهو يرى أنه يريد أن يعطيها شيئا يعبدونه فيه فلما حضر وهي عند الملك فقال

(٢٦٠) لها أما سمعت النداء ثم أمر بقطع يدها فقطعت وعلقت في عنقها فجاءت الى منزلها

فأقامت تعبد الله وكانت
ساعة قائمة الى أن
فطرت ونامت وهي
ذاكرة الله تعالى فلما
أصبح الصبح مر فقير وقال
لمن يتصدق بصدقة
ينفعه فاعطته قرصا
من أقراص أولادها
فذهب وهو يقول جزى
الله عني هذه المرأة خيرا
فانها تصدقت علي فسمع
أحد خدام الملك فقبض
عليه وأتى به الى الملك
فامر باحضارها فحضرت
بين يديه فامر بقطع
يدها الاخرى فقطعت
وباتت بمنزلها واذا
بسائل يقول من يتصدق
على الجائع المسكين
الذي طاف هذه المدينة
فلم يعطه أحد من أهلها
لقمة واحدة قال فلما
سمعته أخرجت اليه
قرصا فاخذه ومضى
فاذا برجل من أعوان
الملك فقبض عليه وأتى
به الى الملك فاخبره
بالمرأة فقال هي لم تنته
وأمر بقطع رجلها
فأقامت تلك الليلة واذا
بسائل يقول يا محسن
تصدق على الفقير
المسكين الذي لا حيلة
له ولا هو مسافر وليس له
قوت الا بنات الارض
فرحمت وأعطته قرصا
فاخبر الملك بما كان من المرأة فامر بقطع رجلها الاخرى فلما جاء الظهر زحفت الى البحر وسلم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويعلم منزلك وحفلك عنده فقال فارحل الى أويس فاته فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يعلى ويعلم الناس من السهل والجبل والوحش والطير في رؤس الجبال فدأصاب له الملك مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فافعله فانه صديق لي وافى أحسبه يصل اليه من الخير ثم ان أنيدا دخل على أبرهة هو وعبد المطلب فقال له أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والجبل والطير والوحش في رؤس الجبال وقد جاء ناغير نامن حبك ولا صحالف علينا ولنا مستأذن على الملك وأنا أحب ان تأذن له فيكلمك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما دخل على المجلس بين يديه فاعجبه وأجله وأعظمه على السرير ثم قال الترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي ان يرد علي مائتي بعير أصابها لي فقال أبرهة الترجمانه قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت ذلك الآن حين كلمتك أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت له لا هدمه لم تكلمني فيه فقال له عبد المطلب قل له أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعني فقال له أنت وذاك ثم أمر له بابله فردت عليه فقال حدثت اصحو وكان فيما يزعم بعض أهل العلم ان عبد المطلب قد ذهب الى أبرهة بعمرو بن معدي كرب بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بني كنانة وخويلد بن واثلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على ان يرجع عنهم ولا يهدم البيت فابى ان يرجع قال فلما وردت الابل على عبد المطلب وجمع قاهر قريشا للخروج وأمرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش اذا دخل فعلوا ذلك ثم أتى عبد المطلب الى الكعبة فاخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا ان عدو البيت من عاداكا * فامنعهم ان يخربوا قراكا

(وقال أيضا)

لاهم ان المرء يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك وانصر على آل الصلـ * ـيب وعابديه اليوم آلك

لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك جروا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك

عمدوا حماك بكيدهم * جهلا ومارقبوا جلالك ان كنت تاركهم وكعـ * ـبتنا فامر ما بدا لك

ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه وأصبح أبرهة بالمغمس وقد تهيأ لدخول مكة وهي جيشه وهيأ فيله وكان اسم الفيل محمودا وكان من قبل النجاشي بعثه الى أبرهة وكان فيلا لم ير مثله في الارض عظما وقوة وجسما وقال الكلبي لم يكن عندهم الا ذلك الفيل الواحد فذلك قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وقال الحسن كانت الفيلة كثيرة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا (١) واعلم ان معنى هذا التأويل لو فاز رؤس الآي ويقال نسبهم الى الفيل الاعظم قالوا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم فاخذ باذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام وبرك الفيل فمشوه فابى ان يقوم فضربوه بالعمول في رأسه فابى فادخلوا اصابعهم تحت مراقه وموماقه ونفروه ليقوم فابى وهو هو راسها الى اليمن فقام يهرول ثم وجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى الطوم فبرك وأبى ان يقوم ثم ان نفيلا خرج من عندهم وصعد في الجبل وأرسل الله تعالى طيرا من البحر كأمثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره أمثال العدس والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل القوم أصابت وذلك قوله تعالى طيرا أبابيل أي متفرقة من ههنا وههنا قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقال عكرمة كان لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقال ربيع لها أنياب كأنياب السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال أبو اليزاء نشأها الله في الهواء في ذلك الوقت ترميهم بحجارة من سجيل أي سنك كل

(١) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فما وقع منها على جسد رجل الا خرج من الجانب الآخر واذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فجعلهم كعصف ماكول

المغرب وهم بالخروج فقال في نفسه كيف أمضي الى أهلي ومذا أقول لهم ان قالوا ماذا عملت وعزتك وجلالك لا برحت حتى أصلي العشاء الاخيرة ولم يزل راكعا وساجدا حتى صلى العشاء الاخيرة ومضى الى منزله فسمع صهيبا عليه افضل في نفسه شرا وقال انا لله وانا اليه راجعون غبت عن المرأة ومعها الاطفال وهم في شدة عظيمة من الجوع فلبثت شهري ما جرى عليهم ثم بكى بكاء شديدا وقرع الباب فخرجت اليه زوجته مسرورة وقالت له أهلا وسهلا وهي فرحة مسرورة ثم قالت ما كان يومك الا مباركا أشبع الله بطنك كما أشبعت بطوننا ومن دخل المنزل فرأى فيه نورا عظيما قالت فاذا بمائدتين عظيمتين على كل مائدة منديل حسن فقال ما هاتان المائدتان قالت يا ابن عمي أتاني جالسة في وقت الظهر وبي وبولدي أجهدني الجوع والاطفال يتضورون الموت واذا بطارق يطرق الباب فنهضت الى الباب فكشفت فاذا بغلام على رأسه منديلان شعر وعلى كتفه منديلان شعر وعلى يده منديلان شعر فقال لي اعاونك على هذا الحمل فاعنته فادخلته فاذا فيه من كل طعام فقلت له من أنت فقال أنا رسول الله اليكم فقلت له ما اسمك فقال اسمي الرزاق فقلت له أنت الرزاق فقال لا بل الله الرزاق وأنا ميكائيل فقلت له أنت ميكائيل